

الحسين أحمد السيد

15 000

الأئمة علي

وحروب التأويل

دراسة دينية - تاريخية - عسكرية معاصرة



يا علي ستقاتل
علي التأويل
كما قتلت
علي التنزيل

دار العلوم



www.haydarya.com



الإمام علي عليه السلام



وحروب التأويل

E-mail: info@alstah.com

www.alstah.com

حقوق الطبعة محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



المكتب : الرويس - بناية عروس الرويس - تليفاكس : 01/545182 - 03/473919

ص.ب : 140 / 24 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650

www.daraloloum.com

E-mail: info@daraloloum.com

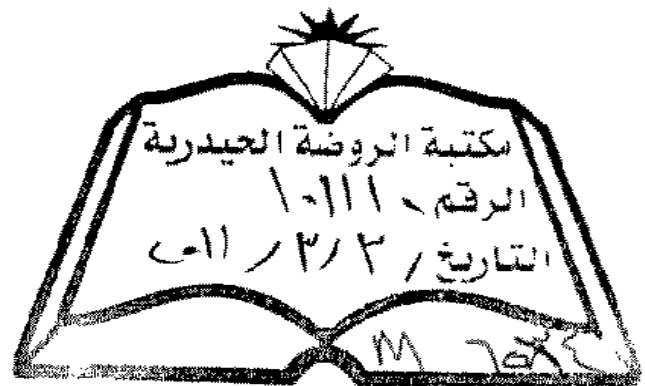
الإمام علي عليه السلام

وحروب التأويل

دراسة دينية - تاريخية - عسكرية معاصرة

الجزء الأول

الحسين أحمد السيد





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

الإهداء.

إلى البطل الأول لحروب التنزيل..
إلى القائد الأعلى لحروب التأويل..
إلى المجاهد الأكبر ، يضرب بسيفين ، ويطعن برمحين..
إلى باب مدينة العلم ، الأنزع البطين ، وقائد الغر المحجلين..
إلى سيدي ومولاي أمير المؤمنين ، سيف الله
الغالب ، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام..
أهدي هذه الدراسة العسكرية المعاصرة..
ورجائي من مقامه العالي التفضل والقبول..

عُبيدك
الحسين أحمد السيد
أبو علي

المقدمة

منذ زمن وأنا أطمح لدراسة الحروب
التي سماها الرسول الأعظم ﷺ بحروب
التأويل بقوله الشريف لوصيه: يا علي
ستقاتل على التأويل كما قاتلت على
التنزيل..

ودارت بنا الأيام طويلا ووفقت لدراسة معركة كربلاء المفجعة من
وجهة نظر عسكرية معاصرة فلاقت إحسانا وقبولا من الأخوة الأفاضل
من العلماء وغيرهم ممن اطلع على الدراسة لأنها جاءت بشيء جديد
وبثوب جديد لم يألّفوه في الكتب الحسينية الأخرى..

وجاء الطرح (لماذا لا تدرس حروب الإمام علي عليه السلام بنفس
الطريقة؟) فقلت تلك هي أمنيّتي منذ زمن وأسأل الله التوفيق لها..

وهكذا رحلت أعيد القراءة والبحث ولكن بهدف الكتابة، فكانت
الدراسة متأنية وهادئة وجدية بحيث أنني حرصت على الإحاطة الكاملة
بالموضوع الذي أريد أن أبحثه بطريقة القائد العسكري الذي يحاول أن

لا تفوته صغيرة أو كبيرة عند اتخاذها للقرار.

ورغم قراءتي الكثيرة عن تلك الملاحم الإسلامية إلا أن القراءة الآن كانت مختلفة، ورحت أجمع أطراف البحث وأصل خيوطه، وأفك عقده الواحدة تلو الأخرى حتى انتهيت إلى هذا الحد من البحث ليكون بشكل مرض لي، وللقارئ الكريم كذلك..

والملفت هنا أننا لم نستطع الإقتصار على ما هو عسكري فقط، فكان لا بدّ من شيء من البحث والتوضيح العقائدي والسرد التاريخي لأن المعارك تلك كانت بين رؤوس الإسلام، وأجلاء الصحابة الكرام، وهذا يفرض على الباحث إعطاء الموقف الحقيقي، والرؤية الواضحة لما جرى على مسرح الأحداث السياسية في ذلك الحين من الزمن الإسلامي..

كما يفرض على الكاتب أن يحسب حساب كل كلمة يقولها أو يكتبها لكي لا يقع بمحذور هنا أو بمحذور هناك فيكون نصيبه التكفير أو لا أقل من التفسيق - والعياذ بالله - وهو يأمل الخير والحق..

ولذا فإنني سعيت جاهدا من أجل أن يشهد الشخص على نفسه كما تحدث عنه كتب التاريخ الإسلامي، أو أن يشهد عليه أهل زمانه لا سيما الصحابة منهم، فكانت شهاداتهم على أنفسهم أولا، ثم شهادات بعضهم على بعض، حتى لا يتقوّل علينا متقوّل بغير حق..

علما أننا عندما نريد البحث في معركة الجمل خاصة لأن قيادتها كانت من رؤساء الصحابة سيما أمهم السيدة (عائشة بنت أبي بكر) فإننا لا نريد إلا الحق ولوجه الحق تعالى، ولا نريد إدانة لأحد منهم إلا إذا أدان نفسه بنفسه.. أو جاءنا خبرا موثوقا عن الحبيب المصطفى ﷺ يعلمنا بخروجهم ونكثهم بالبيعة وأنهم على الباطل والإمام علي عليه السلام على الحق الصراح وهم الباغين عليه رغم أن له في أعناقهم بيعة له

لازمة إلى يوم القيامة..

إذا كانوا هم يقرون بأحاديث الرسول ﷺ ويعترفون بتحذيره لهم من أفعالهم كحديث ماء الحوآب وقوله للسيدة عائشة: إياك أن تكونيها يا حميراء.. أو قوله ﷺ للزبير: ستقاتله وأنت له ظالم.. أو قوله لعمار: تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار..

هذه أحاديث تروىها صحاح المسلمين ومسانيدهم بطرق كثيرة وروايات متعددة إذا نقلناها بدقة وأمانة لنضعها بين يدي القارئ العزيز ليكون على بينة من أمر دينه، وبالحديث الشريف: أخوك دينك فاحتط لدينك ما استطعت..

فمسألة حروب التأويل أنها لا يمكن فصلها عن العقيدة والدين الإسلامي الحنيف، فالكل يدعي أنه خرج للإصلاح بالدين، أو كان شعاره ديني، ورايته الإسلام، وخطابه قرآني، والجميع يحاربون بعضهم باسم الرسول الأعظم ﷺ..

فهنا الوصي والخليفة والإمام.. ابن عم الرسول وصهره ومعه كبار الصحابة لاسيما بني هاشم ومن معهم من المهاجرين والأنصار..

وهناك أم المؤمنين وحواريي الرسول.. ومن معهم من بني أمية وأنصارهم من رجالات قريش ورؤوسها ومن دار في فلكنهم..

فهل يمكن الحديث عن نزاع ومعركة هؤلاء قادتها دون التطرق إلى الدين الحنيف؟ لا يمكن ذلك أبدا.. ولهذا نرفض تلك الأقوال التي شاعت بزمن بني أمية الرهيب على رقاب الأمة كلها، التي أشاعوها عندما عجزوا عن حرف الأمة كليا عن مسارها الإسلامي، وعجزوا عن تشويه صورة قائد جيش الحق بعد أن أفنوا أصحابه ومنعوا الناس أن يسموا باسمه، أو يذكر أحد فضيلة له، بل ولعنوه - والعياذ بالله - أكثر

من أربعين سنة على أكثر من سبعين ألف منبر... وما ازداد إلا شهرة وتألقا وسنا في سماء الإسلام الصافية..

كما أنهم لم يستطيعوا فرض أنفسهم على أنهم يمثلون الدين - رغم أنهم حكام ولكن لم يكونوا أئمة للدين- وذلك لفساد عنصرهم وخبث نواياهم، فكان على الأمة أن تبحث عن أئمة للدين تقتدي بهم وتأخذ أمور دينها عنهم ولم يكن مؤهلا لذلك إلا أئمة المسلمين من آل البيت النبوي الشريف الأطهار الأبرار (عليهم التحية والسلام) .. ووالدهم، وقائدهم هو قائد جبهة الحق أمير المؤمنين علي عليه السلام..

فجمع بنو أمية أذنانهم من وعاظ السلاطين (وهم كلاب أهل النار) ليبرروا حروب الصحابة، فجادت قرائحهم بتبريرين سقيمين هما:

١. لخصوها بقولهم (نجا الرؤوس وهلك الأتباع) لأن الرؤساء مبشرون بالجنة كما يظنون ويدعون فأدخلوهم إلى الجنة ولكن حكموا على بقية القتلى بالنار، ليحفظوا كرامة الصحابة فقط..

٢. لخصوها بقولهم: (القاتل والمقتول في جنة الخلد) فأدخل الجميع إلى الجنة ليحفظ كرامة التابعين الكبار ممن قتل منهم.. ولكن تناسى الجميع أن أحكامهم هذه تخالف القرآن الكريم صراحة، وتخالف السنة النبوية المطهرة علانية، وتخالف العقل السليم بداهة، وتخالف الفطرة التي فطرنا عليها لأنه لا بد في أية معركة من حق وباطل - أو باطلين - وأما حقان يتقاتلان فلا يمكن أبدا..

والحق الصراح في كل حياته مع الإمام علي عليه السلام بشهادة من الله في القرآن الحكيم، ومن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالسنة المطهرة، وكفى بهما شاهدان على الآخرين بالضلال والزيغ والبغي على إمام زمانهم وأميرهم - إن عدوا أنفسهم مؤمنين - الإمام علي عليه السلام..

وإذا لم يكن لدينا إلا أحاديث الفضائل التي ملأت الخافقين بحق الإمام علي عليه السلام لكفانا دلالة على صوابه بحربهم، وضلالهم وانحرافهم بحربه.. فكيف وأن ما لدينا من أحاديث النهي والتحذير والإخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم ظالمين وإن أصروا ولم يتوبوا فإن مصيرهم إلى النار وغضب الجبار - والعياذ بالله - ولا هوادة لأحد عند الله، ولا شيء يحمي منه إلا التقوى والعمل الصالح بما أمر الله والإنتهاء عما نهاهم عنه..

فالله - سبحانه - يحاسب على الأعمال حتى مثقال الذرة، لا على الأحساب والأنساب والصحبة والرفقة وغير ذلك من الأمور التي تضيفي شرفا على مَنْ تشرف بالتقوى وعمل صالحا كما كان يتصرف أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام فهو أقرب الناس، وأحب الناس، وصحابي أكثر الناس، وأعلم الناس، وأشجع الناس، وأرفع الناس إلا أنه كان أتقى الناس لله، وأورعهم عن المحارم، فلم يعص الله طرفة عين أبدا..

فلم يسمح لنفسه أن يقترب من المكروهات في أدق الظروف والتي يمكن أن تغير مجرى التاريخ لصالحه فيحكم الدولة بأمان ويمكن أن يداهن في السياسة فيولي طلحة البصرة، والزبير الكوفة، ومعاوية الشام، وابن منية اليمن، ريثما تأتيه البيعة من الأمصار فيدعوهم إليه فيفرض عليهم الإقامة في المدينة لأيام ويرسل مكانهم ولاته الذي يريد..

فكان يأمن الجميع ويرضي أم المؤمنين بما تريد بعد أن يولي ابن عمها طلحة البصرة، وصهرها الزبير الكوفة ويعطيها ما كان يعطيها عمر في خلافته فهل كان سيخوض كل هذه الحروب الطاحنة والتي لم تنته إلا بشهادته في محراب عبادته في الكوفة وهو يُحضر لإعادة الكرة على معاوية بحرب أخرى؟

ونصحته بذلك عبد الله بن العباس، والمغيرة بن شعبة وغيرهم ممن يتصفون بالسياسة والحنكة والدهاء السياسي.. إلا أنه هيهات، هيهات أن

يعطي الدنية في دينه أو أن يستعمل غير الثقة في عمل هو مسؤول عنه أمام الله فيما بعد.. وإليك هذه الرواية الكاشفة عن نوايا القوم الأولى ورأي الإمام عليه السلام بالولاية:

قال الراوي: كان الزبير لا يشك في ولاية العراق، وطلحة في اليمن. فلما استبان لهما أن علياً عليه السلام غير موليهما شيئاً أظهرتا الشكاة، فتكلم الزبير في ملأ من قريش فقال: هذا جزاؤنا من علي قمنا له في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس في بيته وكفي الأمر، فلما نال ما أراد جعل دوننا غيرنا..

فقال طلحة: ما اللوم إلا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا (عبد الرحمن) وبايعناه وأعطيناه ما في أيدينا، ومنعنا ما في يده فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا.

وأنهي قولهما إلى علي عليه السلام فدعا عبد الله بن عباس وكان استبطنه (استوزره) فقال: قد بلغك قول هذين الرجلين؟

قال: نعم بلغني قولهما. قال: فما ترى؟ قال: أرى أنهما أحبا الولاية، فولَّ البصرة الزبير، وول طلحة الكوفة، فإنهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان..

فضحك علي عليه السلام ثم قال: ويحك إن العراقيين بهما الرجال والأموال ومتى تملكوا رقاب الناس يستميلان السفية بالطمع ويضربان الضعيف بالبلاء ويقويان على القوي بالسلطان، ولو كنت مستعملاً أحداً لضُرَّه أو نفعه لاستعملت معاوية على الشام، ولو لا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية لكان لي فيهما رأي^(١).

فأمير المؤمنين عليه السلام لا يولي الراغب بالولاية لأنه يكون طامعاً، ولا

(١) (موسوعة الريشهري: ١٢٢/٥ عن السياسة والإمامة: ٧١/١، الجمل: ١٦٤)

يولي إلا من كان واثقا من دينه وأمانته كما قال لطلحة والزبير مرة أخرى: ارضيا بقسم الله لكما، حتى أرى رأيي، واعلما أنني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه، وأمانته من أصحابي، ومن قد عرفت دخيلته^(١)..

فالحق والدين شرطان أساسيان عند الإمام علي عليه السلام لا يمكن التخلي عنهما بحال من الأحوال.. في رضا أو غضب، في سلم أو حرب، لأن بالحق سعة لكل الدنيا وراحة لكل خلق الله، وأما الظلم والجور والتعدي على حقوق الناس فإنها خارجة من الدين، ونشاز في الأخلاق والإنسانية..

وعليه: فإننا أسسنا الدراسة على أساس ديني عقائدي وأعطينا لمحة مختصرة عن أولئك الرموز الذين خاضوا الحروب ضد بعضهم البعض، ليكون القارئ العزيز على بينة من أمره، ويضع رجله على المحجة الصحيحة، ويسير منذ البداية على الصراط ليصل في النهاية إلى نتائج ترضي عقله في الدنيا، وترضي دينه في الآخرة فنكون بذلك منصفين بإذن الله تعالى..

فجاءت الدراسة على الشكل التالي:

مقدمة..

أولاً: الباب الأول: الإمام علي عليه السلام وقريش (الإمام يحمل آثام الإسلام)

الفصل الأول: نظرة إلى تاريخ قريش وقبائلها وصراعاتها..

الفصل الثاني: الإمام علي عليه السلام الشخصية والخصائص..

شخصية الإمام علي عليه السلام..

(١) (شرح النهج ١/٢٣١، البحار: ٥٢/٣٢)

خصائص الإمام علي عليه السلام ..

شجاعة الإمام علي عليه السلام في الحرب ..

الفصل الثالث: بحوث في الحرب وتطورها ..

الحرب وأنواعها:

الحرب العسكرية ..

الحرب النفسية والمعنوية ..

الحرب الباردة (قديمًا وحديثًا) ..

الحرب الإسلامية (الجهاد في سبيل الله) ..

حروب التأويل (نظرة شمولية باحثة) ..

ثانياً: الباب الثاني: حروب التأويل ومعاركه ..

المعركة الأولى: حرب الناكثين في معركة الجمل ..

الفصل الأول: المقدمات والإرهاصات:

فتنة عثمان والموقف العام منها ..

البيعة العلوية النورانية ..

قادة الناكثين ومبررات النكث عندهم ..

الفصل الثاني: التحضير والمسير:

الناكثين من مكة وحتى البصرة ..

أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة وحتى البصرة ..

معركة الجمل الصغرى ..

الفصل الثالث: خوض المعركة والقتال (الجمل الكبرى)

أعمال الناكثين الاستفزازية في البصرة..

أعمال الإمام علي عليه السلام لدرئ الفتنة..

ث - خوض المعركة الفاصلة..

الفصل الرابع: النتائج والآثار لمعركة الجمل..

خاتمة: نقد وتحليل حرب الناكثين في معركة الجمل..

المعركة الثانية: حرب القاسطين في معركة صفين..

الفصل الأول: المقدمات والإرهاصات:

الفصل الثاني: تحضير ومسير:

الفصل الثالث: معركة صفين:

خوض المعركة:

وقف القتال والفتنة:

الفصل الرابع: النتائج والآثار لصفين

خاتمة: نقد وتحليل حرب القاسطين في معركة صفين..

المعركة الثالثة: النهروان حرب المارقين وفتنة الخوارج..

الفصل الأول: مقدمات وإرهاصات

الفصل الثاني: التحضير والمسير..

الفصل الثالث: معركة النهروان..

الفصل الرابع: النتائج والآثار لمعركة النهروان..

خاتمة:

١. نقد وتحليل لحروب التأويل..

٢. اغتيال قائد جيش الحق شهادة الإمام علي عليه السلام.

وبناءً على ذلك فإننا سوف نشرع بالدراسة العسكرية من منطلقات عقائدية بحثة ثم نعرض على المعارك ونبرز فيها العبقورية العسكرية، والنواحي القيادية في كل الأطراف المتحاربة، وذلك لكيلا نبخس الناس أشياءهم وذلك ضمن السياق التاريخي للأحداث والمعارك.

وكل أمني أن أكون قد وفقت بجلاء الصورة الحقيقية (عقائدياً، وتاريخياً، وعسكرياً) في تلك الحروب الفاصلة، والمعارك الطاحنة التي غيرت وجه التاريخ للأمة الإسلامية، لأنها حولت أعباءه عن جادة الحق والصواب، والمحجة البيضاء الذين كان عليها إلى جادة بني أمية الباطلة، فخرجت الأمة في متاهاتها، وأضاعته في غياهب ظلماتها، بتحويل الدولة الإسلامية وسياستها العادلة إلى ملك أموي عضوض.

عضّ الأمة بأنبيائه، وجرحها بأظافره ومخالبه، ومزقها كل ممزق وألقاها في صحراء الضلال، والله سبحانه وتعالى حسبهم على كل تلك الأعمال.

وأسأل الله سبحانه أن يوفقنا ويأخذ بأيدينا إلى سواء السبيل، ويعيننا على أنفسنا ويعيدنا إلى ديننا الحنيف، وكتابنا الكريم، ورسولنا العظيم، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام عدل القرآن وقادة أهل الإيمان.

إله الحق آمين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحسين أحمد السيد
دمشق الشام

الباب الأول

الإمام علي (ع) وقريش..

الإمام (ع) حمل آثام الإسلام عند قريش

علي مع الحق والحق مع علي
الرسول الأعظم (ص)

الفصل الأول:

نظرة إلى تاريخ قريش وقبائلها وصراعاتها

١. قبائل قريش

قريش: تصغير قرش، وهي أشرس حيوانات البحر كما تعرف.. وسأل معاوية ابن عبد الله بن عباس: لم سميت قريش، قريشاً؟ قال: لدابة تكون في البحر، تكون أعظم دوابه، يقال لها: القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته^(١).

وقريش: هو لقب الجد الأعظم (النضر بن كنانة)^(٢)، وهي قبائل من بطون، وأفخاذ وكان أول من جمعها قصي بن كلاب، حيث جمعهم وحارب بهم قبيلة (خزاعة) حتى أجلاهم عن البيت الحرام، وأسس

(١) قريش وعلي: حسام شحادة: ص ٣٦.

(٢) راجع الرسم التوضيحي في الملحق الأول في آخر الجزء الثاني.

لقريش مجدها في جزيرة العرب.

لا تُرانا أننا نحتاج إلى كثير من الحديث عن قبائل قريش لأنه كانت لقريش أكثر من عشرين قبيلة منها (بل أشهرها) :

١. بنو عمرو العلي (هاشم) بن عبد مناف.
٢. بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.
٣. بنو عبد الدار بن قصي.
٤. بنو مخزوم بن يقظة بن مرة..
٥. بنو زهرة بن كلاب..
٦. بنو أسد بن عبد العزى..
٧. بنو الحارث بن فهر بن مالك..
٨. بنو عامر بن لؤي..
٩. بنو سهم بن عمرو (وبنو جمح بن عمرو)..
١٠. بنو أنمار بن بغيض..
١١. بنو تيم بن مرة بن كعب (قبيلة أبو بكر بن أبي قحافة)
١٢. بنو عدي بن كعب (قبيلة عمر بن الخطاب)..

ولكن الفعل والتأثير كان محصورا بالقبائل المهمة، والزعماء المهمين، وهم بضع قبائل، وبضعة عشر زعيما، والباقون تبع لهم إلى حد كبير.. فقد وصف ابن هشام اجتماع دار الندوة الذي بحث فيه قادة القبائل (مشكلة نبوة محمد بن عبد الله ﷺ بن عبد المطلب بن هاشم).

فقال: (وقد اجتمع فيها أشرف قريش:

* من بني عبد شمس: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن

حرب.

* ومن بني نوفل بن عبد مناف: طعيمة بن عدي، وجبير بن مطعم، والحرث بن عامر بن نوفل.

* ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحرث بن كعدة.

* ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام.

* ومن بني مخزوم: أبو جهل عمرو بن هشام.

* ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج.

* ومن بني جمح: أمية بن خلف. ومن كان معهم غيرهم ممن لا يعد من قريش، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا. قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: إحبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به^(١).

وهنا نثبت ما ذكر عن أسماء الذين أنفقوا على جيش المشركين في معركة (بدر الكبرى) كدلالة على تزعمهم لجل شؤون وشجون قريش، فقال: (وكان المطعمون من قريش ثم:

من بني هاشم بن عبد مناف: العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس

ومن بني نوفل بن عبد مناف: الحرث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن

عدي بن نوفل، يعتقبان ذلك.

ومن بني أسد بن عبد العزى: أبا البختري بن هشام بن الحرث بن

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج ٢/ ٣٣١

أسد، وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، يعتقبان ذلك.
ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة
بن عبد مناف بن عبد الدار^(١).

وإليك هذا الترتيب الذي رتبته الخليفة عمر بن الخطاب - وهو
أعلم الناس بقريش - لقبائل قريش، في سجل أو ديوان الدولة لتوزيع
العطاءات، فإنه يدل على تركيبة قبائلها، وتميز بني هاشم عليهم: قال
البيهقي في السنن: (عن الشافعي وغيره، أن عمر لما دَوَّن الدواوين قال:

إبدأ ببني هاشم، ثم قال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيهم وبني
المطلب، فوضع الديوان على ذلك، وأعطاهم عطاء القبيلة الواحدة.

ثم استوت له عبد شمس (أمية) ونوفل في جذم النسب، فقال: عبد
شمس إخوة النبي ﷺ لأبيه وأمه (؟؟) دون نوفل، فقدمهم..

ثم دعا بني نوفل يتلونهم.

ثم استوت له عبد العزى وعبد الدار، فقال في بني أسد بن عبد
العزى أصهار النبي ﷺ، وفيهم أنهم من المطيبين. فقدمهم علي بني
عبد الدار..

ثم دعا بني عبد الدار يتلونهم.

ثم انفردت له زهرة فدعاها تلو عبد الدار.

ثم استوت له تيم ومخزوم، فقال في بني تيم إنهم من حلف
الفضول والمطيبين وفيهما كان رسول الله ﷺ، وقيل ذكر سابقة، وقيل
ذكر صهرا فقدمهم على مخزوم..

(١) ن.م. ج. ٢ / ٤٨٨

ثم دعا مخزوم يتلونهم.

ثم استوت له سهم، وجمع، وعدي بن كعب، فقيل له: إبدأ بعدي (قبيلة عمر)، فقال: بل أقر نفسي حيث كنت، فإن الإسلام دخل وأمرنا وأمر بني سهم واحد، ولكن انظروا بني جمع وسهم، فقيل قدم بني جمع. ثم دعا بني سهم، وكان ديوان عدي وسهم مختلطا كالدعوة الواحدة، فلما خلصت إليه دعوته كبر تكبيرة عالية، ثم قال: الحمد لله الذي أوصل إلي حظي من رسوله.

ثم دعا بني عامر بن لؤي، قال الشافعي: فقال بعضهم إن أبا عبيدة بن عبد الله بن الجراح الفهري لما رأى من تقدم عليه قال: أكل هؤلاء تدعو أمامي؟! فقال: يا أبا عبيدة، اصبر كما صبرت، أو كلم قومك فمن قدمك منهم على نفسه لم أمنعه، فأما أنا وبنو عدي فنقدمك إن أحببت على أنفسنا^(١).

وقد اعترف الجميع بأن فرع هاشم كانوا مميزين على بقية الفروع في فكرهم وسلوكهم، متفوقين في فعاليتهم وقيمهم.. وأن جماهير القبائل والملوك كانوا يحترمونهم احتراماً خاصاً (وقصة وفود سيدنا هاشم ملك العرب إلى ملك الروم في دمشق الشام ما يكفي دلالة على ذلك)..

حتى حسدهم زعماء قريش، وتحالفوا ضدهم من أيام هاشم وعبد المطلب. فقد رتب هاشم (رحلة الصيف) إلى الشام وفلسطين ومصر لقبائل قريش كلها، فسافر في الصحاري والدول، وفاوض رؤساء القبائل، والملوك، الذين تمرقوا في قريش التجارية في مناطقهم، وعقد معهم جميعاً معاهدات بعدم الغارة عليها وضمنان سلامتها. وقد فرحت

(١) (سنن البيهقي: ٦ / ٣٦٤)

قبائل قريش بهذا الإنجاز، وبادرت إلى الاستفادة منه، ولكنها حسدت هاشما، وتمنى زعماءؤها لو أن ذلك تمّ على أيديهم، وكان فخره لهم.

وقد توفي هاشم مبكرا في إحدى سفراته في أرض غزة (هاشم) في فلسطين، في ظروف يحقُّ للباحث أن يشك فيها لا سيما وأنه كان في مقتبل العمر وريعان الشباب.. فهو الذي ملك العرب فتى يافع وتوفي وهو شاب لا يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره! ولكن بيت هاشم لم ينطفئ بعده، فسرعان ما ظهر ولده عبد المطلب، وساد في قومه، وواصل مآثر أبيه، فرتب لقريش (رحلة الشتاء) إلى اليمن، وعقد معاهدات لحماية قوافلها مع القبائل وساد العرب وخضعت له الرقاب، وخشعت له النفوس، ونظرت له العيون بكل الإكبار والتعظيم والتبجيل، وهو الذي رد أصحاب الفيل عن البيت الحرام، وما زالت كلمته لأبرهة الحبشي تصدح بالآذان: (إن للبيت ربا يحميه) فكان ما كان من خبرهم المذكور بالقرآن الكريم وفي سورة الفيل المباركة..

مؤتمر قريش

ولكي نعطيك أخي الكريم صورة مصغرة عن المجتمع القرشي، الذي كان يعيشه الرسول الأعظم ﷺ ووصيه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن آمن معهم من المسلمين؛ ولكي تستوضح بعض ملامح المجتمع القرشي الجاهلي، وشيء عن تلك النفوس العفنة التي حبسوا أنفسهم فيها، وعن النوايا الخبيثة، والعناد العجيب لكل دعوة إنسانية لإصلاح أحوالهم وتحسين معاشهم، وبناء أمة، وتشيد دولة وحضارة إنسانية..

ولتأخذ لمحة عن طرق التفكير، وأساليب العمل التي تعامل بها ذاك المجتمع القرشي الجاهلي مع الدعوة الإسلامية ورموزها الأطهار عليهم السلام ونتبين جذور العداة الكامنة في نفوس طغاة قريش ومن يسمونهم بساداتها

من رؤوس قبائلها الرئيسية..

فإليك هذه المداولات التي نظمت على شكل حوار هادئ في مؤتمر قرشي يناقش الحالة الإسلامية، والظاهرة المحمدية، والآيات القرآنية؛ وبالتالي يتداولون ويبحثون طرق المواجهة، وأساليب العمل الناجحة والناجحة لمواجهة المد الإسلامي المبهر..

قال أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية، لأبي جهل عمرو بن هشام طاغية بني مخزوم يوماً: بلغني أن ابن أمتكم (سمية)، أفاق ذات صباح، فوجد نفسه بمعجزة من معجزات محمد سيدا كالسادة! بل بلغني أنه وجد نفسه سيدا فوق السادة، ابتنى في بيته كعبة، واتخذ فيه محراباً، في سابقة ذات خطر عند هؤلاء الصابئين! فليس هو اليوم ابن سمية، وليس هو عماراً، وإنما هو أبا اليقظان!

وهو منذ اليوم رفيق إله عظيم يتجلى له في كعبته ويشرق عليه في محرابه، يسمع منه، ويلقي إليه، ويحب كل منهما صاحبه، فلو عاد أبو حذيفة - إن كان لميت عودة - لوجد نفسه صعلوكا، فما أدري أيأذن له ابن أمته أن يكلمه، أم يزويه هذا ويقصيه، ويعرض عنه كما يعرض عن غيره من كبراء قريش الذين عادوا صغاراً، وحلمائهم الذين عادوا سفهاء، وسادتهم الذين عادوا أهون من الرقيق أمراً، وأضعف من الإماء شوكة؟!!

ولم يمهل أبو الجهل عمرو بن هشام أن يرد عليه جوابه، بل تابع تهكمه المثير فقال: ليت لنا عبداً عملاقاً كعمار يسفر لنا عند محمد ورب محمد، إذن يكون لنا منه جسر نضمن به خط الرجعة حين تؤخذ علينا الطرق، وتغلق بوجوهنا الأبواب، هنيئاً لك - أبا الحكم - إنك في أمان ابن سمية، وأمان سمية، وأمان زوج سمية، تعرف الأمن حيث توجهت، ولا أمان لنا في دولة العبيد!.

قال أبو جهل - وكان يكنى أبا الحكم - : أراك اقتصرت على العبيد، ونسيت حظنا من الأحرار؟! لئن أتخذ عبدنا عمار من بيته كعبة ومحراباً لنفسه، فإن ابن عمي أرقم بن الأرقم أنشأ من بيته على الصفا داراً للإسلام، فهي منذ اليوم تنسخ الكعبة بنشاط محمد، وتصرف وجوه الناس عنها إلى الشام، ثم تلغي (الندوة) من دار (قصي) : شيخنا الصالح!.

وما لك تبدو حزيناً كئيباً كاسفا يائساً بائساً؟ ألا تطمع بشفاعة أبي حذيفة هشيم بن عتبة أخي هند وعبد الله بن سهل، وعثمان بن عفان؟ كل هؤلاء جدير أن يمد لك سبباً إلى محمد، حين يملأ علينا البطحاء بحوافر وأخفافه!.

وكان اجتمع في (الحجر) وجوه الشرك من قريش، وقد ضاق ذرعهم بأمر النبي ﷺ وانتشار دعوته بين البيض والحمر انتشاراً قسم مكة شطرين، وأمسى خطراً تخشاه طبقة النبلاء على نفوذها، وترفها واستثمارها واستئثارها، وتوافى إلى هذا المؤتمر رهط من قادة هذه الطبقة أبلغني المحدث من أسمائهم: الوليد بن المغيرة كبير مخزوم، وابن أخيه عمرو بن هشام طاغيتها، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية، والنضر بن الحرث لواء بني عبد الدار، والأسود بن المطلب بن هاشم وأبو لهب بن عبد المطلب، وعبد الله بن أمية، وأبو عمرو العاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان، وأمية بن خلف الجمحي، وعقبة بن أبي معيط.

فلما انتهى صخر وعمرو إلى ما سمعت انبرى لهما عقبة يقول لهما: أتتهكمان متباريين في التهكم؟ لكأننا إنما اجتمعنا لنشهد سباقاً نحكم فيه للمجلى منكما بالعارضة وسرعة الخاطر وتوقد الذهن! والذي

يحلف به عقبة لئن خليتكم بين محمد وبين الناس ليستأثرن بهم دونكم، وليغرين أوباشهم بسادتكم، ثم لا تجدون في هذه البطاح مكانا إلا أن تنزلوا على أمره أذلاء صاغرين، لا يزيد أبيضكم على أسوده، ولا حركم على عبده ولا غنيكم على فقيره، إنكما ومعشر أهل الحل والعقد من قريش لا أحذق منكم بصناعة الظرف والتهكم إذا خلا بعضنا إلى بعض، فإذا أقبل علينا محمد أخذنا منه مثل الإفكل - الرعدة - وإن أشدنا منه حفيظة، وأكثرنا عليه موجدة ليتهدم متخاذلا بين يديه إذا ابتسم، و(يرفؤه - يسكنه - متملقا بأحسن ما يجد من القول) إذا غضب، حتى ليقول له: (انصرف أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا)!

وقال أمية بن خلف: على هونكما أبا حنظلة - وهي كنية أبي سفيان أولا - وأبا الحكم، لا تلوما حرا، ولا تغلظا إلى عبد بعد الذي سمعناه عن رأي أكابرنا بمحمد وقد أحدث ما أحدث من تفريق جماعتنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، فكفا منذ اليوم عن لوم من تلومان ما دام ابن المغيرة، وابن ربيعة لهما في محمد وفي بدعته رأي كريم!

وكان أبو خالد الوليد يتصدر المؤتمر، ذاهبا في متابعة الحوار بابتسام رقيق، عاقدا يديه على صدره، مستندا إلى وسادة خلف ظهره في استرخاء وكسل، فلما بلغ بن خلف من لومه ما بلغ استوى في مجلسه دون أن تفارقه ابتسامته الرقيقة قائلا: ماذا تنكر يا ابن خلف من مولاك بلال بن رباح؟ أخرجته إذلالك إياه عن طوره أكثر مما أخرجك صدى ظلامته عن طورك؟ أتظن سعي بلال للتحرر من ربيعة ابن خلف والتخلص من أسره، أعظم إثما من تجاوز ابن خلف على محمد، وأوخم من التنكر لعبد المطلب بحفيده وسيد بنيه؟

شد ما تتعامون عن الحق يا إخوان قريش، وتتعصبون لأنفسكم!

وأقسم لو سستم عبيدكم وإماءكم سياسة إنسان لإنسان، وأعطيتموهم النصفة والرعاية، لما فارقكم منهم مفارق، ولما انتقض عليكم منهم منتقض، ولكنكم سستموهم ونسيتم أمرا واحدا، نسيتم أنهم بشر مثلكم، لهم رؤوس فيها أعين وآذان وأناف وألسنة، وفيها عقول تعرف الكرامة معرفة عقولكم لهذه الكرامة، فليتكم حين ملكتموهم لم تنسوا في سياستكم إياهم هذا الأمر البسيط، إذن لا تجدوهم إلا حيث تحبون.

وأما وقد نسيتم هذا فقد نسوا هم حبكم، وقابلوا نسيانكم بنسيان مثله، أظهروا لكم طاعة باطنها العصيان، وأضمرُوا معصية ظاهرها المداراة، ولم يكن شيء أكثر طبيعية من إسراعهم إلى إنقاذ كرامتهم، حين دعاهم محمد إلى إنقاذ هذه الكرامة. فلوموا أنفسكم إذا كان لا بد من لوم، واغضبوا عليها إذا كان لا بد من غضب. هذا رأيي فيما أنتم فيه من أمر هؤلاء المستضعفين، أعلنه إليكم على حقيقته وليس فينا غريب، فتدبروا الخطة على نوره، وأما ما رماني به ابن خلف، فلا أعتذر منه، ولا أرجع عنه إذا خلونا للحقيقة، إن لمحمد بعمه وجده فينا لمكانا لا يرقى إليه أحد في قريش، وله بنفسه مكان فوق ذلك، وهما مكانان لا يستقيم الأرجاف بهما قبل الإعدار، ولا ينهض التنكر لهما إلا بالإنصاف. وقد زعمتم أن محمدا شاعرا، وأنه كاهن، وأنه ساحر، وأنه مجنون، وهي مزاعم لا تلبث إلا ريشما يخرج محمد إلى الناس، فإذا خرج تبينوا بطلانها، ثم تبينوا ببطلانها افتئاتكم على محمد وعلى حقه ثم خرجوا من هذا وذاك أصدقاء لمحمد، وأعداء لكم، وهكذا تنصرون محمدا من حيث أردتم خذلانه، وتنفعونه من حيث أردتم ضرره، لهذا أنكرت أن يكون ما يلقيه محمد شعرا، وأنكرت أن يكون ما يلقيه محمد سجعا، وأنكرت أن يكون ما يلقيه محمد نفثا، وأنكرت أن يكون ما يلقيه محمد

هذيانا، وأردت من إنكاري المكرر أن تكونوا في حربكم محمدا عقلاء تزعمون زعما يقف على قدميه بين الناس، وأن تقدرُوا قوة صاحبكم حق قدرها لتتجهزوا لها بما يفوقها أو يكافئها، فإن حربا تقوم على الغرور والغباء في جانب، وعلى التواضع والدهاء في جانب آخر، لحرب منتهية قبل الاشتباك.

حدثوني أفهم عني ابن خلف أم هو بحاجة إلى مزيد إيضاح؟ على أنني لولا ابن أخي عمرو لما وجدني محمد إلا حيث يحب، فوالذي أحلف به لقد سمعته، وما سمعت أعذب ولا أصفى ولا أندى، ولا أحب مما سمعته منه، ولقد رأيته فما رأيته أحق بالتصديق في وقت منه به وهو يدعو إلى ما يدعو إليه، ولكن عمرا أبي فأبيت. وحاول أمية بن خلف أن يتكلم فسبقه عتبة فقال: أبو خالد أشبع القول، وأحكمه ووفق فيه إلى أبعد الصواب، ولقد سمعت ما سمع، ورأيت ما رأيت، فوجدت في محمد ما وجد، ولا أعتذر مما رماني به ابن خلف ولا أرجع عنه، نصحت إلى قومي - وما أنا بالذي يفارقهم في حال - أن يخلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، واخترت لهم سلامة الحيادة، وتل العزلة، موقنا بأن القول الذي سمعته منه سيحدث صدى في أوساط العرب، فإن تصبه كفتنا شره، وإن انتصر هو على العرب فملكه ملكنا، وعزه عزنا، ويومئذ نكون به أسد الناس، فما كان جوابهم إلا قولهم: سحرك الساحر وأقسم ما هو بساحر، ولكنه يقول قولاً ما سمعنا مثله قط.

وقال ثعلب قريش النضر بن الحرث: يا معشر قريش إنه نزل بكم خطب ما أتيتم له بحيلة بد، كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، وكان أرضاكم لكم: أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا ابيض صدغه، وخطط الشيب عارضيه، وجاءكم بما جاءكم به كذبتموه، والله خصمكم

عند الناس، وخصمتم أنفسكم في تكذيبه اليوم بأربعين حولا قبل اليوم سجلتم على أنفسكم خلالها ملايين الشهادات بصدقه وأمانته، تقولون: ساحر. لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم. وتقولون: كاهن. لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهنة وتخالجهم، وسمعنا سجعهم. وتقولون: شاعر لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه: وتقولون: مجنون: لا والله ما هو مجنون. قد رأينا الجنون فما هو بخنقه، ولا هلوسته، ولا تخليطه. يا معشر قريش إنه نزل بكم خطب عظيم ما أتيتم له بحيلة، ولا اتخذتم لدفعه أهبة فتدبروا الأمر على سراج أبي خالد الوليد، أو أطيعوا أمر أبي الوليد عتبة مشكورين.

وخرج أبو جهل من صمته فقال: ما دمتم تتبارون بمعرفة محمد على وجه الحق، فليس أحد منكم أولى مني بالإنصاف. ألا فاشهدوا أن نبأ محمد هزني هذا شديدا عنيفا، ومناني بزلزال أي زلزال، ورأيتني ذات ليلة أرقا يتغولني السم، ويقلوني الفراش، ثم رأيتني مسوقا بدافع خفي يركبني فلا يدع لي فضل إرادة. ولا حرية خيار، فإذا أنا ماض لأمره الحازم الصارم، أسعى على رؤوس الأصابع، متسللا تحت الظلام إلى ركن أرى منه مصلى محمد وأسمع فيه صوته، ويا ويحي من سحر يبدل وظائف الحس في جوارحي! لقد عهدت الفم بابا للنشوة، يسكبها الخمر منه، ويصبها فيه، ثم يشيعها الفم ديبيا في الأوصال، وانتعاشا في الروح، فما بال النشوة من صلاة محمد، تغير مدخل النشوة فتسكب في الأذن وتصب فيها وتشيع منها ديبيا وانتعاشا لا والله ما عرفت مثلهما في نشوة خمر، ولا نشوة نصر، ولا نشوة من هذه النشوات التي ألفناها، ومارسناها وطال بها عهدنا، أفتعجبون؟ لقد أسرني محمد في ركني ذاك

بحبال من صلاته إلى الفجر.

وما نبهني إلا النور يفتح علي عيونه ويلقي علي القبض متلبسا بالجريمة، وخفت الافتضاح، فحملت نفسي ورجعت أدراجي، وبينما أنا في منصرفي لاح لي من هنا رجل يتسلل ومن هنا رجل يتسلل، فقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا عمرو! هذه قريس تتجسس عليك، وأسقط في يدي، ثم تبينت فإذا أبو حنظلة نفسه من هنا، وإذا الأخنس بن شريق الثقفي من هنا، ساعيان إلي في مثل ما بي متميلا كأنهما خارجان من حانة، ويفرخ روعي حين أعلم أن زلزالي حل بهما، وأرسلهما كما أرسلني يرشfan من سحر محمد وخمره، ثم نتلاحي، ويوصي بعضنا بعضا أن لا نعود إلى مثلها، وإلا كنا قدوة للسفهاء نظمهم باتباع محمد والتهافت عليه، ولكنني أفقد من زمامي في ليلتي الثانية ما فقدته في ليلتي الأولى، وأجدني مسوقا بدافع خفي، متسللا تحت الظلام إلى ركن أرى منه مصلى محمد وأسمع فيه صوته، فأشرب بأذني من خمره نشوة ما عرفت لها للخمر، وما عرفت لها للنصر، فإذا نبهني الفجر التقيت صاحبي، ولحوتهما ولحواني، وتوصينا ثم انصرفنا، وفي فجر الليلة الثالثة التقيت صاحبي كما التقيتهما مرتين من قبل، وأقول لهما هذه المرة: لا نبرح حتى نتعاهد على الانصراف عن هذه الزيارة، ثم لم ألتقهما على حال من هذه بعد.

وأشهد لقد سمعت ما سمع عمي، وسمعت ما سمع أبو الوليد، وعرفت مما سمعت مثل الذي عرفنا، فإن كنا اجتمعنا لنصرح بما في أنفسنا من محمد وحقه، فهذا ما بنفسي، ولكننا إنما اجتمعنا لأمر آخر فخوضوا فيه مشكورين.

ضحك أبو سفيان وقال: لقد أذكرتني أبا الحكم، وكنت ناسيا كيف

وجدت ما سمعت؟ ويقول أبو جهل: أكنت غائبا وحضرت الساعة؟ لقد أنباتك عما سمعت منذ لحظة!.

قال أبو سفيان: كنت شاهدا - وحقك - وقد سمعت وصفك الرائع كله، وشربته بأذني وعيني جميعا. ولكنني أسألك من جديد خائضا فيما اجتمعنا من أجله. كيف وجدت ما سمعت؟ قال أبو جهل: وكيف وجدت أنت ما سمعت من محمد؟ فقال أبو سفيان: سمعت أشياء يفهم أقلها، ولا يفهم أكثرها ولا يعرف ما يراد بجملتها!. قال أبو جهل: ورأيي أنا فيما سمعت من محمد أننا تنازعنا وبنو عبد مناف الشرف، أطمعوا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء. فمتى ندرك مثل هذه؟ فوالله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه!.

قال أبو سفيان: نعم ما رأيت - أبا الحكم - ولكن اهبط من عبد مناف إلى هاشم، فأنت جدير إذا هبطت أن تكون أكثر ناصرا، وأقرب إلى ظفر، ونحن من عبد مناف تنازعنا وبنو هاشم الشرف أطمعوا وحملوا، فأطعمنا وحملنا، فلما كنا كفرسي رهان أو كدنا، قالوا: منا نبي! فمتى ندرك مثل هذه، فوالله لا نؤمن به أبدا، ولا نصدقه!.

قال أبو لهب: ولا هذه! لقد آثرتكم على أهلي وهم من تعلمون ارتفاع كعب، وسعة نفوذ، وتقدم شرف، وكثرة أنصار فلا تجعلوها هاشمية مخزومية أموية، فإنكم إن تجعلوها كذلك، لا تقفوا لأبي طالب وإخوانه وبنيتهم وأنصارهم، ولكن حاربوا محمدا وأنا عمه معكم. فقد سفّه أحلامنا، وعاب آلهتنا، وسب آباءنا، ولم يأت فتى إلى قومه بشر مما أتى به محمد إلينا.

فقال العاص بن وائل: القول ما يقول أبو لهب. ألم نعذر بابن أخيك

يا ابن شيخنا؟ لقد وضعنا تحت قدميه أموالنا، ونزلنا له عن مكان السيادة المطلقة فينا، وتقدمنا إلى سيد الهاشميين، وسيد مكة أبي طالب، أن يشفع لإلهتنا وآبائنا عنده بما يشاء من ثمن، ولكنه أبى إلا المضي في أمره، قائلاً: «والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، ما أنا بتارك أمري أو أموت دونه».

فأعلنها حرباً سافرة، وأعلنها أبو طالب معه حرباً مقنعة، في عناد يهدد كيانتنا، ويقتر أرزاقنا، ويقلص نفوذنا، أترانا بعد ملومين في التألب عليه، والتنكر له، والإغراء به؟

قال أبو لهب: وصلتك رحم يا أبا عمرو. رأيتني أخف منك وطأة على ابن أخي؟ أو أكثر حلماً في مجابهة دعوته؟ إنما أريد الخير لكم بتوجيهكم نحو شخص محمد، وإعفاء عشيرته من وزره، لتكونوا أخف حملاً في ميدانكم الذي تشقونه منذ اليوم.

قال أبو جهل: إذا لم تسلموني لمكروه، ومنعتموني من بني هاشم قتلت محمداً وأرحتكم منه.

قال العاص: لست أنصر هذا الرأي. فقتل محمد خرق في طمأنينة هذا البلد ليس أغلظ منه خرق محمد، إنما تعودنا أن لا يعنف بعضنا بعض في قول، ولا يقسو بعضنا على بعض بجدال، فكيف بالقتل، وقتل محمد بالذات، فوالله لو أجمعنا عليه لما استطعناه، إلا أن تكون فتنة لا توفر رأساً من هذه الرؤوس المجتمعة لهذا المؤتمر، أتري أصلحك الله - أبا الحكم - بني عبد المطلب تاركيك أو تاركي مانعك، وقد قتلت من يرجون به فوز اليوم والغد؟ خذ بغير هذا الرأي، فإنه رأي فائل يجرد على مكة أشقى الشقاء.

قال الوليد: أصاب أبو عمرو شاكلة الرأي، واهتدى سواء السبيل، وليس قتل محمد إلا مما نأباه وإن فعل ما فعل.

قال أبو جهل: مرنا يا عم إذا بأمرك، واجعل لهذا المضطرب حدا ننطلق منه إلى عمل رشيد. تأمل الوليد لحظة عبث خلالها بلحيته، ثم قال: أضعفوا أمر محمد بالإرجاف، وقولوا: إنه ساحر! صغروا إليه - إذا شئتم - نفسه بالهزاء والاستخفاف، وتجاهلوا قرآنه، لا تسمعوه ولا تدعوا أحدا يسمعه، فإذا سمعتموه أو سمعه أحد في هذا البلد مرغما، فاعجبوا من استغلاقه وغرابته وحيرته وانبهام أغراضه.

اجعلوا محمدا في سلامة من بدنه، ولكن سلطوا على روحه ما شئتم من عذاب، وإذا أبيتم إلا النكال، فليأخذ كل منكم عبيده وأحلافه ممن تبع دين محمد فأنزلوا بهم نقمة الشيطان، بهذا توفقوا بين الدفاع عن آلهتكم، وبين المحافظة على تقاليدكم، ثم لا يجد بنو هاشم المحصورون في شعبهم طريقا إلى الثورة بكم والغضب عليكم.

قال أبو جهل: دعوا لي تعذيب العبيد والسفهاء، وسترون غدا ما يحل بآل سمية من أبكار الكوارث.

وقال عقبة بن أبي معيط: ودعوا لي أن أتبع خطوات محمد، فأهلك الناس ضحكا عليه.

وقال أبو سفيان: بلغني أن محمدا يتعلم قرآنه من رجل في اليمامة اسمه الرحمن، وهو رجل معتوه لا يعرف من خرفه ما يقول.

وقال الحرث بن النضر: أما أنا فسأستقبل كل جماعة يفارقها محمد فأحلقها وأقص عليها مما حفظته في (الحيرة) من أخبار رستم وأسفنديار وأيام الفرس، وأريهم أينما أحسن حديثا، وأروع منطقا أنا أم

محمد؟ وسيرون أينما أحفظ للأوابد هو أم أنا!.

وقال عتبة: سلوا محمدا في طريقكم أن يأتيكم بمعجزة إن كان نبيا كما يزعم، فليكشف عن (مكة) هذه الجبال التي تضيّق علينا الأرض، ويبسطها سهولا كسهول العراق، ويفجر فيها ينابيع وأنهارا كدجلة والفرات وبردى، أو ليحوّل هذه الجبال ذهبا وكنوزا تغنينا عن التجارة وتجشم الأسفار، أو ليعث لنا من مضي من آبائنا نسألهم عما يقول، أصدق هو أم كذب، وحق هو أم باطل، فإن استكثر بعث آبائنا كلهم، فاكتفوا منه بقصي فإنه كان شيخ صدق، فإن أبي فسלוه أن يسقط علينا كسفا من السماء، أو يأتينا بعذاب أليم كما يزعم.

وشهد الإسلام بعد هذا اليوم اضطهادا لم يعهد في التاريخ، خرج محمد فوجد التراب جريئا عليه، فما لقي حرا ولا عبدا إلا آذاه، وسخر منه، وحاكى منطقته، وقلد مشيته، وما كان الهواء في يومه ذاك إلا منتنا عفنا كريها، ولكنه على ذلك نشيط يدعو ويعظ، ويقرأ، ويقبل على السفهاء رضيا باشا يضع أصابعهم على أخطائهم، ويفتح أجفانهم على جيفهم، فإذا انتهى النهار، وانطفأت جمرة المتوهجة، وأقبل المساء مشعشع النجوم، رجع أبو القاسم إلى بيته منهكا لو كانت الأثقال تنهك نبيا مثله، حزينا مثخن النفس بجراح ليس له بها عهد، ولا يعود إلا محموما تمشي الحمى في أوصاله مشية راجفة تضطره تلك الليلة أن يزور فراشه ويتدثر ببرده الحضرمي الأخضر.^(١)

هل سمعت بذاك الذي يحاول حجب الشمس بالغربال..؟

وهل سمعت بمن ينكر النور وهو مبهور بغلق الأجفان..؟

(١) (حليف مخزوم: السيد صدر الدين شرف الدين، بتصرف)

هكذا كانت قريش الطاغية بهرهم نور محمد بن عبد الله ﷺ فأغمضوا أعينهم وقالوا: ليس له نور يذكر..

وبهتتهم حجة الآيات القرآنية الحقانية، وأسرتهم حلاوة الكلمات الربانية، فقالوا: إنما هو سحر يؤثر..

كلمة لا بد أن نعرضها ونقول: لسنا نعني بهاشم، أو عبد شمس أو أمية شخصيتهما حينما نجعلهما عنوانا لبحثنا الآتي، وإنما نعني الحوادث التي خلفتها بعد ولادة هاشم - عمرو العلاء - وعبد شمس، وبنوهم، على أنهما داخلان فيما نحن بسبيله من دراسة الأسباب البعيدة لحروب قريش ضد الإسلام والمسلمين بقيادة شرعية خالصة ومؤمنة مخصصة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لن يروا مثلاً لها إلا في آخر الزمان على يدي حفيده العظيم منقذ البشرية من الهلاك والفساد والضلال الحجة بن الحسن مهدي هذه الأمة المرحومة (صلوات ربي عليه وعجل الله لنا فرجه الشريف)، بصفتها أول الحديث، وبأنهما مصدران لهذه الحياة التي شغلت العالم الإسلامي والعربي خمسة عشر قرناً.

ومن هوان الدنيا أن نضع هاشم وبنيه في كفة ميزان تقابلها كفة عبد شمس الذي لم يذكر التاريخ أن له أولاد أو ذرية غير أمية وبنوه، والذي تحدث أرباب السير والتاريخ أنه ربيبه وليس من صلبه، كما سيمر تفصيله، وهذا من صروف الدهر الغاشمة الظالمة الدالة على بواخ منطق الدنيا وبواره وعلى ضيعة المقاييس الصحيحة، وعدم وجود السنخية بين الكفتين، التي ترتفع بأقدار الناس، أو تهبط بها على مقدار ما فيها من وزن الحقائق، فإن النسبة فيما بينهما منقطعة، وإن كان لا بد من نسبة فلتكن تباينا، كما يقول علماء المنطق.

أُمِّيَّةُ عَبْدِ رُوَيْبِيِّ . . أَوْ سَيِّدِ قُرَشِيِّ . ؟

لقد مرَّ عليك وقرأت عن أمجاد عمرو العلي (هاشم) بن عبد مناف الذي كان له من رفعة المقام وسمو المنزلة، والذي بلغ أوج العظمة والشرف يافعا بأفعاله المجيدة، وعبقريته الخالدة، وسجاياه الحميدة وجوده وسماحته. وابنه شيبه الحمد (عبد المطلب) وأولاده الكرام من الرفعة وسمو الذات المفعمة بالفضائل لكل منهم.

وإليك الآن ما لعبد شمس وبنيه من المثالب، فقد قال أهل العلم والفضل: أنه لم يوجد لعبد شمس منقبة تذكر، ولا كرامة تذاع، ولا عمل يمجده، لخلو حياته الخاملة في بطون كتب السير والتاريخ على رغم جهد المؤرخين..

ولكن ورواة السوء السائرين في ركاب الحكم الأموي، والذين لا يتورعون فيما يكتبون إلا ولا ذمَّةً، فحاولوا جاهدين لرفع مستواه الاجتماعي فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا..

ولعل الخمول الذي شمل عبد شمس يكمن وراء عقدة التخلف عنده منذ الولادة، والشعور بالنقص، وذلك أنه حينما ولد كان توأما وكان معه

أخاه عمرو العلي (هاشم)، فولد وكعب (وقيل: إيهام) قدم هاشم عالقاً في جبهة عبد شمس التوأم..

والدافع الثاني: الحسد وخسة الطبع، والحقد، والبخل المستأصل في نفسه منذ نعومة أظفاره. والذي أجمع هذه المثالب وأذكى نار الحقد هو عبده الرومي الذي تبناه (أمية) والذي ألحقه به وجعله من قریش، وسار على أثره وحاك على منواله ابنه حرب.

١. هل كان أمية عربياً؟

كان أمية جهماً، آدم، قصيراً، ذميماً، سيئ الطالع، نكداً، ضئيلاً، عمي في آخر عمره فكان يقوده عبده (ذكوان) الذي تبناه وألصقه بقریش - وسماه - أبا عمرو - وكان أمية سارقاً، إباحياً، عاهراً، ضعيفاً، وهو أدنى إلى صفات العبيد منه إلى صفات الأحرار، ثم هو مشكوك في نسبه، ومستعبداً استعبده عبد المطلب (عشر سنوات)، منفي (نفاه هاشم)..

فلامية شخصية مجهولة بالحقيقة والواقع يحوم التاريخ حولها بكثير من الشك والريبة، وينسبها المؤرخون باحتياط وتحفظ إلى عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الذي لم تتحدث كتب التاريخ عن أبناء له إلا أمية سيء السيط.

إذن فإذا قيل: إنه عبثمي اللحمية، كان قولاً لا يستند إلى اليقين، ولا يصدر عن القطع، ذلك لأن في الرواة والمؤرخين من يقول بأنه عبد رومي لعبد شمس، ثم تبناه عبد شمس لأسباب لا نتحقق منها جيداً.

ولعل من هذه الأسباب أن من العرف عند العرب أن السادة يمكن

لهم أن يتبنوا الربائب والعبيد إذا استوى ذلك لأحدهم بحب منه لريبب أو لعبد وهذه العادة أبطلها الإسلام الحنيف بعد قصة زيد الذي راحوا ينادونه (ابن محمد عليه السلام) ونزل بذلك القرآن الكريم وقال ربنا: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤].

فعادة التبني كانت قائمة بقوة في المجتمع الجاهلي ورفضه الدين الحنيف حفاظا على طهارة الأنساب، ونظافة الأعراف بين الناس. أو لعله أن أمية كان قرشيا بالولاء أي من الموالي، والنسبة بهذا الوجه صحيحة عند العرب قديما..

أو لعل منها أن أمية كان لبقاً وذكياً في استيلائه على قلب مولاة، وفي سعيه الحثيث للاستئثار بحبه ورضاه وهذا من عادة العبيد الدهاة. ومهما تكن الأسباب فإن عبد شمس تبني أمية، ثم مضى الزمن وأمية يدعو مولاة أبا، والمولى يدعوه ابنا، حتى ألفت الناس هذه الأبوة وهذه البنوة اللاشرعية.

ولعل أحدا يستبعد أن يكون أمية عبدا مستندا في استبعاده إلى جراءة أمية على منافرة هاشم، أو معتمدا على أن قريشا كانت تنظر إليه نظرها إلى القرشي الصريح، فلعل أحدا يستند إلى هذا أو إلى نحوه في استبعاده عبودية أمية، ولكن جراءة أمية العبد مستمدة من جراءة عبد شمس المولى، ولسنا بحاجة إلى الدليل على هذه الظاهرة - ظاهرة استمداد العبيد قوتهم من مواليتهم - إذ أنهم يصبحون أبناء وليس مجرد

عبيد أرقاء..

وعليه فامية إن لم تكن به قوة على منافرة السادة أو التحرش بالأكابر فإنما يرتكب ذلك باسم أبيه عبد شمس فيستلثم بقواه، وحسبه منها أن عبد شمس أخ لهاشم وابن لعبد مناف وهذا ما لا ينكره عليه أحد.

والسيد صدر الدين يقول: أني أشك في صدق هذه المنافرة وأرتاب جد الارتباب في خبر جرأته (هذه على هاشم وعبد المطلب)، وأحسب أن للدعاية في سلطان الأمويين المتأخر عنها شأنًا في صناعة واختراع هذه الأحاديث لتلحقهم ببني عبد مناف وتثبت لهم النسبة إلى قريش (لأنهم كانوا على يقين من غربتهم عن قريش فكانوا دائما يحاولون الفخر بنسبتهم إلى قريش وهذه الحالة في علم النفس صحيحة تماما)، فهم راضون مطمئنون إلى انغلابهم وإلى فشلهم في حديث المنافرة ولكن ما دام سياقها يثبت بنوة أمية لعبد شمس فلا إشكال فيه إذن..

إن وضع الإنغلاب والرضا بالعبودية طريقان وعران لم يختاروا سلوكهما لولا أنهم محتاجون إلى إثبات هذه النسبة التي تقربهم من هاشم العملاق الكبير..

ويكاد يثبت عندي أن هذه الأقاصيص والأخبار مصنوعة أو محرفة فإنه لا يجوز في رأيي على الأقل أن يتواضع هاشم وعبد المطلب إلى منافرة أمية وكل تقدير من تقادير حياتهما وتقادير حياته لا يبيح ذلك ولا يرضاه، وأكاد لا أشك أن أمية نفسه لم يحدث نفسه أن يطمح إلى هذا الخيال من معارضة هاشم أو مجاراة عبد المطلب في مآتيهما أو مساواتهما في مراقبيهما، بل لا أكاد أشك في أن المجتمع الذي عاش فيه لا يبيح لأمية ذلك، وأمية أمية الذي عرفوه ثم عرفونا به، وهاشم وابنه هما كما عرفوهما وعرفونا بهما.

ولكن فلتكن الرواية صحيحة، وليجرؤ أمية فينافس هاشما وينفس عليه مكانته، فما أظن أن هذه الجرأة تستطيع أن تضمن له صحة النسب ما دام في الإمكان أن يتذرع العبيد بأسماء مواليهم.

وما أظن كذلك أن نظر قریش إليه نظرهم إلى القرشيين يكفل له صحة النسب أيضا ما دام استطاع أن يستحوذ على عبد شمس نفسه وأن يسوقه إلى تبنيه وإيثاره، فإنه مستطيع - إذا استطاع ذلك - أن يسخر الوسائل التي استحوذ بها على عبد شمس فيسعى بها إلى بعض هذا الجاه كمعبر عن رأي عبد شمس أو ناطق بلسانه، ثم يرتقي بعدئذ وترقيه وسائله إلى أن ينال بعض النظر إليه قرشيا.

وما يدرينا لعلهم نظروا إليه قرشيا تبعا للعادة التي تبنوا بها الربائب والعبيد على نحو التنزيل (أي تنزيلهم بمنزلة الأبناء الصليبين)، أو لعلهم نظروا إليه قرشيا على نحو المجاز بعلاقة الولاء ولكل تقدير من هذه التقادير وجهه المعتبر في عرفهم.

وتروي كتب السير: إن عثمان بن عفان تمنى رجلا يحدّثه عن الملوك وعمّا مضى فذكر له رجل بحضرموت اليمن، فأحضره وكان له معه حديث طويل كان منه أن سأله: رأيت عبد المطلب؟ فقال: نعم؛ رأيت رجلا قعدا أبيض طويلا مقرون الحاجبين بين عينيه غرة يقال: إن فيها بركة، وأن فيه بركة..

قال: أفرأيت أمية؟ قال: نعم؛ رأيت رجلا آدم دميما قصيرا أعمى يقال إنه نكد - وإن فيه نكدا -.

فقال عثمان: يكفيك من شرّ سماعه، وأمر بإخراج الرجل^(١).

(١) (ابن أبي الحديد شرح النهج (٣: ٤٦٧))

وما يدرينا فلعلهم لم ينظروا إليه إلا عبدا كما نظروا بعدئذ إلى ابنه أبي عمرو - كما كُناه أمية حين أراد أن يتبناه - فكان عند أمية وبنيه أبا عمرو وعند قريش كلها (ذكوان) العبد - كما يقول النسابة دغفل..

فيروى إن معاوية قال لدغفل النسابة: رأيت عبد المطلب؟

قال: نعم. قال: كيف رأيت؟

قال: رأيت رجلا نبيلًا جميلاً وضيئًا كان على وجهه نور (النبوة)؟

قال معاوية: أفرأيت أمية؟ قال: نعم، قال: كيف رأيت؟

قال: رأيت رجلاً ضئيلاً منحنيًا أعمى يقوده عبده ذكوان..

فقال معاوية: ذلك ابنه أبو عمرو..

قال دغفل: أنتم تقولون ذلك أما قريش فلم تكن تعرف إلا أنه عبده^(١). وما نستفيدة من هذا الحديث أن أمية وبنيه كانوا يحاولون إقرار العبد ذكوان ابنا لأمية على عيون قريش وأن هذه حالة أمية ممكنة في أمية نفسه أيضا.

وفي الحق أن تكرار التبني في هذا النفر، وحرص معاوية والأمويين على أن ذكوان العبد إنما هو أبو عمرو ابن أمية، نقطة ضعف تضاعف الشك في أمر أمية نفسه، ومظفر النوّاب يثبت أن تداخل الأنساب في تأريخهم شيء مألوف فعلوه في الجاهلية، ولم يتخرجوا عنه في الإسلام حين احتاجوا إليه في زياد بن أبيه هذا الذي تأخاه معاوية وتبناه لأبيه فيما هو معروف من أمره مشهور شهرة تغنينا عن شرحه وإيضاحه..

فتتضافر الأخبار وتتواتر في مسألة إلصاق زياد بالأمويين وحسبنا ما

(١) (ابن أبي الحديد في شرح النهج (٣: ٤٦٦) عن الأغاني)

جاء في كتاب كتبه حبر الأمة عبد الله بن العباس ليزيد بن معاوية جواباً له على كتاب كان يريد إيراده إليه يثني فيه عليه ويستميله به إليه وقد بلغه أن ابن العباس امتنع عن بيعة عبد الله بن الزبير فظن يزيد أنه إنما أثره على ابن الزبير فأراد أن يستحثه على نصره ويعدده في ذلك ويمنيه ولكن ابن العباس سفه رأيه وعاب عقله حين خدعه فيه، ثم ذكره بثاراته عنده في قتل الإمام الحسين عليه السلام وسبى نسائه وجابهه بعدم الرضي ولا كرامة وكان مما قال: «ومهما أنسى من الأشياء فلن أنس تسليطك عليهم ابن مرجانة - يعني ابن زياد - الدّعي ابن الدّعي العاهر الفاجر اللئيم أما وأبأ، الذي اكتسب أبوك في ادعائه إياه لنفسه العار والخزي والمذلة في الدنيا والآخرة، فلا شيء أعجب من طلبك ودي ونصري وقد قتلت بني أبي.. إلخ» راجع الكتاب في الجزء الرابع من أنساب الأشراف للبلاذري. وأضيف إليه ما رواه البلاذري أيضاً عن يزيد بن مقرع يخاطب معاوية حيث يقول:

ألا أبلغ معاوية بن حرب
مغلغلة من الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عفٌ
وترضى أن يقال أبوك زاني
فأقسم إن رحمك من زياد
كرحم الفيل من ولد الأتان^(١)

والأتان هي أنثى الحمار، فتأمل كم هي النسبة ما بين الفيل والحمار، فهل يمكن للحمارة أن تلد فيلاً؟ كذلك نسبة زياد إلى أبي سفيان تماماً..

(١) (البلاذري في / ٤ : ٧٨)

وقال في عبيد الله بن زياد:

شهدت بأن أمك لم تباشر
أبأسفيان واضعة القناع
ولكن كان أمرا فيه لبس
على وجل شديد وارتياح^(١)

وقال عقيبة الأسدي كما في البلاذري أيضا:

نجار فهر مبین في توسمهم
لكن نجار زياد غير معروف
لستم قريشا ولكن أنتم نبط صهب
اللحي والنواحي ضهية الليف^(٢)

وقال عروة بن أدية لعبيد الله بن زياد: (أولك لزنية، وآخرك
لدعوة)^(٣)

والشهادات على دخلة نسب ابن سمية كثيرة جدا ولا تقل عنها كثرة
وتوفر الشهادات على أن في أنساب الأمويين تداخلا مصدره تبني الإماء
والعبيد وعدم المبالاة في أنسابهم حتى شاع فيهم الاختلاط وكثرت
الدعوة لغير الآباء وحتى عرّض بعضهم ببعض في ذلك، يقول البلاذري:
إن يزيد ولي عمرو بن سعيد الأشدق على المدينة ثم عزله وولى عثمان
ابن محمد بن أبي سفيان فلما انتهى إليها خطب الناس وذكر عمرا بسوء
- وعمرو حاضر - فغضب عمرو ونهض فقال: يا عثمان ما أنا بحلو
المذاقة وإني لقمان المضرة، ولقد ضرّستني الأمور وجرستني الدهور،

(١) (أنساب الأشراف ٤ : ٧٩)

(٢) (البلاذري ٤ : ٧٨)

(٣) (البلاذري ٤ : ٨٨)

فزعا مرة وأمنا أخرى، وإن قريشا لتعلم أني ساكن الليل داهية النهار
لا أتبع الظلال، ولا أقمص حاجتي، ولا يستنكر شبهي ولا أدعى لغير
أبي.^(١)

وإن من يمعن شيئاً من الإمعان ويحاكم التاريخ على ضوء التحليل
والمناقشة يجد عوناً أي عون علي اعتبار أمية عبداً استغل بساطة سيده
السادج، واستأثر به استئثاراً كاملاً.

وبعد هذا الاستطراد نستفيد صورة أمية القبيحة، وشكله الذميم
من شهوده ومعاصريه فلعل معرفة ذلك تجدي علينا في معرفة نفسيته
المضطربة، وروحه الشيطانية..

وعليه فإن من يقرأ هذه المحاكمات إن لم يستيقن أن أمية ما كان إلا
عبداً رومياً، فإنه يشك - على الأقل - في نسبه ويرتاب في أمره، فلا
يقطع بحكم.

وإليك دليلاً لا يقاربه شك، وقول كله صدق وحق.. فهذا أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لمعاوية في بعض كتبه إليه
بعد الموازنة بين هاشم وأميه وبين حرب وعبد المطلب وبين نفر من آل
هاشم ونفر من آل أمية، وتبججه بالقول: أنا وأنتم من شجرة واحدة،
يقول أمير المؤمنين: وليس المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق. يشير
أمير المؤمنين عليه السلام بقوله (اللصيق) إلى هذا الذي نبهته ونتساءل عنه
في نسب أمية، وليس أدل من كلمة (لصيق) في اللغة العربية على انتقال
أمية نسبه إلى عبد شمس.

فالصريح هو الأصيل، واللصيق هو الدخيل، فهل يكون الدخيل

(١) (أنساب الأشراف: ٤: ١٣٨)

كالأصيل في شيء؟ لا وحق الحق ليس هذا كذاك..

وهذه شهادة من سيدنا أبو طالب فإنه يقول في أبيات أنشدها حين تظاهر عليه وعلى رسول الله ﷺ بنو عبد شمس ونوفل:

توالى علينا موليانا كلاهما
إذا سئلا قالاً: إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تراجما كما
ارتجمت من رأس ذي القلع الصخر
أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا
هما نبذانا مثل ما نبذ الخمر
قدما أبوهم كان عبدا لجدنا
بني أمة شهلاء جاش بها البحر

وأما قول أبي طالب فلا يقل دلالة عن قول ابنه بل يزيده تفصيلا لما أجمل أمير المؤمنين عليه السلام، وتبييننا لما أبهم، فإذا كان الإلصاق ملتبس الكيفية في قول أمير المؤمنين عليه السلام فقد أوضحه أبوه بقوله: (بني أمة شهلاء جاش بها البحر).

فالأبيات التي أنشدها أبو طالب صريحة بأن أمية شيء قذفه البحر إلى الحجاز مع التجارة التي كانت ترد إلى مكة من الروم وغيرها. وهل يجيش البحر بشيء من السلع الآدمية غير الرقيق والإماء؟ ولعل اختيار كلمة (شهلاء) في وصفه يدل على ما نفهمه، يعني الروم، فالشهل زرقة العيون يشاب بها سواد العين، وهي صفة لا تعرفها العين العربية والمشهور عن بني أمية البشرة البيضاء واللون الأشقر، ورحم الله الشاعر العراقي مظفر النواب الذي قال يوما:

ما زال أبو سفيان بلحيته

الصفراء يؤجج العصبية القبلية

فهاتان الشهادتان صدرتا من أبي طالب وابنه علي عليه السلام، كما عرفناهما وعرفتهما الدنيا رجلان برّان تقيان يتحرجان من القول في غير علم، ويأنفان من الاعتماد على الهجاء، وإذا قالا لم يرجما بالغيب وإذا أخبرا لم يصدرا إلا عن الصدق والإنصاف والحق، لا تأخذهما في الله لومة لائم، ولا عداوة أو صداقة، ولا ينحرف بها رضا أو سخط وهم أعلم أهل الأرض ببني أمية أصلا وفصلا ومحتددا.

كما أن أبا طالب عاصر زمان أمية الذي تثبت من واقع الحال في الجاهلية، ولشباب مكة - يومئذ - مسارح للمجون والخلاعة، مع غانياتها، فإذا امتدّ سدول الليل سعى الفتيان وسعت الفتيات معهم إلى المواعيد والأسمار يؤلفهم الغناء، وتنتظمهم موائد الخمر في دهر العشاء، فإذا نالوا حظا من السمر واللهو والعبث لفتهم المضاجع مع أنفاس السحر لا يستفيقون من سكر الكأس ونشوة الفسق إلا حين تلدعهم ألسنة الشمس المحرقة.

بمثل هذه الحياة فُتِنَ أمية ولها خُلق - على دمامته - ولهذه الحياة أعدّ نفسه، لا للبذل والعطاء، ولا للدفع المغارم أو كسب المغانم والمكارم، ولا لرفع الحياة في ذلك البلد المقدس المحجوج فيه إلى البيت الحرام، المعظم الشعار.

ولعل أمية كان أحرص خلعاء مكة على الخلاعة وأشدّهم تمسكا بمنكراتها، وتدل أخباره المروية على أن الإدمان والاستخفاف بلغا منه مبلغا أدانه بالإباحية والدّياثة وجرّه إلى عوراء تستنكرها جاهلية المنكرات.

فروي: أنه تنازل عن زوجته لابنه (بل عبده) أبي عمرو؛ الذي يقول عنه دغفل إنه ذكوان العبد، فبنا بها أبو عمرو، وأميه حي لا يأنف ولا يطرق ولا يند له جبين^(١).

فكان بهذه الإباحية نقيضة من نقائص عصره ومحيطه وأسلوباً خاصاً من أساليب الفسق والفجور ما كان يعرفه العرب، وهذا الأسلوب دليلاً على الشك في نسبه، يؤيد القول بعروضه على مكة من وراء البحر.

نعم سبق أمية إلى الإباحية والاسترخاء فكان بهذا النقيض الذي لا يلتقي أبداً مع أخلاق العرب وتقاليدهم بل هي تقاليد الغرب الأوربي قديماً وحديثاً ووليدتها الغير شرعية أمريكا هوليدود وشيكاغو الداعرة. وإذا كان أمية مبالغاً بإباحيته فهو كأبي يهودي نزل في مجتمع محافظ، بل في وسط يغالي بمناقضته في هذا الخلق المرفوض إباءً وغيره وحشمةً، فلا جرم أن عرف أمية فيه عاهراً ضعيف النفس نتن الذكر عفن السمعة^(٢)..

وبعد، فما أريد أن أفرض هذا الرأي في نسب أمية فرضاً، وإنما أريد أن أضعه موضع الاعتبار والتأمل كأمانة تاريخية أتخفف من وزرها بإلقائها، ولمن يقرأ - بعدئذ - أن يحكم فيها برأيه وعقله، وله أن يأخذ بها أو يتعداها إلى ما يشاء من عقيدة أو إيقان.

ولئن شككنا بعبوديته النسبية - فإنه لا شك بعبودية السببية كما يدعي المؤرخون والمحدثون - وقد استعبده عبد المطلب إلى أجل - أمية نفسه سماه - وقدره عشر سنين افتدى بها جزاً ناصيته في سباق

(١) (النزاع والتخاصم للمقريزي: ٢٢، وشرح النهج ٣: ٤٥٦)

(٢) (شرح النهج ٣: ٤٥٦، النزاع والتخاصم للمقريزي: ٢٢).

غلب فيه^(١)..

وسواء أكان أمية عبدا روميا أم كان امرا عبشيميا، فلم يكن له في نفسه ميزة أو خليقة ترفعه إلى شرفٍ أو نباهةٍ أو نبلٍ، ولم يكن لأبيه - التقديري أو الحقيقي - عبد شمس نفسه ميزة كذلك وإن كان عبد شمس شيئا مذكورا بأبيه وبأخيه هاشم الذي كان يكفل عيشه ويسد مسغبته^(٢).

ثم إنما كان أمية بعدئذ شيئا مذكورا بينه وبينه الذين وأتاهم من الحظ ما قرنهم ببني هاشم في التاريخ خصوصا ألداء لهاشم وبنيه فلا يذكر الهاشميين ذاكر إلا ذكر معهم الأمويين مهما كان نوع الذكر. على أن الدهر أبادهم وأعفى على آثارهم واحتفظ بالهاشميين بقية السيف نجوما يشرقون في كل جيل إشراق الصباح في أنحاء الزجاجاة، ويشيعون في كل خلف شيوع الحياة في الأجسام الحية كثرة ونفعا^(٣).

وحسب أمية وبنيه من المجد ما أصابوه من مناوأتهم الهاشميين وبعثهم في الدهر خصوما لهم أشداء، وليكن بعدئذ روميا أو عبشيميا ألم يستطع بنوه أن يقفوا لما فشل هو به وأخفق فيه من هذه المساواة الزمنية؟

بعد هذا كله لا نستبعد ما تلصقه به الأخبار من النقائص والصفات التي تجتمع للصعاليك من ضعاف النفوس، وقد اجتمع لأمية منها ما تفرق فيهم فكان له أكبر نصيب ممكن. كان - بالإضافة إلى ما ذكر - لصا يغير على الحجاج وهو غلام: «روى هشام بن الكلبي أن أمية لما كان غلاما كان يسرق الحاج فسمي حارسا» وهو من باب تسمية الشيء

(١) (أنظر شرح النهج ٣: ٤٥٤)

(٢) (راجع شرح النهج ٣: ٤٦٦)

(٣) (أنظر الصفحة ٢١ من النزاع والتخاصم للمقريزي)

بضده^(١)

فيختلس ما يتاح له اختلاسه من أشياءهم ولعله إنما كان يسرق ليتمرس بالسرقة ويعزى له شيء من الحساب حين يعد ذوو الخطر من رجال مكة فإن مكة يومئذ كانت مستعمرة للقوة لا يعلو فيها غير كلمة الأقوياء، وكان في مكة أنحاء وأنماط من مذاهب النفوذ والسيطرة بعضها يلتقي والسرقة ببعض المشابة والمعاني، فنفوذ بني عدي أو بني جمح مثلا كان من طرقه السرقة ولكنها سرقة لا تعتمد على الخلسة والاختفاء بل تعتمد على القهر والغلبة، وإذا كان السلب طريقا إلى النفوذ والظهور فلماذا لا تكون السرقة طريقا إليهما؟ بل لماذا لا ترتقي السرقة يوما فتكون سلبا واقتدارا؟

لعل أمية فكر بهذا وهو يطوف بين مضارب الحجاج وعلى هذا التقدير يكون قد أشبع من السرقة ميلين في نفسه: ميله الطبيعي إلى الاختلاس والتلصص.. وميله إلى الشهرة والوجود عن هذا الطريق. وصفات أمية - بعدئذ - تدلنا بجملتها على أنه كان ذكيا حذقا وطموحا تواقا إلى البروز والظهور؛ وإن كانت أدواته ووسائله إلى ذلك وسائل الأخرق النزق إلى البروز (فالغاية تبرر الوسيلة).

نعم؛ لقد كان خبياً لئيماً حسوداً، وآية ذلك أنه كان يأرق من الهمّ والغمّ، ويتألم ويقلق من الحقد والغبن إذا رأى مكرمة لسيد هاشم الخير.. وكل من اعتزّ بانتسابه إلى هاشم عن قرب أو عن بعد فإن أمية كان يؤذى أشد الإيذاء بما ينشر لهاشم من صحف الحمد ويذاع باسمه من سور الثناء والفضل.

(١) (يقول في شرح النهج (٣: ٤٦٧)

وجملة القول إن صفات أمية تدل على طموح إبليسي موهوب. كان فاسقا لا يرضيه من حياة الفسق إلا أن تتلاقى عنده أطرافها. فيسول له الطموح - وهو في هذه النفوس يرادف الحسد وربما لازم العجز - أن يجاري هاشما في مراقبه الصعاب.

فينظر إلى هاشم في ألقه الباهر وفي عرفه العاطر تحيط باسمه الألقاب الكريمة يرددها الشعراء بالقوافي الحسان وتردها أندية قريش بالأسمار والأحاديث، وتنشدها حداة القوافل التي تصدر عن مكة إلى أطراف الأرض، وترد إلى مكة من أطراف الأرض أيضا.

ويعيد النظر إلى هاشم فإذا هو ملء السمع والبصر وملء القلوب والأفئدة.

ثم يعيد النظر إلى نفسه الخبيثة (أمية) فإذا هو عبد ذليل ضامر ينزوي من كل ذلك في حانة يندفع اسمه منها بروائح الخمر والسكر ويقطر بالفسق والعهر. فهو من الناس في (المستنقعات الآسنة) الوهاد الواطئة، والسفوح والمنخفضات المنتنة..

وهاشم في الأعالي والقمم، والأنشاز، والقنن يستشرفه الناس من حيث يشرفون على أمية. هذا وما إليه حَزَّ في نفس أمية ودفعه لأن يتقمَّص صفات ليس ميسورا له أن يتقمصها لأنها ليست من طبيعته ولا خلقه ولو سأل نفسه كيف صبا إلى غير أشيائه.

ولكن أمية يعلم أن كل علاقة بهاشم موجبة للكرامة والمجد وهي ميزة لهاشم وحده لا يشاركه فيها غيره من زعماء قريش. علاقة الصداقة والولاء لهاشم توجب الكرامة والمجد ولكنها غير ممكنة من طرفيها فلا هاشم يستطيع أن ينسب إليه أمية ولا أمية يستطيع أن يوالي هاشما.

وإن امتنعت هذه فضدها ممكن وهو في إمكانه موف على الغرض لأن علاقة العداة لهاشم توجب الكرامة والمجد أيضا. من هنا رأينا يصير إليها ويصرُّ عليها.

٢. منافرتة لهاشم:

ومهما يكن من أمر فإن روايات التاريخ تجري بقصة طموحه فتسوق لنا أنه ذهب مرة في أثر هاشم يتكلف هشم الثريد وإطعام الطعام، وخيّل إليه الحسد الذي أثاره أن الثريد كان سبيل هاشم إلى مجده ووسيلته إلى زعامته^(١)..

وحين رآه يستأثر بالفضل في ردّ المسغبة عن الناس في تلك السنة المجدبة احتذى مثاله في التعرض للغفاة الجائعين ولكنه لم يطق الاستمرار فارتد وشيكا إلى سجيته منكمشة قواه الخائرة على عجز ظاهر في نفسه قبل كفه، وأخذه النقد يومئذ أنه إن لم تكن به قدرة فلماذا يقحم نفسه هذا الإقحام تحت عبءٍ ثقيل؟ ثم إذا لم يقبل على هذه الأريحية بطبع كريم يلزمها حتى يعذر في الكف عنها فلماذا يتطبع غير طبعه ولماذا يتكلف غير وضعه؟

لحاه اللاحون بهذا وما إليه وكان من خيبته وإخفاقه في حال تدنيه من الغضب السريع والثورة في غير سبب ومن أجل هذا ملكته ثورة من الحدة لا موضع فيها للتدبر، وزين له شيطانه أن يحمل تبعات إخفاقه هاشما فذكر هاشما بسوء ثم تمادى فذهب ينافره كأن هاشما تعمّد إبطال مجده أو تولى إحباط سعيه إلى ذلك المجد الموهوم.

(١) (هذا هو السبب المذكور في كامل ابن الأثير (مجلد ١ صفحة ٧ من الجزء الثاني) وفي

طبقات ابن سعد (١: ٤٤) وفي الطبري: ١٣ والنزاع والتخاصم: ٢٠)

ولكن هاشما أبي أن يسفَّ إلى منازلته فأعرض عنه ضناً بكرامته أن تمسَّ بمنافرة (المنافرة هي المحاكمة، يقال نافرت فلانا فنفرته أي حاكمته فحكمته) رجل كأمية تصطليح عليه عوامل من شرِّ وضعة، وتكتنفه هنات من خلاعة وهوان.

غير أن قريشا آثرت لهاشم ألا يستكبر وأن يجيب داعية المنافرة لئلا يفسَّر الإحجام بمعنى من معاني الخوف أو الإخفاق في هذا التحدي. ومرضاة لكرامته التي حرص عليها القرشيون وأشفقوا عليها مما يظن في إحجامه إن أحجم في غير حجة واضحة.

واشترط للمنافرة شرطان رئيسيان هما:

١. اشترط خمسين ناقة سود الحدق تنحر في بطن مكة..
 ٢. وجلاء المغلوب عشر سنين عن مكة.. فكان على المغلوب أن يزرح تحت هذين الشرطين. وفي الحق أنهما شرطان ثقيلان وفي ثانيهما إعنات (مشقَّة) شديد فهل تنجح هذه الحيلة في إرهاب أمية؟
- نعم لو أنه رجل يضع لكرامته ميزانا أو يرصد لعزته حسابا لنكل وأحجم بل لا اعتراض واحتج على الأقل ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك بل أقدم راضيا غير متبرم مقبلا غير مدبر فهل معنى ذلك أنه واثق من النجاح أو مطمئن من الفوز؟ لا.

لأن هاشما رجل لا طريق إلى التفوق عليه بوجه من وجوه الحق. إذن أيكون معنى ذلك أن أمية مغرور أحرق يضع عن نفسه حساب المنطق. أيضا لا، لأن لأمية من الذكاء ما يضمن له معرفة مصلحته في حدوده وآفاقه. فماذا - إذن - سلكه في هذين الشرطين راضيا مطمئنا؟

السبب: أن كل علاقة مع هاشم

موجبة للشرف والمجد والخلود، علاقة
العداء كعلاقة الولاء في ذلك، كلتاهما
تقوم بالعرض وتفي بالغاية.

وحسب أمية من هذه المنافرة أن تروى، ثم لا يهमे - بعدئذ - أن
يكون مغلوبا يتقاضاه انغلابه الجلاء والتخسير.

ففاز سيدنا عمرو العلى هاشم الثريد بالمنافرة، فأعلن الحكم فيها..

فقال الكاهن الخزاعي - جد عمرو بن الحمق - وهو يحكم لهاشم:
«والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر، وما
اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر،
أول منه وآخر، وأبو همهمة - كنية الكاهن - بذلك خابر «فدفع أمية
خمسین ناقة ذبحها هاشم وأطعمها للناس. وجلا أمية عشر سنين عن
مكة قضاها في الشام (فقصة الشام مع بني أمية قديمة جدا لا سيما وأنها
كانت محكومة من قبل الروم، فأمية عبد رومي ألقته البحار وهاهو يعود
إليها مغلوبا، وفي الفتح يعود الأحفاد إليها أمراء لا يُسألون عن شيء
لأنهم (كسرى العرب)).»

ويقول المؤرخون في التعليق على هذه الحادثة (أنها أول عداوة بين
هاشم وأميه) وكان البادئ بها أمية وكأن هذه العداوة كانت مقدرة بين
هذين الحيين تنعقد نطفها في الأصلاب والأرحام حين كان هاشم وعبد
شمس ينحدران توأمين^(١)..

- سبحان الله - تلتصق كعب (أو إبهام قدم) هاشم في جبهة عبد
شمس، وكان هذا إيعازا بسيادته وتقديرا لزعامته، ولكنهما حين فرَّق

(١) (كامل ابن الأثير ٧: ٢)

بينهما سال دمهما فتطير مَنْ حضر ومن سمع الخبر وتشاءموا أن سيكون
بينهما خصام ودماء تسيل.

عبد المطلب وأمية

لم يتتفع أمية من الدرس القاسي الذي
ألقاه عليه هاشم، ولم يتعظ بما ناء تحته
من شرط هاشم فعاد بعد عشر سنين من
الشام وكأنه كان يتجر فيلبث ما يلبثه تجار
قريش من قطع هذه المراحل في الذهاب
ومن قطعها في الإياب ومن المكث فيها
ريثما يتم البيع والشراء ثم يضمن الربح أو
يبوء بالخسارة.

لم يستفد من نفيه إلا إلحاحا على العناد وإلا إسرافا في الفساد وإلا
مضيا في الحسد والعداوة، ولكأن بُعده عن مكة أوغر صدره وأزكى
حسيكته فظن أنه إن أخفق في منافرة هاشم فقد يصيب بعض النجاح مع
عبد المطلب فمضى على غلوائه يحفظ (شبية الحمد) ويلقاه بما يكره
ويستفزه ألوان الاستفزاز فيعرض عنه عبد المطلب إباء وكرما ولكن أمية
يلح في ذلك إلحاحا يضطر عبد المطلب - كما اضطر أباه من قبل -

إلى الوقوف له غير أنه حين عزم على هذا الموقف ذكر أن أمية لم يتعظ بشرط أبيه فاشترط - لذلك - شرطا أنكر وأمكر وأبعد أثرا في إذلال هذا الإنسان الذي لا يني يتسور عليه بغير سبب ويتطاول إليه في غير طول ولا وسيلة.

راهنه عبد المطلب على سباق بين فرسين ووضع لهذا الرهان فقرا صعبة ثقيلة لم تكن تقصد إلى التخسير فقط، وإنما كانت تقصد مع ذلك إلى التحقير والإهانة وإلى إماتة معنويات أمية إماتة لا ينشر بعدها ولا تقوم له معها قائمة.

ولعل الأولى أن نسمي هذا الرهان مباهلة أو إرهاصا - كما يقول المتكلمون - وإن لم يكن من هذا القبيل فمن يضمن لعبد المطلب أن يسبق فرسه؟ إنها مباهلة حقا وليست رهانا فإن لعبد المطلب من حجاه ما يمنعه من المغامرة بكرامته لقاء سباق كهذا، وعن المخاطرة بمجد كمجده في شوط بين فرسين متماثلين أو قريبين من التماثل.

إن عبد المطلب لا ينيط (يعلق) مصير كرامته بفرسين تعرض لهما الكبوات لو لم يكن الأمر مباهلة يثق منها بنجاح مضمون. ولا نستبعد على عبد المطلب هذه الروحية العظيمة فقد كان من صفاء النفس وقدس الذات بمكان..

كان ذا الرهان، أو كانت هذه المباهلة - كما أراها - تجعل على

المغلوب:

* مائة من الإبل..

* وعشرة من الأعبد..

* ومثلها من الإماء، يضاف إلى كل ذلك..

* استعباد سنة وكل ذلك ينضاف..

* إلى جز الناصية (وهي قص شعر الرأس كالعبيد).

واستشرفت العيون ميدانا وعرا يتدفق فيه جوادان يطويانه طيا ويثيران
حصاه الآمنة وجنادله المستقرة ويعقدان خلفهما جوا من النقع وسماء من
الغبار.

وكانت القلوب سريعة الخفق عاليته، والأحداق واسعة النظر حادته،
والنفوس بينة القلق قويته، تستحث الجري وتماشيه بالمناكب والأعناق
والأكف إلا عبد المطلب فإنه كان هادئا مطمئنا راضيا، وإن ثغره الجميل
الوضاح ليفتر عن ابتسامة غراء تشير إلى سبق جواده السابع المنساح.

ولم تلبث حال القوم هذه طويلا فما هي إلا لحظات يخفق فيها
الطرف ثم يعود وإذا بجواد عبد المطلب ينهب المضمار نهبا ويختصر
المسافة اختصارا ويقر في الغاية يعلن انتصاره بالهمهمة والصهيل ويعقد
من ذيله المنتصب قوسا لهذا النصر فيقوسه حتى يبلغ بطرفه ما بين أذنيه
معتزا مزهوا وخلفه منافسه يجري ويجهد في غير انتفاع.

وعاد عبد المطلب بالشرط فوزع منه ما يقبل التوزيع على قريش
وأراد أن يجزَّ (جز الناصية أي حلق الرأس توهينا وإذلالا) ناصية أمية
ولكن أمية افتدى جزَّ ناصيته بأن يكون عبدا لعبد المطلب عشر سنين
(فكان أمية في حشم عبد المطلب وعضاريطه عشر سنين)^(١)...

ويدل على هذه العبودية قول أبو طالب عليه السلام حين تظاهر عبد
شمس ونوفل على رسول الله ﷺ ما قد ذكرنا من الأبيات السابقة.

(١) (راجع شرح النهج ٣: ٤٦٦)

كما ويدل عليه أيضا ما افتخر به عبد الله بن جعفر (رض) على يزيد بن معاوية في حديث جاء فيه إن عبد الله قال ليزيد: بأي آباءك تفاخرني؟ بحرب الذي أجرناه، أم بأمية الذي ملكناه، أم بعبد شمس الذي كفلناه؟ يقول ذلك على مسمع من معاوية فيقر معاوية فخره ويأمر يزيد ألا يفاخر الهاشميين لأنهم «قوم لا يجهلون ما علموا ولا يجد مبغضهم لهم سبا»^(١)

هذه بداية النزاع بين هاشم وأمية.. ثم درجت السنون تتم هذه البداية بأحداث يأخذ بعضها برقاب بعض. وكانت هذه البداية التي لا مبرر لها - كما علمتم - بداية ظالمة لا تصدر عن الحلم ولا عن الأناة ولا عن العقل ولو كان فيها شيء من ذلك لانعكست - إذن - إلى ود، بل إلى اعتزاز بهذه القربى الرحيمة الحكيمة الممتازة وبهذه الرحم القريبة البرّة العظيمة، وبهذه النسبة التي ملأت مكة فيضا وغيثا وخيرا عارما وادقا، ثم تجاوزت مكة إلى الحجاز كله ثم ضاق بها هذا القطر الضيق بطموحها وآمالها فتدفقت من هنا وهناك في مسارب الأرض ومسالك البيد لتعمّ نجد وتهامة، وتشمل الشام والعراق، وتصل اليمن وتغزو الحبشة.. وتترك في كل مكان نشرا وفي كل نجد عطرا، وفي كل أرض ذكرا.

لو أن لهذه البداية مصدرا من العقل لاعتاضت - إذن - عن الجفاء بالولاء، وعن الصّد بالودّ وأقبلت على هذا معتزة مزهوة فيمن أقبل من قريش القريبة ومن قريش البعيدة ومن غير قريش ممن ألمّ بمكة في تجارة أو زيارة ولكن هذه البداية انسبقت بالحسد فامتلا صدر أمية من كل ذلك غيظا وظل ذاكي الحقد حران الصدر غير منقوع الغليل.. ومرّد هذا الحسد وجود هاشم هذا الوجود الذي ملأ السمع والبصر، وبلوغه

(١) (راجع شرح النهج ٣: ٤٦٥)

من دولة مكة ما لم يبلغ عبد شمس بعضه.

ثم يرد هذا الحسد إلى ما تركه الهاشميون في حياة مكة من أنظمة العدل والفضيلة وأسباب التجارة والنعيم ووسائل الأمن والسلام على نحو لم يكن فيه للأمميين ضلع يذكر أولا يد تشكر.

وبعد فإجمال حديث أمية أنه مندحر أمام هاشم، أشنع الاندحار. فهو مندحر بخُلقه وأخلاقه. ثم هو مندحر بنسبه الذي لا يطمئن إلى القطع بأحد احتماليه. ثم هو مندحر بنفسه المجذبة من مؤهلات هاشم. وهو مندحر بأبنائه الذين تنقطع بهم الطرق دون شأن أبناء هاشم. ثم هو مندحر بأنه لم ينل حظا من مناصب قريش ولم يسهم بشيء من الخير في حياة مكة. وبعدها فهو مدحور حين أراد أن يزاحم هاشما باصطناع بعض أخلاقه ومطروود لقاء هذا التزوير الخلقي عشر سنين مع غرامة نقدية قدرها خمسون ناقة سود الحديق. وأخيرا فهو مستعبد عشر سنين عند عبد المطلب قضاها بين حشمه وعضاريطه.

وروي أن حربا بن أمية نافر عبد المطلب بن هاشم إلى نفيل بن عدي فكانت دهشة نفيل عظيمة جدا حين رآهما مقبلين للمنافرة، وكان غريبا جدا أن يطمع رجل كحرب بمنافرة رجل كعبد المطلب مع تلك الفروق العظيمة بينهما في نفسيهما والعقلية والجسمية، فروق كثيرة أنى التفت منها تجد فارقا عظيما يرفع جهة ويحط جهة.

قال نفيل لحرب يعلن هذه الحقيقة وقد انتهى إليه: «أتنافر رجلا هو أطول منك قامة وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة، وأقل منك

لأمة، وأكثر منك ولدا، وأجزل منك صفدا، وأطول منك مذودا^(١)

أبوك معاهر وأبوه عف

وذاذ الفيل عن بلد الحرام^(٢)

وإنها لمجازفة حقا لأن في الحكم فضيحة منتظرة لحرب ولأبيه لا
يستطيع حرب نفسه أن ينساها أو يتغافل عنها أو يدفعها حين يحكم
عليه بها.

(١) (الصفد : العطاء، والمذود : أداة الدفاع ..)

(٢) (راجع شرح النهج ٣ : ٤٥٦، والنزاع والتخاصم : ١٠٢٢) (الطبري المجلد الثاني ترجمة عبد
المطلب، وطبقات ابن سعد ١ : ٥٢)

صخر بن حرب (أبو سفيان)..

هل كان صخر بن حرب أقل حقدًا
من والديه وسابقيه على بني هاشم الخيرة
المنتظرة من العرب، والسادة من قريش..

أبدا؛ فقد أعلن (صخر بن حرب) أبو سفيان الحرب ضد رسول
الله ﷺ ورسالة السماء في مكة قبل الهجرة وأشعل نار الحروب الثلاثة
بعدها في مواقع (بدر، وأحد والأحزاب)، وشاء الله أن ينصر رسوله
والذين آمنوا معه ويهزم المشركين والكافرين ويخزيهم، كما نصر هاشم
وعبد المطلب من قبل ودحر المشركين والكافرين وأصحاب الفيل..

والظاهر أن النبي ﷺ كان شبه آيس من إمكانية تنفيذ هذه الوصية
لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بالقيادة والخلافة، وأنه كان يخشى
ظهور الردة من مجرد تبليغه بشكل صريح ورسمي! والسبب في ذلك
علمه بطبيعة قريش، وتعقيدها النفسي، وتركيبها الذهنية المراوغة..

فإنها كقبائل اليهود الذين عانى منهم موسى الكليم والأنبياء الآخرين

من بني اسرائيل عليه السلام!

قريش منجم الفراعنة

فإذا تغاضينا عن أحاديث طعن النبي ﷺ في أنساب زعماء قريش الذين واجهوا آيات ربهم.. وطعن عمه أبي طالب نسابة قريش (سلام الله عليه) في أنسابهم.. وطعن الإمام علي عليه السلام في أنسابهم.. وقلنا بصحة أنسابهم إلى إسماعيل عليه السلام، فإنهم يكونون ذرية إسماعيل الفاسدة، لأنهم جمعوا بين صفات اليهود المعقدة من بني عمهم إسحاق، وبين غطرسة رؤساء القبائل الصحراوية الخشنة!

وقريش.. باستثناء بني هاشم والقليل القليل من غيرهم، منجم للتكبر والشيطنة! فقد حكم الله سبحانه على زعمائها بأنهم فراعنة تماماً، بالجمع لا بالمفرد، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾^(١).

وقال رسول الله ﷺ عن عدد منهم لما وقف على قتلى بدر: (جزاكم الله من عصابة شرا! لقد كذبتُموني صادقاً وخونتموني أميناً. ثم التفت إلى

(١) المزمل ١٥ - ١٦.

أبي جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وَّحَدَّ اللهُ، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا بالللات والعزى^(١)!

وروى ابن هشام قول أبي جهل: (تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه! والله لا نؤمن به أبدا، ولا نصدقه!)^(٢).

(قال رسول الله ﷺ لقريش: إن الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدنيا وأجر الملك إليكم، فأجيئوني إلى ما أدعوكم إليه تملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، وتكونوا ملوكا في الجنة.

فقال أبو جهل: اللهم إن كان هذا الذي يقوله محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، حسدا لرسول الله ﷺ، ثم قال: كنا وبنو هاشم كفرسي رهان، نحمل إذا حملوا، ونطعن إذا طعنوا، ونوقد إذا أوقدوا، فلما استوى بنا وبهم الركب، قال قائل منهم: منا نبي! لا نرضى بذلك أن يكون في بني هاشم، ولا يكون في بني مخزوم!)^(٣)

وقال الأبيشيبي: (قال معاوية لرجل من اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! فقال: أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا

(١) (حلية الأبرار: ١/ ١٢٧، أمالي الطوسي: ١/ ٣١٦، وعنه البحار: ١٩/ ٢٧٢، ورواه في مجمع الزوائد: ٦/ ٩١).

(٢) ابن هشام في: ١/ ٢٠٧

(٣) (ورواه في عيون الأثر: ١/ ١٤٦، وابن كثير في سيرته: ١/ ٥٠٦. وفي تفسير القمي: ١/

حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، ولم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأهدنا إليه^(١).

وقال البياضي: (قال معاوية: فضل الله قريشا بثلاث: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ونحن الأقربون. ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، ونحن قومه. ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾، ونحن قريش. فقال رجل أنصاري: على رسلك يا معاوية، قال الله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾، وأنت من قومه. ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾، وأنت من قومه. ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، وأنت من قومه!! فهذه ثلاث بثلاث، ولو زدتنا لزدناك!! فأفحمه^(٢).

وفرعون وقومه عندما أخذهم الله بالسنين، طلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو لهم ربه.. بينما رسول الله ﷺ دعا ربه على قريش الظالمة العاتية، فأخذهم الله بالسنين، وأصيبوا بالفقر والقحط، حتى أكلوا العلهز. ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾

قال الحاكم: (عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم، قد أكلنا العلهز! يعني الوبر والدم، فأنزل الله بَرَزَكَ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾^(٣).

وقال في معجم البلدان: ٤٥٨ / ٣: (والعلهز: دم القراد والوبر، يلبك ويشوى ويؤكل في الجذب! وقال آخرون: العلهز دم يابس يدق مع أوبار الإبل في المجاعات.

ولكن أتباع الخلافة القرشية لا يعجبهم هذا الحديث، ولا يفسرون

(١) المستطرف: ٥٨ / ١

(٢) في الصراط المستقيم: ٤٩ / ٣

(٣) في المستدرک: ٣٩٤ / ٢

به الآية! بل يزعمون أن القرشيين خضعوا لربهم وتضرعوا، ودعا لهم الرسول ﷺ! فانظر إلى ما قاله عباد قريش مثل ابن كثير، قال: (لما دعا على قريش حين استعصت أن يسلم الله عليها سبعا كسبع يوسف، فأصابتهم سنة حصدت كل شيء، حتى أكلوا العظام والكلاب والعلهز. ثم أتى أبو سفيان يشفع عنده في أن يدعو الله لهم، فدعا لهم فرفع ذلك عنهم)^(١)

ومشكلة ابن كثير أنه يحب رائحة آل أبي سفيان، وإلا فهو مؤلف في السيرة والتاريخ، يعرف أن مجيء أبي سفيان كان بعد أن أشفق النبي ﷺ على حالة قريش، وأرسل إليهم بأحمال من المواد الغذائية وبعض الأموال لعلهم يستكينوا لله تعالى ويؤمنوا به وبرسوله!

وبعد أن اعتدى بنو بكر حلفاء قريش على خزاعة حلفاء النبي وجده عبد المطلب.. وقتلوا منهم، وأعانتهم قريش على الخزاعيين، رغم الهدنة الموقعة بينهم وبين النبي! فاغتنمت قريش لفتة القلب النبوي الرحيم، وأنكرت تحريض بني بكر ومساعدتهم، وبعثت أبا سفيان إلى النبي ﷺ تتبرأ له من نقضها للهدنة، وحملته مشروع تمديد للصلح، من نوع مشاريع السلام الإسرائيلية في عصرنا، فرفضه النبي ﷺ، فذهب أبو سفيان إلى علي وفاطمة عليهما السلام يرجوهما التوسط إلى النبي ﷺ فلم يقبلا وعرض عليهما أن يكون هذا (الصلح) باسم الحسن والحسين عليهما السلام ليكون فخرا لهما في العرب، فقالا: إنا لا نجير أحدا على رسول الله ﷺ!

ولما دخل أبو سفيان المدينة لتجديد العهد بين رسول الله ﷺ وبين قريش، عندما كان من بني بكر في خزاعة وقتلهم من قتلوا منها، فقصد

(١) في البداية والنهاية: ٦ / ١٠١

أبو سفيان ليتلافى الفارط من القوم، وقد خاف من نصرة رسول الله ﷺ لهم، وأشفق مما حل بهم يوم الفتح. فأتى النبي ﷺ وكتمه في ذلك، فلم يردد عليه جوابا.

فقام من عنده، فلقبه أبو بكر فتشبت به وظن أنه يوصله إلى بغيته من النبي ﷺ فسأله كلامه له، فقال: ما أنا بفاعل لعلم أبي بكر بأن سؤاله في ذلك لا يغني شيئا. فظن أبو سفيان بعمر بن الخطاب ما ظنه بأبي بكر فكتمه في ذلك، فدفعه بغلظة وفضاظة كادت أن تفسد الرأي على النبي ﷺ.

فعدل إلى بيت أمير المؤمنين ﷺ فاستأذن عليه، فأذن له وعنده فاطمة والحسن والحسين ﷺ فقال له: يا علي، إنك أمس القوم بي رحما، وأقربهم مني قرابة، وقد جئتكم فلا أرجعن كما جئت خائبا، إشفع لي إلى رسول الله فيما قصدته.

فقال له: ويحك يا أبا سفيان، لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكمله فيه.

فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة ﷺ، فقال لها: يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنك أن يجيرا بين الناس فيكونا سيدي العرب إلى آخر الدهر.

فقالت: ما بلغ بنيابي أن يجيرا بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ.

فتحير أبو سفيان وسقط في يده، ثم أقبل على أمير المؤمنين ﷺ فقال: يا أبا الحسن، أرى الأمور قد التبست عليّ فانصح لي. فقال له أمير المؤمنين: ما أرى شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين

الناس، ثم الحق بأرضك.

قال: فترى ذلك مغنيا عني شيئا؟

قال: لا والله لا أظن ولكني لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق! فلما قدم على قريش قالوا: ما ورائك؟

قال: جئت محمدا فكلمته، فو الله ما رد عليّ شيئا، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا، ثم لقيت ابن الخطاب فوجدته فظا غليظا لا خير فيه، ثم أتيت عليا فوجدته ألين القوم لي، وقد أشار في شيء فصنعتة، والله ما أدري يغني عني شيئا أم لا..

فقالوا: بم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت. فقالوا له: فهل أجار ذلك محمدا؟ قال: لا. قالوا: ويلك والله ما زاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنك؟ قال أبو سفيان: لا والله ما وجدت غير ذلك!^(١)

ويروى أن أبا سفيان بن حرب قال لنفر من قريش: ألا أحد يغتال محمدا فإنه يمشي في الأسواق.. فأتاه رجل من الأعراب فقال: قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدّه بطشا وأسرعه شدا فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ومعني خنجر مثل خافية النسر فأسوره به ثم آخذ في عير وأسبق القوم عدوا فإني هاد بالطريق خربت (خيبر)..

قال: أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة، وقال: اطو أمرك.. فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى دُلَّ عليه فعقل راحلته ثم أقبل إلى رسول

(١) المفيد في الإرشاد: ١/ ١٣٢ البداية والنهاية: ٤/ ٣١٩

الله ﷺ وهو في مسجد بني عبد الأشهل فلما..

رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا ليريد غدرا فذهب ليجني على رسول الله ﷺ فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره فإذا الخنجر فسقط في يديه.. وقال: دمي، دمي.. فأخذ أسيد بلبته فدعته..

فقال رسول الله ﷺ: أصدقني ما أنت؟

قال: وأنا آمن؟ قال ﷺ: نعم.. فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان فخلى عنه رسول الله ﷺ فأسلم وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية، وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب، وقال: إن أصبتما منه غرة فاقتلاه. فدخلوا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه فأخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا في الجاهلية، وقالوا: لم يأت عمرو لخير فحشد له أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو عبيد الله بن مالك بن عبيد الله التيمي فقتله وقتل آخر من بني الدليل سمعه يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حيا

ولست أدين دين المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسبان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله ﷺ خبره ورسول الله ﷺ يضحك^(١).

(١) (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٩٣)

الرسول الأعظم ﷺ وقريش

إن العلاقة ما بين الرسول الأعظم ﷺ وقريش علاقة متميزة بالعداء وعدم الإنصاف من قبل القرشيين وبالحب والعدالة من قبل الحبيب المصطفى ﷺ، فهو الذي جاءهم بأعظم ما يمكن أن يجيء به أحد لأحد في هذه الحياة الدنيا حيث العز والفخر والقوة والسلطان على كل المعمورة لو سلموا له ولآله الكرام الذين عينهم ونصبهم بأمر من الله قادة للأمة الإسلامية من بعده إلا أنهم انقلبوا على ذلك كما تنبأت الآية المباركة التي تقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١)

فالرسول الأكرم - مات أو قتل - فإنه التحق بالرفيق الأعلى حتما لا ريب فيه، فالانقلاب على الأعقاب كان حتما كذلك واقعا تقره الأمة الإسلامية بدأت فصوله حتى قبل انتقال الحبيب المصطفى إلى جوار ربه وذلك في رزية يوم الخميس كما سماها حبر الأمة الإسلامية فرسول

(١) (آل عمران:)

الله ﷺ حين قال لهم وهو في آخر لحظات حياته الشريفة: أعطوني كتف ودواة أكتب لكم كتاباً لا (أو لن) تضلوا بعده (أو من بعدي) أبداً..
فقال الصحابي البطل عمر بن الخطاب: إن النبي (أو نبيكم، أو ماله) يهجر، حسبنا كتاب الله..

هنا المصيبة والطامة الكبرى، إذ من كان يجرؤ على رسول الله ﷺ في تلك اللحظات إلا قريش، وإلا عمر بن الخطاب بالخصوص، لأنه الأجرأ عليه بما اشتهر عن فظاظته وغلظته وعدم احترامه لرسول الله ﷺ أو لآله الكرام من بعده..

ألم تنقل كتب السيرة سباب ابن الخطاب لرسول الله ﷺ وطعنه في نسبه الشريف وهو أطهر من ماء السماء، وأرفع من الغمام ليناله القتام، فالصحاح - كما يسمونها - روت سبابه وشتيمته للنبي ﷺ ونزل به قرآنا نقرؤه آناء الليل وأطراف النهار كما في الروايات المعترية عند العوام جميعاً..

نعم؛ فلقد جاء في كتاب تذكرة الفقهاء: قال (عمر) يوماً: إن رسول الله ﷺ شجرة نبتت في كبا (أي في مزبلة).. ويعني بذلك رذالة أهله (من الهاشميين)، ويعني الشك في نسبه (والعياذ بالله) فسمع رسول الله ذلك، فاشتد غيظه، ثم نادى ﷺ الصلاة جامعة. فحضر المسلمون بأسرهم، فصعد رسول الله ﷺ المنبر، ثم حمد الله وأثنى عليه.. وقال: أيها الناس ليقيم كل منكم ينتسب إلى أبيه، حتى أعرف نسبه.

فقام إليه شخص من الجماعة، وقال يا رسول الله أنا فلان بن فلان بن فلان.

فقال ﷺ: لست لفلان وإنما أنت لفلان وإن نحلكت فلان بن فلان،

فقعده خجلاً. ثم لم يقم أحد، فأمرهم ﷺ بالقيام والانتساب مرة واثنين فلم يقم أحد.

فقال ﷺ: أين السَّاب لأهل بيتي، ليقم إليّ وينتسب إلى أبيه؟

فقام عمر وقال: «يا رسول الله ﷺ أعفُ عنا، عفا الله عنك، إغفر لنا غفر الله لك، احلم عنا حلم الله عنك»^(١)

إذن جاء استعطاف عمر للرسول ﷺ، إثر كلامه السيئ مع صحبه من قريش ومن دار بفلكهم من أعداء بني هاشم.. عن رسول الله ﷺ بتلك الكلمات النابية، المسيئة للأدب والأخلاق العامة فكيف إذا كانت موجهة لرسول الله ﷺ؟

ولهذا فقد نزل الروح الأمين جبرائيل ﷺ وأخبر النبي محمد ﷺ بكلام عمر وسبابه الخطير بحق سيد الكونين ورسول رب العالمين الطاهر المطهر آباء وأجداد كابر عن كابر حتى أبينا آدم ﷺ.

وجاء عن أنس (بن مالك)، قال: سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فصعد النبي ﷺ ذات يوم المنبر، فقال: لا تسألوني عن شيء إلا بيته لكم.

فجعلت أنظر يمينا وشمالاً، فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي، فأنشأ رجل كان إذا لاحى (خاصم) يدعى إلى غير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ فقال: أبوك حذافة.

ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا، نعوذ بالله من سوء الفتن..

(١) (تذكرة الفقهاء ٢ / ٤٧٠)

فقال النبي ﷺ: ما رأيت في الخير والشر كالיום قط! إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط.

قال: فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك^(١)

وهنا تساؤلات لا بد منها. متى كان رسول الله ﷺ يضيق صدره الشريف بالسؤال من قبل أصحابه؟ ولماذا يضيق بسؤالهم ثم يتحداهم في أنسابهم؟ ولماذا قال عمر ما قال متذللا لرسول الله ﷺ إذن وأي علاقة له بما أثار حفيظة الرسول؟ وأخيرا لماذا صورت لرسول الله الجنة والنار فهل كان ناويا الدعاء عليهم بما قذفوه به من سباب ومنكرات لا تليق بشخصه الكريم؟

ومن هذا الباب قال قتادة: وهو يذكر هذا الحديث عند تفسير هذه

الآية: ﴿يَكَايِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾^(٢)

وفي رواية أخرى أن عمر بن الخطاب جثا على ركبتيه أمام رسول الله وقال الذي قاله معتذرا له.. فإن جلوس عمر على ركبتيه وطلبه العفو من النبي ﷺ يبين فظاعة قوله في رسول الله محمد ﷺ. ومما يبين فظاعة قوله أيضا بكاء الناس، وغضب النبي ﷺ الشديد! فيتوضح لنا بأن الشاك في نسب النبي ﷺ والسباب له إنما هو عمر بن الخطاب الخليفة العادل!

وهناك رواية مخففة (كما يقال) عن أنس بن مالك قال: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء (أي شيء بلغه عن الأصحاب يا أنس ولم تبح به)، فخطب فقال ﷺ: عرضت علي الجنة والنار، فلم أر كالיום في

(١) (صحيح البخاري ٨ / ١٤٢ - ١٤٣، صحيح مسلم ٧ / ٩٢ - ٩٣)

(٢) (صحيح البخاري ٨ / ٩٤ - ٩٥) (المائدة: ١٠١)

الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا.

قال: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه. (فلماذا كان يوما عصيبا وشديدا على الأصحاب؟ هل كانوا يخافون العذاب من معرفتهم أن جبرائيل عليه السلام كان إلى جانب النبي ﷺ، أو الفضيحة؟

نعم؛ لشيء من ذلك حتى قال (أنس) يصفهم: غطوا رؤوسهم ولهم خنين (سدد الخياشم من البكاء) قال: فقام عمر، فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا!! فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(١)

وعن أنس قال: خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان فخطب الناس، فقال عليه السلام: لا تسألوني عن شيء اليوم إلا أخبرتكم به، ونحن نرى أن جبريل معه. قلت فذكر الحديث، إلى أن قال: فقال عمر: يا رسول الله ﷺ: إنا كنا حديثي عهد بجاهلية، فلا تعد علينا سوآتنا، فاعف عنا، عفا الله عنك^(٢)

وعن ابن عباس قال: سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ قال (عمر): كان رجال من المهاجرين في أنسابهم شيء، فقالوا يوما: والله لوددنا أن الله أنزل قرآنا في نسبنا، فأنزل الله ما قرأت^(٣).

وأخرج ابن جرير، وابن حاتم، عن السدي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ﴾ قال: غضب رسول الله ﷺ يوما من

(١) (صحيح مسلم ٧ / ٩٢ - ٩٣)

(٢) (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧ / ١٨٨)

(٣) (الدر المثور ٤ / ٣٦٠)

الأيام، فقام خطيباً، فقال: سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به.. فقام إليه رجل من قريش، من بني سهم، يقال له عبد الله بن حذافة، وكان يُطعن فيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟

قال ﷺ: أبوك فلان، فدعاه لأبيه، فقام إليه عمر، فقبّل رجله وقال: يا رسول الله، رضينا بالله ربا، وبك نبيا، وبالقرآن إماما، فاعف عنا، عفا الله عنك، فلم يزل به، حتى رضي، فيومئذ، قال ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

فكان غضب رسول الله ﷺ على عمر شديداً، إلى درجة اضطرب معها عمر إلى تقبيل رجله ﷺ، وطلب العفو منه، وإعلانه الشهادة من جديد! فأبي عزيمة جئت بها يا ابن الخطاب حتى وقفت هذا الموقف الذي لم تذكر كتب السيرة مثلاً له بالذل والهوان؟

وعن أبي هريرة، أن عمر بن الخطاب قال: إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك، والله أعلم من آباؤنا. فسكن غضبه ﷺ ونزلت هذه الآية: ﴿يَكْفُرُ بِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾.

ولقد ذكرت قضية سب النبي ﷺ بواسطة عمر، في أمهات الكتب الإسلامية مثل صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكتب التفسير والسيرة. ولما كانت عملية سب نبي البشرية من قبل عمر بن الخطاب فاحشة، ولا يتحملها المسلمون، فقد سعى بعض محبي الخليفة العادل (أو من مبغضي أهل البيت ﷺ) إلى حذف هذه الروايات من كثير من الكتب، أو حذف بعضها، أو حذف اسم عمر على أقل التقدير رغم خطورتها. أو تحويرها! ورأى البخاري ومسلم وآخرون، أن هذه الروايات متواترة، ولا يمكن غض النظر عنها، خاصة وأن النبي ﷺ قد

جمع المسلمين لأجلها. فبينوا وجود قضية خطيرة حصلت في المدينة، في أواخر حياة النبي ﷺ، تعرض فيها النبي ﷺ

إلى سب وتهمة وافتراء، فجمع النبي ﷺ المسلمين وبان غضبه الشديد، بحيث إن أنس بن مالك قال: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه! (ولكنهم حذفوا أسم عمر وغيروا في الحادثة للحفاظ على شخصية الخليفة العادل، لكي لا تخدش في عيون أبناء الأمة الإسلامية علما أنها أكبر مما قاله سلمان رشدي أخيرا فحكم برده ووجوب قتله)

فبكى المسلمون - ويحق لهم ذلك فقد خدشت قدوتهم ومثالهم الأعلى في الدين والدنيا وبين أظهرهم - فيا لعظم المصيبة، وفداحة الطامة، لذا غطت الجماعة المذنبه رؤوسها خوفا أو خجلا.. وراح عمر يتذلل للنبي ﷺ تذلا عجبيا ونادرا يبين خطورة ما أقدم عليه..

وبشيء من الإعادة والأناة بالقراءة نجد أن الذي فعله وقاله عمر في الحادثة، كان كما يلي: اجتمع عمر بن الخطاب مع بعض أصحابه وتذكروا أمر بني هاشم وتقدمهم على الجميع بأن اختار الله منهم نبيا يوحى إليه من السماء، وأثبت جدارتهم بالقيادة من بعده لاسيما وهو في كل مجلس ونادي، وفي كل مناسبة كان يمدح ابن عمه أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وتذكروا أمر قريش وقتل أبطالهم من قبل الهاشميين الذين استأسدوا بالدفاع عن الرسالة والرسول ﷺ فغضب عمر - لأنه كان سريع الغضب سليط اللسان - فقال معرّضاً بالهاشميين: إن رسول الله ﷺ شجرة نبتت في كبا.

ونزل الروح الأمين جبرائيل عليه السلام وأخبر رسول الله ﷺ بالأمر وما قاله عمر بن الخطاب من تهجم على أهله وسبابهم، وأمره بالرد عليه..

فَعِنْدَهَا غَضَبُ النَّبِيِّ ﷺ وَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَنَادَى بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً، وَصَعِدَ الْمَنْبِرَ، وَقَالَ: سَلُونِي (عَنْ آبَائِكُمْ وَأَنْسَابِكُمْ)؛ وَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ الْيَوْمَ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ جَبْرِيلَ مَعَهُ عَلَيْهِ..

وَبَعْدَ سَكْوَتِهِمْ عَنِ السُّؤَالِ وَتَقَمُّعِهِمْ بِالثِّيَابِ وَهُمْ يَبْكُونَ.. طَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ الْإِنْتِسَابَ لِأَبِيهِ مَتَّحِدِيًا لَهُ بِإِثْبَاتِ نَسَبِهِ فَقَالَ ﷺ: أَيْنَ النَّسَابُ لِأَهْلِ بَيْتِي، لِيَقْمَ إِلَيَّ وَيَنْتَسِبَ إِلَيَّ أَيْبَهُ؟

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُ نَسَبَهُ الشَّرِيفِ الَّذِي كَانَ هُوَ الشَّرْفُ ذَاتَهُ عِنْدَ ذِكْرِ الشَّرْفِ، وَيَعْلَمُ نَسَبَ الرَّجُلِ الَّذِي سَبَّهَ بِأَهْلِهِ تَمَامَ الْعِلْمِ، وَالرَّجُلُ يَعْلَمُ نَسَبَهُ الْجَاهِلِيَّ بِقُرَيْشٍ، فَجَدَّتَهُ صِهْكَ كَانَتْ تَرَعَى الْمَاعِزَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَكَفَى بِهَا جَدَّةً، وَأَمَّا لِعَمْرٍ، وَلِذَا تَصَاغَرَ وَتَذَلَّلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَرَكَ عَمْرٌ عَلَى رِجْلَيْهِ، وَقَبَّلَ رِجْلَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا؛ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ^(١) يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّا حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ (وَشُرْكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَنْ أَبَاؤُنَا)، فَاعْفُ عَنَّا، عَفَا اللَّهُ عَنكَ، لَا تَعُدْ عَلَيْنَا سِوَا آتِنَا^(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ عَمْرٌ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ. فَجَعَلَ عَمْرٌ يَرُدُّ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ ﷺ

فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ اعْتَذَرَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِشَكْلِ لَمْ يَعْتَذِرَ قَبْلَهُ، وَاسْتَمَرَ فِي طَلْبِهِ الْعَفْوِ إِلَى أَنْ سَكَنَ غَضَبُ الرَّسُولِ ﷺ وَلَمْ يَفْضَحْهُ بِأَصْلِهِ وَنَسَبِهِ الْمَعْرُوفِ فِي قُرَيْشٍ.. لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ اسْتَمَرَ فِي غَضَبِهِ

(١) (صحيح البخاري ٨ / ١٤٢ - ١٤٣، صحيح مسلم ٧ / ٩٢ - ٩٣، تفسير الفخر الرازي ٤ / ٤٤٤، تفسير ابن كثير ٢ / ١٧٥).

(٢) (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧ / ١٨٨، تفسير ابن كثير ٢ / ١٧٥)

وحدّته في خطبته إلى أن اعتذر عمر أمام الجميع بذلة وصغار.

كما وتبين الحادثة أن المسلمين أخذوا بالبكاء لشدة تأثرهم بما اتهم به عمر النبي ﷺ إذ قال أنس بن مالك: فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي؟!^(١)

علما أن هذه الحادثة قد وقعت، قبل نزول آية: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾. فخاف عمر من إفصاح النبي ﷺ عن نسبه الذي يعرفه، لأنه شكك في نسب النبي ﷺ، فقال: إنا كنا حديثي عهد بجاهلية وشرك، والله أعلم من آباؤنا، فلا تعد علينا سوآتنا فاعف عنا، عفا الله عنك^(٢).

والدليل على حصول تلك الحادثة قبل نزول هذه الآية، أن النبي ﷺ قد طلب منهم السؤال عن آبائهم، ليجيبهم عن ذلك، ولما نزلت هذه الآية القرآنية امتنع عن السؤال وما فعله النبي ﷺ في تلك الحادثة كان كالآتي: خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان أو اشتد غيظه ثم نادى ﷺ الصلاة جامعة^(٣).

قال النبي ﷺ: أين السَّاب لأهل بيتي، ليقم إلي وينتسب إلى أبيه. والناس يرون جبريل مع محمد ﷺ، وبكى المسلمون لعظم المصيبة وأكثر الناس البكاء، وغطوا رؤوسهم، ولهم خنين، وما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه.

ويتوقف المرء المسلم طويلا أمام ما ذكره البخاري عن الحادثة بالرغم من حذفه قسما مهما منها إذ قال: فأكثر الناس في البكاء وأكثر

(١) (صحيح البخاري ٨ / ٩٤)

(٢) (مجمع الزوائد ٧ / ١٨٨)

(٣) (تفسير ابن كثير ٢ / ١٧٥)

الرسول ﷺ أن يقول ﷺ: سلوني، فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي.

كما ويتوقف القارئ لبكاء المسلمين، حين غطوا رؤوسهم خجلا من النبي ﷺ، كما ورد في النصوص الأخرى. ويندهش القارئ من تذلل عمر للرسول ﷺ وتقبيله قدمه، وطلبه العفو منه. وتنكشف الحقيقة بقول النبي ﷺ: أين الساب لأهل بيتي، ليقم إلي ويتسب إلى أبيه.. حتى قال أنس بن مالك: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه..

والمعروف عن النبي ﷺ أنه ولد من أصلاب طاهرة، عرفت بالعفة والشرف، وفي بيوتات نزيهة، ووجيهة لم تتهم في جاهلية ولا في إسلام وهو الذي قال ﷺ: ما زلت أتناقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام المطهرة من آدم وحتى أبي عبد الله.

وأما عمر فكان ما زال فيه بعض الخلال الجاهلية حتى آخر أيامه في هذه الدنيا، فقد أخرج ابن سعد في طبقاته، عن عمر نفسه قوله: ما بقي في شيء من أمر الجاهلية، إلا أنني لست أبالي إلى أي الناس نكحت، وأيهم أنكحت^(١)..

وفي الحقيقة أن الخليفة قد ورث الكثير من تراث الجاهلية العربية، ولازمه الداء القرشي المتمثل بالعداء لبني هاشم (غيرة، وحقدا، وحسدا) لهم، وهذا واضح من عدم احترامه النبي ﷺ، والجرأة عليه في الكثير من المواقف المشهورة في حياته الشريفة، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كان أشد على أهل بيته، وعلى ابنته العظيمة سيدة النساء لا سيما وأنه أراد أن يحرق دارهم وهم فيها أحياء، وغضبهم تراثه ومصادرة أمواله، والجرأة على الشريعة والنصوص الإلهية بالتغيير والتحوير. وقد اعترف

(١) (طبقات ابن سعد ٣ / ٩٨٢)

عمر وصرح بذلك في أحيان مختلفة لعبد الله بن العباس وغيره في مناسبات كثيرة^(١)..

علما أن هذا ليس مستغربا من قريش التي ما برحت تحسد بني هاشم وتحاربهم ما استطاعوا لذلك من سبيل، فكل الحروب التي خاضها الرسول الأعظم ﷺ كانت إما بقيادة قرشية مباشرة، أو بتحريض من رؤوس قريش المشركة أولا، والمنافقة أخيرا..

وهذا ما صرح به عمرو بن هشام المخزومي أبو الجهل بقوله: (تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه! والله لا نؤمن به أبدا، ولا نصدقه!)^(٢).

ولما قال رسول الله ﷺ لقريش: إن الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدنيا وأجر الملك إليكم، فأجيبوني إلى ما أدعوكم إليه تملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، وتكونوا ملوكا في الجنة.

فقال أبو الجهل (أو رأس بني أمية صخر بن حرب أبو سفيان): اللهم إن كان هذا الذي يقوله محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، حسدا لرسول الله ﷺ، ثم قال: كنا وبنو هاشم كفرسي رهان، نحمل إذا حملوا، ونطعن إذا طعنوا، ونوقد إذا أوقدوا، فلما استوى بنا وبهم الركب، قال قائل منهم: منا نبي! لا نرضى بذلك أن يكون في بني هاشم، ولا يكون في بني مخزوم!!^(٣)

(١) (نظريات الخليفين - الشيخ نجاح الطائي ج ١ ص ٣٤ بتصرف)

(٢) ابن هشام في: ١٠ / ٢٠٧

(٣) (في عيون الأثر: ١ / ١٤٦، وابن كثير في سيرته: ١ / ٥٠٦ وفي تفسير القمي: ١ / ٢٧٦)

فالعداء القرشي لبني هاشم صُبَّ كله على الإسلام العظيم ورسوله الكريم ﷺ حتى تحول إلى حقد غرس في القلوب، وحسد نبتت عليه الأجساد القرشية، لا سيما بعد أن كسر شوكتهم وقتل رجالهم، وقطع رؤوسهم الجاهلية، ابتدأت يوم بدر الكبرى بسبعين من كبار طغاتهم يصفهم عثمان الأموي (بشئوف الذهب) فكيف يحبونه أو يؤمنون به وبربه وهو الذي كسّر لهم أصنامهم كلها، وسفّه أحلامهم وسخر من تفاهة عقولهم لعبادتهم الأصنام الحجرية، والأوثان الخشبية.. وغيرها من الآلهة الزائفة يوم جاء بالإسلام إلى ربوعهم.

فالإسلام وما يدعو إليه من التوحيد بحدّ ذاته كان كبيرة من الكبائر التي ارتكبتها محمد بن عبد الله ﷺ، ونسب محمد الهاشمي تهمة أخرى لا تقل عن الأولى إذا لم تزد عليها.. فكيف إذا اجتمع الدعوة إلى التوحيد، والنسب الهاشمي المشرف، وقطع رؤوسهم المشركة والكافرة، وغزوهم في قعر دارهم، وفتح مكة أمام الدعوة ورجالها الأبطال؟ فتللك هي الطامة الكبرى بنظرهم، والجريمة العظمى بحقهم، فحملوها على محمد، وآله الأطهار، ورجال الأبرار..

إلا أن الله تعالى بعظمته ورأفته ورحمته نزع كل ذلك من قلوبهم تجاه رسوله الكريم فقط، ليبقى الرمز، والعلم الذي لا يدانى، والراية التي يلتف حولها الجميع دون استثناء.. وهذا ما نأخذه عن مولانا الإمام الثامن من أئمة المسلمين الرضا من آل محمد ﷺ..

فلقد سأله المأمون العباسي في مجلس طويل من مجالسه العلمية قائلاً: لله درك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(١)

قال الإمام الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَأَصْبِرُوا عَلَيَّ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِهَةِ الْأَخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا آخِلَقٌ ﴿١﴾﴾

فلما فتح الله ﷻ على نبيه مكة قال له: يا محمد ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ عند مشركي أهل مكة بدعائك إياهم إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لا يقدر على إنكار التوحيد عليه ﷺ إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم مغفورا بظهوره عليهم ^(٢).

(١) (ص: ٥-٧)

(٢) (الاحتجاج الشيخ الطبرسي: ج ٢ ص ٢٢١)

الإمام علي (عليه السلام) مَنْ حمل آثام الإسلام

ولكن من حمل تلك الآثام العظام
عند قريش بعد أن نزعها ربنا عن رسوله
الكريم ﷺ؟ تلك هي المسألة الهامة
التي أود أن أشير إليها عاجلاً لأن المقام
لغيرها هنا..

الذي تحمل آثام العرب - كما يقال - هو نفس الرسول، وأخاه،
وصهره، وابن عمه، ووالد ذريته، ووصيه، ووارثه، وشريكه في دعوته،
وسيفه البتار، ولسانه وقرآنه الناطق، وعيبة علمه وباب مدينته النورانية،
وخير أهل الأرض (خير البرية) من بعده، صاحب المآثر الكبرى،
والخصائص العظمى، والفضائل الكثيرة، والشمائل الغزيرة، الذي
بايعته الأمة مرارا بأمانة المؤمنين من يوم الدار وأندر عشيرتك الأقربين،
وحتى يوم الغدير الأغر..

نعم؛ الذي تحمل آثام الإسلام - بنظر قريش ومن دار بفلكهم -
أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته الأطهار الأبرار

ومن قال بإمامتهم ودار بفلكهم..

وهذا ما حاول أن يكتبه الأولون، وأظهره الأمويون بكل صراحة ووقاحة على رؤوس الأشهاد.. ولا أراك تحتاج إلى دليل بل ارجع إلى أفعال عثمان بن عفان الذي غرس بني أمية في كل مفاصل الدولة الإسلامية، وأعطاهم كل الصلاحيات بل ولم يسألهم عن شيء حتى طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، فصبوا على الأمة سوط الاقتتال إلى اليوم الموعود فإن آخر من يحارب مهدي آل محمد ﷺ سيكون السفيناني اللعين (لأنه من نسل أبي سفیان الأموي)..

فبني أمية كانوا طاعون هذه الأمة، أو ما يشبه الغدة السرطانية القاتلة في الجسد الإسلامي الفتى.. ولكم يؤسفني أن أقرأ في هذا العصر عصر كشف الحقائق الكبرى والحرية بطرح الأفكار لغربلتها وطرح المكذوب منها.. كلمات المديح والإطراء لبني أمية اللعناء بلسان الوحي الأقدس، ولسان الرسول المقدس ﷺ وعلى السنة صلحاء هذه الأمة ومنصفوها جميعاً..

كمن يقول: (وكان في تكريمه (أبو سفیان) صورة المستقبل لأن الثورة الإسلامية بحاجة أيضاً إلى السواعد الأموية.. ولم تكذب الأيام حدس الرسول العربي فقد حمل بنو أمية راية الثورة الإسلامية خلال بضع وتسعين سنة في فترة تعتبر غرة في تاريخنا العربي المجيد..)

بالله عليك - أيها العزيز - هل ترضى بهذا الكلام العجيب الغريب؟ فأين آية الشجرة الملعونة بالقرآن؟ وأين كل تلك الأحاديث التي يلعن بها رسول الله ﷺ أبا سفیان وذريته؟ وأين تلك الروايات الأمرة بقتل معاوية وبني أمية إن نزوا على المنابر نزو القردة؟

وأية غرة تلك التي سُبَّ فيها أهل البيت النبوي الأطهار عليهم السلام أكثر من أربعين سنة، وعلى رأسهم وسيدهم أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين وأول الصحابة أجمعين وأقرب المقربين للرسول العربي ذاك الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام المظلوم المحارب من قريش؟

فمن خزايا التاريخ العربي أن تعتبر حقبة بني أمية غرّة وهي بالحقيقة سبّة وعارا على الأمة الإسلامية إن اعتبرتهم منها.. وصدقتهم ووافقتهم على أعمالهم بأهل البيت الأطهار عليهم السلام؟

فالإسلام بريئا منهم لأنه لعنهم ولم يقر أعمالهم أبدا.. والمسلمون بريؤون منهم لأنهم يبرؤون من أعمالهم، فمن يوافق على رمي القرآن الكريم بالنبل لأنه يوعد الجبار العنيد؟

من يوافق على سَمِّ الإمام الحسن السبط عليه السلام الذي سالمهم حفاظا على الأمة ولمّا شملها وتقوية لأركانها؟

ومن يوافق على قتل الإمام الحسين السبط الشهيد عليه السلام وأهل بيته على تراب كربلاء فأبادوا أهل البيت ولم يسلم منهم إلا الإمام علي السجاد عليه السلام وبعض النساء والأطفال؟

ومن يوافق الأمويين على دكّ الكعبة المشرفة بالمنجنيق وتدميرها وحرقتها وتسويتها بالأرض لقتل ابن الزبير الذي عليه نصف عذاب هذه الأمة؟

ومن يوافقهم على وقعة الحرّة بالمدينة النبوية الشريفة واستباحتها أمام جيوشهم الغازية كأنها من بلاد الخزر المشركة؟

ومن يوافق معاوية بن أبي سفيان على دفن الإسلام عندما قالها مصرحا غير ملوح للمغيرة بن شعبة: لا والله إلا دفنا، دفنا لأنهم يذكرون

اسم محمد ﷺ بالأذان عشر مرات باليوم، ولا يذكرون أباسفيان أبدا.؟
 تلك هي أعمالهم، بل تلك هي مخازيهم، معلنة ظاهرة لا تحتاج
 إلى إيضاح أو شرح بل تحتاج إلى إيمان بالإسلام ليقول الإنسان أن
 هؤلاء ليسوا من المسلمين في شيء بل هم أعداء الدين الإسلامي بداية
 ونهاية.. ولا تحتج عليّ بأنهم من الخلفاء والسلطين فقد نهى رسول
 الله ﷺ عن تسليمهم أمانة، ومن صعد على المنبر يقتل، وأصلا كل
 الطلقاء وأبناءهم لا يجوز أن يستلموا منصبا في الدولة الإسلامية وراجع
 كتب الفقه عندك..

فالإمام علي ﷺ ذاك العملاق العظيم، ذاك البطل الذي ليس له
 مثيل يُقضى عن الحياة العامة في الدولة الإسلامية، بل كان يعمل عند
 اليهود، ويستقرض منهم إذا ما احتاج لشيء ولمدة ربع قرن من الزمن..
 لماذا يا أمة الخير ألم تسألوا أنفسكم.؟

ولما قتلوا خليفتهم عثمان بن عفان الأموي بتحريض من عائشة
 القرشية، وقيادة مباشرة من طلحة ابن عمها، والزبير بن العوام زوج
 أختها القرشيان كذلك.. تراكضوا إلى أمير المؤمنين ﷺ وهو البرئ من
 أي تبعة لدم عثمان، وبإيعوه راضين فرحين بأمارته عليهم لأنه وجبهم
 وعرضها عليهم قبل أن يقبل بها، وقال لهم: أنا لكم وزير خيرا لكم مني
 أمير، ومن بايعتم رضيت به ولعلي أطوعكم..

فلم يقبلوا منه حتى بإيعوه بكل سرور وفرح، وما أن تمت البيعة
 ووزع المال بالعدل والسوية والولايات بالجدارة والأهلية..حتى بانت
 الأنياب المكشورة، وظهرت المخالب الجارحة، وبدأت النوايا على
 حقيقتها من قريش تجاه العهد العلوي الجديد..

فراسل معاوية المتقاعس عن نصرة ابن عمه المحاصر عثمان لأنه عرف بدهائه؛ أنه إذا لم يقتل عثمان لا طريق له إلى الخلافة والحكم، فاللازم أن يقتل ابن عمه الخليفة ليطالب بدمه لأنه ولي الثأر وهذه خطته كائنا من كان يتولى الخلافة، فإذا لم يضمن البقاء بالسلطة وتوسيعها فإن الخليفة هو قاتل ابن عمه عثمان..

فعثمان الذي قارب التسعين من عمره ليس له أية فائدة لبني أمية إلا أن يكون جسرا للعبور إلى الخلافة الإسلامية بعد أن وزعهم في الولايات وسلطهم على مقدرات الأمة، فتسلموا الجيوش، وحبسوا الأموال لهم، وسرقوا ونهبوا بيوت الأموال من أجل شدّ الجسر لهم لضمان الوصول إلى السلطة..

فأي ذنب لأmir المؤمنين الإمام علي عليه السلام عند قريش ليحاربوه ولم ينتظروا عليه لا سنة ولا شهرا ولا حتى اسبوعا واحد بعد بيعته النورانية؟ وأين هو من دم عثمان بن عفان فكان أشد الناس دفاعا عنه كما يقولون ويعترفون أنفسهم وتشهد بذلك كتب التاريخ كله حتى تلك التي كتبت من كتاب بني أمية كأبي الفرج الأصفهاني المرواني؟

سبحان الله ما أشبه اليوم بالأمس فاليوم - وعلى سبيل المثال - سورية: إذا لم تفك ارتباطها الإستراتيجي مع إيران، وتتوقف عن دعم المقاومة في لبنان وفلسطين والعراق وتسلم نفسها وشعبها إلى إسرائيل باستسلام سياسي مذل، وبالتالي تسير بالمخطط الأمريكي وتدور بالفلك الصهيوني الأسود.. هي مجرمة وليست متهمة فقط بقتل رفيق الحريري وصحبه..

وإذا فكت كل ذلك وفعلت كل ما تطلبه إسرائيل على لسانها البغيض أو بلسان أمها الأبخض الولايات المتحدة.. فهي إذن بريئة من دم

الحريري براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليه السلام.. أي شيء غير هذا في سياسة منطقتنا الشرق أوسطية اليوم؟

وبني أمية كانوا يتحدثون بذات المنطق ونفس الأسلوب.. فلو سلم أمير المؤمنين عليه السلام طلحة البصرة، والزبير بن العوام الكوفة، وبعث إلى معاوية ولايته على الشام، ووزع الأموال على الأحزاب القرشية كما أحدثها عمر بن الخطاب وميَّز الناس بالعطاء فأوجد الطبقات الإجتماعية بمال الدولة ذاتها بدل أن يحارب الطبقات التجارية المترفة لمنعها من الإحتكار أو الإستئثار بالمال والإقتصاد.. فهل كان علي بن أبي طالب عليه السلام هو من قتل الخليفة عثمان بن عفان؟

لا والله بل كان سيصبح أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين، ويدعى له على المنابر ويسبَّح بحمده، وتشكر فعاله لديهم، ويقلُّ عتابه منهم، ويكون ابن عمهم هاشم، وسيد قريش بدون منازع له من أحدهم لأنه أمير المؤمنين الأعلم والأعظم..

ولكنه عندما بويع بالخلافة ساوى بين الجميع بالعطاء وأخذ مسحاته وراح إلى أرضه يعمل بها، وتركهم يوزعون الأموال لكل شخص ثلاثة دنائير (أو دراهم)، ولما جاء طلحة والزبير وأخذا نصيبهما من العطاء نظرا إليها باستخفاف واستهزاء لأنهم من أصحاب الملايين، وكان عثمان يعطيهم بالبُّهَّار (جلد ثور) من الذهب ورغم ذلك أحاطوا به حتى قتلوه فكان عليه السلام يقول: ويل لابن الصعبة (طلحة) أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل..

وقال لمن عاتبه على التسوية بالعطاء: أتأمرني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير، وأمَّ نجم في السماء

نجمًا.. لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله..^(١)
وقال لطلحة والزبير عندما اعترضوا على العطاء: وأما ما ذكرتما من
أمر الأسوة (التسوية) فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليته هوى
مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله ﷺ قد فرغ منه..^(٢)
فالقراآن الكريم شرع التسوية بالعطاء، والرسول ﷺ ساوى الأمة
بالعطاء المالي فلماذا الإعتراض فهل هو من فقر وحاجة ملحة؟
إليك الجواب بالإشارة فقط..

(١) (النهج نخ ١٢٤)

(٢) (النهج نخ ٢٠٣)

أرقام مالية في الدولة الإسلامية

أرى هنا من الضروري أن نورد بعض الأرقام المالية لتبين أن المال القرشي فعل فعلته بنشوء الصراع وتغذيته واستمراره.. فقد ذكرت أرقام خيالية لا يمكن تصورها لدى بعض رؤوس قريش كطلحة والزبير وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم هذا عدا عن الحكام ك معاوية الذي كانت له الشام ملكا متوارثا..

علما أن النظرية الإسلامية في الأموال أنها أموال الأمة ويتم تقسيمها بالسوية بين الجميع حتى لا تكون دولة بينهم.. والمشرع الأعظم ﷺ يقول فيما أخرجه البخاري: إنما أنا قاسم وخازن والله يعطي. ويقول: ما أعطيتكم ولا أمنعكم إنما أنا قاسم حيث أمرت. وفي لفظ: والله ما أوتيكم من شيء ولا أمنعكموه، إن أنا إلا خازن أضع حيث أمرت^(١)..

(١) (صحيح البخاري ٥: ١٧، سنن أبي داود ٢: ٢٥، طرح التثريب ٧: ١٦٠)

ولكن النظرية الأموية بالأموال لدى عثمان تقول: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم. ولا يصيخ إلى قول عمار يوم ذاك: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك. وبين شفثيه قوله: لناخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام. ولا يعبا بقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك الموقف: إذا تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه..

قبل أن أعطيك بعض الأرقام أذكرك بأن هؤلاء من المهاجرين الذين كانوا لا يملكون من الطعام، أو اللباس، أو الأموال شيء إلا عثمان فإنه من أثرياء بني أمية وأما غيرهم فلا اعتبار لهم مالياً..

١. الزبير بن العوام

خلف كما في صحيح البخاري في كتاب الجهاد باب بركة الغازي: إحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر، وكان له أربع نسوة فأصاب كل امرأة بعد رفع الثلث ألف ألف ومائتا ألف. قال البخاري: فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف^(١).

وقال ابن الهائم: بل الصواب أن جميع ماله حسبما فرض: تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف^(٢)..

وصرح ابن بطل والقاضي عياض وغيرهما: بأن الصواب ما قاله ابن الهائم، وإن البخاري غلط في الحساب. كذا نجدها في صحيح البخاري وغيره من المصادر غير مقيدة بالدرهم أو الدينار غير أن في تاريخ ابن

(١) (في ماله ج ٥: ٢١)

(٢) (شراح البخاري، راجع فتح الباري، إرشاد الساري، عمدة القاري، شذرات الذهب ١،

كثير ٧: ٢٤٩ قيدها بالدرهم. وقال ابن سعد في الطبقات ٣: ٧٧
كان للزبير بمصر خطط، وبالاسكندرية خطط، وبالكوفة خطط،
وبالبصرة دور، وكانت له غلات تقدم عليه من أعراض المدينة.
وقال المسعودي في المروج ١: ٤٣٤، خلف ألف فرس وألف عبد
وألف أمة وخططا.

٢. طلحة بن عبيد الله التيمي

إبنتى دارا بالكوفة تعرف بالكناس بدار الطلحتين، وكانت غلته من
العراق كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك وله بناحية سراة (بين
تهامة ونجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء) أكثر مما ذكر، وشيّد
دارا بالمدينة وبنائها بالأجر والجص والساج.

وعن محمد بن إبراهيم قال: كان طلحة يغلُّ بالعراق ما بين أربعمئة
ألف إلى خمسمئة ألف، ويغلُّ بالسراة عشرة آلاف دينار أو أكثر أو أقل.
وقال سفيان بن عيينة: كان غلته كل يوم ألف وافيًا. والوافي وزنه وزن
الدينار..

وعن موسى بن طلحة: إنه ترك ألفي ألف درهم، ومائتي ألف درهم
ومائتي ألف دينار، وكان ماله قد اغتيل (سرق).

وعن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: كان قيمة ما ترك طلحة من
العقار والأموال وما ترك من الناض (الدرهم والدينار) ثلاثين ألف
درهم، وترك من العين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار
والباقي عروض.

وعن سعدى أم يحيى بن طلحة: قتل طلحة وفي يد خازنه ألفا ألف

درهم ومائتا ألف درهم، وقوّمت أصوله وعقاره ثلاثة ألف ألف درهم.
وعن عمرو بن العاص: أن طلحة ترك مائة بُهَّار في كل بُهَّار ثلاث
قناطير ذهب (وسمعت إن البهار جلد ثور، أو جلد جمل). وفي لفظ ابن
عبد ربه من حديث الخشني: وجدوا في تركته ثلاثمائة بهار من ذهب
وفضة.

وقال ابن الجوزي: خلف طلحة ثلاثمائة جمل ذهبا.
وأخرج البلاذري من طريق موسى بن طلحة قال: أعطى عثمان
طلحة في خلافته مائتي ألف دينار^(١).
وسأتي عن عثمان قوله: ويلى علي ابن الحضرمية (يعني طلحة)
أعطيته كذا وكذا بهارا ذهبا وهو يروم دمي ويحرّض علي نفسي.

٣. عبد الرحمن بن عوف الزهري

قال ابن سعد: ترك عبد الرحمن ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة
فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحا. وقال:
وكان فيما خلفه ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه،
وترك أربع نسوة فأصاب كل امرأة ثمانون ألفا. وعن صالح بن إبراهيم بن
عبد الرحمن قال: صالحنا امرأة عبد الرحمن التي طلقها في مرضه من
ربع الثمن بثلاثة وثمانين ألفا. وقال اليعقوبي: ورثها عثمان فصولحت
عن ربع الثمن على مائة ألف دينار. وقيل: ثمانين ألف. وقال المسعودي:

(١) (راجع طبقات ابن سعد ٣ : ١٥٨ ط ليدن، الأنساب للبلاذري ٥ : ٧، مروج الذهب ١ : ٤٣٤،
العقد الفريد ٢ : ٢٧٩، الرياض النضرة ٢ : ٢٥٨، دول الاسلام للذهبي ١ : ١٨. الخلاصة
للخزرجي ص ١٥٢)

إبتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ بعد وفاته ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً^(١).

٤. زيد بن ثابت

المدافع الوحيد عن عثمان، قال المسعودي: خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار^(٢).

هذه نبذ صغيرة سجلتها كتب التاريخ المعتبرة مما وقع فيه البزخ والتفريط المالي على عهد عثمان، ومن المعلوم - بل والبديهي - إن التاريخ لم يحص كلما كان منها من عظام الأمور المالية شأنه في ذلك شأن أكثر الحوادث والفتن ولا سيما الأرقام والأموال الناتجة عن الرشاوي وشراء الضمائر وبيع المواقف السياسية كما هو معلوم في دنيا السياسة الرهيب..

٥. عثمان بن عفان

وقبل أن نتجاوز المقام لأبأس بالإلتفات إلى حال الخليفة نفسه، فما هي ثروته التي حفظها التاريخ عنده؟

قالوا: أما ما اقتناه الخليفة لنفسه فحدث عنه ولا حرج، كان ينضد أسنانه بالذهب ويتلبس بأثواب الملوك قال محمد بن ربيعة: رأيت على

(١) (راجع طبقات ابن سعد ٣: ٩٦ ليدن، مروج الذهب ١: ٤٣٤، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤٦، صفة

الصفوة لابن الجوزي ١، ١٣٨، الرياض النضرة لمحّب الطبري ٢: ٢٩١)

(٢) «مروج الذهب ١: ٤٣٤».

عثمان مطرف خز ثمن مائة دينار، فقال: هذا لنائلة (هي زوجة عثمان بنت الفرافصة) كسوتها إياه، فأنا ألبسه أسرها به.

وقال أبو عامر سليم: رأيت علي عثمان بردا ثمنه مائة دينار^(١).

قال البلاذري: كان في بيت المال بالمدينة سقط فيه حُلِي وجوهر فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه فقال: هذا مال الله (وأنا خليفته) أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم.. وفي قول آخر له: لناخذن حاجتنا من هذا الفيء ولئن رغمت أنوف أقوام.

فقال له الإمام علي عليه السلام: إذا تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه.

وجاء إليه أبو موسى كَيْلَة ذهب وفضة فقَسَّمها بين نسائه وبناته، وأنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره^(٢).

وقال ابن سعد في الطبقات: كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون ألف درهم وخمسمائة درهم، وخمسون ومائة ألف دينار فانتهبت وذهبت وترك ألف بعير بالربذة وصدقات ببراديس وخيبر ووادي القرى بقيمة مائتي ألف دينار^(٣).

وقال المسعودي في المروج: بنا في المدينة دارا وشيدها بالحجر والكلس وجعل أبوابها من السَّاج والعرعر، واقتنى أموالا وجنانا وعيونا بالمدينة، وذكر عبد الله بن عتبة: إن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من

(١) (طبقات ابن سعد ٣: ٤٠، أنساب البلاذري: ٣: ٤، الاستيعاب في ترجمة عثمان ٢: ٢٧٦)

(٢) (٤٧٦)

(٢) (الصواعق المحرقة ص ٦٨، السيرة الحلبية ٢: ٨٧)

(٣) (الطبقات الكبرى ٣: ٥٣)

المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف خيلا كثيرا وابلا. وكان له ألف مملوك^(١)..

وهذه صورة بسيطة متخذة من أرقام أعطيات الخليفة الراشدي الثالث عثمان، فتأمل بهذه الأموال والكنوز العامرة ببركته..

العملة الدينار الأعلام والأشخاص

٥٦٠ ، ٢ عبد الرحمن

٥٠٠ ، ٥٠٠ مروان

٥٠٠ ، ٥٠٠ يعلى بن أمية

٢٠٠ ، ٢٠٠ طلحة

٢٠٠ ، ٢٠٠ عثمان الخليفة

١٥٠ ، ١٥٠ عثمان الخليفة

١٠٠ ، ١٠٠ ابن أبي سرح

١٠٠ ، ١٠٠ زيد بن ثابت

٣١٠ ، ٤ المجموع

أربعة ملايين وثلاثمائة وعشرة آلاف دينار.

العملة الدرهم الأعلام والأشخاص

٨٠٠ ، ٥٩ الزبير

٣٠ ، ٣٠ ، ٣٠ طلحة

(١) (المروج ١: ٤٣٣)

١٠٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢ طلحة

١٠٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢ آل الحكم

١٠٠٠ ، ٦٠٠ عبد الله

١٠٠٠ ، ٣٠٠ الحكم

١٠٠٠ ، ٣٠٠ عبد الله

١٠٠٠ ، ٣٠٠ الحارث

١٠٠٠ ، ٢٥٠ ابن أبي وقاص

١٠٠٠ ، ٢٠٠ أبو سفيان

١٠٠٠ ، ١٠٠ سعيد

١٠٠٠ ، ١٠٠ الوليد

١٠٠٠ ، ١٠٠ مروان

١٠٠٠ ، ٥٠٠ ، ٣٠ عثمان الخليفة

١٠٠٠ ، ٧٧٠ ، ١٢٦ المجموع

إقرأ ولا تنس قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في عثمان: قام نافجا
حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل
نبتة الربيع.

وقوله في أول خطبة له عليه السلام بعد البيعة النورانية لمولانا أمير
المؤمنين عليه السلام، والتي ذكرها الكلبي مرفوعة إلى ابن عباس قال: إن
علياً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: ألا إن كل
قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت

المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عنه أضيق^(١).

أي أن: كل الأراضي والبساتين، والقرى والدور، والأموال كلها عائدة لبيت المال العام.. فإن الأربع ملايين وثلاث مائة وعشرة آلاف من الدينانير؛ ومائة وستة وعشرون مليوناً وسبعمائة وسبعون ألف درهما وكل قطيعة أقطعها عثمان بدون استحقاق، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال..

بقي هنا أن نسأل الخليفة عن علة قصر وحصر هذه الأثرة على المذكورين من بني أمية ومن جرى مجراهم من زبانياتهم، فهل خلقت الدنيا لأجلهم؟ أو أن الشريعة منعت عن الصلوات وإعطاء الصدقات للصلحاء الأبرار من أمة محمد ﷺ كأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود إلى نظرائهم؟ فيجب عليهم أن يقاسوا الشدة، ويعانوا البلاء، ويشملهم المنع فهم ما بين منفي في البلاد حتى الموت، ومضروب حتى الفتق والكسر، ومهان حتى الذل، وهذا سيدهم ومولاهم أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن بني أمية ليفوقوني تراث محمد عليه السلام تفويقا^(٢)..

أي يعطونني من المال قليلاً، قليلاً كفواق الناقة. وهل الجود هو بذل الرجل ماله وما تملكه ذات يده؟ أو جدحه من سوق غيره؟ أي جوده من كيس غيره، (وهو مثل لمن يجود من مال غيره) كما كان يفعل الخليفة.

(١) (النهج: ٤٦/١، شرحه ٩٠/١)

(٢) (النهج: ١٢٦ / ١)

ونضم صوتنا لصوت شيخنا الأمين وسؤاله: ليتني وجدت من يحير جوابا عن مسألتني هذه؟ أما الخليفة فلم أدركه حتى استحفني منه الخبر، ولعله لو كنت مستحفيا منه لسبقت الدرّة الجواب. نعم يعلم حكم تلکم الأعطيات والقطائع وقد أقطع أكثر أراضي بيت المال^(١)

وربنا أصدق القائلين الذي يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَفْتَىٰ ﴿٢﴾﴾ فالمال يطغي، بل هو من أشد عوامل الطغيان في هذه الحياة وهؤلاء الرهط من الصحابة القرشيين - عدا الأمويين طبعاً - عندما هاجروا إلى المدينة المنورة كانوا لا يملكون قوت يومهم، وما أن دارت الأيام ربع قرن فقط حتى صاروا يملكون كل هذه الأموال الطائلة فيحق لهم ما لا يحق لغيرهم فرجعوا إلى النظرية الإسرائيلية بالقيادة ﴿قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾

تلك رؤيتهم للقيادة، ولكن للنبي رأي آخر: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسَدِ﴾^(٣)

ولا غرو في ذلك ألم يخبرهم رسول الله ﷺ بقوله: لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، أو حذو النعل بالنعل، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.. وهم بنو اسرائيل بلا خلاف..

وسياتيك الحديث مفصلاً ولكن ضع هذه الملاحظة في ذهنك الصافي حتى لا تضيع عليك المسائل وتتيه في زحمة الإجتهدات المدافعة عن الصحابة وكأن الصحبة شيء مقدس في ذاتها أو أنها امتياز

(١) (كما في السيرة الحلبيّة) .. (راجع في الباب، الغدير للشيخ الأميني ١٨٠/٨ بتصرف)

(٢) (العلق: ٦-٧)

(٣) (البقرة: ٢٤٧)

سياسي صنّعه الظروف القاهرة التي فرضتها الحكومات الأموية المعادية
للأمة الإسلامية بكل معاني العدا..

الفصل الثاني: الإمام علي(ع) الشخصية والخصائص

أ. شخصيته (ع)

من أبجديات البحث أن يدرس الباحث الشخصيات القيادية البارزة، والرجالات الكبار في موضوع البحث.. كيف هذا والبحث تاريخي بالإجمال وعسكري بالإختصاص، وعقائدي في البداية والنهاية لأننا لا يمكن أن نفصل عن ديننا في هذا البحث أو أي بحث آخر له صلة بتاريخنا وعقائدنا الإسلامية والإيمانية؟

كيف هذا وشخصية المحور في هذا البحث هي شخصية عملاقة كشخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الشخصية الثانية في هذا الوجود المحدود، والحضور المشهود؛ وأما عالم الغيب اللامحدود واللامشهود فهو الضمير والمدير والسّرّ وسرّ السّرّ..

فالبحث عن الإمام علي عليه السلام هو - بالحقيقة - بحث عن الإيمان كله؛ بكل تجلياته - علميا نظريا، وعمليا تطبيقيا - ولا تترك مفردة

واحدة تغيب عن بالك في ذلك..

فهو - روعي له الفداء - كان كل الإيمان في معركة الخندق (الأحزاب) وما بعدها كما وصفه الصادق الأمين الرسول الأعظم ﷺ عندما برز لعمر بن عبد ود العامري البطل الصنديد وفارس يليل: برز الإيمان كله إلى الشرك كله^(١)..

هذا بالعام والكلي، وأما في الجزئيات وبسائط الأشياء فإن النظر إلى وجهه الشريف عبادة، وذكره صلاة وعبادة، وحبه عنوان لصحائف المؤمنين في الدنيا والآخرة، وتذاكر فضائله بيننا ينزل الملائكة الكرام من السماوات العلى، ويرفع الدرجات ويحط السيئات وينير القلوب ويرفع الظلمات..

ولقد قالوا - منذ ولادته وإلى اليوم وحتى آخر يوم من عمر الدنيا - فيه الكثير، الكثير واختصروا بأدب، وأطنبوا بجميل من المديح والثناء، والإكبار والإعظام والإجلال من كل الطبقات وفي كل المذاهب الإسلامية، بل وحتى من كل الأديان السماوية.. والمذاهب الأدبية من الغرب والشرق، وكذلك الشمال والجنوب، ومن العدو قبل الصديق..

وعليه فإن كل الأقوال تلك هي أقل من القليل وقطرة من يَمِّ محيط بحق ذاك العملاق العظيم؛ المسمى من العلي الأعلى أمير المؤمنين، والمنصوب إماما للمسلمين، وقائدا للغر المحجلين مولى الأولياء وسيد الأوصياء الإمام علي بن أبي طالب (عليه آلاف التحية والصلاة والسلام بما هو أهله)..

نعم؛ أميرنا وإمامنا علي عليه السلام قد تجلّت فيه كل آيات العظمة

(١) (غزوات أمير المؤمنين عليه السلام: ص ١١٦)

الإنسانية في هذا الوجود فغدا صورة حقيقية، ونسخة طبق الأصل واقعية عن ابن عمه عظيم العظماء، وسيد ولد آدم وحواء عليهما السلام الحبيب المصطفى محمد بن عبد الله (عليه صلوات الله والمصلين وعلى آله الميامين) وليس لهما ثالثا في الوجود أبدا..

فالحياة الإنسانية تمخضت بعد إعسار، وأنتجت بعد إحصار، فأعطت كل ما فيها من عظمة ونبل، وقيم وشيم، وفضل وفضائل، وخير وبركة، وسؤدد وشهامة، وأخلاق ومثل.. وأنجبت لهذا الوجود الموجود الأقدس، وقطب الدائرة.. الحق الأبلج والنور الأبهج.. الرسول الخاتم والحبيب الحاكم على الحياة برمتها، لأنه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَبَّيْتُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)

فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم خلق الله، وأحبهم إليه؛ وهو بالحقيقة (معجزة الخالق للمخلوق) هذا الموجود المعظم، والرسول المكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي مثل الإنسان الكامل في كل الفضائل، فقال صلى الله عليه وسلم: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق..

فأعطاها للحياة نظرية علمية، ومثلها في المجتمع البشري شخصا فكان الإنسان الأكمل، والمثل الأجل للإنسان في هذه الحياة كلها..

هذا الرسول الكريم، وهذا القائد العظيم صلى الله عليه وسلم كان له ربيب درج في بيته الشريف، وتربى في حجره المنيف.. فاستقى منه الزلال وارتقى

(١) (الفتح: ٢٩)

به ذرى الكمال.. وتسامى به وصعد سلالم المجد فتربع على قمتهما
الباسقة، فصار بحيث (ينحدر عنه السيل، ولا يرقى إليه الطير..) فلا
تناله الأيدي، وتقصر عنه الأوهام والأفكار، وترتد عنه الأبصار، فتبارك
الخالق العظيم..

ذاك الربيب النجيب، والقريب الحبيب الذي كان ومنذ البداية مميزاً،
ومؤهلاً لكل مكرمة وفضيلة.. فكان يعطيه الرسول المربي كل ما حاز من
رسالة وعظمة، فأفضى إليه حتى اكتمل من الفضائل والقيم، وكان كلما
كبر ونمى ازداد تطلعاً للمزيد الأكمل والنماء الأجمل في هذه الدنيا التي
عرف حقيقتها الزائلة فأخذ منها زاده والراحلة، وترك كل ما فيها لأهلها..

نعم؛ رباه رسول الله ﷺ، وغذاه بالعلم والأدب حثوا بدون حساب،
وكثيراً مستمراً بدون انقطاع.. منذ أن كان طفلاً، إلى أن أصبح كهلاً،
وحتى آخر لحظاته الشريفة في هذه الحياة ضمه إلى صدره الشريف
وعلمه ألف باب (وفي رواية ألف، ألف (مليون) باب من العلم، يفتح له
من كل باب ألف باب..

وإليها علوية ناصعة من خطبة له ﷺ سموها بالقاصعة تنبئك
عن تلك التربية النبوية بل الإلهية بكل جدارة، ونقاء وطهارة، اسمعه
يقول:

(.. أنا وضعت في الصفر بكلاكل العرب؟ وكسرت نواجم قرون ربيعة
ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة، والمنزلة
الخصيصة، وضعتني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكنفني في
فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما
وجد لي كذبه في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به ﷺ من لدن
أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن

أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر امه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاعتداء به..

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلت: يا رسول الله؟ ما هذه الرنة؟ وقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلى خير^(١).

إن هذه الصورة التربوية الرائعة التي ينقلها لنا وللأجيال وللحياة برمتها الإمام علي عليه السلام بنفسه عن أساليب حضارية، وطرق تربوية إلهية.. وكيفية التعامل التربوي الذي كان يتبعه النبي الأكرم ﷺ معه منذ البداية ومن اللحظات الأولى التي أخذه بها من عمه أبي طالب ليكفله كرد ووفاء لعمه وكافله الكبير أبو طالب عليه السلام، وحباً وأثرة وكرامة لفتى الفتيان وليد الكعبة المقدسة الإمام علي عليه السلام..

وكل ذلك يكشف لنا عن الحقيقة الكبرى والأبعاد المختلفة والأهداف الاستراتيجية من تلك الرعاية النبوية الخاصة للإمام علي عليه السلام: ألا وهي التهيئة الكاملة لمنصب الخلافة والنيابة والقيادة والولاية العظمى على الأمة بعد رحيل الرسول القائد عن هذه الدنيا..

وللعملية التربوية النبوية لأمير المؤمنين عليه السلام مرحلتان..

المرحلة الأولى: وهي مرحلة الطفولة والفتوة وفيها تغرس أصول التربية..

(١) (نهج البلاغة : الخطبة القاصعة)

إن هذه التربية المخصصة للإمام علي عليه السلام، والرعاية الفائقة له، والحرص الشديد والدائم على أن يكون الإمام علي عليه السلام قريبا جدا من أنوار الوحي، وأن يكون متعرضا لنفحات النبوة، ويشم ريح الوحي المقدس، يرى النور ويسمع الكلام بأذنه الواعية ويحفظه بقلبه الكبير ويعقله عقل دراية حتى غدا (القرآن الناطق، ومفسر القرآن الصامت..).

وعليه فإن يكون ثالث ثلاثة في بيت الرسول القائد عليه السلام حيث مهبط الوحي ومنبع النور، إنما كان ذلك ليتلقى الإمام علي عليه السلام في هذا المكان المشرف الدروس التربوية الأولى، ليتفتق النبوغ، وتتفتح العبقرية البشرية عن برعم نوراني قلّ نظيره، وندر مثيله فكان يتيمة دهره ووحيد زمانه؛ فمن كافتى علي وأبوه شيخ الأباطح وبيضة البلد (أبو طالب) عبد مناف بن شيبه الحمد (عبد المطلب) بن ملك العرب وحاكمها ومفخرتها عمرو العلي (هاشم) بن عبد مناف؟

هذه الأرضية المتميزة، وتلك القابلية المتفتحة، وهذه الهمة العالية جعلت من الفتى علي قلعة شموخ، وبركان حيوية ونشاط، فكان مستعدا كل الاستعداد لتلقي الألفاظ الربانية، والتشريعات الإلهية، والتوجيهات النبوية مباشرة بأريحية تامة، وانسراح كامل لها، فانعكس ذلك على تكوينه العقائدي والفكري والروحي والنفسي فكان كل متكامل من العقيدة الإيمانية، والفضائل الأخلاقية..

فلم يخالط عقله لحظة شرك واحدة حتى وهو في بطن أمه السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام وها هي تحدثنا عن حاله وحمله فقد نقل عنها: أنها كانت إذا أرادت أن تسجد لصنم وعلي عليه السلام في بطنها لم يمكنها، بحيث يضع رجله على بطنها ويلصق ظهره بظهرها ليمنعها من ذلك،

ولذلك يقال عند ذكره: كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ؛ أي عن أن يسجد للصنم..^(١)

وعبد الله بن العباس يقول: كانت أمه عَلِيَّةُ إذا دخلت على هبل لتسجد له وهي حامل به؛ ارتفع إلى أعلى بطنها وتَقَوَّسَ، فيمنعها من السجود.. ولهذا سمي عليا..^(٢)

ألا تلوح لك - أخي الكريم - من هذه الروايات الشريفة (كأن الله - سبحانه - أراد لعلي عَلِيَّةُ أن يولد في الإسلام قبل الإسلام، وأن يربى في حجر النبوة (قبل البعثة الشريفة) فكان ذلك حجازا له عن الجاهلية وأباطيلها.. ولما جاء الإسلام استقبله بالفطرة السليمة)^(٣)

فطرة التوحيد الربانية التي فطر الخلق عليها عامة وفطره عليها خاصة فكان نسيجا بشريا خاصا لا يشاركه فيه إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..

ومن الطبيعي أن ينعكس كل ذلك على مسيرته العادية، وحياته اليومية وينعكس على سلوكه الشخصي فليس له كذبة في قول قط، ولا خطل في فعل أبدا.. أليست هذه هي العصمة بأجلى معانيها وأحلى مبانيها؟

وعليه فإن هذا يكشف عن إعداد تربوي خاص بلا أدنى شك مع أننا نعتقد اعتقادا جازما بكون الإمام علي وذريته الطاهرة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ معصومين بمقتضى العقل والنقل، لا سيما آية التطهير وحديث الثقلين.

والجدير بالملاحظة في هذا الصدد: هو تعهد الرسول القائد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بالرعاية الأبوية، والعناية النبوية الخاصة لم يقتصر

(١) (نور الأبصار للشبلنجي؛ ص ٧٦، والسيرة الحلبية ج ١/ص ٤٣٢ ندوه)

(٢) (تذكرة الخواص ج ١/ص ١١٣)

(٣) (علي بن أبي طالب تعبد الكريم الخطيب)

على فترة الطفولة والصباء، ولم يتوقف عند مرحلة معينة بل تجاوزها إلى كل لحظة في حياة الإمام علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله ..

لأننا نجد أن الرسول القائد كان حريصا على أن يكون الإمام علي عليه السلام إلى جانبه دائما لا يفارقه ليلا ولا نهارا، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله الشريف: كان لي مع النبي صلى الله عليه وآله مدخلان، مدخل بالليل، ومدخل بالنهار^(١) ..

بل نجد الرسول القائد لا يفارق الإمام علي عليه السلام ولا يتركه إلا لضرورة تتصل بحفظ حياة الرسول نفسه (كيوم الهجرة إلى يثرب)، أو بحفظ الدعوة الإسلامية وحمايتها من أخطار محتملة (كيوم تبوك).

ويصل الأمر أحيانا إلى أن النبي صلى الله عليه وآله عندما يُخصُّ بأكلة لا يطيق أن يأكلها لوحده، ثم هو لا يكتفي بأن يدعو الله إلى أن يشاركه الإمام علي عليه السلام بتلك الأكلة، بل يجعلها مناسبة لبيان مقام الإمام علي عليه السلام ومنزلته، فهذا أنس بن مالك يقول: «كان عند النبي طير - وفي بعض الروايات طائر مشوي - فقال صلى الله عليه وآله: اللهم ائني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي فأكل معه..»^(٢)

فرسول الله صلى الله عليه وآله لا يهنا بطعام طيب إلا وأمير المؤمنين عليه السلام إلى جانبه ويأكل معه؛ والأعجب من ذلك والملفت للنظر أن بعض الروايات تنقل أن أنس قام بمحاولة متكررة لصرف الإمام علي عليه السلام عند مجيئه إلى بيت الرسول صلى الله عليه وآله بعد الدعوة النبوية تلك، متعللا بارادة الخير لأهله من الأنصار.. ولكنها فشلت بتدخل الرسول نفسه على ما نقله ابن

(١) (البداية والنهاية ٧: ٣٥١)

(٢) (التاج الجامع للأصول ٣: ٣٣٦).

كثير^(١)...

ويستفاد من هذه الرواية - كما هو ظاهر - أن النبي ﷺ أراد أن يرسخ ويؤكد أن الإمام علياً ﷺ هو أحب الخلق إليه وإلى الله تعالى أيضاً^(٢).

كل ذلك يدل بما لا يدع مجالاً للشك على أن التربية التي خص بها نبينا محمد ﷺ الإمام علي ﷺ، كانت تهدف إلى إعداده وتهيئته لمسؤولية قيادة الأمة، وليس لمجرد أن يكون أحد أركانها ورجالها البارزين..

إذ وجدنا الرسول القائد ﷺ يتعهد جمعا من صحابته بالتربية والتثقيف والرعاية، ولكن ليس بمستوى العناية والرعاية التي اتبعت مع الإمام علي ﷺ، مما يكشف أن المسؤولية المنوطة بالإمام علي ﷺ هي أكبر بكثير من مسؤولية الآخرين.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة النضوج الشخصي لأmir المؤمنين ولكن يبقى إنضاج الأمة بتعريفها بهذا القائد الإستثنائي الذي أنيطت به قيادتها بعد غياب الرسول القائد والبناني للمجد والدولة الإسلامية..

وتبدأ هذه المرحلة بتسليط الأضواء النبوية الشريفة الكاشفة عن شخص الإمام علي ﷺ ومقامه الشريف ومنزلته الرفيعة من الرسول الأعظم ﷺ. فقد أفرد ﷺ الإمام علياً ﷺ من بين أهله وسائر أصحابه، وخصه بعلوم الشريعة كلها زيادة على المواقف الحاسمة في تاريخ الرسول والرسالة التي تشهد بتقدمه، ومن يراجع كتب الحديث

(١) (البداية والنهاية ٧: ٣٥١ - ٣٥٢)

(٢) (غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول ٣: ٣٣٦)

والسيرة والتواريخ يظفر بالكثير جدا^(١).

لقد تولى رسول الله (ﷺ) بنفسه، وبأمر إلهي مهمة الإعداد الفكري والعلمي للإمام علي (عليه السلام)، وتزويده دون سواه بالمعرفة القرآنية الشاملة، وبأصول العلوم وينايعها، وبالحكمة وآدابها، وأحكام الشريعة الإسلامية جميعا. وقد جاء عن الإمام علي (عليه السلام) ما يؤيد هذا، فقال (صلوات الله عليه) : «علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم، يفتح لي من كل باب ألف باب...»^(٢)

وكان الإمام علي (عليه السلام) تارة يبادر هو بالسؤال والبحث للحصول على المعارف والعلوم والأحكام من الرسول الأعظم (ﷺ)، وتارة أخرى كان يبادر الرسول (ﷺ) نفسه بذلك، هذا ما قاله الإمام علي (عليه السلام) : كنت إذا سألت النبي (ﷺ) أعطاني، وإذا سكت ابتدأني..^(٣)

وقال (عليه السلام) مرة: إن الله وهب لي لسانا سؤولا، وقلبا عقولا^(٤)..

وفي حديث طويل تحدث الإمام علي (عليه السلام) في هذا الصدد قائلا: (ما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله لي أن يعطيني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله تعالى ولا علما أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك رسول الله ﷺ علما علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا

(١) (مختصر تاريخ ابن عساكر، لابن منظور ١٧: ٣٥٦ وما بعدها و١٨: ٥١)

(٢) (الإرشاد، للشيخ المفيد، أخرجه عن عبد الله بن مسعود: ٢٢)

(٣) (وتاريخ الخلفاء، للسيوطي: ١٧٠. والصواعق المحرقة، لابن حجر: ١٢٦ - ١٢٧)

(٤) (الاتقان، للسيوطي ٤: ٢٣٤)

نهى كان أو يكون.. إلا علمنيه وحفظته، ولم أنس حرفاً واحداً منه.^(١)

وقد صرح السيوطي أن معمرًا روى عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال: «شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم في نهار أم في سهل أم في جبل...»^(٢)

وقال أبو البحتري: رأيت علياً عليه السلام صعد المنبر بالكوفة وعليه مدرعة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله، متقلداً بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله، متعمماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، في إصبغه خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقعد على المنبر وكشف عن بطنه، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنما بين الجوانح مني علم جم، هذا سفظ العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زقني رسول الله صلى الله عليه وآله زقا من غير وحيٍّ أوحيٍّ إليّ، فوالله لو ثبت لي وسادة فجلست عليها، لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتى ينطق الله التوراة والإنجيل فتقول: صدق علي قد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟!

وروي أنه عليه السلام بخطبة طويلة قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فأنا عيبة (علم) رسول الله، وأنا فقأت عين الفتنة بباطنها وظاهرها، سلوا من عنده علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب..

سلوني فأنا يعسوب المؤمنين حقاً، وما من فئة تهدي مائة أو تضل مائة إلا وقد أتيت بقائدها وسائقها، والذي نفسي بيده لو طوي لي الوسادة فأجلس عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم،

(١) (كمال الدين ١: ٢٨٤ / ٣٧ باب ٢٤. وبحار الأنوار، للمجلسي ٩٢: ٩٩)

(٢) (الاتقان ٤: ٢٣٣. والصواعق المحرقة، لابن حجر: ١٢٧)

ولأهل الزبور بزبورهم، ولأهل الفرقان بفرقانهم.

فقام ابن الكوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب الناس فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن نفسك..

فقال: ويلك، أتريد أن أزكي نفسي وقد نهى الله عن ذلك؟! مع أنني كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطاني، وإذا سكت ابتداني، وبين الجوانح مني علم جم، ونحن أهل البيت لا نقاس بأحد»^(١)

عن زاذان قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو كسرت لي وسادة (يقول: ثنيت) فأجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلا وأنا أعرف آية تسوقه إلى جنة أو تقوده إلى نار)

فقام رجل فقال: فأنت أي شيء نزل فيك؟

فقال علي (صلوات الله عليه وآله): ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فرسول الله ﷺ علي بينة من ربه، ويتلوه أنا شاهد منه»^(٢)

وبرواية أخرى عن الأصبع بن نباته قال: لما جلس أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله ﷺ، لابسا بردة رسول الله ﷺ، منتعلاً نعل رسول الله ﷺ، متقلدا سيف رسول الله ﷺ فصعد المنبر فجلس عليه متمكناً

(١) (شرح نهج البلاغة للخوئي ٢ / ٣٢٥).

(٢) (فرائد السمطين ١ / ٣٤١ / ٢٦٣)

ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال: «يا معاشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، وهذا سفظ العلم، هذا لعاب رسول الله ﷺ، هذا ما زقني رسول الله ﷺ زقا زقا، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى ينطق التوراة فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في..»

وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق [الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله..]

وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق [القرآن فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في.. وأنتم تتلون القرآن ليلا ونهارا، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟ ولولا آية في كتاب الله لأخبرتك بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١)

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني.. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت، مكيتها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، تأويلها وتنزيلها لأخبرتكم..

فقام إليه رجل يقال له دعلب وكان ذرب اللسان، بليغا في الخطب، شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلنه اليوم لكم في مسألتي إياه فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك؟ فقال: «ويلك يا دعلب لم أكن بالذي أعبد ربا لم أره».

فقال: كيف رأيت؟ صفه لنا.

(١) (الرعد: ٣٩).

قال: «ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ويلك يا دعلب إن ربي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون، ولا بقيام قيام انتصاب، ولا بجيئة وذهاب.. لطيف اللطافة ولا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم.. كبير الكبر لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ.. رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسة، قابل لا بلفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج عنها على غير مباينة، فوق كل شيء، ولا يقال له شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يقال له أمام، دخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء خارج».

فخرٌ دعلب مغشيا عليه، ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها أبدا.

ثم قال عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني»

فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكئا على عكازة فلم يزل يتخطى رقاب الناس حتى دنا منه فقال: يا أمير المؤمنين دلني على عمل إذا أنا عملته نجاني الله من النار، فقال له: «اسمع يا هذا، ثم افهم، ثم استيقن، قامت الدنيا بثلاثة: بعالم ناطق مستعمل بعمله، وبغني لا يبخل بماله عن أهل دين الله بِرَزْوَانٍ، وبفقير صابر..

فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني، ولم يصبر الفقير، فعندها الويل والثبور وعندها يعرف العارفون بالله أن الدار قد رجعت إلى بدايتها (أي إلى الكفر بعد الإيمان).

أيها السائل؛ لا تغترن بكثرة المساجد وجماعة أقوام، أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتى.. أيها الناس إنما الناس ثلاثة: زاهد، وراغب، وصابر، - فأما

الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا، ولا يحزن على شيء منها فاته،
- وأما الصابر فيتمناها بقلبه فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما
يعلم من سوء عاقبتها..

- وأما الراغب فلا يبالي من حلّ أصابها أم من حرام»

قال: يا أمير المؤمنين فما علامة المؤمن في ذلك الزمان
قال: «ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه وينظر إلى ما خالفه
فيتبرأ منها وإن كان حبيباً قريباً»

قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين، ثم غاب الرجل فلم يره فطلبه
الناس فلم يجدوه فتبسم عليه السلام على المنبر ثم قال: «ما لكم؟ هذا أخي
الخضر عليه السلام»

ثم قال عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني» فلم يقم إليه أحد، فحمد الله
وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام

ثم قال لولده الإمام الحسن عليه السلام: «يا حسن قم فاصعد المنبر فتكلم
بكلام لا تجهلك قريش بعدي فيقولون: إن الحسن لا يحسن شيئاً، قال
الحسن: يا أبة كيف أصعد وأتكلم وأنت في الناس تسمع وترى؟

قال له: بأبي وأمي أوارى نفسي عنك، أسمع وأرى ولا تراني» فصعد
الحسن عليه السلام المنبر فحمد الله بمحامد بليغة شريفة، وصلى على النبي
وآله صلاة موجزة ثم قال: «أيها الناس سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:
أنا مدينة العلم وعلي بابها وهل تدخل المدينة إلا من بابها؟» ثم نزل فوثب
إليه علي عليه السلام فتحمله وضمه إلى صدره..

ثم قال للحسين عليه السلام: «يا بني قم فاصعد وتكلم بكلام لا تجهلك

قريش من بعدي فيقولون إن الحسين بن علي لا يبصر شيئا، وليكن كلامك تبعا لكلام أخيك «فصعد الحسين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلاة واحدة موجزة ثم قال: «معاشر الناس سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن عليا مدينة هدى فمن دخلها نجا، ومن تخلف عنها هلك»..

فوثب إليه علي عليه السلام وضمه إلى صدره فقبله ثم قال: «معاشر الناس أشهدوا أنهما فرخا رسول الله صلى الله عليه وآله ووديعته التي استودعنيها، وأنا استودعكموها.. معاشر الناس، ورسول الله صلى الله عليه وآله سائلكم عنهما»^(١)

وهناك رواية أخرى تتناولها الكتب وهي ما روى عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: سلوني عما دون العرش، فإن بين الجوانح علما جما هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله في فمي، هذا ما ذوقني رسول الله ذوقا فوالذي نفسي بيده لو أذن لأهل التوراة والإنجيل إن تكلموا لوضعت وسادة فأخبرت بما فيهما قصداني على ذلك.

وكان في المجلس رجل يقال له ذعلب اليماني فقال: ادعى هذا الرجل دعوى لأفضحنه، فقام فقال: نسألك. هل رأيت ربك؟

فقال علي: سل متفقها ولا تسأل متعتا.

فقال: أنت حملتني على ذلك، هل رأيت ربك يا علي؟

فقال عليه السلام: ويلك يا ذعلب لم كن بالذي يعبد ربا لم يره؟

فقال: كيف رأيته، صفه لنا؟

فقال علي: ويلك لم تره العيون بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب

(١) أمالي الصدوق ٤٢٢ / ٥٦٠، التوحيد : ٣٠٤ / ١، الإختصاص : ٢٣٥ بحار الأنوار ١٠ / ١١٧ / ١.

بحقائق الايقان، أزلي واحد لا شريك له، أحد لا ثاني له، فرد لا مثل له، لا يحويه مكان ولا يداوله زمان ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس. فصاح ذعلب وسقط مغشيا عليه، فلما أفاق قال: عاهدت الله أن لا أسأل أحدا بعد هذا تعنتا.

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: هذا إن كان الأمر إليك.

وعن الأصبع بن نباتة قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني فوالله، لا تسألوني عن شيء مضى ولا شيء يكون إلا نباتكم به»

فقام إليه سعد بن أبي وقاص فقال له: يا أمير المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟

فقال له: «والله لقد سألتني عن مسألة، حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنك تسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإن في بيتك لسخلا يقتل ابني الحسين»، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه^(١).

عن عامر بن وائلة قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة وهو اجيرات مجصص فحمد الله وأثنى عليه وذكر الله كما هو أهله وصلى على نبيه ثم قال: «أيها الناس سلوني، سلوني فوالله لا تسألوني عن آية من كتاب الله إلا حدثتكم عنها متى نزلت، بليل أو نهار أو في مقام أو في مسير أو في سهل أم في جبل، وفي من نزلت في مؤمن أم في منافق، وما عنى بها أعام أم خاص، ولئن فقدتموني لا يحدثكم أحد حديثي»

فقام إليه ابن الكواء فلما بصر به متعنتا «ألا تسأل تعلماء، هات سل

(١) (أمالي الصدوق ١٩٦ / ٢٠٧، كامل الزيارات: ٧٤ / ١٢، بحار الأنوار ٤٢ : ١٤٦)

فإذا سألت فاعقل ما تسأل عنه»

فقال: يا أمير المؤمنين فأخبرني عن قول الله جل وعز: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(١).

فسكت أمير المؤمنين فأعادها عليه ابن الكوا، فسكت فأعادها الثالثة فقال علي(عليه السلام) ورفع صوته: «ويحك يا بن الكوا أولئك نحن وأتباعنا يوم القيامة غرا محجلين رواء مرويين يعرفون بسيماهم»^(٢)

وعن عباية بن ربعي قال: كان علي أمير المؤمنين(عليه السلام) كثيرا ما يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما من أرض مخصبة ولا مجدبة، ولا فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلا وأنا أعلم قايدها وسابقها وناعقها إلى يوم القيامة (وقد أخبرت بهذا رجلا من أهل بيتي يخبر بها كبيرهم لصغيرهم إلى أن تقوم القيامة) وهم أئمة المسلمين(عليهم السلام)»^(٣).

وهذا يحيى بن أم الطويل يقول: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) يقول: «ما بين لوحى المصحف من آية إلا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت، في سهل أو جبل، وإن بين جوانحي لعلماء جما، فسلوني قبل أن تفقدوني فإنكم إن فقدتموني لم تجدوا من يحدثكم مثل حديثي»^(٤)

نعم كلمات خالدة حتى غدت كالأمثال الماثورة تتناقلها الأجيال ويعلمها الآباء للأبناء والأساتذة لطلابهم جيلا بعد جيل..

فمن قال يوما: اسألوني من قبل أن تفقدوني سلوني عن طرق السماء

(١) (البينة: ٧)

(٢) (رواه عنه ابن طاووس في سعد السعود : ١٠٩، بحار الأنوار ٣٢ / ١٩٠ / ١٩٢).

(٣) (أمالي الطوسي ٥٨ / ٨٥) والزيادة من بصائر الدرجات (٢٩٦)

(٤) (أمالي المفيد ١٥٢)

فإني أعرف بها من طرق الأرض.

وفي نهج البلاغة من الذي قال: أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني.
فلانا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض.

فمن ذا الذي يستطيع أن يقول مثل هذا القول إلا يفضحه مجلسه
ويصغر شأنه في العيون من حيث أنه يريد أن يلمع نجمه ويذيع سيظه..

هذا أحمد بن حنبل - صاحب المذهب - يروي في مسنده عن
سعيد قال لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ يقول «سلوني» إلا علي
بن أبي طالب عليه السلام (١).

وعلاوة المعتزلة ابن أبي الحديد يحكي عن اجماع الناس وليس
الأمة أو علمائها فقط فيقول: أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من
الصحابة ولا أحد من العلماء «سلوني» غير علي بن أبي طالب عليه السلام (٢).

قال أبو عمرو الزاهد: قال أبو العباس ثعلب: لا نعلم أحدا قال بعد
نبيه «سلوني» من شيث إلى محمد ﷺ إلا عليا، فسأله الأكابر: أبو بكر
وعمر وأشباههما حتى انقطع السؤال، ثم قال بعد هذا كله: يا كميل بن
زياد! إن هاهنا لعلما جما لو وجدت له حملة.

١. بعض من قال اسألوني وفضح

في كل زمان ومكان هناك حق وباطل، وصدق وكذب، ومدعون
دجالون تعلموا بعض الكلمات فراح يتبجح فيها على الناس..ومن هؤلاء
الذين ادعوا ما ليس لهم ولا فيهم مقاتل بن سليمان الفارسي، صاحب

(١) (الطرائف - السيد ابن طاووس الحسنيني ص ٧٤)

(٢) (راجع غاية المرام ص ٥٢٥).

وتلميذ عكرمة البربري خادم عبد الله بن عباس؛ دخل بيت الله الحرام وأسند ظهره إلى الكعبة المشرفة، وقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عما دون العرش فأخبركم؟

فقال له رجل: أول حجة حجها آدم عليه السلام من حلق رأسه؟
قال: لا أدري..

وقام غيره وقال له: الذبابة أعاؤها في مقدمتها أم في مؤخرتها؟
فتحير الرجل وبهت الذي كفر..

ويروى أن صاحب هذا المدعي قتادة عندما جاء من الشام إلى العراق ودخل مسجد الكوفة فارتقى أعواد منبره فقال: في مسجدكم هذا قال علي بن أبي طالب: سلوني قبل أن تفقدوني.. وأنا أقول: سلوني قبل أن تفقدوني؟

فقام إليه رجل فسأله: عن نملة سليمان التي كلمته؛ أهى ذكرا أم أنثى؟

فاحتار الرجل بأمره وبهت الذي افتري..

والسبط ابن الجوزي تقول فأفحمته امرأة.. فيروى أن ابن الجوزي قال على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني.. فسألته امرأة عما روي أن عليا سار في ليلة إلى سلمان الفارسي (رض) فجهزه (ودفنه) ورجع..

فقال: روي ذلك..

قالت: وعثمان تمّ ثلاثة أيام منبوذا في مزابل البقيع (في حشّ كوكب)، وعلي حاضر؟ قال: نعم، قالت: فقد لزم الخطأ لأحدهما.

فقال: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن بعلك فعليك لعنة الله وإلا

فعليه. فقالت: خرجت عائشة إلى حرب علي بإذن النبي أولاً؟
فانقطع وكأنما ألقم بحجر، وبهت من هذا المنطق السليم.

٢ . قصة لأحد الوعاظ ببغداد

قال العلامة عز الدين بن أبي الحديد:

كان ببغداد في صدر أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بالله واعظ مشهور بالحذق ومعرفة الحديث والرجال، وكان يجتمع إليه تحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد ومن فضلائها أيضاً، وكان مشتهراً بزم أهل الكلام وخصوصاً المعتزلة وأهل النظر، على قاعدة الحشوية، ومبغضي أرباب العلوم العقلية، وكان أيضاً منحرفاً عن الشيعة برضا العامة بالميل عليهم، فاتفق قوم من رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من بيكته ويسأله تحت منبره، ويخجله ويفضح به بين الناس في المجلس، وهذه عادة الوعاظ، يقوم إليهم قوم فيسألونهم مسائل يتكلفون الجواب عنها، وسألوا عمن ينتدب لهذا، فأشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبد العزيز الكزي، كان له لسن، ويشغل بشيء يسير من كلام المعتزلة، ويتشيع، وعنده قحة، وقد شدا أطرافاً من الأدب، وقد رأيت أنا (ابن أبي الحديد) هذا الشخص في آخر عمره، وهو يومئذ شيخ، والناس يختلفون إليه في تعبير الرؤيا.

فأحضره وطلبوا إليه أن يعتمد ذلك، فأجابهم، وجلس ذلك الواعظ في يومه الذي جرت عاداته بالجلوس فيه، واجتمع الناس عنده على طبقاتهم، حتى امتلأت الدنيا بهم، وتكلم على عاداته فأطال، فلما مر ذكر صفات الباري سبحانه في أثناء الوعظ، قام إليه الكزي، فسأله

أسئلة عقلية، على منهاج المتكلمين من المعتزلة، فلم يكن للواعظ عنها جواب نظري، وإنما دفعه بالخطابة والجدل، وسجع الألفاظ، وتردد الكلام بينهما طويلاً.

وقال الواعظ في آخر الكلام: أعين المعتزلة حول، وأصواتي في مسامعهم طبول، وكلامي في أفئدتهم نصول، يا من بالاعتزال يصول، ويحك كم تحوم وتجول حول من لا تدركه العقول! كم أقول كم أقول، خلو هذا الفضول!

فارتج المجلس، وصرخ الناس، وعلت الأصوات، وطاب الواعظ وطرب، وخرج من هذا الفصل إلى غيره فشطح شطح الصوفية، وقال: سلوني قبل أن تفقدوني، وكررها. فقام إليه الكزي،

فقال: يا سيدي ما سمعنا أنه قال هذه الكلمة إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، وتمام الخبر معلوم. وأراد الكزي بتمام الخبر قوله عليه السلام: «لا يقولها بعدي إلا مدع (أو كذاب)». فقال الواعظ وهو في نشوة طربه، وأراد إظهار فضله ومعرفته برجال الحديث والرواة: من علي بن أبي طالب؟

أهو علي بن أبي طالب بن المبارك النيسابوري؟

أم علي بن أبي طالب بن إسحاق المروزي؟

أم علي بن أبي طالب بن عثمان القيرواني؟

أم علي بن أبي طالب بن سليمان الرازي؟ وعد سبعة أو ثمانية من

أصحاب الحديث كلهم علي بن أبي طالب.

فقام الكزي، وقام من يمين المجلس آخر ومن يسار المجلس

ثالث، انتدبوا له، وبذلوا أنفسهم للحمية ووطنوها على القتل. فقال

الكزبي: أشأ يا سيدي فلان الدين، أشأ! صاحب هذا القول هو علي بن أبي طالب زوج فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام، وإن كنت ما عرفته بعد بعينه فهو الشخص الذي لما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين الأتباع والأذئاب آخى بينه وبين نفسه وأسجل على أنه نظيره ومماثله..

فهل نقل في جهازكم أنتم من هذا شيء؟ أو نبت تحت خبكم من هذا شيء؟ فأراد الواعظ أن يكلمه، فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن وقال: يا سيدي فلان الدين، محمد بن عبد الله كثير في الأسماء، ولكن ليس فيهم من قال له رب العزة: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَحْمَةٌ يُّوحَىٰ﴾ وكذلك علي بن أبي طالب كثير في الأسماء، ولكن ليس فيهم من قال له صاحب الشريعة: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى كثيرا ولكن ميزوا في الخلائق فالتفت إليه الواعظ ليكلمه، فصاح عليه القائم من الجانب الأيسر، وقال: يا سيدي فلان الدين، حَقَّك تجهله، أنت معذور في كونك لا تعرفه:

وَإِذَا خَفِيَتْ عَلَى الْغَبِيِّ

فَعَاذَرُ الْأَا تِرَانِي مَقَلَّةَ عَمِيَاءَ

فاضطرب المجلس وماج كما يموج البحر، وافتتن الناس، وتواثبت العامة بعضهم إلى بعض، وتكشفت الرؤوس، ومزقت الشيايب، ونزل الواعظ، واحتمل حتى أدخل دارا أغلق عليه بابها، وحضر أعوان السلطان فسكنوا الفتنة، وصرخوا الناس إلى منازلهم وأشغالهم، وأنفذ الناصر لدين الله في آخر نهار ذلك اليوم فأخذ أحمد بن عبد العزيز الكزبي والرجلين الذين قاما معه فحبسهم أياما لتطفأ نائرة الفتنة، ثم

أطلقهم^(١)

والشيخ البيهقي يروي في كتابه وبإسناده عن رسول الله ﷺ، قال: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، فلي نظر إلى علي بن أبي طالب ﷺ. فلماذا خص رسول الله ﷺ أبينا آدم ﷺ؟ أليس لأنه ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ فالله هو الذي علم آدم، وعلم الإمام علي ﷺ من علم الله وتعليمه تبارك وتعالى..

وهذا حال من يدعي العلم لنفسه، وربنا سبحانه يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

ورحم الله الشاعر العربي الذي قال:

قل لمن يدعي في العلم معرفة

عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

وأما أمير المؤمنين ﷺ فإن الله سبحانه شهد له بالعلم بعد أن أعطاه كل علم في هذه الدنيا الزائلة، وكذا شهد له استاذة ومعلمه ومربيه الرسول الأعظم ﷺ بتفوقه في العلم على الجميع ودون استثناء، ولذلك جعله باب مدينة علمه، وأمر المسلمين بالرجوع إليه من بعده لأنه، قال الله تعالى ﴿وَأَتُوا الْبَيْوتَ مِّنْ أَبْوَابِهَا﴾^(٢) فمن أراد العلم النبوي، والديني فعليه بالباب العالي لمدينة العلم الكونية.

فقال ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولا يؤتى البيوت إلا من أبوابها.

لأن من أتى من غير الباب يسمى لصاً وسارقاً..

(١) (بهج الصباغة: ج ٥ / ١٠٩ ونقل في الغدير نظائر لمن قال: (سلوني) بعد أمير المؤمنين

واقترضه راجع ج ٦ / ١٩٥ - ١٩٨).

شرح نهج البلاغة ج ١٣ / ١٠٧ - ١٠٩)

(٢) (البقرة آية: ١٨٩)

- وقال عليه السلام: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد بابها فليأت عليا.
- وقال عليه السلام: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه.
- وقال عليه السلام: أنا دار الحكمة وعلي بابها.
- وقال عليه السلام: أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب.
- وقال عليه السلام: أعلم الناس بالله علي.
- وقال عليه السلام: أعلمهم بما أنزل الله علي بن أبي طالب. أي القرآن وشرائع الدين وبكل ما ينزل من عند الله تعالى..
- وقال عليه السلام: علي باب علمي، ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي.
- وقال عليه السلام: علي عيبة علمي.
- وقال عليه السلام: أفضى أمتي علي بن أبي طالب.
- وقال عليه السلام: قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء، والناس جزء واحد، وهو أعلمهم بالعشر الباقي.
- وقال عليه السلام: لابنته فاطمة عليها السلام: إن زوجك أقدمهم إسلاما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما.

روى ابن حجر العسقلاني عن أبي الطفيل: كان علي يقول: سلوني، سلوني، وسلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار أم في سهل أم في جبل وفيم أنزلت، وأين نزلت إن ربي وهب لي قلبا عقولا، ولسانا سؤولا^(١)

وروى أحمد بن زيني دحلان عن أبي الطفيل أيضا قال: شهدت عليا

(١) (الإتقان ج ٢ ص ١٨٧ (الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩ الطبعة الأولى)

يخطب وهو يقول: سلوني من كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، ولو شئت أوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب.^(١)

وعن سعيد بن المسيب قال: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب وكان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن، يعني عليا.^(٢)

وعنه في قوله تعالى ﴿وَتَعْبَهُمْ أُذُنٌ وَغِيَةٌ﴾^(٣) قال: قال لي رسول الله سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي. فما سمعت من رسول الله ﷺ شيئا فنسيته.

وقيل له: ما لك أكثر أصحاب رسول الله ﷺ حديثا؟ فقال: إني كنت إذا سأله أنبأني، وإذا سكت ابتدأني^(٤)

وعن ابن عباس: علم رسول الله ﷺ من علم الله تبارك وتعالى، وعلم علي من علم النبي ﷺ، وعلمي من علم علي، وما علمي وعلم أصحاب محمد ﷺ في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر^(٥)..

وعنه أيضا: علمه ألف ألف كلمة، كل كلمة تفتح ألف ألف كلمة^(٦)

وعنه أيضا: لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارك الناس في العشر العاشر.

(١) (الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٥١ ط مصر عام ١٣٥٤).

(٢) (منتخب كنز العمال ص ٤٨ على هامش مسند أحمد ج ٥ ط مصر عام ١٣١٣).

(٣) (الحاقة آية ١٢).

(٤) (منتخب كنز العمال ص ٤٦).

(٥) ﴿

(٦) (منتخب كنز العمال ص ٤٣).

وقال ضرار الكنائي: كان يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه.

وقال الأستاذ عباس العقاد: أما القضاء والفقه فالمشهور عنه أنه كان أفضى أهل زمانه، وأعلمهم بالفقه والشريعة، أو لم يكن بينهم من هو أفضى منه وأفقه، وأقدر على إخراج الأحكام من القرآن والحديث والعرف المأثور، وكان عمر بن الخطاب يقول كلما استعظم مسألة من مسائل القضاء العويصة: قضية ولا أبا حسن لها.

فقد إمتاز علي عليه السلام بالفقه الذي يراد به الفكر المحض والدراسة الخالصة وأمعن فيه ليغوص في أعماقه على الحقيقة العلمية، أو الحقيقة الفلسفية كما نسميها في هذه الأيام.

وقد قيل لابن عباس وهو من هو حبر الأمة الإسلامية كما يسمونه: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة المطر إلى البحر المحيط. وقد صرح ابن عباس وهو يعد ترجمان القرآن بأن كل علمه في التفسير أخذه من ابن عمه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وورد عنه أيضا قوله: «كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وآله عهد إلى علي سبعين عهدا، لم يعهد إلى غيره^(١)». وعمليا كان أمير المؤمنين عليه السلام مرجع الصحابة في كل ما يعترضهم من المسائل العلمية والمشاكل الإدارية، والمعضلات القضائية.

فلقد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال: «لولا علي لهلك عمر»^(٢)

(١) (حلية الأولياء، ١: ٦٨)

(٢) (البداية والنهاية، لابن كثير ٧: ٣٥٩. وتاريخ الخلفاء، للسيوطي: ١٧١)

وأنه كان يقول: «أعوذ بالله من معضلة، ولا أبو حسن لها..»^(١)، وثبت عنه أنه قال: «أقضاننا علي..»^(٢). والقضاء يعني العلم بكل أحكام الشرع. وكذلك غيره من كبار الصحابة، فقد كثر رجوعهم إليه في مختلف القضايا المشكلة حتى قال الحافظ النووي: «سؤال كبار الصحابة له ورجوعهم إلى فتاويه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات مشهور»^(٣).

ومن الأمور الملفتة للنظر أن الرسول الأعظم ﷺ كان يعبر عن تلهفه وهو اجسه عندما يغيب الإمام علي ﷺ عنه، ويتطلع إلى رؤيته والاطمئنان عليه، فعن أم عطية على ما أخرجه ابن كثير وحسنه، قالت: بعث النبي ﷺ جيشاً، وفيهم علي ﷺ. قالت: فسمعت النبي ﷺ يقول: اللهم لا تمني حتى تريني علياً^(٤).

وبالحقيقة إن الحديث عن علم الإمام علي ﷺ يحتاج إلى مجلدات كثيرة، لأن الحديث يطول ويتشعب إلى آلاف النظريات العلمية لاسيما الكوني منها.. وسمعت من أحد الأخوة الفضلاء أن أحد العلماء المعاصرين تتبع حديث أن الرسول الأعظم ﷺ علم الإمام علي ﷺ العلوم والذي يقول فيه أمير المؤمنين ﷺ: علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب..

وراح يبحث عن علوم الأمير ﷺ فوجدها ألف علم، وكتب ذلك

(١) (البداية والنهاية، لابن كثير ٧: ٣٧٣)

(٢) (الطبقات الكبرى، لابن سعد ٣: ٣٣٩)

(٣) (تهذيب الأسماء واللغات ١: ٣٤٤ ترجمة رقم ٤٢٩)

(٤) (التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، للشيخ منصور علي ناصف ٣: ٣٣٤) (البداية

والنهاية، لابن كثير ٧: ٣٥٧)

في كتاب من عشرة مجلدات كبيرة..

وهذا جانب واحد من جوانب العظمة عند ذلك الإمام العظيم الذي رباه وهياه لهذه الأمة رسول الله ﷺ ورعاه المولى عزّوكم من أجل أن يقودها إلى سعادتها وخيرها ويبني حضارتها المرجوة في هذه الحياة إلا أن هذه الأمة - ويا للأسف - هجرته ربع قرن وفرضوا عليه شبه الإقامة الجبرية في بيته، وليس ذلك فقط بل حاربته بكل ما عندها من قسوة وصلابة صحراوية بدوية، وأضافوا عليها القوة والعزة الإسلامية..

فحاربوا إمام الإسلام باسم الإسلام، وقاتلوا أمير المؤمنين باسم المؤمنين، وقتلوا القرآن الناطق باسم القرآن الصامت.. وشردوا عترة الرسول ﷺ تحت كل حجر ومدبر، وقتلوهم تقتيلاً، وذبحوهم ذبح الكباش في كربلاء وغيرها باسم الرسول وسنته حتى قال قائلهم: إن الحسين قتل بسيف جده..

وما زالت هذه المهزلة مستمرة إلى اليوم، فعلي يقتل في كل لحظة، والحسين يذبح في كل حين والأمة تطرب، وتفرح وتزغرد لأمر المواطنين ولو كان ألغن من شارون، ويوسي بيلين، وأرذل من مليون نيرون ولينين وستالين، فما زلنا نذبح بالسكين (ولكن على القبلة) يا مسلمين.. ولكن لماذا يا مؤمنين؟

نعم؛ إن شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ليست الشخصية العادية بل هو مقاس خاص ولا يقاس بالناس، وإذا أردت أن تقيسه فله نظير واحد لا غير هو الحبيب المصطفى محمد بن عبد الله عليه السلام ابن عمه بالنسب، وصهره بالحسب، وأخيه بالإيمان، ووصيه بالإسلام، وشريكه في الدعوة إلى الدين الجديد، ألم يقل رسول الله عليه السلام: قام الدين بمال خديجة، وسيف علي بن أبي طالب عليه السلام..؟

نعم؛ إن الإمام صنو الرسول، وعلي صنو محمد (صلوات الله عليهما وآلهما أبد الأبدين) في كل شيء إلا النبوة والرسالة فكانت لرسول الله ﷺ دون أمير المؤمنين ﷺ ولهذا كان يقول روعي فداه: أنا من أحمد، أو أنا من رسول الله ﷺ كما في روايات وخطب كثيرة..

قال العلامة القندوزي في المناقب عن محمد بن حرب الهلالي قال: قلت لمولاي جعفر الصادق ﷺ لم يطق علي حمل رسول الله ﷺ عند حط الصنم من سطح الكعبة مع قوته وقلعه باب خبير ورميه على الخندق ولا يطيق حمل الباب أربعون رجلا وأن النبي ﷺ يركب بغلا أو حمارا فيحمله فكيف لا يحمله علي ﷺ قال: ان النبي ﷺ حينئذ يعلم ضعف علي لصابوته ولكن وضع قدمه على كتفي علي إشارة إلى خلقتهما من نور واحد يحمل الجزء من النور الجزء الآخر كما قال علي: أنا من أحمد كالكف من اليد والذراع من العضد والضوء من الضوء. وإنهما كانا نورا واحدا قبل خلق الخلق، وان الملائكة لما رأت النور قد تلاً قالوا: الهنا ما هذا النور؟ قال تعالى: هذا نور من نوري لولاه لما خلقت الخلق^(١).

قال: قال علي ﷺ: أنا من رسول الله ﷺ كالعضد من المنكب والذراع من العضد والذراع من الذراع رباني صغيرا وأخاني كبيرا، ولقد علمتم أنني كان لي منه مجلس سر لا يطلع عليه غيري، وأنه أوصى إليّ دون أصحابه وأهل بيته ولا أقولن ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم، سألته مرة أن يدعو لي بالمغفرة، فقال: أفعل ثم قام فصلى فلما رفع يده للدعاء استمعت عليه فإذا هو قائل: اللهم بحق علي عندك اغفر لعلي، فقلت: يا رسول الله ما هذا، فقال: أو أحد أكرم منك عليه فأستشفع به إليه؟!.

(١) سليمان البلخي القندوزي في (ينابيع المودة) (ص ١٣٩ ط)

وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد، وقد كان رسول الله يأكل أخشن مما أكل ويلبس أخشن مما ألبس، وأنا على سنته حتى ألحق به^(١)..

وروى أيضا: عن الإمام علي عليه السلام قال: كنت في أيام رسول الله ﷺ كجزء من رسول الله ﷺ، ينظر إليّ الناس كما يُنظر إلى الكواكب في أفق السماء..

٢. في جماله الشخصي عليه السلام

روى جماعة من أعلام الإسلام بعض صفات أو أوصاف شخصية أمير المؤمنين عليه السلام المعبرة عن جمال أخاذ، وطلّة بهية، وكمال جسدي مبهر.. ومنهم العلامة محب الدين الطبري في ذخائر العقبى قال: وكان علي عليه السلام ربعة من الرجال ادجع العينين، عظيمهما حسن الوجه كأنه قمر لليلة البدر عظيم البطن إلى السمن: عريض ما بين المنكبين، المنكبة مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يبين عضده من ساعده قد أدمج ادماجا، شثن الكفين عظيم الكراديس اغيد، كأن عنقه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كثير شعر اللحية، وكان لا يخضب وقد جاء عنه الخضاب. والمشهور أنه كان أبيض اللحية، وكان إذا مشى تكفأ، شديد الساعد واليد، وإذا مشى إلى الحروب هرول ثبت الجنان قوي، ما صارع أحدا إلا صرعه، شجاع منصور علي من لاقاه^(٢).

(١) (ابن أبي الحديد في ملحقات (شرح نهج البلاغة) (ج ٤ ص ٥٥٨ طبع مصر)
(٢) (ذخائر العقبى ص ٥٧) ربعة: لا طويل ولا قصير، والدعج: سدة سواد العين مع سعتها، والأغيد: المائل العنق. والغيد: النعومة: وامرأة غيداء، وغادة: ناعمة والمشاش: رؤوس العظام اللينة الواحد مشاشة. وأدمج: يقال أدمج الشيء في الشيء إذا أدخله فيه. يريد والله أعلم أن

قال: وجاء في حديث عن ابن عباس، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه قال: كان علي أمير المؤمنين يشبه القمر الباهر، والأسد الخادر، والفرات الزاخر، والربيع الباكر، أشبه من القمر ضوئه وبهائه، ومن الأسد شجاعته ومضائه، ومن الفرات جوده وسخائه، ومن الربيع خصبه وحيائه.

وفي حديث آخر لابن عباس: ما رأيت أحسن من شربة علي رضي الله تعالى عنه^(١).

ومنهم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري البغدادي في نزهة المجالس قال: باب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كان مربع القامة أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه كأن وجهه القمر ليلة البدر عظيم البطن أعلاه علم وأسفله طعام وكان كثير اللحية قليل شعر الرأس عنقه إبريق فضة ﷺ وعن أمه وأخويه جعفر وعقيل وعميه حمزة والعباس^(٢).

(تاج العروس في مادة (نزع) قال: وفي صفة علي ﷺ : البطين الأنزع والعرب تحب النزع وتتمن بالأنزع^(٣)..

في ينابيع المودة، قال: وفي شرح الكرماني لصحيح البخاري كان علي كرم الله وجهه حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر ضحوك السن^(٤).
وفي الأربعين لتاج الاسلام الخدابادي البخاري كان علي ﷺ حسن

عظمي عضده وساعده للينهما قد اندمجا وهكذا صفة الأسد. والضاري: المعود الصيد، وتكفأ:

تمايل في مشيته (تاج العروس) (ج ٤ ص ٤١ في مادة (شرص) ط القاهرة)

(١) (تاج العروس) (ج ٤ ص ٤١ في مادة (شرص) ط القاهرة)

(٢) (نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٤)

(٣) (ج ٥ ص ٥٢٢)

(٤) (ينابيع المودة ص ٣٧٣)

الوجه شديد الأدمة مربوعاً أصلع عظيم العينين عظيم البطن كثير الشعر طويل اللحية قد ملأت ما بين منكبيه خضب بالحناء مره ولم يكن أعضاؤه وأطرافه مستوية متناسبة حتى وصفه بعضهم وقال: كأنه كسرت أعضاؤه ثم جبرت وضمه رسول الله ﷺ إلى نفسه في القحط الذي كان بمكة قبل البعثة وتولى تربيته وعلمه.

ومنهم الحافظ أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشافعي في (فضائل أمير المؤمنين) قال: كان علي حسن الوجه، شديد الأدمة من بعيد وإن بيته من قريب قلت: رسم مائل إلى الحمرة - إلى أن قال -: ضمه رسول الله ﷺ إلى نفسه في القحط الذي كان بمكة قبل البعث وتولى تربيته في بيته وعلمه.

أنه ﷺ كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وقد تقدم في الأحاديث المروية عنه ﷺ تكريره في التصريح بأن علياً أحب الناس إليه، والمقصود بالذكر ههنا ما ورد في كتب القوم غير المأثورات المذكورة. (وكان رسول الله ﷺ أيضاً أحب الناس إلى الإمام علي ﷺ، ألم يقل ﷺ: كان رسول الله ﷺ، أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وأمهاتنا من الماء البارد على الظمأ)

ونذكر ههنا حديثين: الأول ما رواه جميع بن عمير عن عائشة رواه جماعة من أعلام القوم: قال: حدثنا حسين بن يزيد الكوفي، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن أبي الجحاف عن جميع بن عمير التيمي، قال: دخلت مع عمي علي عائشة، فسئلت أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ قالت: فاطمة قيل: فمن الرجال قالت: زوجها إن كان ما علمت: صَوَّاماً قَوَّاماً، أو (وما يمنعه فوالله إن كان ما علمت صواماً قواماً جدير أن

يقول بما يحب الله ويرضى^(١)

وروى عن جميع بن عمير، دخلت على عائشة فقلت: من كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ قالت: فاطمة، قلت: إنما أسألك عن الرجال، قالت: زوجها وما يمنعه فوالله إن كان صواما قواما ولقد سألت نفس رسول الله ﷺ في يده، وردّها إلى فيه..

قلت: فما حملك على ما كان من وقعة الجمل؟ فأرسلت خمارها على وجهها وبكت، وقالت: أمر قضي عليّ^(٢).

عن جميع، قال: دخلت مع أمي علي عائشة وأنا غلام فذكر، لها عليا ﷺ، فقالت: ما رأيت رجلا أحب إلى رسول الله ﷺ منه ولا امرأة أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته.

عن جميع بن عمر، قال: دخلت مع أبي علي عائشة يسألها من وراء الحجاب عن علي ﷺ، فقالت: تسألني عن رجل ما أعلم أحدا كان أحب إلى رسول الله ﷺ منه ولا أحب إليه من امرأته^(٣).

٤. الصفات الجسمية للإمام علي ﷺ

قالوا في صفته: كان علي ﷺ ربعة من الرجال، أدهج العينين عظيمهما، حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر، عظيم البطن إلى السمن، عريض ما بين المنكبين، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يبين عضده من ساعده قد أدمج إدماجا، شثن الكفين، عظيم الكراديس، أغيد

(١) (الحافظ الترمذي في (صحيحه) (ج ١٣ ص ٢٥١ ط الصاوي بمصر)

(٢) (جار الله الزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) (ص ١٥٢)

(٣) (ابن عبد ربه الأندلسي في (العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٤ ط)

كأن عنقه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كثير شعر اللحية، وكان لا يخضب، وقد جاء عنه الخضاب، والمشهور أنه كان أبيض اللحية، وكان إذا مشى تكفأ، شديد الساعد واليد، وإذا مشى إلى الحروب هرول، ثبت الجنان قوي، ما صارع أحدا إلا صرعه، شجاع منصور عند من لاقاه^(١)

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ فِي وصفه: وكان علي أمير المؤمنين يشبه القمر الزاهر، والأسد الهادر، والفرات الزاخر، والربيع الباكر، أشبه من القمر ضوءه وبهائه، ومن الأسد شجاعته ومضاءه، ومن الفرات جوده وسخاءه، ومن الربيع خصبه وحياءه^(٢)..

وروى العلامة المحدث الشيخ علي بن محمد بن أحمد المالكي، الشهير بابن الصباغ، مما رواه العز المحدث، في صفته، وذلك عند سؤال بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل له عن صفته فقال: كان ربة من الرجال، أدعج العينين، حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حسنا، ضخم، عريض المنكبين، شثن الكفين، كأن عنقه إبريق فضة، أصلع، كث اللحية، له مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يتبين عضدة من ساعده قد أدمجت إدماجاً^(٣)..

حدثنا الشيخ أبو الحجاج، قال: رأيت عليا يخطب، وكان من أحسن الناس وجها، كان كأنما كسر ثم جبر، لا يغير شبيهه، خفيف المشي،

(١) (ذخائر العقبى - للطبري - : ٥٧ طبعة القاهرة، الدعج : شدة السواد في العين أو شدة

سوادها في شدة بياضها، شثن : غليظ . المشاش : رؤوس العظام) .

(٢) (لسان العرب - لابن منظور - ١٤ / ٢١٦ مادة (حيا) .

(٣) (الفصول المهمة لابن الصباغ : ١١٠) .

ضحوك..^(١)

وذكر العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري البغدادي في باب مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كان مربع القامة، أدعج العينين عظيمهما، حسن الوجه كأن وجهه القمر ليلة البدر، عظيم البطن أعلاه علم وأسفله طعام، وكان كثير شعر اللحية، قليل شعر الرأس، كأن عنقه إبريق فضة^(٢)..

وروى السيد محمد مرتضى الواسطي الحنفي في حديث ابن عباس: ما رأيت أحسن من شربة علي عليه السلام^(٣) (٤)

وفي الرياض النضرة: وكان عليه السلام ربعة من الرجال، أدعج العينين عظيمهما، حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر^(٥).

وروى ابن العماد الحنبلي في وصف علي عليه السلام: بأنه كان أدعج العينين، حسن الوجه.. عريض المنكبين لهما مشاش كالسبع^(٦)..

عن الشعبي قال: رأيت عليا عليه السلام على المنبر أبيض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه، زاد يحيى بن سعيد في حديثه: على رأسه زغيات.

عن الواقدي قال: يقال: كان علي بن أبي طالب آدم ربعة مسمنا ضخم المنكبين، طويل اللحية أصلع، عظيم البطن، غليظ العينين، أبيض الرأس واللحية.

(١) (أسد الغابة لابن الأثير: ٤ / ٣٩)

(٢) (نزهة المجالس ٢ / ٢٠٤).

(٣) (والشرص: انحسار الشعر عن جانبي الرأس)

(٤) (تاج العروس ٤ / ٤٠١، ومثله في الفائق - للزمخشري - ٢ / ٢٣٧).

(٥) (الرياض النضرة للطبري: ٣ / ١٠٧).

(٦) (شذرات الذهب ١ / ٤٩)

وعن الشعبي أنه قال: رأيت علي بن أبي طالب ورأسه ولحيته قطنة بيضاء وكان إذا مشى تكفأ وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بِنَقْسِهِ فلم يستطع أن يتنفس وهو قريب إلى السمن شديد الساعد واليد وإذا مشى إلى الحرب هروا ثبت الجنان قوي ما صارع أحدا قط إلا صرعه شجاع منصور على من لاقاه.

ومنهم العلامة النقشبندي في (مناقب العشرة) قال: وكان علي عليه السلام عظيم المنكبين لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري لا يبين عضده من ساعده قد أدمج ادماجا شثن الكفين عظيم الكراديس أغيد كأن عنقه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه. وكان كثير شعر اللحية، وروي أنه كان أصفر اللحية، والمشهور أنه كان أبيضها ويشبه أن يكون خضب مرة ثم ترك^(١).

ومنهم العلامة ابن قتيبة في (غريب الحديث) قال: وفي وصف علي عليه السلام له (إنه أهدب الأشفار)؛ أي: طويل^(٢).

ومنهم العلامة باكثير الحضرمي في (وسيلة المآل في عد مناقب الآل) ذكر في توصيفه ما تقدم عن (الفصول المهمة) وزاد: شثن الكفين عظيم الكراديس أغيد كأن عنقه إبريق فضة أصلع ليس في شعر إلا من خلفه كثير شعر اللحية وكان لا يخضب وقد جاء عنه الخضاب والمشهور أبيض اللحية، وكان إذا مشى تكفأ شديد الساعدين واليد إذا مشى للحرب هروا، ثبت الجنان قوي الأركان ما صارع أحدا إلا صرعه^(٣).

ومنهم العلامة المولى محمد عبد الله بن عبد العلي القرشي الهاشمي

(١) (مناقب العشرة ص ٥)

(٢) (غريب الحديث ص ٤٧٣)

(٣) (وسيلة المآل في عد مناقب الآل) (ص ١٤٦)

الحنفي الهندي في (تفريح الأحباب في مناقب الآل والأصحاب) قال: وكان علي شيخا أصلع كثير الشعر ربعة إلى القصر أقرب عظيم البطن عظيم اللحية جدا قد ملئت ما بين منكبيه بيضاء كأنهما قطن آدم شديد الأدمة^(١).

وقال الأستاذ توفيق أبو علم المعاصر في (أهل البيت): وكان علي بن أبي طالب (أي علي علي بن أبي طالب ربعة من الرجال إلى القصر أقرب وإلى السمن أنجل (النجل سعة العين مع حسنها يقال رجل أنجل وامرأة نجلاء) أسمر، أصلع أبيض الرأس واللحية طويلها، ثقل العينين أزج الحاجبين حسن الوجه واضح البشاشة، أعيد كأنما عنقه إبريق فضة، عريض المنكبين لهما مشاش كمشاش (المشاش رأس العظم) السبع الضاري لا يتبين عضده من ساعده قد أدمجت ادماجا، وكان أبجر، أي كبير البطن، يتكفأ في مشيته على نحو يقارب مشية النبي صلى الله عليه وآله وسلم..

وكان يتمتع بقوة جسدية بالغة في المكانة والصلابة والصبر على العوارض والآفات، ومن قوة تركيبته صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان لا يبالي الحر والبرد ولا يحفل الطوارئ الجوية في صيف ولا شتاء^(٢)..

وقال الحافظ ابن عساكر الدمشقي في (ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق) قال: ويقال إنه (أي علي) كان ربعة آدم، وقد قيل: أحمر ضخم المنكبين طويل اللحية أصلع عظيم البطن أبيض الرأس واللحية^(٣).

ولا أراه يغالي المرء عندما يجزم بأن التاريخ الإسلامي بسجله الحافل وصفحاته الواسعة لم تستوقفه شخصية ما ما بعد رسول الله

(١) (تفريح الأحباب في مناقب الآل والأصحاب) (ص ٣٤٨)

(٢) (أهل البيت: ص ١٩٦ ط القاهرة)

(٣) (تاريخ دمشق: ج ١ ص ١٧ ط بيروت)

محمد ﷺ - الرحمة الإلهية المهداة - غير شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا يذهب - قطعاً - إلى هذا القول بسطاء الناس وعامتهم، ولا فقط من يحمل عليهم البغض ويصمهم بشتى النعوت وأقسى الأوصاف، كالمغلاة، والحب المفرط، بل قلما يجد المرء - بعد عسير الجهد ومشقة البحث - من يتجاهلها، وهم أولاء لا يعدو كونهم إلا ممن أعمتهم الشمس الساطعة فاتهموها بالكسوف.

ناهيك عن أنه ما حظيت شخصية بالتكريم الإلهي والثناء المحمدي - وبهذا الإطناب الرائع - عدا شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، وكذا لم ينقل لأحد ما نقل له من هذه الأوصاف والنعوت التكريمية، واغترف الكثيرون من هذا البحر الكبير، في حين تجرأ البعض منهم فخاضوا عبابه، فما استدل معظمهم على مرافئه الأمانة وشواطئه الساكنة، فحلت بهم سفنهم حيث الضلال والانحراف. فالتجرد الواعي، والنزاهة السليمة لا بد وأن تكون محك البحث، ومقياس الحكم، ومداد الأقلام، حيث أن مئات من السنين العجاف التي ألمت بالعالم الإسلامي لا بد وأن تستوقف كل ذي عقل لبيب، وذهن فطن.

فالصراع الأزلي بين الظلمة والنور، وبين الخير والشر لا يمكن أن يسترسل على منوال واحد وسبيل معروف، ومن الخطأ التسليم بأن لا جديد تحت الشمس، فالتلون أمسى ستارا يستخفي خلفه ذوو المآرب الدنيئة والنفوس الفاسدة. ولعله من قبيل الأمر المسلم به أن الأمويين وقفوا كالشوكة المدببة، والذئب الضاري، يعمل أنيابه الناتئة وأضراسه الحادة في كل ما خلفه علي عليه السلام نسلاً وحرثاً وتراثاً.

وهذي أمهات المكتبات حبلى من آثار تلك البصمات الوسخة التي حاولت جاهدة أن تخفي نور النهار بمساحة الكف. وإذا كان الظلم قد

أنشبت أظافره بادئ ذي بدء بذلك الجسد الطري للصبى الذي كان أول من نطق بالشهادتين، فإن هذا الظلم لازمه ولصق به حتى يومنا هذا، قلدا ما أصدق قوله عليه السلام: (أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة^(١))، روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (أولكم ورودا علي الحوض أولكم إسلاما، علي بن أبي طالب) روى مثل هذا القول ابن حجر في الإصابة ٥٠٧/٢^(٢).

وقوله عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن مما عهد إلي النبي صلى الله عليه وآله أن الأمة ستغدر بي بعده)^(٣)

وإذا كان للزمن أثر، فما تركه الأمويون من آثار لهي من الكثرة بمكانة بحيث تستوجب التأمل والتريث في أخذ ما مر تحت أنظارهم وما تناقلته ألسنتهم، فقد (عمل الأمويون على طمس مناقب الإمام علي وفضائله بسبب حقدهم عليه، (ولم يكتفوا بذلك بل) كانوا يهددون كل من تحدث بمناقبه^(٤))

ولعل روايات مقتله عليه السلام جانب من تلك الجوانب التي امتدت إليها أصابع التزوير وتركت فيها آثارا واضحة لا تخفى على من وهبه الله تعالى بصيرة يستهدي بها ويتجنب العثار. فحقد الأمويين هذا وسعيهم الدؤوب في طمس فضائل الإمام علي عليه السلام دفع الكثيرين إلى التساؤل.. لِمَ؟! ولا تفسير أبلغ لهذا السؤال من قول مروان للإمام علي بن الحسين عليه السلام

(١) (نور الأبصار - للشبلنجي - : ٩٠)

(٢) الرياض النضرة ٣ - ٤ / ١١٠، مستدرك الحاكم ٣ / ١٣٦، تاريخ بغداد ٢ / ٨، الإشتياع ٢ / ٤٥٧ وأورده الطبراني في الأوائل: ٧٨ ح ٥١ بطرق مختلفة.

(٣) (مستدرك الحاكم ٣ / ١٤٠)

(٤) (الإصابة - لابن حجر - ٥٠٧ / ٢)

عندما سأله عن مغزى الاصرار على شتم وسباب الإمام علي عليه السلام على المنابر، فقال: (لا يستقيم لنا هذا (الحكم) إلا بهذا (السباب))^(١).

بيد أن ما يسمو بعلي عليه السلام ويزيد في غيظ أعدائه قول رسول الله ﷺ له: (يا علي، إنك أول من يقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب بعدي)^(٢).

ويقول ابن أبي الحديد: وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلاع ثناياها، وما أقول في رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها حاملا سيفه مشمرا لحربه وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها، وكان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته وكان على سيف الب أرسلان وابنه ملكشاه صورته كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر.

وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يتكثر به وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها: أن لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك.. فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه وصنفوا في ذلك كتباً وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه، وقصروه عليه وسموه سيد الفتيان وعضدوا مذهبهم بالبيت المشهور المروي أنه سمع من السماء إذ قاله جبرائيل عليه السلام يوم أحد.

لا سيف إلا ذو الفقار
ولا فتى إلا علي

(١) (أنساب الأشراف ٢ / ١٨٤)

(٢) (الرياض النضرة ٣ - ٤ / ١١٤)

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة قالوا: قل أن يسود فقير وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له وكانت قريش تسمية الشيخ، وهو الذي كفل رسول الله ﷺ صغيراً وحماه وحاطه كبيراً ومنعه من مشركي قريش ولقي لأجله عنتاً عظيماً وقاسى بلاء شديداً وصبر على نصره والقيام بأمره، وجاء في الخبر أنه لما توفي أبو طالب أوحى إليه الجليل يأمره بالهجرة وأن يخرج منها فقد مات ناصرته وله مع شرف هذه الأبوة أن ابن عمه محمد سيد الأولين والآخرين، وأخاه جعفر ذو الجناحين وزوجته سيدة نساء العالمين وابنيه سيدا شباب أهل الجنة فأبأوه آباء رسول الله وأمهاته أمهات رسول الله وهو مسوط بلحمه ودمه لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب وأمهما واحدة فكان منهما سيدا الناس هذا الأول وهذا التالي وهذا المنذر وهذا الهادي.

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله وعبده وكل من في الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير محمد رسول الله ﷺ.

ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه ﷺ أول الناس اتباعاً لرسول الله ﷺ وإيماناً به ولم يخالف في ذلك إلا الأقباء وقد قال هو ﷺ: أنا الصديق الأكبر وأنا الفاروق الأول أسلمت قبل إسلام الناس وصليت قبل صلاتهم.

لم يعهد أئمة الحديث، كما لم يألف الحفاظ على اختلاف طبقاتهم على امتداد التاريخ والزمان.. واحداً من الصحابة جاءت وتضافرت بحقه من المناقب والفضائل، ما جاءت عن الصادع الكريم ﷺ في حق ربيب معدن الرسالة.. ونفس النبي الأعظم ﷺ وخليفته الإمام أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام. فقد وردت في حقه من الأحاديث التي لا يمكن ضمها وجمعها، في أسفار ومجلدات ودورات وإن تصدى البعض من الحفاظ والرواة إلى جمعها وتدوينها عبر التاريخ، بيد أنهم لم يأتوا بها بصورة كاملة ومستوعبة وجامعة من كافة النواحي، لذلك نجد في كل كتاب وسفر شطرا من مناقبه، ونتفا من فضائله الجمّة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أئمة الحديث لم يتمكنوا من استيعاب جميع مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأن جمعها وتدوينها في الواقع خارج عن حدود إمكانياتهم العلمية، وعن صعيد البحث والتحقيق والتتبع. وكيف يمكن وقد قال مجاهد بن جبير - من كبار التابعين وعلماء المفسرين - فيه: إن لعلي عليه السلام سبعين منقبة ما كانت لأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله مثلها، وما من شيء من مناقبهم إلا وقد شاركهم فيها^(١).

وقال سليمان بن طرخان التيمي العابد: كان لعلي بن أبي طالب عليه السلام عشرون ومائة منقبة لم يشترك معه فيها أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، وقد اشترك في مناقب الناس^(٢).

وقال أبو الطفيل - نقلا عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله: لقد سبق لعلي بن أبي طالب عليه السلام من المناقب ما لو أن واحدة قسمت بين الخلق وسعهم خيرا^(٣).

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من

(١) (شواهد التنزيل: ١ / ١٧)

(٢) (شواهد التنزيل: ١ / ١٧)

(٣) (شواهد التنزيل: ١ / ١٨)

الفضائل أكثر مما جاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام.^(١)

٥. قصة ضرار بن ضمرة

عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح قال دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية فقال له: صِفْ لي عليا..

فقال: أو تعفيني يا أمير (المواطنين).. قال: لا أعفيك..

قال: أما إذ لا بد فإنه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما جشب كان والله كأحدنا يدنينا ويخبرنا إذا أتينا، ويجيبنا إذا سألناه..

وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين، ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله..

فأشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه يميل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تمللم السليم ويبكي بكاء الحزين فكأنني أسمع الآن، وهو يقول: يا ربنا، يا ربنا يتضرع إليه؛ ثم يقول: للدنيا إليّ تعرّضت أم إليّ تشوفت هيهات هيهات غري غيري قد بنتك (طلقتك) ثلاثا فعمرك قصير ومجلسك حقير وخطرك يسير

(١) (شواهد التنزيل: ١ / ١٨، مستدرک الصحيحين: ٣ / ١٠٧، تهذيب التهذيب: ٧ / ٣٣٩، نظم

درر السمطين: ٨٠)

آه، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق..

فوكفت (جرت) دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها
بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء فقال: كذا كان أبو الحسن رَحَّمَ اللهُ كَيْفَ
وجدك (حزنك) عليه يا ضرار؟

قال (ضرار) : وجد (حزن) من ذبح واحدها (ولدها الوحيد) في
حجرها لا ترقأ دمعها ولا يسكن حزنها ثم قام فخرج^(١).

إلى غير هذا من شهادات وأقوال الصحابة، والتابعين، والسلف
في كل حين وما هي إلا غيظ من فيض من بحور فضائل وخصائص
أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين رأس الإيمان، وفخر
الإسلام، ولسان القرآن، وحجة الرب الديان، ومثال القدوة ونعم الأسوة
للإنسان، في كل زمان ومكان (عليه آلاف التحية والصلاة والسلام) ما
خلق الله خلقا وكان في الكون أنام..

ولذلك اندفع ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي في مقدمة شرحه،
يقول بصراحة وبملء فمه: فأما فضائله عليه السلام فإنها قد بلغت من العظم
والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغا، يسمح معه التعرض لذكرها،
والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى
بن خاقان - وزير المتوكل والمعتمد - : رأيتني فيما أتعاطى من وصف
فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى
على الناظر، فأيقنت أنني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز،
مقصر عن الغاية، فأنصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت
الأخبار عنك إلى علم الناس بك.

(١) (حلية الأولياء لأبي نعيم ص ٨٤)

ثم يضيف: وما أقول في رجل أقرَّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعاييب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر (أكثر من ثمانين ألف منبر)، وتوعدوا مادحيه، بل حبسوه، وقتلوه، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكرا، حتى حظروا أن يسمى أحدا باسمه (الشريف)، فما زاده ذلك إلا رفعة وسموا، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عَرَفَه، وكلما كتم تَضَوَّع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.. إلخ^(١)

وقال في الصواعق المحرقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٢) أخرج الحافظ جمال الدين، عن ابن عباس أن هذه الآية لما نزلت قال النبي لعلي عليه السلام: أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي أعداؤك غضابا مقمحين. فقال: ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك ولعنك.

وأخرج أحمد والترمذي، عن جابر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا بيفضهم عليا.

وروي في نور الابصار للشبلنجي: أن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام سأل جابر بن عبد الله الانصاري - رضي الله تعالى عنه - لما دخل عليه عن عائشة وما جرى بينها وبين علي عليه السلام. فقال له جابر: دخلت عليها يوما وقلت لها: ما تقولين في

(١) مقدمة شرح النهج الرائعة

(٢) سورة البينة آية ٧:

علي بن أبي طالب؟ فأطرقت رأسها ثم رفعتة وقالت:

إذا ما التبر حك على محك

تبين غشه من غير شك

وفينا الغش والذهب المصفي

علي بيننا شبه المحك

وروي عن السيدة عائشة - مع انحرافها وبغضها الشديد بل وحربتها الضروس لأمر المؤمنين الإمام علي عليه السلام - قالت: كنا نختبر أولادنا على عهد رسول الله ﷺ بحب علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن أحبه علمنا أنه لرشده (أي أنه ابن حلال ورشد لسلامة نسبه)، وإلا فهو مطعون النسب مجهول الأصل، وهذا ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: (لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجملتها (بكبيراها وصغيرها) على منافق على أن يحبني ما أحبني، وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي الأمي ﷺ، أنه قال: يا علي لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق)^(١)

نعم ما قال الحافظ رجب البرسي: سرُّ النجاة بالإيمان، ولا إيمان إلا ببرهان، (وإليه الإشارة بقوله: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾^(٢))، وصاحب البرهان على بينة من ربه، وحق اليقين لا شك بعده، وليس بعد الهدى إلا الضلال، فالمؤمن الموقن كشارب الترياق لا يضره سم أبدا، والمقلد إيمانه لعقّة على لسانه فلا يعرف الحق حتى يتبعه، ولا يقدر على عرف الباطل فيمنعه، فهو كالمطعون كلما ازداد علاجا ازداد مرضا، أو كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا، وكذلك المرتاب في فضل علي

(١) (النهج: حكمة ٤٥) (بحار الأنوار: ٣٩ / ٢٩٦ ح ٩٩)

(٢) (البقرة: ١١١)

لا يصبو إلى الحسن ما تجلى عليه من عرايسه، ولا ترتاح نفسه لسماع نفايسه، فكلما تليت عليه آياته، ولى مدبراً، وصد مستكبراً، لأنه لم يؤمن بها من الأزل ولم يزل، فلذلك لم يؤمن بها اليوم، ولم ينقد مع القوم، وكيف يعرفها في عالم الأجسام والأشباح؟ وقد أنكرها في عالم الأرواح، فهو في عالم الأجساد مفسوخ، ومن عالم الأرواح مفسوخ، وفي سجين مرسوخ، لأن الأجساد تابعة للأرواح وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(١) لأن الإيمان من ذلك اليوم. ودليله قوله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾^(٢) في ولاية علي الذي أخذ عليهم عهدها في الأزل وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^(٣) يعني يصلون حب الله بحب محمد، وحب محمد بحب علي عليه السلام، وحب علي بحب فاطمة، وحب فاطمة بحب عترتها. ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ في ترك الولاية ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ لمن لم يؤمن بآل محمد.

ودليل ذلك أن رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إني أحبك، فقال له: كذبت إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم عرض علي المطيع منها والعصاة فما رأيتك يوم العرض في المحبين، فأين كنت؟^(٤)

وقال أبو عبد الله عليه السلام: أعداؤنا مسوخ هذه الأمة

ومن أنكر فضل آل محمد عليهم السلام فهو عدوهم، وإن كثر صومه وصلاته فإن عبادة إبليس أعظم وأكثر، فإن ذلك ضاع عند عصيانه

(١) (الأنعام: ١١٠)

(٢) (الرعد: ٢٠)

(٣) (الرعد: ٢١)

(٤) (نهج السعادة: ٧/٤٠٩، ومناقب آل أبي طالب، ٢/ ٩٦ بتفاوت)

وخلافه، ولا فرق بين عصيان الرب وعصيان الإمام.

ولهذا ما أنكر فضل آل محمد من الأمم السالفة إلا مسخ (المسخ المتقدم في رواية الإمام الصادق عليه السلام أعم من المسخ في الدنيا والآخرة والمراد في الآخرة ما يسمى بتجسد الأعمال من حشر بعض الناس على شكل الحيوانات. والمراد في الدنيا ما جاء في بعض روايات الإمام الصادق عليه السلام من إراءة الإمام الناس لأبي بصير على حقيقتهم قردة وخنازير.

أقول: وإنما قلنا ذلك لما نشاهده من أعدائهم في الحياة الدنيا على طبيعتهم الإنسانية ولما ثبت من رحمة أمة محمد عليه السلام بعدم المسخ)، ولا يرد فضلهم إلا من خبث أصله ورسخ، فمن أنعم الله عليه بحب علي عليه السلام والإقرار بفضله ووجد روحه بين جنبيه، ووجد صدره منشرحا عند وصول أسراره إليه، ولم يجد الشكوك تنازعه، ولا يد الإنكار تمانعه، فقد طاب مولده وعنصره، وزكى محتده ومخبره، وإليه الإشارة بقول أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (لا تدعوا الناس إلى ما أنتم عليه، فوالله لو كتب هذا الأمر على رجل لرأيته أسرع إليه من الطير إلى وكره، وأسبق من السيل إلى جوف الوادي).

ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لو ضربت خيشوم المؤمن على أن يبغي ما فعل، ولو صببت الدنيا على المنافق على أن يحبني ما فعل، وبذلك أخذ الله لي العهد في الأزل ولم يزل)^(١)

ولذلك قال للرجل: فما رأيتك في المحبين فأين كنت؟ فعليه عرضت الأرواح، وعليه تعرض الأعمال في عالم الأجسام، وعليه تعرض عند الممات، ويعلم مقامها بعد الوفاة، ويعلم ما يصير إليه الرفات،

(١) (بحار الأنوار: ٣٩ / ٢٩٦ ح ٩٩)

وإليه عودها عند القيام، وهو وليها في ذلك المقام، وقاسمها إلى النعيم أو الانتقام، من فضل الله رب الأنام، وولاية من ذي الجلال والإكرام. فعلي عليه السلام ولي الأشباح، وولي الأديان وولي الإيمان وولي الحياة وولي الممات، وولي الحساب وولي النعيم وولي العذاب..

وويل للمكذب والمرتاب. الذين لفضل علي عليه السلام ينكرون، ولما خصه الله به من الآيات يجحدون، وعن آياته يستكبرون، وفي علو مقاماته يرتابون ويستعظمون، وبها يكذبون وفيها يلحدون، أولئك في العذاب محضرون، وعن الرحمة مبعدون.

فلو أن أحدهم عمّر في الدنيا ما دارت الأفلاك وسبحت الأملاك، وحج ألف حجة، وكان في أيامه مقبلا على الصيام والقيام، وكان له من الحسنات بعدد ورق الأشجار، ومن الطاعات بوزن رمل القفار، ومن المبرات بعدد قطر الأمطار، ومن الخيرات بعدد ما في القرآن حرفا حرفا، وبعده كل حرف ألفا ألفا، وقرأ كل كتاب نزل، وفهم كل خطاب من العلم والعمل، ورافق النبيين وصحب المرسلين، وأقام في الصافين، وقتل شهيدا بين الركن والمقام، ثم أنكر من فضل علي حرفا، وارتاب في فضله وأخفى، لم ير في بعثه سعدا، ولم يزد من رحمة الله إلا بعدا.

وابن أبي الحديد قال: روى حماد بن صالح عن أيوب عن أبي كهمس عن علي عليه السلام قال: (يهلك في ثلاثة: اللاعن، والمستمع المقر، وحامل الوزر.. وهو الملك المترف الذي يتقرب إليه بلعني ويبرأ عنده من ديني وينتقص عنده حسبي، وإنما حسبي حسب رسول الله صلى الله عليه وآله ودينه دينه..

وينجو في ثلاثة: من أحبني، وأحب محبي، ومن عادى عدوي.. ومن أشرب قلبه بغضي وألب عليّ أو انتقصني فليعلم أن الله عدوه وجبرئيل،

والله عدو للكافرين..^(١)

وابن أبي الحديد عن أحمد بن حنبل في المسند قال: قال رسول الله ﷺ النظر إلى وجهك يا علي عبادة، أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة، من أحبك أحبني وحببي حبيب الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضك..^(٢)

وابن أبي الحديد عن أحمد بن حنبل قال: قال رسول الله ﷺ: (أوصيكم بحب أقربها أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني عذبه الله بالنار..)^(٣)

أبو نعيم في حلية الأولياء في الجزء الثالث بإسناده عن عدي بن ثابت عن زرارة قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة وتردى بالعظمة إنه لعهد النبي ﷺ إليّ أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. قال أبو نعيم: هذا حديث صحيح متفق عليه رواه جماعة^(٤)..

بالإسناد عن سلمان الفارسي قال: قال النبي ﷺ: يا علي محبك محبي، مبغضك مبغضي.^(٥)

وبإسناد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها الله، فليوال عليا من

(١) (شرح نهج البلاغة)

(٢) (شرح نهج البلاغة).

(٣) (شرح نهج البلاغة)

(٤) (حلية الأولياء، ٤ / ١٨٥)

(٥) (الفردوس بمأثور الخطاب: ٥ / ٣١٦ ح ٨٣٠٤)

بعدي، وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي وزقوا فهما وعلماء، ويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي..^(١)

عن مطرف عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي ﷻ، غرس قضبانها بيده فليتول علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجهم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة^(٢)..

أحمد بن شاذان في المناقب المائة بإسناده عن ابن عباس عن أنس بن مالك قال: جاء رسول الله ﷺ فقال له: أينفعني حب علي بن أبي طالب؟ قال: لا أعلم حتى أسأل جبرائيل، فأتاه جبرائيل في سرعة فقال النبي ﷺ: أينفع هذا الرجل حب علي بن أبي طالب؟ فقال: لا أعلم حتى أسأل إسرافيل فارتفع جبرئيل فقال لإسرافيل: أينفع حب علي بن أبي طالب؟ قال: لا أعلم حتى أناجي رب العزة، فأوحى الله تعالى إلى إسرافيل فقال: قل لجبرئيل يقرئ محمدا السلام ويقول: أنت مني حيث شئت، وأنا وعلي منك حيث أنت مني، ومحبو علي مني حيث علي منك، خلق الله تعالى من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحببيه إلى يوم القيامة.

ابن شاذان هذا بإسناده عن علي بن الحسين عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قد فرض عليكم طاعتي ونهاكم عن معصيتي وأوجب عليكم اتباع أمري، وفرض عليكم من طاعة علي بن أبي طالب بعدي كما فرض عليكم من طاعتي ونهاكم عن معصيته

(١) (حلية الأولياء: ١٠ / ٨٦)

(٢) (حلية الأولياء: ٤ / ٣٥٠).

كما نهاكم عن معصيتي وجعله أخي ووزير ووصي ووارثي، وهو مني وأنا منه، حبه إيمان وبغضه كفر، محبه محبي ومبغضه مبغضني، هو مولى من أنا مولاه، وأنا مولى كل مسلم ومسلمة، وأنا وهو أبوا هذه الأمة^(١)..

ابن شاذان بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنت عند النبي ﷺ جالسا إذ أقبل علي بن أبي طالب فأدناه ومسح وجهه ببردة وقال: يا أبا الحسن ألا أبشرك بما بشرني به جبرئيل؟ فقال: بلى يا رسول الله قال: إن في الجنة عينا يقال لها تسنيم يخرج منها نهران لو أن بهما سفن الدنيا لجرت، قضبانها من اللؤلؤ والمرجان الرطب، وحشيشها من الزعفران، على حافتيهما كراس من نور، عليها أناس جلوس مكتوب على جباههم بالنور: هؤلاء المؤمنون، هؤلاء محبو علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢)

ابن شاذان بإسناده عن عبد الله بن العباس قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي إن جبرئيل عليه السلام أخبرني فيك بأمر قرت به عيني وفرح به قلبي قال: يا محمد، إن الله تعالى قال لي: اقرأ محمدا مني السلام وأعلمه أن عليا إمام الهدى ومصباح الدجى والحجة على أهل الدنيا فإنه الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، آليت بعزتي لا أدخل النار أحدا تولاه وسلم له وللأوصياء من بعده، ولا أدخل الجنة من ترك ولايته والتسليم له وللأوصياء من بعده، حق القول مني لأملأن جهنم وأطابقها من أعدائه، ولأملأن الجنة من أوليائه وشيعته^(٣)..

وثبت عن غير واحد من الصحابة قولهم: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض علي بن أبي طالب عليه السلام وأولهم السيدة عائشة كما تقدم.

(١) (مائة منقبة: ٤٦ / منقبة: ٢٢)

(٢) (مائة منقبة: ٥٦ / منقبة: ٢٩)

(٣) (مائة منقبة: ٥٧ / منقبة: ٣٠)

وجاء في الصحيح مرفوعا: لو أن رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار..

وفي حديث: لو أن عبدا عبد الله سبعة آلاف سنة ثم أتى الله بِعِبَادِكَ يبغض علي جاحدا لحقه ناكثا لولايته لأتعتس الله خيره وجدع أنفه.

وفي حديث: لو أن عبدا عبد الله بِعِبَادِكَ مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومد في عمره حتى حج ألف عام على قدميه ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوما ثم لم يوالك يا علي! لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها.

وفي حديث: لو أن عبدا من عباد الله بِعِبَادِكَ عبد الله ألف عام بين الركن والمقام ثم لقي الله بِعِبَادِكَ مبغضا لعلي وعترتي أكبه الله على منخره يوم القيامة في نار جهنم.

وفي حديث: يا علي! لو أن أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا وصلوا حتى يكونوا كالإوتار ثم أبغضوك لأكبهم الله في النار.

وفي المستدرک علی الصحیحین للحاکم مرفوعا: يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك^(١).

وفي حديث مرفوعا أرسل رسول الله الأنصار فأتوه فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبدا؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هذا علي فأحبه بحبي، وأكرموه بكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم من الله بِعِبَادِكَ^(٢).

وفي حديث مرفوعا: إن عليا راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من

(١) (المستدرک للحاکم ٣: ١٣٠)

(٢) (حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٦٣)

أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبه أحبني، ومن أبغضه أبغضني^(١).

وفي مرفوع: ألا من أبغض هذا (يعني عليا) فقد أبغض الله ورسوله، ومن أحب هذا فقد أحب الله ورسوله.

وفي حديث مرفوعا: هذا جبريل يخبرني: إن السعيد حق السعيد من أحب عليا في حياته وبعد موته، وإن الشقي كل الشقي من أبغض عليا في حياته وبعد موته.

ولا تنس دعاء النبي الأعظم يوم الغدير في ذلك المحتشد الرحيب بقوله: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، اللهم من أحبه من الناس فكن له حبيبا، ومن أبغضه فكن له مبغضا.

وفي لفظ: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه، وأحب من أحبه.

وفي لفظ: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

وفي لفظ: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، وأعز من أعزه، وأعن من أعانه.

فكل من خالف مجامع تلكم النصوص بشهادة الله ورسوله، كائنا من يكون فهو منافق شقي عدو لله ولرسوله يبغضه المولى سبحانه، لا خير فيه ولا في حديثه، لا يقبل ولا يصدق في روايته، أتعس الله خيره وجدع أنفه، وأكبه على منخره يوم القيامة في نار جهنم. دع البشر

(١) (حلية الأولياء، ١: ٦٧)

يقولون عنه: ثقة أو ثبتاً أو من خيار المسلمين^(١).

وكان جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وهو يدور على مجالس الأنصار ويقول: «علي خير البشر فمن أبى فقد كفر» يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي، فمن أبى فانظروا في شأن أمه. وأمثال هذا كثيرة ولا يمكن استيفائها.

ولو رما الإتيان بجميع الأخبار التي رواها أعلام القوم، فضلا عن الشيعة الإمامية، في كتبهم وصحاحهم وزبرهم وبيناتهم لاحتجنا لجمعها كتباً كثيرة، فإن الفضائل التي ذكروها لا تحصى، والمناقب التي سطروها لا تستقصى.. ولو كان البحر مدادا، والأشجار أقلاما والثقلان كتابا، والملائكة حسابا لما أحصوا عشر معشار مناقبه، صلوات الله عليه، كما ورد في الأثر والعيان يغني عن النقل والبيان، ولعمري لو لم يقع عليه نص بالخلافة، لكانت صفاته الظاهرة، ومناقبه الباهرة، وأخلاقه الفاخرة، ونعوته الزاهرة نصوصا صريحة، وبراهين واضحة صحيحة، فكيف وقد وقع ذلك؟!!

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي النحوي: احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل على أنه إمام الكل.

وسئل عن مدحه فقال: ما أقول في مدح امرء كتمت أعباؤه فضائله خوفاً، وأعداؤه حسداً، ثم ظهر ما بين الكتمانين ما ملأ الخافقين؟!!

ولله در ابن أبي الحديد المعتزلي حيث قال في شرحه: أما فضائله فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغا يسمح معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها، وما أقول في رجل أقر له أعداؤه

(١) (الغدير: الشيخ الأميني ج ٩ ص ٢٦٧)

وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله؟! وقد غلب واستولى بنو أمية على سلطان المسلمين في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريف عليه، ووضع المعائب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن فضيلة أو يرفع له ذكر، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسموا وشموخا، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه، وكلما كتم تضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت منه عين واحدة أدركته عيون كثيرة أخرى. وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتنتمي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة؟! فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلى حليتها، كل من نزع فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى^(١).

قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه (الإمام علي عليه السلام): كان فينا كأحدنا، لين جانب وشدة تواضع، وسهولة قيادة وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف.

قال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن فلقد كان هشاً بشاً ذا فكاة

قال قيس: نعم كان رسول الله ﷺ يمزح ويتسم إلى أصحابه (وأراك تُسرّ حسوا في أرتغاء) وتعيبه بذلك أما والله لقد كان مع تلك الفكاة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين (الأسد) قد مسه الطوى تلك هيبة التقوى وليس كما يهابك طعام أهل الشام.

(١) (شرح النهج: ج ١ من ص ٥ - ١٠)

بقي خلق (الإمام علي عليه السلام) متوارثا متناقلا في محبيه وأوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك جيدا^(١).

ولا بد هنا من ملاحظة يجدر بنا أن نذكرك - أخي العزيز - بها ألا وهي: لا أريد منك أن تقرأ الروايات، والأحاديث، والأوصاف التي قد تكررت بعضها وحتى كلها.. قراءة واحدة بل أريدك أن تلاحظ الأوصاف الواردة بسياق الحديث عن الشخص أو الشخصية العلوية المباركة..

فمعالم الشخص شيء، وأوصاف الشخصية شيء آخر كما لا يخفى عليك..

فأوصاف الإمام علي عليه السلام الجسدية تخبرك عن رجل عربي السمات، أسدي البنية، تقي الشكل، بهلول المظهر، نوراني المنظر..

وأما صفاته الشخصية، ومكوناته النفسية فإنها تجسيدا لمكارم الأخلاق، وجميع القيم الانسانية، وكل الفضائل القرآنية، وبكلمة لقد مثل أمير المؤمنين عليه السلام في شخصيته القرآن الكريم، والرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام السليم بكل ما في الكلمة من معاني ومباني..

فأعد القراءة بهذا المنظار ولا تقل لي: لقد كررت بعض المطالب في هذا الباب الشريف..

(١) (شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ جزء ١ ص ٢٦)

ب. خصائص وفضائل الإمام (ع)

قال العلامة الشهير بابن أبي الحديد في مقدمته لشرح نهج البلاغة كلاماً جميلاً نقتطف منه عبقات، ونشم منه نفحات، ونشرب منه نهلات.. لأنها تزكي النفس وتشرح الصدر وتبّل الريق..

١. الفصاحة

فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة.

قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت .

وقال الأصبغ بن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الإنفاق إلا سعة وكثرة حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولما قال محض بن أبي محض لمعاوية: جئتك من عند أعبي الناس قال له: ويحك كيف يكون أعبي الناس فوالله ما سن الفصاحة لقريش

غيره ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه (نهج البلاغة) دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة ولا يبارى في البلاغة، وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب البيان والتبيين وفي غيره من كتبه^(١) -

قال أبو عثمان: فكان جعفر يسميه فصيح قريش. واعلم أننا لا يتخالجنا الشك في أنه عليه السلام أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين إلا من كلام الله سبحانه وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك لأن فضيلة الخطيب والكاتب في خطابته وكتابته تعتمد على أمرين هما مفردات الألفاظ ومركباتها، أما المفردات فإن تكون سهلة سلسلة غير وحشية ولا معقدة، وألفاظه عليه السلام كلها كذلك، فأما المركبات فحسن المعنى، وسرعة وصوله إلى الأفهام، واشتماله على الصفات التي باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض، وتلك الصفات هي الصناعة التي سماها المتأخرون البديع من المقابلة والمطابقة وحسن التقسيم ورد آخر الكلام على صدره، والترصيع، والتسهم والتوشيح، والمماثلة، والاستعارة، ولطافة استعمال المجاز، والموازنة، والتكافؤ والتسميط، والمشاكله، ولا شبهة إن هذه الصفات كلها موجودة في خطبه وكتبه، ماثورة متفرقة فيه فرش كلامه عليه السلام، وليس يوجد هذان الأمران في كلام أحد غيره فإن كان قد عملها وأفكر فيها وأعمل رويته في رصفها ونثرها فلقد أتى بالعجب العجيب ووجب أن يكون إمام الناس كلهم في ذلك لأنه ابتكره ولم يعرف من قبله، وإن كان اقتضبها ابتداءً وفاضت على لسانه مرتجلة وجاش بها طبعه بديهة من غير روية ولا اعتماد فأعجب وأعجب، وعلى

(١) (شرح نهج) (ج ١ ص ٨)

كلا الأمرين فلقد جاء مجليا والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره ويحق ما قال معاوية لمحفن الضبي لما قال به: جئتك من عند أعبي الناس: يا ابن اللخناء ألعلي تقول هذا؟ وهل سن الفصاحة لقريش غيره. واعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب وصاحبه منسوب إلى السفه وليس جاحد الأمور المعلومة علما ضروريا بأشد سفها ممن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها.

حدثنا الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم نمشي في طرقات المدينة إذ مررنا بنخل من نخلها

فصاحت نخلة بنخلة أخرى هذا النبي المصطفى وعلي المرتضى، ثم جزناها

فصاحت ثانية بثالثة هذا موسى وأخوه هارون، ثم جزناها فصاحت رابعة بخامسة هذا نوح وإبراهيم، ثم جزناها

فصاحت سادسة بسابعة هذا محمد سيد المرسلين وهذا علي سيد الوصيين فتبسم النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: يا علي إنما سمي نخل المدينة صيحانيا لأنه صاح بفضلي وفضلك».

٢. حديث الأشباه

١. أخرج إمام الحنابلة أحمد عن عبد الرزاق بإسناده المذكور بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلقه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنته، وإلى محمد

في تمامه وكماله، فليُنظر إلى هذا الرجل المقبل. فتطاول الناس فإذا هم بعلي بن أبي طالب كأنما ينقلع من صلب، وينحط من جبل.

٢. أخرج أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨ في (فضائل الصحابة) بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته: فليُنظر إلى علي بن أبي طالب.

أخرج الحافظ أحمد بن محمد العاصمي في كتابه [زين الفتى في شرح سورة هل أتى] بإسناده من طريق الحافظ عبيد الله بن موسى العبسي عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في بطشه وإلى يحيى بن زكريا في زهده فليُنظر إلى علي بن أبي طالب.

ثم قال: أما آدم عليه السلام فإنه وقعت المشابهة بين المرتضى وبينه بعشرة أشياء:

أولها: بالخلق والطينة.

والثاني: بالمكث والمدة.

والثالث: بالصحابة والزوجة.

والرابع: بالتزويج والخلعة.

والخامس: بالعلم والحكمة.

والسادس: بالذهن والفطنة.

والسابع: بالأمر والخلافة.

والثامن: بالأعداء والمخالفة.

والتاسع: بالوفاء والوصية.

والعاشر: بالأولاد والعترة. ثم بسط القول في وجه هذه كلها فقال:
ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين نوح بثمانية أشياء:

أولها: بالفهم:

والثاني: بالدعوة.

والثالث: بالإجابة.

والرابع: بالسفينة.

والخامس: بالبركة.

والسادس: بالسلام.

والسابع: بالشكر.

والثامن: بالإهلاك. ثم بين وجه الشبه في هذه كلها إلى أن قال:
ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين إبراهيم الخليل بثمانية أشياء:

أولها: بالوفاء.

والثاني: بالوقاية.

والثالث: بمناظرته أباه وقومه.

والرابع: بإهلاك الأصنام بيمينه.

والخامس: ببشارة الله إياه بالولدين اللذين هما من أصول أنساب

الأنبياء عليهم السلام.

والسادس: باختلاف أحوال ذريته من بين محسن وظالم.

والسابع: بابتلاء الله تعالى إياه بالنفس والولد والمال.

والثامن: بتسمية الله إياه خليلاً حتى لم يؤثر شيئاً عليه. ثم فصل

وجه الشبه فيها إلى أن قال: ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يوسف

الصديق بثمانية أشياء:

أولها: بالعلم والحكمة في صغره.

والثاني: بحسد الأخوة له.

والثالث: بنكثهم العهود فيه.

والرابع: بالجمع له بين العلم والملك في كبره.

والخامس: بالوقوف على تأويل الأحاديث.

والسادس: بالكرم والتجاوز عن إخوته.

والسابع: بالعفو عنهم وقت القدرة عليهم.

والثامن: بتحويل الديار. ثم قال بعد بيان وجه الشبه فيها: ووقعت

المشابهة بين المرتضى وبين موسى الكليم عليه السلام بثمانية أشياء:

أولها: الصلابة والشدة.

والثاني: بالمحاجة والدعوة.

والثالث: بالعصا والقوة.

والرابع: بشرح الصدر والفسحة.

والخامس: بالأخوة والقربة.

والسادس: بالود والمحبة.

والسابع: بالأذى والمحنة.

والثامن: بميراث الملك والإمرة. وبين وجه التشبيه فيها ثم قال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين داود بثمانية أشياء:

أولها: بالعلم والحكمة.

والثاني: بالتقوى على إخوانه في صغر سنه.

- والثالث: بالمبارزة لقتل جالوت.
- والرابع: بالقدر معه من طالوت إلى أن أورثه الله ملكه.
- والخامس: بإلانة الحديد له.
- والسادس: بتسبيح الجوامد معه.
- والسابع: بالولد الصالح.
- والثامن: بفصل الخطاب. وقال بعد بيان المشابهة فيها: ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين سليمان بثمانية أشياء:
- أولها: بالفتنة والابتلاء في نفسه.
- والثاني: بتسليط الجسد على كرسية.
- والثالث: بتلقين الله إياه في صغره بما استحق به الخلافة.
- والرابع: برد الشمس لأجله بعد المغيب.
- والخامس: بتسخير الهواء والريح له.
- والسادس: بتسخير الجن له.
- والسابع: بعلمه منطق الطير والجوامد وكلامه إياه.
- والثامن: بالمغفرة ورفع الحساب عنه. ثم بين وجه التشبيه فقال: ووقعت المشابهة بين المرتضى عليه السلام وبين أيوب بثمانية أشياء:
- أحدها: بالبلايا في بدنه.
- والثاني: بالبلايا في ولده.
- والثالث: بالبلايا في ماله.
- والرابع: بالصبر على الشدايد.
- والخامس: بخروج الجميع عليه.

والسادس: بشماتة الأعداء.

والسابع: بالدعاء لله تعالى فيما بين ذلك وترك التواني فيها.

والثامن: بالوفاء للنذر والاجتناب عن الحنث.

وقال بعد بيان وجه المشابهة فيها: ووقعت المشابهة بين المرتضى

وبين يحيى بن زكريا بثمانية أشياء:

أولها: بالحفظ والعصمة.

والثاني: بالكتاب والحكمة.

والثالث: بالتسليم والتحية.

والرابع: ببر الوالدين.

والخامس: بالقتل والشهادة لأجل امرأة مفسدة.

والسادس: بشدة الغضب والنقمة من الله تعالى على قاتله.

والسابع: بالخوف والمراقبة.

والثامن: بفقد السمي والنظير له في التسمية.

ثم قال بعد بسط الكلام حول التشبيه فيها: ووقعت المشابهة بين

المرتضى وبين عيسى بثمانية أشياء:

أولها: بالاذعان لله الكبير المتعال.

والثاني: بعلمه بالكتاب طفلا ولم يبلغ مبلغ الرجال.

والثالث: بعلمه بالكتابة والخطابة.

والرابع: بهلاك الفريقين فيه من أهل الضلال.

والخامس: بالزهد في الدنيا.

والسادس: بالكرم والافضال.

والسابع: بالإخبار عن الكوايين في الاستقبال.

والثامن: بالكفاءة.

ثم بين وجه الشبه فيها: وهذا الكتاب من أنفس كتب العامة فيه آيات العلم وبيانات العبقرية، وقد شغل القوم عن نشر مثل هذه النفائس بالتافهات المزخرفة.

٣. أخرج أخطب الخطباء الخوارزمي المالكي المتوفى ٥٦٨ بإسناده في (المناقب) ص ٤٩ من طريق البيهقي عن أبي الحمراء بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فليُنظر إلى علي بن أبي طالب. وأخرج في ص ٣٩ بإسناده من طريق ابن مردويه عن الحارث الأعور صاحب راية علي بن أبي طالب قال: بلغنا إن النبي ﷺ كان في جمع من أصحابه فقال: أرىكم آدم في علمه، ونوحا في فهمه، وإبراهيم في حكمته. فلم يكن بأسرع من أن طلع علي عليه السلام فقال أبو بكر: يا رسول الله؟ أقست رجلا بثلاثة من الرسل؟! بخ، بخ لهذا الرجل، فمن هو يا رسول الله؟ قال النبي: أو لا تعرفه يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: هو أبو الحسن علي بن أبي طالب. فقال أبو بكر: بخ، بخ لك يا أبا الحسن؟ وأين مثلك يا أبا الحسن؟.

وروى بإسناده بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه. وإلى موسى في شدته. وإلى عيسى في زهده، فليُنظر إلى هذا المقبل، فأقبل علي.

أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي رواه في (مطالب السؤل) نقلا عن كتاب (فضائل الصحابة) للبيهقي بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه،

وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته فليُنظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قال: فقد أثبت النبي ﷺ لعلي بهذا الحديث علما يشبه علم آدم، وتقوى تشبه تقوى نوح، وحلما يشبه حلم إبراهيم، وهيبة تشبه هيبة موسى، وعبادة تشبه عبادة عيسى، وفي هذا تصريح لعلي بعلمه وتقواه وحلمه وهيئته وعبادته، وتعلو هذه الصفات إلى أوج العلا حيث شبهها بهؤلاء الأنبياء المرسلين من الصفات المذكورة والمناقب المعدودة.

عز الدين ابن أبي الحديد قال: روى المحدثون عنه عليه السلام أنه قال: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزته، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه فليُنظر إلى علي بن أبي طالب ^(١).

ورواه من طريق أحمد والبيهقي نقلا عن مسند الأول وصحيح الثاني بلفظ: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وإلى آدم في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فليُنظر إلى علي بن أبي طالب ^(٢).

الحافظ أبو عبد الله الكنجي الشافعي، أخرج في بإسناده عن ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ جالس في جماعة من أصحابه إذ أقبل علي عليه السلام فلما بصر به رسول الله ﷺ قال: من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فليُنظر إلى علي بن أبي طالب ^(٣).

(١) (شرح نهج البلاغة) ج ٢ ص ٢٣٦

(٢) ج ٢ ص ٤٤٩

(٣) (كفاية الطالب) ص ٤٥

ثم قال: قلت: تشبيهه لعلي بآدم في علمه لأن الله علم آدم صفة كل شيء كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. فما من شيء ولا حادثة إلا وعند علي فيها علم وله في استنباط معناها فهم. وشبهه بنوح في حكمته. وفي رواية: في حكمه. وكأنه أصح لأن عليا كان شديدا على الكافرين رؤفا بالمؤمنين كما وصفه الله تعالى في القرآن بقوله: والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم. وأخبر الله عَزَّ وَجَلَّ عن شدة نوح على الكافرين بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦). وشبهه في الحلم بإبراهيم خليل الرحمن كما وصفه عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾. فكان متخلقا بأخلاق الأنبياء متصفا بصفات الأصفياء.

الحافظ أبو العباس محب الدين الطبري رواه في بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب^(١).

قال: أخرجه القزويني الحاكمي. وأخرج عن ابن عباس بلفظ: من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه، وإلى نوح في حكمه، وإلى يوسف في جماله، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

القاضي عضد الأيجي الشافعي رواه بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب^(٢).

وفي حديث آخر ذكره الرازي في تفسيره: من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحا في طاعته، وإبراهيم في خلقه، وموسى في قربه، وعيسى في

(١) (الرياض النضرة ٢ ص ٢١٨)

(٢) (المواقف ج ٣ ص ٢٧٦)

صفوته فليُنظر إلى علي بن أبي طالب.

ولكن السؤال هنا هو: هل رجعت كل هذه الروايات الشريفة، والأحاديث المتضافرة والتشابهة البليغة للإمام علي عليه السلام بصفات كل هؤلاء الكرام من الأبناء والرسول صلى الله عليه وسلم من أن يحاربه المحاربون، وحربه حرب الله ورسوله...؟!

ت. شجاعة الإمام علي(ع)

١. الشجاعة

قالوا: أن الشجاعة هي من جملة القوى الغضبية لدى الإنسان، ولها ميزانها من الرذائل والفضائل.

فمن الرذائل في القوة الغضبية: التهور، وهو الإقدام على ما لا ينبغي الإقدام عليه، والخوض في ما يمنعه العقل السليم، والشرع الحكيم من المهالك والمخاوف، ولا ريب أنه من المهلكات في الدنيا والآخرة.^(١)

ومن الرذائل أيضا: الجبن، وهو سكون النفس عن الحركة إلى الانتقام أو غيره، مع كونها أولى بالثورة لأخذ الحق..وعليه فإنه يلزم الإنسان من الأعراض الذميمة: مهانة النفس، والذلة، وسوء العيش، وطمع الناس به وفيما يملكه، وقلة ثباته في الأمور، والكسل، وحب الراحة. وهذا الخلق الذميم(الجبن) يوجب الحرمان من السعادات

(١) (جامع السعادات، الشيخ التراقي: ١ / ٢٠٦ بتصرف)

بأسرها، وتمكين الظالمين من ممارسة الظلم عليه، وتحمله للفضائح في نفسه وأهله، واستماع القبائح من الشتم والقذف، وعدم مبالاته بما يوجب الفضيحة والعار، وتعطيل مقاصده ومهماته، ولذلك ورد في ذمه من الشريعة ما ورد..

كقول رسول الله ﷺ: لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلا ولا جباناً..^(١)

والتهور والجبن كلاهما متطرفان متضادان بين الإفراط والتفريط للقوة الغضبية، ووسطهما الشجاعة، ولكن.. ما هي الشجاعة في نظر علماء الأخلاق؟

يقول الشيخ النراقي رَحِمَهُ اللهُ: إن الشجاعة هي طاعة (النفس) قوّة الغضب العاقلة، في الإقدام على الأمور الهائلة، وعدم اضطرابها بالخوض في ما يقتضيها رأيها. ولا ريب في أنها أشرف الملكات النفسية، وأفضل الصفات الكمالية (لبنى البشر).. وقد وصف الله سبحانه خيار الصحابة بها في قوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢)

وأمر الله نبيه بها بقوله: ﴿وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣) إذ الشدة من لوازمها وآثارها، والأخبار مصرحة باتصاف المؤمن بها..^(٤)

قال الإمام الصادق عَالِيَهُ السَّلَامُ: إن المؤمن أشد من زبر الحديد، إن زبر الحديد إذا دخل النار تغير، وإن المؤمن لو قتل ثم نشر، ثم قتل، لم يتغير قلبه «لم يتغير قلبه» أي عقائده التي في قلبه لا تتبدل أو تتغير..^(٥)

(١) (نفس المصدر) / ٢٠٧

(٢) (سورة الفتح: ٢٩)

(٣) (سورة التوبة: ٧٣)

(٤) (جامع السعادات ١: ٢٠٨ بتصرف)

(٥) (صفات الشيعة، للشيخ الصدوق: ١٧٩)

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: إن المؤمن أعز من الجبل، الجبل يستفل بالمعاول، والمؤمن لا يستفل دينه بشيء..^(١)

فالشجاعة إذن من القوى الغضبية العاقلة، التي تترفع من جهة عن الجبن والخوف المذموم، وعن الذلة والدناءة والضعفة، ومن جهة أخرى تترىث من التهور والموقف المتعجل والكلمة التي لا تمر بتحليل الفكر الناضج..

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: إن للسخاء مقداراً، فإن زاد عليه فهو سرف وللحزم مقداراً، فإن زاد عليه فهو جبن. وللاقتصاد مقداراً، فإن زاد عليه فهو بخل. وللشجاعة مقداراً، فإن زاد عليه فهو تهور فإذا اعتدلت القوة الغضبية، واتسمت بالعقل كانت شجاعة، وكانت صفة شريفة، وطاقة نافعة..^(٢)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: السخاء والشجاعة غرائز شريفة، يضعها الله سبحانه فيمن أحبه وامتحنه..^(٣)

وقال (سلام الله عليه) أيضاً: الشجاعة نصره حاضرة، وقبيلة ظاهرة..^(٤)

ومثل هذه الخصلة النبيلة ضروري أن يتحلى بها الأنبياء (صلوات الله عليهم)، فهي من الكمالات الشريفة، والفاقد لها مجرد عن الرجولة.. والنبي «محمد ﷺ» هو سيد الأنبياء والمرسلين، فالشجاعة فيه أعلا

(١) (تنبيه الخواطر: ٣٦٤)

(٢) (الدرة الباهرة: ٤٣)

(٣) (غرر الحكم)

(٤) (غرر الحكم)

وأظهر، ولقد وصف بها فقال أنس بن مالك: كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، وأحسن الناس، وأجود الناس، قال: لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ وقد سبقهم، وهو يقول: لم تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة وفي عنقه السيف، قال: فجعل يقول للناس: لم تراعوا، وجدناه بحرا أو إنه لبحر^(١)

وعن الإمام علي عليه السلام أيضا قال: رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبِيِّ ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا.

وعنه عليه السلام قال: كنا إذا أحمرَّ البأس، ولقي القوم، القوم، اتقينا برسول الله، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه^(٢)

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خص رسوله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عز وجل وارغبوا إليه في الزيادة منها؛ فذكرها عشرة: اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروءة^(٣)

والشجاعة - كما قدمنا - ليست مجرد إقدام على الخصم، وإهواء السيف على رأسه.. إنما الشجاعة الحقَّة ما كانت جهادا في سبيل الله، وتحقيقا لطاعة الله، وإقداما على هدى من الله، ودفعا لأعداء الله، وتحصينا لدين الله، وحماية لعباد الله. وإلى ذلك كله لا بد للشجاعة الحقيقية أن تعبر عن العزة والكرامة والإباء، وعن الشهامة والمروءة والترفع عن حب الدنيا وأطماعها، فإن الشجاعة مجردة عن ذلك تكون

(١) (مكارم الأخلاق، للشيخ الحسن بن الفضل الطبرسي، ١٩)

(٢) (ن م: ١٨)

(٣) (تحف العقول: ٣٦٢)

تهورا وحباً للانتقام وطلباً للسمعة، ووقوعاً في معصية الله، وسقوطاً في شرك الشيطان.

فقد يظن القاتل أنه شجاع، فإذا تأمل وجد أنه قاتل للنفس المحترمة، ومن جهة أخرى أنه عبد لنزواته، ومن جهة ثالثة أنه ذليل بطاعته للشيطان وهوى النفس، وإقدامه على القتال طمعا في دنيا، ورغبة في شهرة، فلم تكن شجاعته لله، ولا في سبيل الله. بينما الشجاعة في الدين عزة وكرامة..

والشجاعة من الشروط الأساسية للنجاح، سواء على المستوى العام للزعماء وأصحاب الرسائل، أم على المستوى الشخصي للآباء والأمهات، أم للعاملين في الحقول المختلفة في الحياة..

وهي حجر الزاوية في صفات الفروسية.. فهل يمكن تصوّر رجل عظيم جبان؟ وهل هناك شخص واحد نجح من غير أقدام؟

وحقاً ما يقول أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه) : الشجاعة عز حاضر.. والشجاعة نصره حاضرة، وقبيلة ظاهرة.. والشجاعة أحد العزيرين..^(١)

وكيف تكون الشجاعة عزا إذا لم تكن رفضاً للظلم، وترفعاً عن الطمع، وإباء عن الضيم، ونخوة وشهامة وغيره على الإسلام وأهله.. يقول الإمام علي (سلام الله عليه) : جبلت الشجاعة على ثلاث طباع، لكل واحدة منهن فضيلة ليست للأخرى: السخاء بالنفس، والأنفة من الذل، وطلب الذكر. فإن تكاملت في الشجاع كان البطل الذي لا يقام سبيله، والموسوم بالإقدام في عصره، وإن تفاضلت فيه بعضها على

(١) (ميزان الحكمة: ٢٦/٥، وغرر الحكم).

بعض كانت شجاعته في ذلك الذي تفاضلت فيه أكثر وأشد إقداماً.^(١)

فقد يراد من المؤمن أن يرضى بالضميم، ويقعد على بساط الذل، وأن يسكت مع الإهانة والهوان، ويحجم عن الدفاع عن دينه وعرضه، ويوسم بالذكر السيء فلا يعرب عن رفضه، ولا يبدو منه رد فعل أبي، أو نخوة عربية.. هكذا يراد منه أحياناً، لكن الإباء يمنع أن يرضى، والحمية تنكر عليه أن يسكت، فينتفض الشجاع لا يقبل بشيء دون عزته وكرامته.. وهنا تكون شجاعته على قدر ما رزق من شرف الإباء.

جاء في غرر الحكم لأمير المؤمنين (سلام الله عليه) أنه قال: شجاعة الرجل على قدر همته، وغيرته على قدر حميته.

وفي حديث آخر، قال عليه السلام: على قدر الحمية تكون الشجاعة.. وقدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته.^(٢)

يقول الإمام الصادق عليه السلام: ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاثة مواطن: لا يعرف الحلیم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا أخ إلا عند الحاجة.^(٣)

فقد ينجح المرء في دخول الأمر الصعب، ولكنه لا يقوى على المواصلة في التحمل، وقد يواصل لكنه لا يستطيع الثبات، فتراه يهتز ويسقط، وقد يثبت حيناً لكنه لا يختم حياته بذلك.. والخاتمة هي المعوّل عليه: قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: خير الأمور خيرها عاقبة.^(٤)

(١) (بحار الأنوار ٧٨ : ٢٣٦ عن تحف العقول).

(٢) (النهج ج ٤٧)

(٣) (البحار ٧٨ : ٢٢٩، عن تحف العقول: ٢٣٣)

(٤) (أمالي الصدوق: ٢٩٢)

إذ أن: ملاك العمل خواتيمه..^(١)

نعم؛ الأمور بتمامها، والأعمال بخواتمها..^(٢)

والحاجات تختلف، فمنها معنوية أخلاقية، إذ قد يحتاج الأخ من أخيه أن يعفو عنه ويصفح، وأن يحلم عليه ولا يغضب منه، والشجاعة لا تقتصر على قوة البدن واندفاعه في ساحة القتال، إذ منها إمساك النفس عن الغضب كما هو منها إمساك النفس عن الخوف والجبن والوهن.. ويسأل النبي ﷺ يوماً أصحابه: ما الصرعة فيكم؟ قالوا: الشديد القوي الذي لا يوضع جنبه.. فقال: بل الصرعة حق الصرعة رجل وكز الشيطان في قلبه، واشتد غضبه وظهر دمه، ثم ذكر الله فصرع بحلمه غضبه...^(٣)

وفي رواية: أنه ﷺ خرج وقوم يدرجون حجراً، فقال: أشدكم من ملك نفسه عند الغضب، وأحلمكم من عفا بعد المقدرة..^(٤)

وقال ﷺ: ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب..^(٥)

وجاء عن مولانا الإمام علي عليه السلام أنه قال: أقوى الناس من قوي علي غضبه بحلمه..^(٦)

وروري عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام قوله: لا قوة كرد الغضب..^(٧)

(١) (بحار الأنوار ٧٧ : ١٣٣)

(٢) (نفسه : ١٦٥)

(٣) (بحار الأنوار ٧٧ : ١٥٠ عن تحف العقول)

(٤) (بحار الأنوار ٧٧ : ١٤٨)

(٥) (تنبيه الخواطر : ٩٩)

(٦) (غرر الحكم)

(٧) الأخلاق الحسينية - جعفر البياتي ص ٢٨٣

٢. الشجاعة الحيدرية

وفي معركة صفين قال أمير المؤمنين عليه السلام لجيشه مشجعا:

(..أنكم بعين الله، ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، فعاودوا الكر واستحيوا من الفر، فإنه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب، وطيبوا عن أنفسكم نفسا، وامشوا إلى الموت مشيا سجحا وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطنب، فاضربوا ثبجه فإن الشيطان كامن في كسره..^(١))

وقال عليه السلام مرة مستهينا بالموت الذي يقصم ظهور الخلق:

(..والله ما فجأني من الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته.. وما كنت إلا كقارب ورد وطالب وجد «وما عند الله خير للأبرار» (القارب: طالب الماء ليلا كما قال الخليل ولا يقال لطالبه نهارا يريد أنه عليه السلام مستعد للموت راغب في لقاء الله وليس يكره ما يقبل عليه منه)..^(٢))

عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب قال: مرَّ علي عليه السلام يومئذ ومعه بنوه نحو الميسرة [ومعه ربيعة وحدها] وإني لأرى النبل يمرُّ بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنيه أحد إلا يقيه بنفسه، فيكره علي عليه السلام ذلك، فيتقدم عليه فيحول بينه وبين أهل الشام، ويأخذ بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه، أو من ورائه. فبصر به أحمر - مولى أبي سفيان، أو عثمان، أو بعض بني أمية - فقال علي: ورب الكعبة قتلني الله إن لم أقتلك أو تقتلني!

فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى علي عليه السلام، فاختلفا

(١) (شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١١٥)

(٢) (شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢١)

ضربتني، فقتله مولى بني أمية وخالط عليا ليضربه بالسيف، فانتهزه علي (بادر إليه وأسرع) فتقع يده في جيب درعه (أي يد علي عليه السلام) فجذبه ثم حمله علي عاتقه، فكأنني أنظر إلى رجله تختلفان علي عنق علي عليه السلام، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضده، وشدّ ابنا علي عليه السلام عليه: الإمام الحسين، ومحمد ابن الحنفية، فضرباه بأسياهما [حتى برد (مات)، فكأنني أنظر إلى علي عليه السلام قائما وشبلاه يضربان الرجل، حتى إذا أتيا عليه أقبلا إلى أبيهما والإمام الحسن عليه السلام معه قائم، فقال: يا بني، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟ قال: كفياني يا أمير المؤمنين.

ثم إن أهل الشام دنوا منه - والله ما يزيد قريهم منه ودنوهم إليه سرعة في مشية.. (وكانه روعي فداه مستهينا بكل جيوش الشام)..

- فقال له ولده الحسن عليه السلام : ما ضرك لو سعت (أسرعت السير) حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين صبروا لعدوك من أصحابك؟ قال الراوي: يعني ربيعة الذين يقاتلون في الميسرة..

- قال: يا بني إن لأبيك يوما لن يعدوه، ولا يبطيء به عنه السعي، ولا يعجل به إليه المشي؛ إن أباك والله ما يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه.^(١)

عن سعيد بن قيس الهمداني قال: نظرت يوما في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع فقال: نعم يا سعيد بن قيس أنه ليس من عبد إلا وله من الله عز وجل حافظ وواقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط

(١) (وقعة صفين - ابن مزاحم المتقري ص ٢٤٩)

من رأس جبل أو يقع في بئر فإذا نزل القضا خليا بينه وبين كل شيء..^(١)
وبرواية عن أبي عبد الله الإمام الصادق(ع) قال: «كان قنبر غلام
علي(ع) يحب عليا حبا شديدا فإذا خرج علي(ع) خرج علي أثره
بالسيف فرآه ذات ليلة..

فقال: يا قنبر ما لك؟ فقال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين.
قال: ويحك من أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟
فقال: لا، بل من أهل الأرض.

فقال: إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئا إلا بإذن الله من السماء
فارجع فرجع..^(٢)

وقال الإمام علي بن أبي طالب(ع) يوم صفين، وقد قيل له:
أتقاتل أهل الشام بالغداة، وتظهر بالعشي في إزار ورداء؟ فقال: أبا الموت
تخوفوني! فوالله ما أبالي أسقطت على الموت، أم سقط الموت علي..^(٣)
وابن شهر آشوب قال كان يطوف(ع) بين الصفين بصفين في
غلاة، فقال الإمام الحسن(ع) له: «ما هذا زِيَّ الحرب»

فقال: «يا بني إن أباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه
«ولهذا صرخ لما ضربه ابن ملجم وقال: «فزت ورب الكعبة.. وتساءل هل
الموت فوز؟ نعم إذا كانت شهادة فهي الفوز..^(٤)

وقيل له (أي لعلي) إنك مطلوب فلو اتخذت طرفا سابقا(حصانا

(١) (أصول الكافي: ٢ / ٥٨)

(٢) (أصول الكافي: ٢ / ٥٩ / ح ١٠)

(٣) شرح إحقاق الحق ج ٨ - السيد المرعشي ص ٣٩٩

(٤) غاية المرام ج ٥ - السيد هاشم البحراني ص ١٩٥ أصول الكافي: ٢ / ٥٧ / ح ٥

سريعاً) فقال: إني لا أفر على من كر، ولا أكر على من فر فالبغلة تكفيني

قال: كان علي بن أبي طالب يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفين ويقول:

أي يومي من الموت أفر
يوم لا يُقدَّر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه ومن
المقدور لا ينجي الحذر

ولما كان في حرب صفين والناس في أشد ما يكون من الحرب قال علي عليه السلام: ألا ماء فأشتريه (فأشربه) فأتاه شاب من بني هاشم بشربة من عسل فتناوله وقال: يا فتى عسلك هذا طائفي (أي من الطائف) قال: سبحان الله، في هذا الوقت تعرف الطائفي من غيره؟ فقال: إنه لم يملأ صدر ابن عمك شيء قط.. (أي لا يخيفه شيء أبداً).

عن أبان بن تغلب عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما كشف النساء ذبولهن عن مثله لا والله ما رأيت فارساً محدثاً يوزن به لرأيته يوماً ونحن معه بصفين وعلى رأسه عمامة سوداء وكان عينيه سراجاً سليط تتوقدان من تحتها يقف على شذمة يخطبهم حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم وطلعت خيل لمعاوية لعنه الله تدعى بالكتيبة الشهباء عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب فاقشعر الناس لها لما رأوها وانحاز بعضهم إلى بعض..

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فيما النخع، والنخع أهل العراق هل هي إلا أشخاص ماثلة فيها قلوب طائفة لو مستها سيوف أهل الحق لرأيتموها

كجراد بقية سفته الريح في يوم عاصف ألا فاستشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وادرعوا الصبر وعضوا الأصوات وقلقلوا الأسياف في الأغمام قبل السلة وانظروا الخزر واطعنوا الشزر وكافحوا بالظبي وصلوا السيوف بالخطى والنبال بالرماح وعاودوا الكر واستحيوا من الفر فإنه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب فطيبوا عن أنفسكم نفسا وامشوا إلى الموت مشية سجحا فانكم بعين الله عَزَّ وَجَلَّ ومع أخي رسول الله ﷺ وعليكم بهذا السرادق والأدلم والرواق المظلم واضربوا بثجة فان الشيطان راقد في كسره نافش حضيئه مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يدا وآخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وأنتم الأعلون والله معكم ولن يترككم أعمالكم.. ها أنا شاد فشدوا، بسم الله حم لا ينصرون.

ثم حمل أمير المؤمنين (عليه وعلى ذريته الصلاة والسلام) حملة وتبعته خويلة لتبلغ المائة فارس فأجالهم فيها جولان الرحي المسرححة بثقالها فارتفعت عجاجة منعتني النظر ثم انجلت فأثبت النظر فلم تر إلا رسا نادرا ويذا طايحة فما كان بأسرع من أن ولوا مدبرين ﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ فإذا أمير المؤمنين عليه السلام قد أقبل وسيفه ينظف ووجهه كشقة القمر وهو يقول: قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم.

قال عكرمة: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يحدث فيقول: أمر رسول الله عليا عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وقال عليه السلام: يا علي أنك لمقاتل علي تأويل القرآن كما قاتلت علي تنزيله.

ومظهر الشجاعة في الرجال ساحات القتال، (ولعل ذلك هو السبب في أن الإمام علي عليه السلام الذي اقترن اسمه بكل صفات الفروسية، وامتزج ذكره مع الشجاعة كواحدة من أظهر وأشهر صفاته المباركة، فهو لم

يتحدث كثيرا عن الشجاعة لأنه - روعي فداه - كان يمارسها ويعمل بها بالفعل، ولم يكن يلهج بذكرها بلسانه فقط..

كما كان يفعل الكثيرون، فحديثه عن الشجاعة هو مواقفه وأفعاله وممارساته الشجاعة، وهي أصدق حديث وأقوى كلام..

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

فالشجاع يعرف عند الحرب، وهكذا عرفت الدنيا الإمام علي عليه السلام ففي كل موقف صعب كان هو العَلَمُ والشَّاحِص، فهو العون في النوائب، والحاضر في الصعاب، وحامل الراية في المغازي، والرفيق المواسي في البأساء.^(١)

يؤمن حين يكفر الآخرون، ويصمد حين يفر الباقون، ويقاقل حين يهرب المقربون، كرار غير فرار، وتلك هي الشجاعة الحيدرية حقا، والفروسية الهاشمية صدقا، والبطولة الإيمانية فعلا..

فشجاعة الإمام علي عليه السلام مازالت مضربا للأمثال، ولكن ابتلائه بجيشه كان عظيما، فكلهم قائد، ومجتهد، وله أن يفرض على الأمة والإمام عليه السلام رأيه، وعلى الجميع أن يطيع، وعلى الإمام عليه السلام أن يسمع لهم وليس عليهم أن يسمعوا رأيه ويطيعوا أمره..

فكان يقول عليه السلام : فإن أقل يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت، يقولوا: جزع من الموت.. والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه..^(٢)

(١) (أخلاقيات أمير المؤمنين) عليه السلام: ١٥٣: (بتصرف)

(٢) (النهج: خ٥)

أليست تلك هي الطامة العظمى التي ليس بعدها طامة؟ وتلك البلية التي ليس لها شفاء، والعلة التي ليس لها دواء، وها هو علي يقول: يا أشباه الرجال ولا رجال... لقد ملأتم قلبي قيحا... وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان، والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب..

لله أبوهم؛ وهل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم فيها مقاما مني، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذرّفت على الستين؛ ولكن لا رأي لمن لا يطاع..^(١)

والكلام في الشجاعة العلوية اليتيمة هو كلام وحديث وتر لا يشاركه فيه إلا أخاه ومعلمه الرسول الأعظم محمد بن عبد الله عليه السلام وأما سواه فإنه حديث له قلاقل، ولا أذكر أن أحدا من الخلق تحدث عن من هو بشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام إلا حديثه مع صاحبه الكبير وقائد جيوشه البطل (مالك الأشر) حين أراد أن يزكّيه فسأله: يا مالك من أشجع أنا أم أنت؟

فقال: يا أمير المؤمنين أما في قتال الأقران فأنت، وأما في شق الصفوف فأنا.. كما سيمر معنا في معركة صفين..

وأما إنه أشجع الصحابة وأكثرهم جهادا: فأمر معلوم لا يشك فيه ذو فهم وفطنة، بل كونه أشجع البشر أمر أوضح من ضوء النهار كما يشهد به مواقفه المشهورة، ومشاهدة المأثورة في حروب النبي عليه السلام وحروبه في أيام خلافته، وقد قال معاوية لعمر بن العاص لما أشار عليه بمبارزته: أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وهو الشجاع المطرق أراك طمعت

(١) (النهج: خ ٢٧)

في إمارة الشام بعدي..

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته كما افتخر بذلك عبد الله بن الزبير على معاوية فقال له معاوية: لا جرم أنه قتلك وأباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها، ويكفيك شاهدا على ذلك افتخار رهط قتلاه بأن قتلهم قالت أخت عمرو بن عبدود:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله
بكيته أبدا ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له
وكان يدعى أبوه بيضة البلد

(بيضة البلد من الأضداد يقصد بها المدح كما يقصد بها الذم والمراد هنا الأول وكان أبو طالب عليه السلام يدعى بيضة البلد والمعنى أنه فرد ليس مثله في الشرف كبيضة النعامة التي تسمى (تريكة) وحدها ليس معها غيرها)

قال ابن أبي الحديد: أما الشجاعة فإنه أنسى فيها ذكر من كان قبله ومحى اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال، وهو الشجاع الذي ما فرق ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحدا إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية.

ولقد قتل صناديد المشركين، وقويت به شوكة الإسلام، واعتز به جانب المسلمين، قتل في غزاة بدر أعيان الكفار وشجعانهم حتى قتل قريبا من نصف القتلى وقتل باقي المسلمين والملائكة المسمون النصف

الآخر^(١).

١.٢ . وأما القوة والأيدي

فيه يضرب المثل فيهما قال ابن قتيبة في المعارف ما صارع أحدا قط إلا صرعه وهو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصابة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة وكان عظيما كبيرا جدا فألقاه إلى الأرض وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده عليه السلام بعد عجز الجيش كله عنها فانبط الماء من تحتها.

نعم؛ لقد كانت الراية في يد أمير المؤمنين علي عليه السلام في أحد وقد تفرق عن النبي صلى الله عليه وآله أصحابه وانهمزوا بعد أن قتل علي عليه السلام طلحة بن أبي طلحة وهو المسمى كبش الكتبية وكان صاحب راية قريش قتله مبارزة بعد أن تحاماه المسلمون وتأخروا عن البراز إليه، ثم أخذ الراية غيره فقتله علي عليه السلام أيضا ولم يزل يقتل واحدا بعد واحد حتى قتل تسعة نفر فانهمز المشركون، واشتغل المسلمون بالغنائم فحمل خالد بن الوليد وضرار بن الخطاب الفهري وأصحابهما على النبي صلى الله عليه وآله فضربوه بالسيوف والرماح والحجارة وانهمز الناس عنه ما خلا عليا عليه السلام فإنه ما زال يجالده حتى رد عنه المشركين، وقتل جملة من فرسانهم وكان قتلاه قريبا من نصف المقتولين وقتل كل المسلمين النصف الآخر

قال القوشجي: وجمع له الرسول صلى الله عليه وآله بين اللواء والراية وما أن انتهى

إلا ونادى جبريل ذلك اليوم:

(١) (شرح نهج البلاغة / ١ / ٢٤ وجاء ذلك في احتجاج المأمون على الفقهاء كما في العقد الفريد

لابن عبد ربه المالكي / ٥ / ٩٢)

لا سيف إلا ذو الفقار^(١) ولا فتى إلا علي

وفي يوم الأحزاب حين ظن المسلمون بالله الظنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، وأتى عمرو بن عبد ود العامري يطلب المبارزة مراراً فأحجم عنه المسلمون وخافوا أشد الخوف والنبي ﷺ يحض المسلمين على مقاتلته ويحرضهم على منازلته ويعرض عليهم مبارزته فلم يجبه أحد منهم إلا علي فخرج إلى عمرو فقتله وكفى الله المؤمنين القتال به وكان الفتح ذلك اليوم على يده وقال النبي ﷺ (لضربة علي لعمرو خير من عبادة الثقلين)

(في رواية أخرى بهذا اللفظ (لمبارزة) علي بن أبي طالب لعمر بن عبدود يوم الخندق أفضل أعمال أمتي إلى يوم القيامة)^(٢)

وقال حذيفة: والذي نفس حذيفة بيده؛ لعمله - يعني علياً عليه السلام - ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد ﷺ إلى يوم القيمة.^(٣)

وفي غزوة خيبر وقد أخذ الراية أبو بكر فرجع مع أصحابه منهزمين خائفين يجبن أصحابه ويجنبونه، ثم أخذها عمر من الغد ففعل مثل ذلك وعاد بما عادوا به، فقال النبي ﷺ (لأعطين الراية غدا رجلاً يحب

(١) (المصدر السابق ١٠ / ١٨٢ ونداء جبرئيل عليه السلام): (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) رواه الطبري في التاريخ ٣ / ١٥ وكذلك ابن هشام في السيرة النبوية ٣ / ٥٢ والخوارزمي في المناقب ١٠٤ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ص ١٧ عن فضائل الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم).

(٢) (الحاكم في المستدرک ٣ / ٣٢ والرازي في موضعين من تفسيره ج ٢ تفسير ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وج ٣٠ في تفسير سورة القدر

(٣) (شرح نهج البلاغة ١٩ / ٦١).

الله تعالى ورسوله ويحبه الله ورسوله كزار غير فرار لا يرجع أو يفتح الله علي يديه)

فدعا بعلي عليه السلام وهو أرمد فأتي به فتفل في عينيه فبرأ من ساعته، وأعطاه الراية فمضى وقتل مرحبا فانهزم أصحابه اليهود وغلقوا الأبواب فاقتلع علي عليه السلام الباب وجعله جسرا على الخندق وأمسكه بيده حتى عبر عليه المسلمون فلما انصرفوا أخذه بيده ودحاه أذرا وكان يغلقه عشرون رجلا وعجز جماعة من المسلمين عن نقله حتى نقله سبعون رجلا من أقويائهم وقال علي عليه السلام (ما قلعت باب خبير بقوة جسمانية ولكن قلعته بقوة ربانية) وكان الفتح على يده...

(قوله عليه السلام): (ما قلعت باب خبير بقوة جسمانية) الخ رواه الفخر الرازي في تفسير سورة الكهف بلفظ (جسدانية) وعلق عليه بقوله: «وذلك لأن عليا كرم الله وجهه في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم الأجساد وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء فتقوى روحه بجواهر الأرواح الملكية، وتلاأت أضواء عالم القدس والعظمة، فلا جرم حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره)

وروى الحافظ ابن عساكر الدمشقي أن عليا عليه السلام تترس (أي أتخذه ترسا) باب الحصن عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه وهذه الرواية موافقة لرواية أصحابنا في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وفي غزاة حنين وقد سار النبي صلى الله عليه وآله في اثني عشر ألف مقاتل فتعجب أبو بكر من كثرتهم فعانهم (أي أصابهم بالعين) حينما قال: لن نغلب اليوم من قلة..

فانهزموا بأجمعهم ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا تسعة من بني هاشم

وأيمن ابن أم أيمن مولى النبي ﷺ يقدمهم علي ﷺ فخرج أبو جرول فقتله علي ﷺ حتى قتل أربعين رجلاً فانهزم المشركون وغنمهم المسلمون.

قال ابن أبي الحديد وهذا الفصل لا معنى للاطناب فيه لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما وإذا كان علي ﷺ أكثر الصحابة جهاداً كان أكثرهم أجراً لقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فهو أفضلهم.

وإليك هذه الرواية الشريفة كمسك لختام هذا الفصل..

فقد روى الحافظ رجب البرسي في مشارق الأنوار: لما جاءت صفية (بنت حي بن أخطب) إلى رسول الله ﷺ وكانت من أحسن الناس وجهاً، فرأى في وجهها شجرة (أثر لجرح)، فقال لها، ما هذه وأنت ابنة الملوك...؟!

فقالت: إن علياً ﷺ لما قدم الحصن هز الباب فاهتز الحصن وسقط من كان عليه من النظارة (الرصاد والمراقبون) وارتجف بي السرير فسقطت لوجهي، فشجني جانب السرير..

فقال لها رسول الله ﷺ: يا صفية إن علياً عظيم عند الله، وإنه لما هز الباب اهتز الحصن، واهتزت السماوات السبع، والأرضون السبع، واهتز عرش الرحمن غضباً لعلي..

وفي ذلك اليوم سأله عمر بن الخطاب: يا أبا الحسن لقد اقتلعت منيعاً، وأنت ثلاثة أيام خميصاً (جائع)، فهل قلعتها بقوة بشرية..؟

فقال علي ﷺ: ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية، ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية..

وفي ذلك اليوم (خيبر) لما شطر مرحباً شطرين (مع حصانه) وألقاه
مخبولاً جاء جبرائيل عليه السلام من السماء متعجباً، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: مم
تعجبت؟

فقال: إن الملائكة تنادي في صوامع جوامع السماوات:

لا فتى إلا علي

لا سيد إلا ذو الفقار..^(١)

(١) البحار، ج ٢١ / ٤٠، مدينة المعاجز، ج ١ / ٤٢٦ عن المشارق للبرسي، ص ١٧٠.

الفصل الثالث: بحوث في الحرب وتطورها:

الحرب وأنواعها

الحرب: هي مفهوم متطور عن القتال، أو هي: مفهوم أكبر وأعم وأشمل من القتال الذي يعني الخصام والمخاصمة بلغة العراك..لذا قالوا عنها: معركة وجمعها معارك..

وأول قتال مسلح وخصام عنيف كان على هذه الأرض وفي هذه الحياة كان عراك الأخوين هابيل وقابيل..كما تحدثنا كتب التاريخ..

ونتيجة ذلك القتال كان ربع أو سدس البشرية في ذاك الحين كما يظن العلماء وتلك بالفعل خسارة كبرى من عدة نواحي هي:

* من ناحية عامة كانت سابقة لا نظير لها وتثبيت لمعنى الصراع من أجل المصالح الشخصية..

* ومن ناحية انسانية فكانت أول جريمة قتل، وهي من أعظم جرائم القتل إذ المجرم قتل أقرب الناس إليه وهو أخاه..

* ومن ناحية إجتماعية كانت الجريمة الأولى للصراع البشري الذي استمر في بني آدم من ذلك اليوم وهو باق إلى آخر يوم من عمر الدنيا..

* ومن ناحية قتالية فإنها أول قتال بين طرفين ينتصر فيه الباطل على الحق، والشر على الخير، من منظور دنيوي..

وعليه فإن القتال البشري كان نتيجة طبيعية للخصام والنزاع الكلامي الذي أعلنه الشيطان اللعين الرجيم على أبينا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته جهارا نهارا، وذلك حين قال للمولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾^(١)

ولكن كيف سيتم له ذلك: ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنْزِلَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾^(٢)

فمشكلة المشاكل البشرية تكمن بإغواء الشياطين لهم، وتصديقهم للشيطان وتكذيبهم بالرحمن، واتباعهم الشيطان الرجيم وتركهم الرب الرحيم.. وبالتالي استماع هتاف الأبالسة والإستجابة لها قولا وعملا، وتركهم دعوة الأنبياء والرسل الكرام والإبتعاد عن شرائع السماء تنزيلا وتأويل..

وهذا ما يسبب لهم ضنك العيش والإقتتال على التوافه الدنيوية، والتخاصم على المصالح الشخصية، والإستهانة بكل القيم الأخلاقية،

(١) (ص: ٨٢-٨٣)

(٢) (الأعراف: ١٦-١٧)

والنظم والشرائع السماوية، بسن قوانين وشرائع ونظم بشرية ضيقة لأنها تنقصها العلم المحيط، والشمول الواسع بالإنسان، والمعرفة المعدومة عن الغيب والمستقبل وكل ما تحمل به بطون الأيام والليالي القادمة للجنس البشري..

ومن هنا كانت الحرب التي تعني فيما تعنيه الخصام العنيف والحوار بالسلاح والجدال بالدماء المسفوحة.. ولهذا فإن (الحرب أسوأ شيء عرفه الإنسان في تاريخه الطويل) لما فيها من عناء ومكابدة وصرف جهود جبارة وأموال وإمكانات هائلة من أجل زهق الأرواح وقتل النفوس وتدمير الممتلكات في كلا الطرفين المتحاربين أرضاً وشعباً..

ولهذا قال جماعة من أهل العلم: إن الحرب هي في ذاتها قبيحة لما فيها من قتل النفوس والتخريب والتدمير^(١)..

١. رأي الإسلام في الحرب..

الحرب هي ظاهرة اجتماعية قديمة قدم الوجود والإنسان كظاهرة استثنائية في هذا الكون وأول مظهر من مظاهر الحرب الإنسانية كانت بين الأولين هابيل وقابيل من أبناء آدم عليه السلام في ذلك الزمن الموعول في القدم وهكذا استمرت وتجددت عبر الأجيال وتطورت بتطور المجتمعات وكثرت بكثرة البشر وتنوعهم وتوزعهم على هذه الكرة الترابية.. وهي ما زالت إلى اليوم وإلى هذا العصر المتطور جداً والحديث جداً في جميع مجالاته.. متطورة ومتسابقة بل ومتنافسة في مجال البرمجة والصناعات والتكنولوجيا الحربية..

(١) (الصياغة الجديدة، الإمام محمد الشيرازي رحمته ٣٤٩)

فقد وصلت البشرية في هذا العصر المتطور علميا، والمتقدم حضاريا.. إلى قفزات نوعية لا يمكن تصورها أو تخيلها من قبل الأجيال السابقة مهما علت في تفكيرها أو حتى في أحلام النوم أو أحلام اليقظة لديها..

وكل هذا التطور التقني بأدوات القتال هو ما يقتضيه الهجوم ورد الهجوم بالدفاع.. أو التأثير والتخفيف من حدة التأثير.. ومن ثم الفتك ومحاولات تلافى عوامله وتحجيم خسائره ما أمكن.. إلى إن وصلت إلى أسلحة الدمار الشامل التي لا تبقى ولا تذر، ولا وقاية منها لأحد إلا بنسب لا تذكر؛ والذي لم يمت مباشرة من السلاح فلسوف يموت في الملاحق الناتجة عنها لا شك بذلك..

فالانتقال من حرب السيف والترس إلى حرب الرمح وعمود الحديد كان نقلة نوعية، إلا أن صناعة الدروع كان يخفف من تأثيرها على المقاتلين.. فأخترع الإنسان القوس والنشاب وراح يتدرب على التصويب به من أجل التصويب والتسديد إلى الأماكن الخالية من الزرد في جسم المقاتل وكان ذلك قفزة جيدة بهذا المجال وخاصة بعد أن شاع استخدام الحصان في القتال..

فبنيت القلاع وتحصن بها أصحابها خوفا من السهام.. فصنعت المنجنيقات لدك الحصون والقلاع وتدميرها عن بعد..

واكتشف (ألفرد نوبل) البارود وكان أكبر كارثة على الدنيا هذا الإكتشاف في مجال الحرب وهو نعمة كبرى في ذاته لو أستخدم للبناء والسلام.. إلا أن الإرادة الخبيثة لبني البشر إستخدمته إستخداما مروعا من أجل القتل والتدمير فتتحول إلى نقمة عظمى..

وما أن أعلن إكتشاف وتوزيع البارود حتى راح الإنسان بالتفنن بصناعة الأسلحة والمعدات.. فاخترعت البندقية والمسدس ومن ثم العربات الواقية من تلك الرصاصات القاتلة وتطورت تلك العربات بتطور القدرة القتالية في الاختراق لكل الطلقات حتى صنعت الدبابة المصفحة المجنزرة، والنصف مجنزرة، والصغيرة والعملاقة.. فأصبحت الدبابة الواحدة يبلغ وزنها عشرات الأطنان من الفولاذ..

وما أن إخترعت هذه المعدات وإنتشرت حتى إرتفع مستوى تفكير القادة العسكريين التدميري وراحوا يفكرون كيف يمكن تدمير تجمعات العدو دون الخوف من نيرانه.. أو كيف يمكن التأثير عليه مع حماية النفس والقوات الصديقة من نيرانه ومعداته.؟.

فاخترعت الطائرات الحربية بأنواعها (مقاتلة، وقاذفة، ومعتزضة، وناقلة، وحوامات مختلفة المهام والأشكال والأنواع) وكانت المضادات لها بدائية من مدفعية بسيطة بطلقات عادية..وتطورت بتطور تلك الطائرات إلى الصواريخ المضادة بمختلف الأنواع وعلى مختلف الارتفاعات والمسافات.. وهكذا يجري التنافس بين هاتين الآليتين حتى أصبح الأمر مربعاً حقا..

فأصبحت الطائرة الواحدة تحمل آلاف الأطنان من المواد المتفجرة وتلقيها فوق مدينة ربما تدمرها عن بكرة أبيها أو ربما تحمل قنبلة نووية واحدة تبعد المدينة وما حولها إبادة تامة وتؤثر كذلك على الأجيال القادمة التي يمكن أن يأتوا إلى مكان المدينة لمحاولة العيش فتأتي أجيالهم مشوهي الخلقة- والعياذ بالله- من جراء تأثير الإشعاعات التي خلفتها تلك القنبلة اللعينية و(ناغا زاكي وهيروشيما) أفضل مثال على ذلك ومازال ماثلاً أمام عيون الدنيا..

ففي بداية الأربعينيات من القرن العشرين حيث عمل كل ما بوسعهم - كل من الفكر العلمي النووي الفيزيائي (بقيادة نيلز بور) والعلم الإستراتيجي العسكري (بقيادة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية) - من أجل إنتاج وصناعة القنبلة النووية ذات العيار الضعيف (التكتيكي) وبعد النجاح الكبير في ذلك راح أصحاب تجارة الموت بتطوير هذا النوع من السلاح والتفنن في وسائل استخدامه..

فإنتقلوا من مجرد القنابل البسيطة إلى القذائف المدفعية ومن ثم حملت على رؤوس الصواريخ وبدأ التنافس المميت بين من يستطيع أن يدمر أكثر بالقوة النووية التي يمتلكها بين المعسكرين الغربي والشرقي.. وهكذا إلى أن برمجوا الفضاء وزرعوا الفضاء بالصواريخ الإستراتيجية العابرة للقارات ونشروا الرعب والخوف في العالم أجمع لأن كل واحد من تلك الدول المالكة لهذا النوع من السلاح بإستطاعتها أن تدمر الكرة الأرضية عدة مرات كما تقول الإحصاءات..

ونتج عن هذا التسابق والتنافس - الغير شريف - إلى إمتلاك آلة الدمار والموت مع ما رافقها من تطور كبير في بقية المجالات العلمية والتكنولوجية وخاصة في مجال الإتصالات الأرضية والفضائية فوزعت الأقمار الصناعية فوق معظم أنحاء الكرة الأرضية ولأغراض متعددة وبمدارات متفاوتة الإرتفاع وأهمها تلك الأقمار المخصصة للتجسس العسكري بحيث أصبح بإمكان الرئيس الأمريكي أن يعرف التفاصيل عن أي بلد في العالم بمدة لا تتجاوز الدقائق وتكون المعلومات عنده موثقة بالصور الملونة حتى أنهم يستطيعون تمييز غلاف كتاب مع التفاصيل التامة عن طريق أقمار التجسس المتواجدة في المنطقة..

وكذلك الثورة العظمى في مجال الحاسوب والكمبيوترات العملاقة

حيث أصبح بإمكان القرص اللايزري أن يحفظ بلايين الكلمات ويقوم
بآلاف العمليات بمختلف أنواعها وأشكالها وحجمها وبزمن قصير جدا
لا يمكن تصورهما..

وهذا يعمم على شبكة الانترنت العالمية وكذلك البريد الإلكتروني
والفاكس وتوابعه.. وكل هذه القفزات النوعية والكمية وبهذا الشكل
المذهل جعل الحرب القادمة حرب مدمرة للكرة الترابية كلها لذلك
راحت تظهر أنواع أخرى من الحرب (كالحرب الباردة) و(الحرب
النفسية) و(الحرب الإعلامية)، وإشعال الحروب الجانبية في الدول
الفقيرة والمتخلفة تحت أسماء ما أنزل الله بها من سلطان..

وكذلك الحروب السياسية والدبلوماسية والمفاوضات والحروب
الاقتصادية وهي أشنع أنواع الحروب الحالية بحيث دمرت شعوب
وأمايتها من الجوع وسوء التغذية وكذلك الأوبئة والأمراض الفتاكة
كالسرطان والكوليرا والتهاب السحايا وأخيرا السيدا (الأيدز) وما شابه
ذلك من أنواع الأمراض التي تسمى (أمراض العصر التكنولوجي) أو
(أمراض الحضارة) وما هي إلا أوبئة فتاكة صنعها الإنسان في المختبرات
العسكرية وخرجت عن السيطرة في لحظة ما، وبالْحَقِيقَةُ إن أشنع
من ذلك كله هو التدخل البشري في الصبغيات الوراثية أو ما يسمى
بالجينات الوراثية فإن مستقبل البشرية بخطر داهم من جراء هذا اللعب
بالجينات الوراثية.

أما بالنسبة لآلة الحرب المستخدمة تكتيكيا وفي أرض العمليات
كذلك هناك قفزات إستراتيجية حاليا.. بحيث أنتجت أسلحة (رحيمة)
وسميت بذلك لأنها تبيد الكائنات الحية فقط وتحافظ على التطور
الحضاري المادي والتكنولوجي لكي لا ينهدم أو أن يصاب بأذى وهذه

الأسلحة هي الأسلحة البيولوجية.. أوا الأسلحة الفراغية والعنقودية وبقية الأسلحة الذكية (كما يسمونها) التي يجري الآن تطويرها فهي ذات تأثير تدميري كبير جدا على السلاح والعتاد وذات تكاليف باهظة على المصنعين والمستهلكين لها..

والتوقع في السنوات القادمة أن تكون الحروب المستقبلية حروب إلكترونية حواسب وريبونات متحركة (رجال آليين) ولا ضرورة للإنسان إلا للمراقبة والتوجيه من تحت مئات الأمتار أو من فوق عشرات الأميال في الفضاء، أو على بعد مئات الكيلو مترات..

وهكذا فالحديث عن الحرب وآلتها في العصر الراهن هو ما يثير الرعب والقلق في الناس البسطاء والشعوب الفقيرة حيث لا تجد ما تأكله فضلا عن إمتلاك تلك الأنواع من الأسلحة الفتاكة والقادرة على إبادة أي بلد باليد الطولى أو الطويلة- أي بالصواريخ العابرة للقارات والطائرات القاذفة العملاقة- إما دمارا كاملا بشرا وحضارة مادية أو تقتل الأحياء وتحافظ على الحضارة المادية فقط.

والحروب الحديثة ماثلة أمام الجميع وما الحرب العالمية الثانية منا ببعيدة حيث أن آثار تك القنبلتين اللعينتين في ناغازاكي وهوراشيما ما زال يكتب عنها بالصحف والمجلات العالمية حيث أن معظم الولادات تأتي مشوهة رغم مرور ما يزيد على نصف قرن على إستخدام تلك الآلة الحربية اللعينية ولأول مرة في تاريخ البشرية..

والتطور السريع والكبير جدا في مجال الحرب وآلته هو الذي هيا وشجع على قيام حربين عالميتين في النصف الأول من القرن الماضي فقد ذهب ضحيتها ملايين البشر وأرقام خيالية من الإمكانيات المادية.. وكذلك المئات بل الآلاف من الحروب الصغيرة التي لا تخلوا منها منطقة

على وجه الكرة الأرضية وكان نصيبنا منها نحن العرب والمسلمون حصة الأسد والنمر والفهد مجتمعين فكل الحروب كانت تستهدف المسلمين بشكل من الأشكال أو بطريقة من الطرق..

وحتى الحروب التي وقعت في بعض البلدان الأوروبية فهي كانت لتلافي ومنع قيام أي دولة ذات صبغة إسلامية أو أغلبية إسلامية في أوروبا كحرب الشيشان والبوسنة والهرسك وغيرها..

فالعُدو الحقيقي الذي راح يحاربه الغرب المستكبر من بداية الثورة الصناعية وأول نمو الحضارة الغربية المعاصرة هو الإسلام وليس غيره وهذا ما صرح به كبار رجالاتهم بالفكر والسياسة الجهنمية لهم تجاه هذه الأمة المرحومة والتي لم تعط للدنيا إلا الخير والهداية والرشاد إلى سواء السبيل والأخلاق الفاضلة..

وهذا سياسي فرنسي يقول: ليست الشيوعية (في أوج قوتها) خطرا على أوروبا - فيما يبدو لي - لأن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشرا وعنيفا هو الخطر الإسلامي.. فالمسلمون عالم مستقل كل الإستقلال عن عالمنا الغربي..

فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، فإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع؛ انطلقوا في عالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية، ويقذفون برسالتها إلى متاحف (بل مزابل) التاريخ..

وقد حاولنا - نحن الفرنسيين - خلال حكمنا الطويل للجزائر أن نتغلب على شخصية الشعب المسلم فيه، فكان الإخفاق الكامل نتيجة مجهوداتنا الكبيرة الضخمة..

إن العالم الإسلامي عملاق مقيد (في قمقم).. عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافا تاما.. فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لإنحطاطه وتخلفه، وراغب رغبة يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن وحرية أوفر..

فلنعط هذا العالم الإسلامي ما يشاء، ولنقر في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي والفني حتى لا ينهض، وإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف بإبقاء المسلم متخلفا، وتحرر العملاق من قيود جهله، وعقدة الشعور بعجزه فقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطرا داهما ينتهي به الغرب (بإذن الله) وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم..)

وهذا مورو بيرجر في كتابه (العالم العربي المعاصر) يقول: إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب؛ بل بسبب الإسلام.. فيجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الإسلام وعزته وإنتشاره.. إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الأفريقية..)

وهذا المستشرق الفرنسي كيمون الحاقد جدا، جدا على هذه الأمة فهو يدعو إلى إبادة خمس المسلمين ويحكم على الباقي بالأشغال الشاقة بكل صراحة ووقاحة: (إن الإسلام) (كما يدعي هذا المسخ اليهودي) كله قائم على القسوة والفجور في اللذات.. أعتقد (كما يقول) أن من الواجب

إبادة خمس المسلمين، والحكم على الباقي بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد ﷺ وجثته في متحف اللوفر..) وخسئ اللعين فما زال اسم محمد ﷺ ورسالته تعلو وتشمخ علوا، وهم يتقزمون سفلا إلى آخر الدهر بإذن الله تعالى..

فقوة العرب بالإسلام وليس العكس، وقوة الإسلام ذاتية ربانية من الله تعالى ولكنه يستند إلى رباعية نورانية أعمت العالم المستكبر وبهرته عن رؤية الحقائق التي فيه.. وهذه الرباعية هي:

* القرآن الكريم معجزة الإسلام للإنسان والحياة برمتها..

* الكعبة المشرفة حرسها الله وأعلى مقامها دائما..

* الرسول الأعظم محمد ﷺ أعظم شخصية في الوجود، وأهل بيته الأطهار الأبرار من الإمام علي عليه السلام أمير المؤمنين، وحتى الحجة بن الحسن عليه السلام مخلص الإنسانية من الشقاء ومطهر الأرض من الفساد..

* التشريع الإسلامي الرائع الذي يلائم ويوافق الزمان والمكان بمرونته وفتحه لباب الاجتهاد على مصراعيه..

وإليك يا عزيزي الكريم بعض الدعوات الغربية أو ما يسمونه بالأفكار لقتالنا ومحاربتنا ومحاربة ديننا وعقائدنا المحقة..

يقول المبشر (بل المنفر) وليم جيفورد: متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد ﷺ وكتابه..

وهذا لورانس براون يقول: إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي للشرق..

وغلادستون رئيس وزراء بريطانيا يقول: ما دام هذا القرآن (وكان بيده

نسخة رفعها) موجودا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق..

والحاكم الفرنسي للجزائر أيام الإحتلال يقول: إننا لن نتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم..)

والحديث يطول في هذا المجال لكثرة الدعوات الكافرة والأقوال الملحدة لمحاربتنا في ديننا وإسلامنا الحنيف، ولكن كيف سيفعلون ذلك إن استطاعوا لا سمح الله، ولن يسمح بإذنه تعالى..

يقول المبشر تاكلي: يجب أن نستخدم القرآن - وهو أمضى سلاح في الإسلام - ضد الإسلام نفسه حتى نقضي عليه تماما.. يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد ليس صحيحا..)

وعن مهمة المبشرين في البلاد الإسلامية والعربية يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير: إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الإستعماري في الممالك الإسلامية..

لقد هيأت جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية.. وبالتالي جاء النشؤ الإسلامي مطابقا لما أراده الإستعمار، لايهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي طريقة وأسلوب حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة..

فهو إن تعلم للحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهووات،
وإذا تبوأ أسمى المناصب ففي سبيل الشهوات.. إنه يوجد بكل شيء
للوصول إلى الشهوات..

ثم نادى بهم: أيها المبشرون إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه..)

وإسرائيل- هذا الكيان المصطنع- ما هي إلا عبارة عن خنجر في
قلب العرب وصدور المسلمين قاطبة وهي غدة سرطانية وبؤرة توتر
دائمة في المنطقة إما بشن الحروب على الدول والمجاورة أو استهلاك
الطاقات بسبب التهديد باستخدام القوة العسكرية أو بتجنيد جيوش من
الجواسيس والعملاء وصلوا إلى مراكز القيادة في البلاد العربية والإسلامية
وعلى مستوى الملوك والرؤساء والأمراء والوزراء وقادة الجيش وما شابه
ذلك..

مما جعلهم يخدمون قضية اليهود والصهاينة أكثر من الصهاينة
أنفسهم ويقتلون الشعب العربي والشعوب المسلمة أكثر من أي غريب
آخر إلى أن قبض الله لهذه الأمة المرحومة شباب المقاومة الإسلامية
الأبطال في لبنان المقاوم ليغيروا فكر المنطقة ويحيوا أمل الشباب بالنصر
ويعيدوا للأمة أمجادها وثقتها بنفسها ويدعوها للعودة إلى دينها الحنيف
لبلورة شخصيتها الإسلامية..

فالحرب على الإسلام بالإسلام، وعلى القرآن بالقرآن، وعلى الدين
بالدين، وعلى رسول الله بالقرآن والسنة المزيفة من الإسرائيليات، وهذه
الخطة الجهنمية رسمها اليهود في الجزيرة العربية عندما ظهر النبي من
العرب وليس منهم كما كانوا يدعون وينتظرون بوعود أحبارهم ورؤوس
الكفر النفاق في الجزيرة العربية..

وذلك حين اندسّ الكثير منهم بالدين بعد أن أظهروا الإسلام وأبطنوا الكيد والكفر والنفاق فصدقهم البسطاء، وتبعتهم الغوغاء، ونعق خلفهم الهمج الرعاع حتى ملؤوا الدنيا ضجيجا وعجيجا لذر الرماد في العيون فتعمى العيون المبصرة وتشك القلوب الباصرة ويسأل الجميع أين العقيدة الصحيحة، وأين الدين القويم؟

١. الحرب العسكرية

وبعد هذه المقدمة السريعة والموجزة عن الحرب العسكرية وتطورها يبقى السؤال عن الحرب من وجهة النظر الإسلامية وعن حروب المسلمين بالتالي كيف هي..؟

فالحرب أسوأ شيء عرفه الإنسان في تاريخه الطويل لأنها توجب قتل الإنسان أو جرحه أو نقص بعض أعضائه، وفقد قواه وتشويهه.. كما توجب هدم العمران وإثارة البغضاء والشحناء بين البشر وإيراث الأجيال العقدة النفسية من أهوال الحرب أو خشية من الوقوع بالأسر وما يرافق ذلك من عذاب جسدي ونفسي..

ولذا يكون من اللازم على العقلاء وأهل الفكر العمل على تجنب الحرب بأية قيمة (أو طريقة) وإذا اضطرت الإنسان (أو البلد) إلى الحرب- لأن عدوه جرّه إليها كان الواجب أن يقتصر فيها على أقصى درجات الضرورة (لأن الضرورات تقدر بقدرها)..

فالحرب في ذاتها قبيحة لما فيها من إزهاق النفوس والتخريب والتدمير وقد قال سبحانه مؤيدا لذلك:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)

فالحرب أخيرا صحيح أنها ظاهرة إجتماعية واقعية، ولكن الصحيح كذلك أن الذي يملئها ويفرضها تلك الغرائز الفاسدة في الإنسان المستبد أو المتسلط وليست أمرا طبيعيا في البشر لأن الأصل في الإنسان الخير (أصالة الخير) وليس العكس..

إذن هي حالة إستثنائية - لا شك - في الإمكان حالها حال إجراء العملية الجراحية للإنسان المريض.. وإلا فاللازم عند الخلاف تحكيم الحوار ورضوخ من ليس له الحق للحق.. ومن مفاخر الأديان عبر الأجيال من عمر الدنيا أنها كانت تحكم الكلمة (والمنطق والحوار لحل النزاعات الناشئة).. فمدار كل المسائل في الأديان هي الحق وليس أي شيء آخر، وهنا نلاحظ تقسيم الحرب إلى قسمين أساسيين (اعتمادا على قاعدة الحق) هما:

١. حرب باطلين..
٢. حرب حق وباطل.. والحق لا يقدم على الحرب إلا دفاعا أو لأجل إحقاق الحق وإنقاذ المستضعفين^(٢) (كحروب الإمام أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام الثلاثة التي عليها مدار البحث هنا).. والنوع الأول يسمى بحروب الاستغلال والاستعمار وهي لأجل إدخال الناس

(١) (البقرة: ٢١٦)

(٢) فقه الاجتماع الإمام محمد الشيرازي رحمته الله: ج ٢ ص ٧

في ربة الاستغلال وحيث أن الباطل يلبس ثوب الحق وكل مشعل للحرب يدعي أنه يحارب لأجل تحرير مصالحه الذاتية..

والنوع الثاني يطلق عليه أسم حرب أو حروب التحرير (أو ثورات التحرر الوطنية بلغة معاصرة) وهي تمتاز عن بعضها بنقطتين..

١. هل الأمة دخلت في الحرب بملء أرائها، أم أن الحرب فرضت عليها فرضاً..

وحيث أن الأمة لا تدخل إلا في حروب التحرير أما حروب الاستغلال فإنها تفرض على الأمة فرضاً.. ومن الممكن معرفة الأمرين بملاحظة أجواء الحرية وعدمها.. فالحرب في أجواء الحرية لا تكون إلا حرب تحرير (سواء كان تحريراً عن مستغل متسلط أو عن مستغل يريد التسلط) بخلاف الحرب في أجواء الكبت فإنها لا تكون إلا حرب استغلال..

٢. عدم كون أصحاب المصالح (السياسية، أو الإقتصادية، أو الإجتماعية أو غيرها) وراء الحرب.. ولا الذين يريدون المصالح في المستقبل (إنه قد لا يكون وراء الحرب أصحاب المصالح الحالية وإنما الذين يريدون تحصيل المصالح في المستقبل)..

وبالموازنة والتقدير أي الطرفين يريدان إستغلال الأمة وسرقة أموالها والتحكم بمصائرهما أو يريدان إصلاحها وإنتشالها من الجهل والتخلف ورفعها علمياً وحضارياً إلى مستوى عال بين المجتمعات البشرية..

فالأولى: إستغلالية وصولية محضة..

والثانية: تحريرية إنسانية بلا شك..

والدين الإسلامي يزن الحرب بميزان الصلاح للدنيا والآخرة بالنسبة إلى الذين يحاربهم وبالنسبة إلى الآخرين..

فإذا حارب الإسلام اليهود إنما يريد إصلاح حالهم دنيا وآخرة.. ويريد إصلاح حال الآخرين الذين يعتدي عليهم اليهود لو بقي اليهود على حالهم من دون محاربة..

لذا يكون أول الفروق بين الحروب الإسلامية والحروب غير الإسلامية أن طابع الأولى الصلاح والإصلاح بخلاف الثانية فهي للفساد والإفساد..

وقد أوجزت الآية الكريمة أهداف الحرب الإسلامية بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(١)

فالغرض إذن هو إعلاء كلمة الله التي في إعلائها صلاح حال الناس دنيا وآخرة.. وإنقاذ المستضعفين من برائن المستغلين والظالمين الجائرين..

أما الخراب والدمار الذي يرافق الحرب في البلد أو المال أو النفس والعرض فالإسلام ينطلق فيه من منطلقين وقاعدتين جوهريتين هما:

١. رد الاعتداء: بقاعدة ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٢)

(١) (النساء: ٧٥)

(٢) (البقرة: ١٩٤)

ومن قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (رد الحجر من حيث أتى لا يدفع الشر إلا الشر)..

٢. الوصول إلى الأصلح في كل شيء..

فالإسلام لا يحارب من أجل التسلطة والغلبة، ولا لأجل الاستعمار والاستثمار.. وإذا حارب يكتفي بالقدر الأقل الممكن من الخراب المرافق للحرب.. ذلك الذي هو بالحقيقة لأجل البقاء والإصلاح..

لا انه يحارب حقدا واعتباطا وانتقاما، كما هو شأن سائر الحروب وما وقع من بعض الحكام - قديما وحديثا - الذين ألصقوا أنفسهم بالإسلام كذبا وزورا كملوك بني أمية، وحكام بني العباس وسلاطين آل عثمان الأتراك.. وأضرابهم من الحكام.. تلك الحروب كان الإسلام منها براء لأنها حروب ظالمة وخارجة عن المقياس الشرعي للحرب، لان الميزان هو كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة فقط، لا عمل الحكام الجائرين الظالمين..

والإسلام الحنيف يبيح قتل الكافر، وسبي عرضه، ونهب ماله، وخراب بلده في مقابل قتال الكافر للمسلم وسبي عرضه ونهب ماله وخراب بلده.. كما أنه يبيح كل ذلك بالنسبة إلى الكافر قبال الوصول إلى الأصلح..^(١) (من جهة، ورد الاعتداء بمثله من جهة أخرى..)

وللحرب مبادئ سبعة كما يقول القادة العسكريون اليوم وهي:

١. المحافظة على الهدف العام من الحرب..

٢. أمن العمل والحذر من غدر العدو..

٣. الحركية والسرعة لمواجهة العدو واستلام زمام المبادرة..

(١) فقه السياسية: الإمام محمد الشيرازي رحمته الله بتصرف ج ٢ ص ١٨

٤. استخدام القوة الهجومية لأن خير وسيلة للدفاع الهجوم..
٥. الإقتصاد بالقوى والوسائط المادية الضرورية للقوات..
٦. حشد القوى وعدم التهاون مع العدو أو الإستهانة به..
٧. المفاجأة والباغته الغير متوقعة للعدو..

١. شروط الحرب

ويجب العلم أن اصطلاح الحرب ليس مطلقا: بل اللازم أن تتوفر هناك شرائط حتى تسمى حربا.. وإن سميت حرب لم تترك مطلق بل تقييد مثلا يقال: (حرب العصابات) أو (حرب الدعاية (النفسية) أو (الحرب الاقتصادية) أو (الحرب الباردة) أو ما أشبه ذلك وشروط الحرب العسكرية هي:

١.١. الإصطفاف

أن يكون كل طرف مستقلا فإذا كانت اجتماعات غير مستقلة بل متداخلة لم تسم حربا وإنما فوضى كما إذا صارت حرب أهلية لا اصطفاف لكل طرف بل وقع الناس ببعضهم البعض، بحيث يقتل بعضهم بعضا..

٢.١. الإرتباط

أن يكون بين الطرفين ارتباط، ولا يصدق الحرب ولا الصلح ولا

المعاهدة ولا المسالمة ولا ما أشبه ذلك.. فإذا كان الارتباط ارتباط العداة وتمت المواجهة بالسلاح وآلة الحرب ونحوه تسمى حرباً وإلا فلا..

٣.١. النظم والإنتظام

يلزم أن يكون لكل طرف النظم والانتظام، وإلا لم تسم حرباً..

إذن الحرب بنظر الإسلام استثناء وضرورة (والضرورات دائماً تقدر بقدرها) إلا أنها يجب أن تكون دينية مقدسة وقداستها ذاتية لأنها في سبيل الله ولوجه الله وليس من أجل مصالح دنيوية زائلة.. والمقتول بمثل هذه الحرب من المسلمين يسمى شهيداً.. وهو ارفع أوسمة المجاهدين في هذه الحياة، لأن الله سبحانه وصفهم بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون وذلك بقوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١)

وهذه المنزلة الرفيعة تطمح إليها النفوس الشريفة، وتشرب إليها الأعناق الطويلة، وصاحبها يشار إليه بالبنان في الدنيا والآخرة..

فالإسلام يكره الحرب ويدعوا إلى السلم والسلام ودعوته هذه واضحة من اسمه الشريف (الإسلام).. والآيات القرآنية المباركة والأحاديث النبوية الشريفة ومواقف أئمة المسلمين كلها تدعوا إلى السلام وإتباع نهج الدعوة إلى الإسلام بالكلمة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن..

أما إذا اضطر الإسلام لمسألة الحرب فإن لها عدداً كبيراً من القيود

(١) (آل عمران: ١٧٠)

والشروط لأن المناقبيات والأخلاق الإسلامية يجب أن تطبق في أحلك الظروف كما تطبق في الأيام العادية وأيام الرخاء.. فالإسلام رسالة هداية ونور من الله الرحمن وكتاب الله ينادي بالجميع:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١)

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢)

فالإسلام ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^(٣)

هذا في الأسس والأصول العامة للإسلام إلا أنه لا يريد للإنسان المؤمن فيه الذلة والخضوع للظالمين - حاشاه - لأن المؤمن عزيز وعزته من عزة الله عزَّ وَجَلَّ ورسوله الكريم ﷺ..

لأن سنن الكون تقول: بأنه لا بد من التنازع بين الأقوياء أو الضعفاء أو الأقوياء والضعفاء.. والأرض ستكون للأقوى والأجدر؛ والرسالات الدينية تقول للأفضل والأفضل فإذا لم تمتلك القوة فسيملكها غيرك كما هو حالنا حالياً وسيهددنا أو ربما يغزونا فيها أو على الأقل يفرض علينا ما يشاء كيف يشاء متى ما يشاء..

ولذلك قال ربنا سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ءَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ

(١) (البقرة: ٢٠٨)

(٢) (الأنفال: ٦٤)

(٣) (يونس: ٢٥)

وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿١﴾

فمسألة القوة هي مسألة في غاية الأهمية بالنسبة لهذه الحياة فالقوي دائما مرهوب الجانب والإعداد الإسلامي لهذه القوة هو دائما ضرورة حضارية وأمنية من أجل إرهاب الأعداء والعلم العسكري - قديما وحديثا- يقرر بان الرهبة والخوف هي احد أهم أسباب الفشل في المعركة.. فالمقاتل الذي يخوض المعركة وهو خائر القوى واهي العزيمة تراه ميتا قبل أن ياتيه الموت فهو وبال وكارثة على جيشه وقائده..

لأن الخوف يعدي كمرض معدي كما قالوا والشجاعة معدية كذلك.. ولهذا ترى في الحروب الحديثة وتعليمات علم النفس العسكري تقرر على وجوب عزل العناصر الجبناء تماما عن زملائهم وضرورة أبعادهم عن ساحة القتال حتى لا ينتشر الخوف والذعر في صفوف المقاتلين..

وعلى القائد أن يستنكر وبشدة وجود مثل هذا الشخص بين المقاتلين ويضرب لهم الأمثلة على الشجاعة والبطولة وتمجيدها ليذب الحماس لديهم ويرفع من عزيمتهم وقوتهم ومعنوياتهم ليخوضوا المعركة بنجاح لتحقيق النصر..

فامتلاك القوة في الإسلام ل ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ لذلك قيل أن الإسلام كان ينتشر بالخوف والذعر قبل المعارك والقتل وانتشار الإسلام وانتصار الرسول الأعظم ﷺ في معظم غزواته كان بأقل ما يمكن من القتلى.. هذا وقد أحصوا قتلى حروب الرسول الأعظم ﷺ التي بلغت ٨٠ غزوة وسرية فلم يتجاوز/١٤٠٠/ شخص فقط..

والقوة الإسلامية هي قوة إيمانية في النفوس وأخوية في الأمة.. لذلك

(١) (الأنفال: ٦٠)

كان الرجل المؤمن يعد بعشرين أو مئتين، أو حتى ألفين من الكافرين أو ربما إذا اجتمعت عليه العرب لم يرهبه جمعهم فيولي كما قال وفعل أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في حياته الشريفة..

ولقد جاء عنه عليه السلام في كتاب بعث به الإمام عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها: (إني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الأرض كلها (الطلاع: ملء الشيء)، يقول: لو كنت واحدا وهم يملؤون الأرض للقيتهم غير مبال بهم. والضمير يعود هنا على خصومه ومحاربيه من وجهاء ذلك الزمان) ما باليت ولا استوحشت. وإني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي، ولكني آسى (أحزن) أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا (أي شيئا يتداولونه بينهم ويتصرفون به في غير حق الله) وعباده خولا (العبيد) والصالحين حربا والفاسقين حزبا، فلولا ذلك ما أكثرت تأليكم وتأنيبكم، وجمعكم وتحريضكم^(١)!

وفي خطبة أخرى له عليه السلام يقول: (وكانني بقائلكم يقول إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان. ألا وإن الشجرة البرية أصلب عودا، والروائع الخضرة أرق جلودا، والنباتات البدوية أقوى وقودا وأبطأ خمودا، وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد.

والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها، وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس (يعني معاوية) حتى تخرج المدرة من بين

(١) (نهج البلاغة)

حب الحصيد^(١)

تلك هي الشجاعة وذاك هو الموقف الشجاع؛ أن يكون الأعداء ملء الأرض، أو أن العرب كلهم يتجمعون ويتظاهرون على قتاله عليه السلام فإنه سيبادر إلى لقاءهم وقطع رقابهم إن أمكنته الظروف منها.. وهذا ما فعله ولده الإمام الحسين السبط عليه السلام على تراب كربلاء حيث واجه حوالي (الثلاثين ألف مقاتل) بنفسه الأبية ذلك بعد أن استشهد كل من كان معه من أصحابه الكرام.. فقاتلهم قتالا تعجبت منه السماوات السبع والأراضون السبع ومن فيهن جميعا حتى أعدائه وما زال كذلك حتى مضى إلى ربه شهيدا سعيدا بل سيد الشهداء على الإطلاق روي وأرواح العالمين له الفداء وعليه وعلى أصحابه وأبنائه البررة آلاف التحية والسلام..

والسؤال الآن هو أين موقع ومكان ودور معارك أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام من ذلك، وهل يمكن أن تسمى كل منها حربا أم لا..

أن الساحات والأماكن التي شهدت الحروب الثلاثة (البصرة، والرقعة، والنهروان) هي معارك وحروب بكل ما تعنيه الكلمة وذلك لتوفر الشروط الثلاثة التي ذكرناها للحرب وهي..

١. الاصطفاف..

٢. الارتباط..

٣. النظم..

وهي حرب من النوع الثاني (حق وباطل) فالأمة الإسلامية كلها - إلا من شذَّ منها - يقررون بأن الحق كله مع أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام

(١) (نهج البلاغة)

وأن كل من حاربه على الباطل جزما وحتما عليه إجماع الأمة إلا بعض المتأولين حرصا على الصحابة فكانوا أحرص على الصحابة من الصحابة أنفسهم للأسف..

وهذا الحق يؤيده ثلاث قواعد أساسية لا يستطيع أن ينكرها أحد إلا من ينكر الشمس الضاحية في رابعة النهار وهي:

إلهية قرآنية: فقد اعترف أهل العلم وبلسان حبر الأمة الإسلامية عبد الله بن عباس إلى أنه (نزلت أكثر من ثلاثمائة آية قرآنية بفضل الإمام علي عليه السلام، وأهل البيت الأطهار عليهم السلام قالوا: بأن ثلث القرآن نزل بفضلهم.. وما عليك إلا مراجعة التفاسير والسنن لتعلم أسباب النزول لآيات (التطهير، والولاية، والوسيلة، والإكمال للدين، والصراط، والسؤال، والنور، والمودة، وهل أتى..) وغيرها كثير.

وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١) فإنها نزلت بأمر المؤمنين علي عليه السلام حينما تصدق بالخاتم وهو راعٍ يصلي في المسجد النبوي الشريف^(٢)..

وعباية بن الربيعي، قال: حدثنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه وهو جالس بشفير زمزم، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل رجل معتم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله، إلا وقال الرجل: قال رسول الله، فقال له ابن عباس: سألتك بالله، من أنت؟

قال: فكشف العمامة عن وجهه، وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد

(١) (المائدة: ٥٥)

(٢) (العمدة لابن البطريق: ١٦٧)

عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا صمتا، ورأيت بهاتين وإلا فعميتا، يقول: «علي قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله» أما إني صليت مع رسول الله ﷺ يوما من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنني سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحد شيئا، وكان علي ﷺ راكعا فأومئ إليه بخنصره اليمنى، وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي ﷺ، فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم موسى سألك، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَؤُلَاءِ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾^(١)

فأنزلت عليه قرآنا ناطقا: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِتَابِنَا﴾^(٢) اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم واشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي عليا اشدد به ظهري.

قال أبو ذر: فما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل عليه جبريل ﷺ من عند الله تعالى فقال: يا محمد اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ

(١) (طه: ٢٥ - ٣٢)

(٢) (القصص: ٣٥)

وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٢﴾ (١).

وهذا لا تظن أن أعداءه ومن قاتله لا يعرف ذلك بل كانوا أعلم الناس بأمر المؤمنين علي عليه السلام فهذا داهية الدواهي ابن النابغة وفي جوابه لصديقه وشريكه معاوية بن أبي سفيان.

قال عمرو بن العاص: لقد علمت يا معاوية ما أنزلت في كتابه في علي عليه السلام من الآيات المتلوات في فضائله التي لا يشاركه فيها أحد، كقوله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ﴾ (٣)، ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٤) ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ﴾ (٥) وقد قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٦) وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٧).

فابن العاص وابن أبي سفيان عارفون من هو علي بن أبي طالب عليه السلام وبكل دقة والأدهى من ذلك أنهم واثقون كل الثقة بدينه الذي لا يمكن أن يتنازل عنه لدنيا يصيبها مهما غلت وهذا ما كان يطمعهم فيه فيغدرون ويفجرون ويمكرون ويحتالون، وهو يقول: والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهة الغدر لكنت من أدهى الناس..

(١) (المائدة: ٥٥)

(٢) (العمدة لابن البطريق: ١٦٨)

(٣) (الإنسان: ٧)

(٤) (المائدة: ٥٥)

(٥) (هود: ١٧)

(٦) (الأحزاب: ٢٣)

(٧) (الشورى: ٢٣) (غاية المرام ص ١٠٤. مناقب الخوارزمي ص ٢٠٠)

نبوية سننية مطهرة: والأحاديث النبوية في أمير المؤمنين علي عليه السلام تكاد لا تحصى كما مرّ عليك والذي نشير إليه هنا هي الأحاديث التي أمره فيها رسول الله ﷺ بقتال البغاة من (الناكثين، والقاسطين، والمارقين) بأحاديث ترويتها كل كتب المسلمين منها:

فقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيام: حاكيا عن رسول الله (صلى الله عليه واله) قوله يا علي انك باق بعدي، ومبتلى بأمتي ومخاصم بين يدي الله، فأعدد للخصومة جوابا، فقلت: بأبي وأمي أنت بين لي ما هذه الفتنة التي ابتلى بها؟ وعلى ما أجاهد بعدك؟

فقال: لي انك ستقاتل بعدي الناكثة، والقاسطة، والمارقة، وحلاهم (وصفهم) وسماهم رجلا، رجلا، وتجاهد من أمتي كل من خالف القرآن وستي، ممن يعمل في الدين بالرأي، ولا رأي في الدين إنما هو أمر الرب ونهيه..

فقلت: يا رسول الله فأرشدني إلى الفلاح عند الخصومة يوم القيامة.. فقال: نعم. إذا كان ذلك كذلك فاقصر على الهدى، إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى، وعطفوا القرآن على الرأي، فتأولوه برأيهم بتبع الحجج من القرآن لمشتبهات الأشياء الطارئة عند الطمأنينة إلى الدنيا، فاعطف أنت الرأي على القرآن، وإذا قومك حرّفوا الكلمة عند مواضعه عند الأهوال الساهية، والأمراء الطامحة، والقادة الناكثة، والفرقة القاسطة، والأخرى المارقة أهل الإفك المردى والهوى المطغي، والشبهة المخالفة، فلا تنكلن عن فضل العاقبة، فان العاقبة للمتقين^(١).

(١) (الاحتجاج للطبرسي ص ٤٦٤)

عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين.. فما كنت لأترك شيئا مما أمرني به حبيبي رسول الله ﷺ.^(١)

وقوله ﷺ مخبرا الأمة بمستقبلها والفتن فيه: سيكون بعدي قوم يقاتلون عليا على الله جهادهم (أي أجر المجاهدين لهم مع الإمام علي عليه السلام على الله)، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك شيء^(٢).

وفي خطبة أخرى له عليه السلام يقول: أما بعد فإن الله تعالى بعث محمدا ﷺ وليس في العرب أحد يقرأ كتابا ولا يدعى نبوة، فساق الناس إلى منجاتهم، أم والله ما زلت في ساقها ما غيرت ولا بدلت ولا خنت حتى تولت بحذافيرها، مالي ولقريش؟ أم والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلتهم مفتونين، وإن مسيري هذا عن عهد إليّ فيه، أم والله: لأبقرن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته ما تنقم منا قریش إلا ان الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا وأنشد:

ذنب لعمرى شربك المحض خالصا
وأكلك بالزبد المقشرة التمرا
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن
عليا وحطنا حولك الجرد والسمر

ورسول الله ﷺ بعد أن غضب من بعضهم قال: والله ما أراكم تنتهون (الصحابة) حتى يبعث الله عليكم رجلا من قریش يدعوكم إلى الله

(١) (مسند زيد بن علي ص ٤١٠)

(٢) (أخرجه الطبراني كما في (مجمع الزوائد) ٩ ص ١٣٤، و(كنز العمال) ٦ ص ١٥٥، وفي ج

٧ ص ٣٠٥ نقلا عن الطبراني وابن مردويه وأبي نعيم)

فتختلفون عنه اختلاف الغنم الشرود..

فقال له أبو بكر فذاك أبي وأمي يا رسول الله أنا هو؟ قال: لا.

قال عمر: فمن هو يا رسول الله؟ فأومئ إليّ وأنا أخصف نعل رسول الله ﷺ وقال: «هو خاصف النعل عندكما، ابن عمي، وأخي، وصاحبي، ومبرئ ذمتي، والمؤدي عني ديني، وعداتي، والمبلغ عني رسالاتي، ومعلم الناس من بعدي، ومبين لهم من تأويل القرآن ما لا يعلمون..»^(١)

ومن الدليل الروائي على أن أمير المؤمنين عليه السلام كان مصيبا في حروبه كلها وإن مخالفه في ذلك على ضلال، وهو ما تظاهرت به الرواية عن النبي ﷺ من قوله ﷺ: (حربك يا علي حربي وسلمك يا علي سلمتي)

وقوله ﷺ: (يا علي أنا حرب لمن حاربك وسلم لمن سالمك)

وهذان القولان مرويان من طريق العامة والخاصة، ولم يعترض أحد من العلماء بالطعن على سندهما ولا ادعى إنسان من أهل المعرفة بالآثار كذب روايتهما ومن كان هذا سبيله وجب تسليمه والعمل به، إذ لو كان باطلا لما خلت الأمة من عالم منها ينكره ويكذب روايته، ولا سلم من طعن فيه ولعرف سبب تخرصه وافتعاله وأقام دليل الله على بطلانه، وفي سلامة هذين الخبرين من جميع ما ذكرناه حجة واضحة على ثبوتهما كما هو واضح وجلي.

ومن ذلك الرواية المستفيضة عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام:

(تقاتل يا علي على تأويل القرآن كما قاتلت علي تنزيله)^(٢)

(١) (الاحتجاج للطبرسي ص: ٣٩٩)

(٢) (مسند أحمد بن حنبل (ج ٣ ص ٣٣).

ومن ذلك قوله عليه السلام: (علي مع الحق والحق مع علي) (١)

وقوله عليه السلام: (اللهم أدر الحق مع علي حيث ما دار) (٢)

وهذا أيضا خبر قد رواه محدثوا العامة وأثبتوه في الصحيح عندهم ولم يعترض أحدهم لتعليل سنده، ولا أقدم منهم مقدم على تكذيب ناقله ولا توجد حجة في العقل ولا السمع على فساد فوجب الاعتقاد بصحته وصوابه.

ومن ذلك قوله عليه السلام: (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) وهذا في الرواية أشهر من أن يحتاج معه إلى جمع السند له وهو أيضا مسلم عند نقلة الأخبار وقوله عليه السلام: (قاتل الله من قاتلك وعادى الله من عاداك) والخبر بذلك مشهور وعند أهل الرواية معروف مذكور.

ومن ذلك قوله عليه السلام: (من آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله..)، فحكم أن الأذى له أذى الله والأذى لله جل اسمه ضلال مخرج عن الإيمان، بتقرير من الله بما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

وأمثال ما أثبتناه من هذه الأخبار في معانيها الدالة على صواب الإمام علي عليه السلام وخطأ مخالفيه كثيرة إن عملنا على إيراد جميعها طال به الكتاب وانتشر الخطاب، وفيما أثبتناه منه دليلا للحق منه كفاية في الغرض الذي نأمله إن شاء الله.

وأخير فإن قوله عليه السلام لعلي عليه السلام: (تقاتل بعدي الناكثين، والقاسطين،

(١) (تاريخ بغداد (ج ١٤ ص ٣٢١)، ومستدرک الحاكم (ج ٣ ص ١١٩)

(٢) (مستدرک الحاكم النيسابوري (ج ٣ ص ١٢٤).

والمارقين) والقول في هذه الرواية كالأخبار التي تقدمت بالشهرة، وقد سلمت من طاعن في سندها بحجة ومن قيام دليل على بطلان ثبوتها وسلم لروايتها الفريقان فدل على صحتها.

وهذا علامة المعتزلة ابن أبي الحديد يقول بشرحه لنهج البلاغة مبينا: أما الطائفة الناكثة فهم أصحاب الجمل، وأما الطائفة الفاسقة فأصحاب صفين وسماهم رسول الله ﷺ القاسطين وأما الطائفة المارقة فأصحاب النهروان.. قال النبي ﷺ لعلي ﷺ: (ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين) وهذا الخبر من دلائل نبوته ﷺ لأنه أخبار صريح بالغيب^(١).

وهل هناك من يشك أو يقول بأن الإمام علي ﷺ إنما قاتل البغاة باجتهاد شخصي، أو ليس معه إذنا من أخيه الحبيب المصطفى ﷺ؟ كما حاول بعض أهل الزيغ الإيهام والقول لذر الرماد في العيون.. رغم أننا نعتقد بعصمة الإمام علي ﷺ وهو على الحق الصراح وإن كان مجتهدا فاجتهاده صحيح تمام الصحة..

سياسية مصلحة عليا: وذلك لأن أمير المؤمنين علي ﷺ قد بايعه القوم من المهاجرين والأنصار بعد امتناعه عليهم لحوالي الأسبوع وهو يعرضها على طلحة تارة، والزبير أخرى، وهو الذي قال: أتيتموني فقلتم: بايعنا، فقلت: لا أفعل فقلتم: لا، وقبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم فجدبتموه، وتداكتم عليّ تذاك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلي، وان بعضكم قاتل بعضا لدي، فبسطت [يدي فبايعتموني مختارين وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذنانني في العمرة والله يعلم أنهما أرادا الغدرة، فجددت عليهما العهد

(١) (شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ جزء ١ ص ٢٠١)

في الطاعة، وأن لا يبغيا الأمة الغوائل فعاهداني ثم لم يفيا لي ونكثا بيعتي ونقضوا عهدي^(١)..

عن زيد بن أسلم قال: جاء طلحة والزبير إلى علي عليه السلام وهو متعوذ بحيطان المدينة فدخلا عليه وقالا: أبسط يدك نبايعك فإن الناس لا يرضون إلا بك..

فقال لهما: لا حاجة لي في ذلك ولئن أكون لكما وزيرا خير لكما من أن أكون أميرا فليسط قرشيا منكما يده أبايعه..

فقالا: إن الناس لا يؤثرون غيرك ولا يعدلون عنك إلى سواك فابسط يدك نبايعك أول الناس..

فقال: إن بيعتي لا تكون سرا فامهلا حتى أخرج إلى المسجد..

فقالا: بل نبايعك هنا ثم نبايعك في المسجد.. فبايعاه أول الناس ثم بايعه الناس على المنبر؛ أولهم طلحة بن عبيد الله وكانت يده شلاء فصعد المنبر إليه فصفق على يده، ورجل من بني أسد يزجر الطير قائم ينظر إليه فلما رأى أول يد صفقت على يد أمير المؤمنين عليه السلام يد طلحة وهي شلاء.. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد صفقت على يدي (أمير المؤمنين يد) شلاء يوشك أن لا يتم هذا الأمر ثم نزل طلحة والزبير وبايعه الناس بعدهما^(٢)..

فالإمام ورئيس الدولة إذا تمت له البيعة فليس على الناس إلا الطاعة بالمعروف والعون عليه إلا إذا أحدث حدثا يخرج من الدين - والعياذ بالله - هذا في فقه أهل البيت عليهم السلام أما فقه الآخرين فإنه ليس للأمة إلا

(١) (الارشاد للمفيد ج ١ ص ٢٣٨)

(٢) (العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٦٩) والطبري (ج ٥ ص ١٥٣)

الطاعة لصاحب البيعة ولو قتل السبط الشهيد ابن رسول الله ﷺ الإمام الحسين عليه السلام الذي قال فيه جده: حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا..

أي مثل يزيد وأبيه معاوية الذي لم يترك عبدا صالحا في الأمة إلا وحاول إستئصاله عن هذه الدنيا وهو عندهم من الخلفاء الراشدين- يا للأسف الشديد- فمن أين لهم الرشد وليس لهم من الدين ولا حتى تقيرا ولكن قاتل الله السياسة الكذابة الدجالة..

فالواجب السياسي كان يحتم على أمير المؤمنين عليه السلام حرب أهل البغي جميعا وإلا فإنه يفرط بحق الأمة ويحطم الدولة التي بايعته ويسلمها للفجار وأصحاب الأهواء الخبيثة، وليس له إلا السيف بعد أن يقدم العذر لهم ويقيم الحجة عليهم.. وهذا ما فعله روعي له الفداء لو كان القوم من أهل الإنصاف والاعتدال ودعك الآن من الدين الحنيف لأنهم خرجوا منه بوقوفهم بوجه إمام زمانهم المفترض الطاعة ونحن هنا نحكي عن السياسة فقط..

ألا ترى إلى ما اشتهر من قول أمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن قتاله للقوم (ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم أجد إلا قتالهم أو الكفر بما أنزل الله على محمد ﷺ).⁽¹⁾

وقوله عليه السلام في ذي قار: والله إن طلحة والزبير ليعلمان أنهما مخطئان وما يجهلان، ولرب عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه والله لتنبحنها كلاب الحوآب (عائشة)، فهل يعتبر معتبر أو يتفكر متفكر، لقد قامت الفئة الباغية فأين المحسنون؟

(1) (النهج خ ٤٣ قريبا منها)

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في أوائل عهده الميمون: (..اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها يأتي الكتاب وأثار النبوة، هلك من ادعى وخاب من افترى إن الله أدب هذه الأمة بالسيف، والسوط وليس لأحد عند الإمام فيهما هوادة.. فاستتروا في بيوتكم وأصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم، من أبدى صفحته للحق هلك.)

هنا الفقه والعلم والتقى والزهد والدين والحق والصدق وكل ألفاظ الكياسة والسياسة الحقيقية التي تريدها الأمة القائدة للحياة الدنيا..

فقد جاء في تفسير العياشي عن أصبغ بن نباتة، قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الجمل فجاء رجل حتى وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين كبر القوم وكبرنا، وهلل القوم وهللنا، وصلى القوم وصلينا، فعلى ما نقاتلهم؟! فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: على هذه الآية ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مِّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فنحن الذين آمننا وهم الذين كفروا..

فقال الرجل: كفر القوم ورب الكعبة.. ثم حمل فقاتل حتى قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أقول: وروى هذه القصة شيخنا المفيد والشيخ الطوسي في أماليهما

والقمي في تفسيره، والرواية تدل على انه عليه السلام أخذ الكفر في الآية بالمعنى الأعم من الكفر الخاص المصطلح الذي له أحكام خاصة في الدين، فإن النقل المستفيض وكذا التاريخ يشهدان انه عليه السلام ما كان يعامل مع مخالفه من أصحاب الجمل وأصحاب صفين والخوارج معاملة الكفار من غير أهل الكتاب ولا معاملة أهل الكتاب ولا معاملة أهل الردة من الدين، فليس إلا أنه عدّهم كافرين على الباطن دون الظاهر، وقد كان عليه السلام يقول: أقاتلهم على التأويل دون التنزيل.

وظاهر الآية يساعد هذا المعنى، فإنه يدل على أن البيئات التي جاءت بها الرسل لم تنفع في رفع الاقتتال من الذين من بعدهم لمكان الاختلاف المستند إليهم أنفسهم فوقوع الاختلاف مما لا تنفع فيه البيئات من الرسل بل هو مما يؤدي إليه الاجتماع الإنساني الذي لا يخلو عن البغى والظلم، فالآية في مساق قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(١)

وقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾^(٢)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(٣) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ^(٤)

كل ذلك يدل على أن الاختلاف في الكتاب - وهو الاختلاف في

(١) (يونس - ١٩)

(٢) (البقرة - ٢١٣)

(٣) (هود - ١١٩)

الدين - بين أتباع الأنبياء بعدهم مما لا مناص عنه، وقد قال تعالى في خصوص هذه الأمة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(١)

وقال تعالى حكاية عن رسوله ليوم القيامة: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٢)

وفي مطاوي الآيات تصريحات وتلويحات بذلك.

وأما أن ذيل هذا الاختلاف منسحب إلى زمان الصحابة بعد الرحلة فالمعتمد من التاريخ والمستفيض أو المتواتر من الأخبار يدل على أن الصحابة أنفسهم كان يعامل بعضهم مع بعض في الفتن والاختلافات الواقعة بعد رسول الله ﷺ هذه المعاملة، من غير أن يستثنوا أنفسهم من ذلك استنادا إلى عصمة أو بشارة أو اجتهاد أو استثناء من الله ورسوله.^(٣)

وهل ينسى قوله ﷺ: من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر..

أو قوله ﷺ: إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما.

العقل والمنطق يؤيدان أمير المؤمنين ﷺ: وهذا واضح لمن له مسكة عقل أو فهم لمجريات الأمور ومكان المنطق العقلي فيها لأن العقل السليم يقضي بتقديم الأفضل والأعلم والأفقه والأتقى والأقضى والأقرب والأكمل والأجمل والأعدل والأشجع والأطهر والأمهر والأنظف.. على غيره مهما كان فيهم من الصفات، وهذا لم ولن يتواجد بأحد من

(١) (البقرة - ٢١٤)

(٢) (الفرقان - ٣٠)

(٣) (الميزان للطباطبائي ج ٢ ص ٣٢٣)

أولئك الذين حاربوا الإمام علي عليه السلام أو نازعوه الحق..

فأين الثرى من الثريا، وأين الذهب المصفى من التراب والرغام
وأين السيقة من سيد الأنام وأين الرأس من الذنابي.. ولكن أف لك يا
زمن الصغائر فما زلت تتسافل حتى قرنت الأمير بالطلق، واللايمان
بالزنديق، والحر الخالص باللصيق، فأين الإنصاف يا منصفون بعد آلاف
السنين أما آن أن ينتصف الزمان ويعتذر من الإمام علي بن أبي طالب
(عليه آلاف التحية والصلاة والسلام والإكرام من الرب العلام وليس من
الأنام فقط)

٢ . بعض المصطلحات العسكرية

وقبل أن نترك هذا المجال العسكري فلا بد من إعطاء بعض
المعلومات عن بعض المصطلحات العسكرية المعاصرة لأنها سترد معنا
في مطاوي البحث بإذن الله تعالى فتكون - أخي الكريم - على بينة من
معانيه المقصودة إذا لم تكن من أهل الإختصاص..

الإستراتيجية.. هي مصطلح عام واسع وفضفاض ومتنوع ويشمل كل
منحى من مناحي الحياة أجمع من السياسية، واقتصاد، ومجتمع، وإدارة
وحرب.. ولها أنواع ومراتب في مفاهيم العصر الراهن وما يهمننا منها
ثلاث: الاستراتيجية العليا، والاستراتيجية، والإستراتيجية العسكرية..

١ . الإستراتيجية العليا: هي فن إعداد الحرب وإدارتها، لتحقيق نصر لا
يتعارض مع سلم مقبل..^(١)

فهي إذن تحضير واستثمار وتنسيق وتوجيه كل إمكانات البلاد بغية

(١) (الرسول العربي وفن الحرب: ٣٤٩ الجنرال مصطفى طلاس)

الوصول إلى الهدف السياسي من الحرب..

٢. الإستراتيجية: هي عبارة عن وسيلة لتحقيق أهداف تحددها لها السياسة بحيث تنبع سياسة بلد ما من الفلسفة السائدة فيه.. وهكذا يتعلق مصير الإنسان بالفلسفة التي يختارها لنفسه.. والإستراتيجية التي يستخدمها لتحقيق إنتصار هذه الفلسفة..^(١)

٣. الإستراتيجية العسكرية: هي فن استخدام المعارك كوسيلة للوصول إلى هدف الحرب.. فهي تضع المخطط للحرب وتحدد التطور المتوقع لمختلف المعارك التي تتألف منها الحرب.^(٢)

أو هي: فن توزيع مختلف الوسائط العسكرية واستخدامها لتحقيق هدف السياسة..^(٣)

نعم؛ إنها الفن الذي يتيح- بعيدا عن كل تقنية - السيطرة على معضلات الصراع، إلى أن يؤدي استخدام التقنية بأقصى فاعلية ممكنة، إنها إذن فن حوار القوى، أو بالأحرى فن حوار الإرادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها..^(٤)

وعليه فإذا كان التكتيك هو تطبيق الإستراتيجية على مستوى أدنى، فإن الإستراتيجية نفسها هي تطبيق الإستراتيجية العليا على مستوى أدنى كذلك..وعلينا أن ندرك أيضا أن القدرة الحربية عامل واحد من عوامل الإستراتيجية العليا التي يدخل في حسابها قوة الضغط المالي، أو السياسي، أو الدبلوماسي، أو التجاري، أو المعنوي.. وكلها عوامل هامة

(١) الامام علي والحرب ص ١٧ عن حرب الأفكار ص ١٦٨

(٢) (الجنرال كلاوزفيتز في الحرب؛ عنه الرسول العربي: ٣٤٥)

(٣) (ن م: ٣٤٦)

(٤) (ن م: ٣٤٧)

في إضعاف الخصم المعادي..

وإن مدى الإستراتيجية محدود بالحرب ولكن الإستراتيجية العليا تنظر إلى ما وراء الحرب ونحو السلم الذي سيعقبها؛ وليس عليها أن تكتفي بتحقيق التوافق بين مختلف وسائط الحرب فحسب، وإنما عليها أن تنظم استخدامها بغية تلافى ما يؤدي السلم المقبل الذي يجب أن يكون ثابتا ويحقق حياة أفضل للجميع..^(١)

ومن ملاحظة هذه التعاريف للإستراتيجية والتعمق في معانيها جيدا نجد أن المصطلح ليس مصطلحا عسكريا فقط.. بل هو فلسفة.. وأسلوب تطبيق وتحقيق فلسفة البلد السياسة، والاقتصادية، والعسكرية...و
وما للإستراتيجية العسكرية إلا فرع أو جزء واحد منها.. والتي تعني فيما تعنيه:

كافة الأفكار والترتيبات التي تتخذ لإستخدام القوة العسكرية، والوسائل العسكرية الأخرى لتحقيق أهداف الدولة العليا..

فالإستراتيجيا: هي مصطلح عام يعني معرفة الأهداف البعيدة.. وتحديدتها بدقة وتحديد الطرق والأساليب الكفيلة بتحقيقها والوصول إليها بأسهل طرق وأقل تكاليف ومن هذا المعنى نعرف قيمة الكلمة التي قالها الأحنف بحق أمير المؤمنين عليه السلام: إنه بعيد المدى (أي أن تفكيره كان استراتيجيا فلم يفرط بحق من حقوق الله، ولم يترك فضيلة من فضائل الأخلاق بسبب السياسة والدهاء بالحكم)

أما الإستراتيجية العسكرية: فهي فلسفة إستخدام الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف الدولة العليا.. وكذلك تحديد الاتجاه العام لتطور القوات

(١) (ن م ٣٤٩)

المسلحة وإعدادها للحرب..

التكتيك: هو جزء من الحرب.. وهو عبارة عن القوانين العلمية الموضوعية لأساليب وأشكال خوض المعارك والأعمال القتالية.. أو هي دراسة المعركة علميا من كافة النواحي وباعتبارها أحدا أهم مظاهر الحرب.. والرابط ما بين التكتيك والحرب هو: العمليات..

الحرب: هي ظاهرة إجتماعية وربما تاريخية ومنهم من قال انها ضرورية لتنازع البقاء.

ألا أنها أبشع مظاهر الحياة على الإطلاق.. لأنها تدمر الأرض وملحقاتها.. وتحرق الشعب وطاقاته.. وتنهك الإقتصاد ومتفرعاته وتخلف كوارث إلى أبناء الأبناء ولعدة أجيال في الوقت الحاضر.. ومالمعارك إلا أجزاء منها..

المعركة: هي صراع مسلح ومنظم بين طرفين متحاربين يحاول كل منهما تدمير الطرف الآخر بالقتل أو الأسر والإستيلاء على المعدات والمناطق من الأرض التي يشغلها أو يسيطر عليها..

ولها تعاريف أخرى حديثة لا شان لها فيها..

ولها عدة أنواع وأشكال أهمها ثلاثة..

١. الهجوم: هو الشكل الأساسي للأعمال القتالية للمعركة ويهدف إلى

سحق العدو خلال وقت قصير والإستيلاء على أغراضه ومواقعه..

أو هو النوع الرئيسي للمعركة ولا يتحقق سحق العدو إلا بالهجوم

القوي الحاسم والشجاع والجريء للقوات كافة..

٢. الدفاع: هو نوع من أنواع المعركة وحالة إضطرارية تلجأ إليها القوات بغية صد هجوم معادي متفوق بالسلاح والرجال.. وتكبيده أفدح الخسائر بالقوى والوسائط والتحضير للهجوم المعاكس..

أو هو نوع من أنواع الصراع يمكن أن تلجأ إليه القوات بصورة إضطرارية أو عن تصميم مسبق وذلك عندما يستحيل أو لا يفضل الهجوم..

٣. التصادمية: هي الهجوم على عدو مهاجم.. أو الإلتقاء وكلا الطرفين في حالة مسير للقاء الطرف الآخر..

المسير: هو النقل المنظم والمرتب للقوات على محاور التحرك باستخدام كافة وسائل النقل العضوية والملحقة..

محاور التحرك: هي الطرق المعدة للمسير والمحددة من قبل القائد..

الموضع: هو عدد من النقاط الهامة (الإستناد) مرتبطة فيما بينها عملاً وقيادة..

الصدمة: هي التقدم المندفع للقوات بغية سحق العدو بشكل كامل أو أسره أو إحتلال أغراضه بشكل قوي ومفاجئ..

الحرب الوقائية: تشن هذه الحرب عندما يمتلك أحد الطرفين المتخاصمين سلاح لا يملكه الخصم فيبادر إلى شن حرب بهدف تدمير السلاح الجديد عند خصمه.. فهي هجوم مدبر مسبقاً من جيش على جيش آخر بهدف تدمير القوة العسكرية والسلاح الجديد وفرض إرادتها وإملاء شروط قادتها السياسيين..

التعبئة العسكرية: هي تحويل القوات المسلحة من حالة السلم إلى حالة الحرب وحشد كل امكانيات الدولة البشرية والمادية بتصرف المجهود الحربي للدولة..

هذه هي بعض المصطلحات التي ربما إحتاجت إلى توضيح من أجل قراءة الماضي بثوب الحاضر ومفاهيمه العصرية وضعناها بداية لكي لا يكتنف القارئ أي غموض أثناء البحث..

٣. القيادة العسكرية

تعد القيادة فنا صعبا لارتباطها بالطبيعة البشرية على اختلافها، بالمزايا غير المتشابهة لدى (الرؤساء) والمرؤوسين..ولغموض الحالات النفسية التي تستند إليها..فالقيادة الصحيحة تعد من أصعب الأمور، ويتطلب عمل (القائد) الرئيس تفهم المرؤوسين، وهذا لا يتسنى (ويتاح) إلا بالإحتكاك المباشر (معهم) الذي يرافقه انسجام متبادل بين الرئيس والمرؤوسه^(١).

القائد هو الرأس المدبّر، والدبر الخبير لشؤون جماعته، (ومن كان على رأس الجماعة: هو الدليل، والعَلَم، والقُدوة..

والقائد هو الرأس المدبر لأنه بالنسبة إلى مرؤوسيه بمنزلة الرأس في الجسد..أي العضو الهام الذي تنبت فيه الفكرة، وتنطلق منه الحركة؛ فهو الذي يفكر ويقرر والمتحلي بالمعرفة فيكون قادرا على إدراك عاقبة فعله بعد تقدير النتائج منه..

والقائد الناجح بالنسبة لمرؤوسيه له ثلاثة مهام أساسية هي:

(١) (السلم والسلام الإمام الشيرازي رحمه الله: ٤٦٥)

* هو ينبوع عطاء ومصدر نشاط المرؤوسين؛ هو المحرك لهم.

* هو الرقيب الذي لا يغفل عن مرؤوسيه لحظة من الزمن..

* وهو الحسيب أو الحكم في أي مشكلة، بيده المكافأة والعقاب.

فالقائد بالنسبة لنشاط الجند؛ الملهم، والمشرف، والحسيب..

والقائد ليس هو من يعرف، ومن يأمر، ومن يعاقب، ومن يكافئ فحسب بل إنه هو المجن والدرع الواقى، ومن يحمي جنده في الملمات، وهذا ما قاله الإمام القائد علي بن أبي طالب عليه السلام واصفا قيادة الرسول الأعظم ﷺ: (كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ ولم يكن أحد أقرب إلى العدو منه)^(١)

فالقائد - بالحقيقة - ستر وغطاء على المرؤوسين، ولا ريب أن تغطية القائد مرؤوسيه هي التعبير الأكثر واقعية، لأن التغطية من صميم مهام القائد، لأنه لا يغطي مرؤوسيه ليقبهم عواقب الأوامر التي يصدرها إليهم فقط، بل عليه أن يسهر على مصالحهم الشخصية إن استطاع ذلك ليساعدهم في حياتهم اليومية كذلك..

والجندي يلوذ بقائده بشكل فطري وغريزي كالطفل الذي يلوذ بأمه وأبيه لحمايته ومساعدته..ولذا فالقائد يساهم بأفعاله ومواقفه وشجاعته في إعادة الثقة والإطمئنان إلى نفوس الجنود، فيحميهم حتى من أنفسهم..

وبكلمة: إن القائد الأقدم يجب أن يكون قدوة حسنة لمرؤوسيه، لأنه يجسد له في شخصيته المثل الأعلى لهم..

وبالإضافة لكل ذلك: يجب أن يكون القائد شجاعا، مقداما ذا إرادة

(١) (النهج، ص ٩)

قوية وثابتة، يتحمل المسؤولية بلا تردد، ملما بمبادئ الحرب وأصولها، وقادراً على إتخاذ القرار السريع الواضح في الوقت المناسب، وذا خيال خصب ورؤية واضحة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة النصر، ولا تثبط عزيمته مرارة الهزيمة.. كما وعليه أن يكون القائد سابراً لأغوار النفس البشرية، وذا لياقة بدنية عالية تمكنه من مشاركة رجاله في تحمل مشاق القتال وأعبائه^(١)..

فمسألة القائد.. وقيادة الأعمال القتالية.. لها أثرها الواضح والجلي في أية معركة حدثت أو يمكن أن تحدث مستقبلاً.. وللقائد صفات يجب أن يتحلى بها ليكون ناجحاً في عمله وقيادته العسكرية.. هذا وقد حددها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعهده لمالك الأشتر حين ولأه مصر بخمسة عشر نقطة أو صفة.. هي:

١. الإيمان والنصح لله دائماً..
٢. عفيفاً طاهر الجيب نقي السريرة..
٣. حكيماً يبطئ على الغضب ويستريح إلى العذر..
٤. شفوفاً على عسكريه وجنده وخاصة الضعفاء منهم..
٥. ينبو عن الأقوياء.. ويمنعهم من الطغيان على الضعفاء..
٦. من ذوي الحسب والنسب والبيوتات المشهورة..
٧. الشجاعة ورباطة الجأش وثبات الجنان..
٨. الكرم.. وهي من أكبر صفات النبيل البشري..
٩. ذكياً.. سريع البديهة ولا يستأثر بالقرار..
١٠. لا يهتم بالإطراء والمدح..

(١) (الرسول العربي وفن الحرب: ٣٣١ بتصرف)

١١. أقرب الناس إلى العدو.. وأكثرهم مراجعة وكرماً عليه..
١٢. عادلاً بين جنده في توزيع المهام والواجبات على الجنود..
١٣. يشاور أصحابه.. ويتراجع عند ما يشعر بالخطأ..
١٤. قوي وحازم.. إلا أنه لا يغضب.. ويملك غضبه إن غضب..
١٥. لا يتردد باتخاذ القرار المناسب وتنفيذه بسبب الضعف.. فلا ضعف عنده..

هذه هي صفات القائد الناجح عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلا أن القادة العسكريين في الوقت الحاضر ربما إقتصروها إلى خمسة نقاط أو ستة لا أكثر هي:

١. العقيدة..

٢. الذكاء والمبادهة والإعتماد على النفس باتخاذ القرار وإمضائه..

٣. الانضباط الصارم والإصرار على تنفيذ المهام القتالية..

٤. الإرادة القيادية.. والقدرة التنظيمية للقوات..

٥. الإعداد العسكري العالي والثقافة العامة الجيدة..

٦. إمكانية تدريب وتربية المقاتلين..

فهذه بشكل عام صفات القائد الناجح قديماً وحديثاً وبنظرة فاحصة يتبين لك - يا أخي الكريم - كم هو الفرق بين هذه البشرية، وتلك الرسالية الدينية، بين نظرة الأمير علي عليه السلام لمسألة القائد، ونظرة الآخرين لها.. وتساءل أين كان الإمام علي عليه السلام من هذه الصفات الرائعة، وزيارة التواجد إلا في الأفذاذ فقط..؟

وهل كان قائداً ناجحاً بالمعنى الكلّي للكلمة..؟

نعم.. كان الإمام علي عليه السلام نِعَمَ القائد لجنده.. ونعم السيد العبيد، ونعم الأب لأبنائه فقد كانت تتشرف به القيادة والآخرين يتشرفون بها.. لأنه كانت تتوفر في تلامذته هذه الصفات وهو (روحي له الفداء) أعظم من أن يوصف بجميع هذه الصفات المذكورة قديماً وحديثاً وأكثر منها أيضاً.. لماذا..؟

لأنه عليه السلام جمع محاسن الصفات في هذه الحياة..

فهو الإنسان الكامل المثل والمثالي في الإنسانية..

وهو الوصي والإمام المفترض الطاعة من الله في السماء..

- وهو القائد العسكري الفذ الذي لم تعرف البشرية مثيلاً له بعد

أخيه وابن عمه وسيده ومربيه الرسول الأعظم المصطفى محمد عليه السلام..

واعلم - أيها العزيز- أن الله سبحانه بين لنا صفات القائد الرسالي

في آياته الشريفة وذلك عندما تحدث عن اختيار طالوت ملكاً وقائداً على بني اسرائيل، إقرأ وتدبر بهذه الكلمات النورانية:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾

﴿ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ

سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾

﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ

يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١)

فمسألة القيادة الربانية ليست مسألة بهذه البساطة والسهولة، ولعلك

(١) (البقرة: ٢٤٧)

اكتشفت الفرق بين المقياس البشري لأهلية للقيادة، والمقياس الرباني لها..

أهلية القيادة بالمقياس البشري هي:

نحن أحق: بالقيادة من غيرنا، وهذه نزعة متأصلة فينا بني البشر فدائما نحن أفضل وأحق من غيرنا.

سعة المال: قاتل الله المال ماذا فعل ببني آدم، وهنا كلمة ذهبية لأمير المؤمنين عليه السلام: أنا يعسوب الدين والمال يعسوب الظلمة.. فالمال يفعل الأفعال بالرجال وله سكر أشد من سكر الخمر.

أهلية القيادة بالمقياس الرباني هي:

الإصطفاء والإختيار الرباني للقائد: فإذا أراد الله سبحانه لرسالته أن تبلغ فلا بد من اختيار المبلغ عنه ولم يترك للبشر أمر ذلك مطلقا، أعتقد لقصور البشر عن ذلك الاختيار السليم.. فقد جاء بخطبة له عليه السلام: ما لي ولقريش؟ والله قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين، وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم.. والله ما تنقم منا قریش إلا أن إختارنا الله فأدخلناهم في حيزنا..

بسطة في العلم: أي زيادة وسعة في العلم لأن العلم من أهم الصفات التي يجب أن يتميز بها القائد الناجح.. وهل غيره باب مدينة العلم النبوية الربانية؟

قال الله تعالى ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^(١) فمن أراد العلم النبوي، والديني فعليه بالباب العالي لمدينة العلم الكونية.

(١) (البقرة آية: ١٨٩)

فقال عليه السلام: أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولا يؤتى البيوت إلا من أبوابها. لأن من أتى من غير الباب يسمى لصا وسارقا..

وقال عليه السلام: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد بابها فليأت عليا.

وقال عليه السلام: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه.

وقال عليه السلام: أنا دار الحكمة وعلي بابها.

وقال عليه السلام: أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب.

بسطة بالجسم: أي القوة الجسدية والبناء العضلي والجسدي السليم للقائد، وهل في هذا شخص في الدنيا كأمير المؤمنين علي عليه السلام؟

وأما القوة الجسدية والأيدي، ففيه عليه السلام يضرب المثل فيهما قال ابن قتيبة في المعارف ما صارع أحدا قط إلا صرعه، وهو الذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عصابة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وقيل أنه اقتلع الإمام علي عليه السلام الباب وجعله جسرا على الخندق وأمسكه بيده حتى عبر عليه المسلمون فلما انصرفوا أخذه بيده ودحاه أذرا وكان يغلقه عشرون رجلا وعجز جماعة من المسلمين عن نقله حتى نقله سبعون رجلا من أقويائهم وقال علي عليه السلام (ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن قلعته بقوة ربانية)

ولنعم ما قاله ابن أبي الحديد في عينيته:

يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن

خوض الحمام مدجج ومدرع

يا قالع الباب الذي عن هزها
عجزت أكفُ أربعون وأربع
أقول فيك سميدع كلا ولا
حاشا لمثلك أن يقال سميدع

وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة وكان عظيما كبيرا جدا فألقاه
إلى الأرض، وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده عليه السلام
بعد عجز الجيش كله عنها فانبط الماء من تحتها.

هذه هي صفات القائد الرباني الذي يختاره الله تعالى ليقود الأمة إلى
برِّ الأمان في الدنيا وإلى الجنان في الآخرة بإذن الله تعالى..

هكذا ننظر للقيادة الإسلامية بمنظار العقيدة والدين الخالص لا
المصالح وفن الممكن الذي تفهمه الدنيا من القيادة السياسية، ونرفض
أي نظرة غير هذه لقيادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لأننا لا يمكن أن
نجرده من الإمامة بحال من الأحوال..

فالأمة تريده مثالا لها في الحياة الدنيا فريدا وحيدا لا تلوثه الأيام
بالدنيا ومادتها وبهارجها ومباهجها الزائلة الفانية، فهو القدوة لنا والأسوة
عبر الأجيال وإذا فقدنا مثاله - لا سمح الله - فإننا عند ذلك سنقرأ
الفاتحة على روح هذه الأمة المباركة..

لا سيما وأنه هو الذي علمنا ذلك بقوله عليه السلام: أعرف ما يصلحكم،
ولكن لا أريد اصلاحكم بفساد نفسي.. فأنا أريدكم الله، وأنتم تريدونني
لأنفسكم..

فأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قائدنا بهذا المنطق الديني السليم،
وأي منطق يجنب الإمام علي عليه السلام الدين يظلم نفسه ويظلم الإمام

علي عليه السلام شخصيا، ويظلم الأمة بإمامها العظيم.. وهذا ما يميز قيادة الإمام علي عليه السلام عن غيره من القيادات الإسلامية كلها..

فمنطقهم كان: إنما الملك عقيم ولو نازعتني (يخاطب ولده طبعاً) عليه لأخذت الذي فيه عينيك..

ومنطق الإمام علي عليه السلام: لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جوراً إلا عليّ خاصة.. وسلامة الدين أحب إلينا.. ونعله البالي خير من الإمرة كلها إلا أن يقيم حقاً أو يدفع باطلاً.. ولأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه.. ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل.. ولكن لا يدرك الحق إلا بالجهد..

أيها الناس: أعينوني على أنفسكم؛ وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامة حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً^(١)..

وهنا لابد من كلمة عن قيادة أمير المؤمنين علي عليه السلام للإنصاف والحقيقة ولوجه الحق تعالى، وهي: أننا لا يمكن أن نكون صادقين مع أنفسنا، ومخلصين لعقيدتنا، إلا إذا نظرنا لشخصية علي بن أبي طالب عليه السلام البطل الهاشمي القرشي، مع ما وهبه الله من صفات مميزة جعلته نسيجاً خاصاً، آدمي الشكل إلهي الصفات، بشري البنية رحمانياً الأخلاق، وهذا يعني لنا أنه كان عليه السلام ديناً بشرياً متجسداً بشخصه الكريم وليس له من الدنيا إلا البلغة والضرورة لحفظ الحياة إلى حين الأجل.. ومن الصفات الخاصة للأمير عليه السلام الإلهية ما يلي:

١. هو بشر ولكن من صنائع الرب (نحن صنائع الله)..

٢. متفرد بشبابه وفتوته (فلا فتى إلا علي عليه السلام)..

(١) (النهج خ: ١٣٩)

٣. له حواسٌ زائدة كالأذن الواعية، والحاسة السادسة، وغيرها..
٤. وله الشجاعة النادرة التي لا مثيل لها في البشر..
٥. وهو عيبة العلم النبوي وباب مدينة العلم الإلهي الواسع..
٦. وله الأخلاق القرآنية بكمالها وجمالها وانسانيتها..
٧. وله آلة الحرب السماوية إذ (لا سيف إلا ذو الفقار)..
٨. وله القوة الإلهية التي فعل فيها الأفاعيل كقلع باب خيبر..
٩. وله الوصية الربانية بالرسالة السماوية..

هذه الخصائص القيادية التي تميز بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب جعلته قائدا بشريا بصيغة دينية خالصة، وتوجيه سماوي جاءه عن طريق الرسول الأعظم ﷺ، فكان في كل حروبه على بينة من ربه عالما بالمجريات خبيرا بالنتائج التي تنتهي إليها بكل تأكيد.. نعم؛ هكذا كان قائدا، وأمير، وإمام جبهة الحق.. فعله حق، ولسانه صدق، وقصده ووجهته إلى الحق تعالى في كل شيء في حياته.. فكيف تعامل مع أعدائه ومحاربيه في معاركه أو حروبه الثلاث؟

وأما قادة جبهه البغي فكانوا بشرا فيهم ما في البشر من طمع وجشع وحب للمال والجاه والسلطة، فيحتالون ويغدرون وينكثون في سبيل الوصول إلى أهدافهم بتبرير مصلحي، أو تسويل شيطاني بالتوبة بعد الحوبة، وبالرجوع إلى الله بعد الوصول إلى الهدف المنشود ولكن هيهات أن يوفق لذلك إلا بتوفيق الله لهم بعد صدق النية وسلامة الطوية ورد المظالم لأهلها..

وللأسف كل ذلك لم يوفقوا له فقتل طلحة والزبير شرَّ قتلة وكانوا

أضيق الناس دما- كما قال طلحة - وأم المؤمنين زادها عملها بغضا
 لأمير المؤمنين عليه السلام وماتت على ذلك..وأما معاوية فهو الذي مات على
 غير الملة الإسلامية وما مات حتى لبس الصليب- كما في الرواية- وأما
 الخوارج فاسمهم يدلّ عليهم وكفا ذلك بيانا وسيأتيك التفصيل بإذن الله..

٤. تحضير القوات للقتال

وتحضير القوات هي الخطوات النهائية التي تسبق المعركة مباشرة
 وهناك ثلاثة نقاط مما يجب الإنتباه إليها وتحضيرها..

١.٤. تحضير الأفراد..

ويشمل..

أ. إستكمال الإمام كافة العناصر المؤمنة بحقه بالقيادة هناك وعبّأها
 معه لجهاد الفاسقين والرافضين لأمارته عليهم.. وأرى أن أنقل
 إلى جنابك ما قاله المسعودي في مروج الذهب بوصفه لجيش
 الحق:

ذُكر عن المنذر أنه ساق الحديث عن معركة الجمل حتى قال: وكان
 دخول أمير المؤمنين عليه السلام البصرة مما يلي الطف، فأتى الزاوية (موضع
 قرب البصرة)، فخرجت إلى القوم، فرأيت موكبا نحو ألف فارس،
 يقدمهم فارس [ومعه راية] على فرس اشهب عليه قلنسوة وثياب بيض
 متقلدا بسيف، وإذا أنا بتيجان القوم غالبها بيض وصر، مدججين في
 السلاح والحديد،

فقلت: من هذا؟ فقبل لي: هذا أبو أيوب الأنصاري، صاحب رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهؤلاء الذين معه الأنصار وغيرهم.

ثم تلاه فارس ثان عليه عمامة صفراء وثياب بيض، متقلدا بسيف (متنكبا قوسا) على فرس أشقر، بيده راية، معه نحو ألف فارس. فقلت: من هذا؟ فقبل: لي هذا خزيمة ذو الشهادتين (عن جعفر بن محمد عليه السلام): أن رسول الله ﷺ اشترى فرسا من أعرابي فأعجبه، فقام أقوام من المنافقين حسدوا رسول الله ﷺ على ما أخذه منه، فقالوا للأعرابي: لو تبلغت به إلى السوق بعته بأضعاف هذا، فدخل الأعرابي الشره، فقال: ألا أرجع فأستقيله؟ فقالوا: لا، ولكنه رجل صالح، فإذا جاءك بنقدك فقل: ما بعتك بهذا! فإنه سيرده عليك، فلما جاء النبي ﷺ أخرج إليه النقد، فقال: ما بعتك بهذا، فقال النبي ﷺ: والذي بعثني بالحق لقد بعثني بهذا. فقام خزيمة بن ثابت فقال: يا أعرابي اشهد لقد بعث رسول الله ﷺ بهذا الثمن الذي قال. فقال الأعرابي: لقد بعته وما معنا من أحد، فقال رسول الله ﷺ لخزيمة: كيف شهدت بهذا؟ فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي تخبرنا عن الله وأخبار السموات فنصدقك، ولا نصدقك في ثمن هذا. فجعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين فهو ذو الشهادتين^(١).

ثم مر بنا فارس ثالث على فرس كميت، متعمما بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء، عليه قباء مصقول، متقلدا بسيف، متنكبا قوسا، معه نحو ألف فارس، وبيد راية. فقلت: من هذا؟ فقبل لي: هذا أبو قتادة بن ربعي الأنصاري.

ثم مر بنا فارس رابع، شديد الأدمة، على فرس أشهب، عليه سكينة ووقار، رافعا صوته بتلاوة القرآن المجيد، بيده راية بيضاء، وعليه عمامة سوداء، وثياب بيض، متقلدا بسيف، متنكبا قوسا، معه نحو ألف

(١) انظر: الاختصاص: ٥٨

فارس مختلفي التيجان، حوله شيوخ وكهول وشبان [كأنما قد أوقفوا للحساب] جباههم مسودة من أثر السجود.

فقلت: من هذا؟ ف قيل لي: هذا عمار بن ياسر الأنصاري، والذين معه من المهاجرين والأنصار.

ثم مر بنا فارس خامس، على فرس أشقر، على رأسه قلنسوة عليها عمامة صفراء، وعليه ثياب بيض، متقلدا بسيف، متنكبا قوسا، تخط رجلاه الأرض، معه ألف فارس مختلفي التيجان غالبها الصفرة والبياض، ومعه راية صفراء.

فقلت: من هذا؟ ف قيل لي: هذا قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وهؤلاء الذين معه الأنصار وغيرهم من قحطان.

ثم مر بنا فارس سادس على فرس أشهل (هو أشهل العين، وفي عينه شهلة: يشوب سوادها زرقة) ما رأينا مثله، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء سد لها (أرخاها) بين يديه ومن خلفه، وبيده لواء [ومعه نحو ألف فارس من أصحاب رسول الله ﷺ] فقلت: من هذا؟ ف قيل لي: هذا عبد الله بن العباس.

ثم تلاه موكب سابع، يقدمهم فارس أشبه الناس بمن [قبله].

فقلت: من هذا؟ ف قيل لي: هذا [قثم بن العباس، أو معبد بن العباس].

ثم مر بنا موكب تاسع، فيه خلق عظيم، مكملين بالسلاح والحديد، مختلفي التيجان والرايات، تقدمهم راية كبيرة عظيمة، في أولهم فارس، كأنما قد [كسر وجبر]. قال المسعودي في مروج الذهب:

قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، وكذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر)، كأن على رؤوسهم الطير، فعن يمينه شاب حسن الوجه، وعن شماله مثله، وبين يديه شاب ليس هو ببعيد منهما^(١).

فقلت: من هؤلاء؟ فقبل لي: أما الأوسط فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأما الشاب الذي على يمينه ابنه الحسن عليه السلام، والذي عن شماله ابنه الحسين عليه السلام، وأما الذي بين يديه حامل الراية فابنه محمد بن الحنفية.

فساروا حتى نزلوا بالزاوية، فصلى أمير المؤمنين عليه السلام أربع ركعات، ثم عفر خديه على التراب وخالطهما بدموعه، ثم رفع رأسه يقول: (اللهم رب السموات وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب العرش العظيم، هذه البصرة، فأسألك من خيرها وأعوذ بك من شرها..

اللهم، أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين.

اللهم، إن هؤلاء القوم، [قد بغوا عليّ، وخالفوا طاعتي]، ونكثوا بيعتي.

اللهم، احقن دماء المسلمين^(٢).

وفي رواية عن عبد الله بن زياد مولى عثمان بن عفان قال: سمعت عمارا يقول: والله لو ضربتمونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنكم على الباطل.

وسمعه يقول: والله ما نزل تأويل هذه الآية إلا اليوم ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾..

(١) ٣٦٩: ٣

(٢) (مروج الذهب م ٢: ٣٦٨ - ٣٧٠)

هذه صفات جيش الحق من شاهد عيان رأى فروى على سجيته..

ب. تدريبهم تدريباً جيداً.. يعتبر التدريب العسكري أساس الجاهزية القتالية وهذا تلاحظه من شدة اهتمام الرسول الأعظم ﷺ بالرمية وركوب الخيل والإستعداد للجهاد في سبيل الله، وتروي بعض كتب السيرة شيئاً عجبا عنه ﷺ وذلك بأنه مر ذات يوم بمكان تدرب الرجال على القتال فخلع نعليه ومشى حافيا فسألوه عن ذلك التصرف.. فقال: روضة من رياض الجنة.^(١)

ولهذا فإن جيش الإمام علي عليه السلام كان في القمة بالتدريب والجاهزية والإمام علي عليه السلام له كلمات نورانية رائعة يعلم فيها الرجال القتال.. كقوله لولده محمد بن الحنفية: تزول الجبال ولا تزل، عضّ على ناخذك، أعر الله جمجمتك، تدّ في الأرض قدمك، ارم ببصرك أقصى القوم، وعضّ بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه..

ويروي لنا عبد الله بن العباس بعض توجيهات الأمير القائد عليه السلام اسمعه يصف ويقول: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والله ما رأيت، ولا سمعت رئيساً يوزن به. لرأيته يوم صفين، وعلى رأسه عمامة بيضاء، قد أرخى طرفيها، كأن عينيه سراجا سليط (السليط: الزيت)، وهو يقف على شردمة شردمة يحضهم ويحمشهم (أي يغضبهم) حتى انتهى إلي، وأنا في كثف (الجماعة) من الناس فقال: معاشر المسلمين، استشعروا الخشية، وعضوا الأصوات (أحبسوها واخفوها)، وتجلبيوا السكينة (زاد في رواية: وأكملوا اللؤم (جمع لامة وهي: عدّة الحرب)، وأخفوا الجنن) (الترسة) وأعملوا الأسنة، وأقلقوا السيوف في الأغماد (سهلوا سلها قبل أن تحتاجوا إلى ذلك لثلا يعسر

(١) (الرسول العربي: ٣١٢)

عليكم عند الحاجة إليها)، قبل السلة، واطعنوا الوخز، ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا (أي إذا قصرت الأيدي عن الضراب تقدمتم خطوة حتى تلحقوا للعدو)، والنبال بالرماح، (أي إذا قصرت الرماح ببعد من تريد أن تطعنه فعليك رمية بالنبل) فإنكم بعين الله، ومع ابن عم نبيه ﷺ وعاودوا الكر، واستحيوا من الفر، فإنه عار باق في الأعقاب والأعناق ونار يوم الحساب، وطبوا عن أنفسكم أنفسا، وامشوا إلى الموت سجحا (أي سهلا)، وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطنب (رواق البيت المشدود بالأطناب، وهي حبال تشد به) فاضربوا ثبجه، فإن الشيطان راكب صعبه، ومفرش ذراعيه، قد قدم للوثبة يدا، وآخر للنكوص رجلا (أراد ﷺ أنه قد قدم يدا ليثب إن رأى فرصة، وإن رأى الأمر على ما هو معه نكص رجلا)، فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الدين ﴿وَأَسْرُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَلِكُمْ﴾ (١)

هذه بعض الصور الرائعة للإمام علي ﷺ القائد الأقدم لجيش الحق، وأمثالها كثير عند أمير النحل ﷺ وسيأتيك المزيد خلال البحث في المعارك القتالية بإذن الله..

ج. تدريب القادة على قيادة الوحدات.. وبالحقيقة إن الرجال الذين كانوا بمستوى القيادة لجيش أمير المؤمنين ﷺ كانوا قمما في القيادة العسكرية فما رأيك بالأشتر النخعي، والأحنف بن قيس، وعمار بن ياسر، والحسن والحسين ﷺ ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس وإخوته.. وغيرهم من سادات المسلمين والعرب في الأمصار في الخير والصلاح.. فهؤلاء ليسوا بحاجة إلى تدريب فشهرتهم قد عمّت في الآفاق.. وعليك يجب أن لا

(١) (ابن منظور) (مختصر تاريخ دمشق) لابن عساكر (ج ١٨ ص ٤٩ ط دار الفكر)

يخفى

٢.٤. تنظيم الجيش

ومعلوماً أن العرب كانوا يعرفون تنظيمات الجيش ويقسمونه إلى أخماس ويسموا الجيش (بالخميس) (مقدمة، قلب، ميمنة، ميسرة مؤخرة) فهذه خمسة أقسام رئيسية للجيش ويسمونها (بالكراديس)..

ومن تقسيمات الجيش ما يلي:

- * الخميس من (٤٠٠٠ وحتى ١٢٠٠٠) مقاتل..
 - * الجيش أو الجحفل أو الفيلق: (من ١٠٠٠ وحتى ٤٠٠٠) مقاتل
 - * الأسباع: (من ٧٠٠ وحتى ٧٠٠٠) مقاتل
 - * الكتيبة: من (١٠٠ أو ٤٠٠ وحتى ١٠٠٠) مقاتل
 - * الجمرة أو القبيلة: من (٣٠٠ وحتى ١٠٠٠) مقاتل
 - * السرية: من (٥٠ وحتى ٤٠٠) مقاتل، وقد تكون أقل من ذلك.
 - * العصبة: من (١٠ وحتى ٤٠) مقاتل
 - * والرهط: من (٣ وحتى ١٠) مقاتل
 - * وهناك المقنب (أو المنسر) وهي جماعة من الخيل (الفرسان) من (٣٠ وحتى ٤٠ فارساً) وربما تصل إلى ٣٠٠ فارس وتسمى (القبيلة) أحياناً..
- النفيضة: وهم جماعة الإستطلاع المتقدمة، أو الجماعة يبعثون في الأرض متجسسين لينظروا هل فيها عدو أو خوف..

وقد تعزز العصبة، أو الجمرة، أو الكتيبة.. فيقال عنها: كتيبة جرارة أو جيش لجب أو خميس عرمرم وهذه من الألفاظ التي كانت العرب

تصف بها الجيوش وعندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة وأمر بالجهاد كتشريع إسلامي فإنه استعمل أسلوب الغزوات والسرايا المنفردة لقلّة الرجال وضعف الإمكانيات المادية ففي معركة بدر الكبرى كان هناك فارس واحد مع المسلمين فقط وهو المقداد بن الأسود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٣.٤. تحضير الأسلحة والعتاد

ويشمل..

- أ. تحضير الخيول بالنسبة للفرسان بإسراجها وإطعامها جيداً..
 - ب. تحضير السيوف والحراب والدروع..
- والأسلحة التي كانت تستخدم عند العرب القدماء يمكن أن نقسمها إلى نوعين بحسب المعركة هجومية أو دفاعية..

٣.٤.١. الأسلحة الهجومية:

- * السيف.
- * الرمح.
- * القنا.
- * الخنجر.
- * الحراب.
- * القوس والنشاب.
- * المقلاع.

المنجنيق لذلك الحصون ورميها بالحجارة والنار..

الدبابة: وهي صندوق كبير من الخشب يصفح بالجلد قديما يدخله الرجال ويتقدمون إلى الحصون والقلاع.

٤. ٣. ٢. الأسلحة الدفاعية

وهي:

١. الدرع.
 ٢. الترس.
 ٣. البيضة: الحديدية التي توضع على الرأس لحمايته..
 ٤. المغفر: زرد يلبس تحت القلنسوة..
 ٥. الجحفة: هي الدرقه تمسك باليد وهي أصغر من الترس.
 ٦. اللامة: وهي مجموع الدروع التي يلبسها المقاتل في الحرب، وربما تطلق على السلاح كله (لامة الحرب) أي عدتها..
- وكانت كل من اليمن والشام والهند من يصنعون السلاح، وأول من استخدم المنجنيق بالعرب كان جذيمة بن الأبرش.. وأول من استخدم الدبابة المتقدمة فهو عبد الله بن جعدة..^(١)

٥. طلائع القوات القتالية

وبما أننا في رحاب الدراسة العسكرية فمن الضروري التطرق لشيء أساسي بالجيش قديمها وحديثها، ألا وهي طلائع القوات ومقدماتها.. ولمعرفة مهام الطليعة بشكل أوضح وأكمل نضع بين يدي الأخوة القراء الكرام مدى العبقرية العسكرية للإمام علي عليه السلام أنقل هذه الوصية

(١) (الإمام علي والحرب: ١٠٣ عن الإدارة العسكرية في حروب الرسول صلى الله عليه وآله: ٥٠)

المكتوبة والموجهة من أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لقائدي الطليعة في جيشه..

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هاني: سلام عليكم، فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإني قد وليت مقدمتي زياد بن النضر وأمرته عليها، وشريح علي طائفة منها أمير، فإن أنتمما جمعكما بأس فزياد بن النضر على الناس، وإن افترقتما فكل واحد منكما أمير الطائفة (قائدها) التي وليناه أمرها..

وإعلمنا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، فإذا أنتمما خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفص الشعاب، والشجر، والخمر (ما وارك من جبل أو شجر) من كل جانب.. كي لا يغرركما (أو يغيركم) عدو، أو يكون لكما كمين..

ولا تسيروا الكتائب القبائل من لدى الصباح إلى المساء إلا على تعبئة^(١)

فإن دهمكم داهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبئة.. وإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل (ما استقبلك منها) الأشراف (الأماكن العالية)، أو سفاح الجبال (أسافلها، حيث يسفح منها الماء)، أو أثناء (طيات) الأنهار.. كي ما يكون ذلك لكم رداء وتكون مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين.. واجعلوا رقباءكم (رصادكم) في صياصي الجبال وبأعلى الأشراف ومناكب الهضاب.. يرون لكم لئلا يأتيكم عدو من مكان مخافة أو أمن..

والمعنى أنه أمرهم أن ينزلوا مسندين ظهورهم إلى مكان عال

(١) (عبية الجيش؛ رقتهم في مواضعهم وهيأتهم للحرب)..

كالهضاب العظيمة أو الجبال أو منعطف الأنهار التي تجري مجرى الخنادق على العسكر، ليأمنوا بذلك من البيات، وليأمنوا من إتيان العدو لهم من خلفهم^(١)..

وإياكم والتفرق فإذا نزلتم فإنزلوا جميعاً، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً وإذا غشيكم ليل فنزلتم.. فحفظوا عسكركم بالرماح والأترسة ورماتكم يلون ترستكم ورماحكم.. وما أقمتم فكذلك فافعلوا كي لا تصاب لكم غفلة ولا تُلفى منكم غزوة فما قوم حفظوا عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنهم في حصون.. وإحرسا عسكركما بأنفسكما وإياكما أن تذوقا نوماً حتى تصبحا إلا غراراً أو مضمضة ثم ليكن ذلك شأنكما ورأيكما حتى تنتهيا إلى عدوكم.. (في اللسان: «لما جعل للنوم ذوقاً أمرهم أن لا ينالوا منه إلا بالسنتهم ولا يسيغوه (يلعوه). فشبهه بالمضمضة بالماء وإلقائه من الفم من غير ابتلاع)..

وليكن عندي كل يوم خبركما ورسول من قبلكما فإني ولا شيء إلا ما شاء الله.. حثيث السير في آثاركما.. عليكم في حربكما بالتؤدة وإياكم والعجلة إلا أن تمكنكم فرصة بعد الإعذار والحجة وإياكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكم.. إلا أن تبدأ أو يأتيكما أمري إن شاء الله.. والسلام..)

إنظر إلى هذا البيان الرائع وهذا العلم الواسع بالأمر الحربية وهذه الدقة بالتوصيف وهذا الحرص على القوات العسكرية لأن في المقدمة عادة يكون خيرة الرجال والفرسان الأبطال في الجيش.. وإلى هذا أشار الإمام الحسن السبط عليه السلام بأمره المشهور لقائد المقدمة لديه وهو عبيد الله بن العباس الذي غدر به وباع نفسه لعدو الله وعدوه معاوية بقصة معروفة: (يا ابن عم؛ إني باعك معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء

(١) (ابن أبي الحديد في (٣: ٤١٣)

المصر، الرجل منهم يزيد (أو يزن) الكتيبة، فسر بهم، وألن لهم جانبك،
وابسط لهم وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدنهم من مجلسك، فإنهم بقية
ثقات أمير المؤمنين عليه السلام..^(١)

فرجال الطلائع هم خيرة الفرسان، وأجود الأبطال للجيش وعليهم
الإعتماد الأول في القتال والعمل لتحقيق النصر على العدو، فالواحد
منهم بوزن الكتيبة، وهذا أمر معروف بالعرب فكان فلان يعدُّ بألف
فارس، وعلان بقبيلة كاملة، وأمير المؤمنين عليه السلام بالعرب جميعا، أو
بطلاع الأرض وملئها رجالا وفرسان..

فرجال الطليعة مميزون بالتنوع، ولذا فمهامهم مميزة في القتال
وهذا ما أوضحه الإمام القائد الأعلى لقادة طلائعه القتالية.. فكلام أمير
الكلام ونظرياته هذه مازالت تدرس في الأكاديميات العسكرية

فهذه الأمور الحساسة، والقضايا المصيرية هي من مهام الطليعة
وتدرس إلى اليوم في أحدث الكليات العسكرية في العالم..

إن مهمة الطليعة وتقسيمها وحراستها وتأمينها هو هذا ولا شيء سواه
إلا في الجزئيات البسيطة من حيث الأسلحة الحديثة.. وهذا كلام ووصية
أمير المؤمنين علي عليه السلام لأصحابه وقادة جيشه والعمل بها من قبلهم كان
دقيقا وضروريا لحمايتهم من كيد الأعداء وغدرهم بالكمائن المفاجئة أو
الغارات المباغثة لهم..

(١) (صلح الحسن عليه السلام : راضي آل ياسين، ١٠٧)

٢. الحرب النفسية السيكلوجية^(١) ..

أن النفس البشرية هامة كالجسد الحامل لها تماما..

وهي تتأثر بالجسد وتؤثر به وهذا ناتج من الارتباط العضوي بين الاثنين وكما انه يوجد حرب ضد الأجساد فهناك حرب ضد الأنفس والأرواح ألا أنها كانت قديما شبه غامضة أو مخفية أو غير ظاهرة للعيان.. ألا أن العلم الحديث والمنظور حيث سبر أغوار الفضاء وغاص إلى أعماق البحار فهو كذلك حاول أن يسبر أغوار الروح ويغوص إلى أعماق النفس البشرية ويدرسها ويحاول معرفة أمراضها وأحوالها وتقلباتها..

وبالتالي معرفة الدواء للأمراض المكتشفة علاجا ووقاية.. وزادت نسبة الاعتماد على علم النفس وصار له خصوصية في الدراسات النفسية تحت اسم (علم النفسي العسكري) وتطورت وسائلها هجوما ودفاعا حتى صارت تسمى (بالحرب النفسية) وهي ذات مداليل ومعاني وتأثيرات خطيرة جدا على ساحة المعركة أفرادا أو جماعات جيشا وأمة ودولة..

(١) اعتمدنا في هذا البحث على كتابنا (معركة السماء في أرض كربلاء) مع زيادات.

واثبتت التجارب: أن الحرب النفسية (كسلاح عسكري) ذو فعالية لا بأس بها.. كما وأثبتت الحروب الماضية والوقائع الحربية قديما وحديثا أهميتها بالنسبة للقوات المسلحة سلبا أو إيجابا..

وموضوع الشائعات وما يرافقها أو ربما يسبقها أو يلحقها هو موضوع قديم ومتجدد مع كل جيل وكل دولة وما المقولة التي سمعناها عن الفتوحات الإسلامية في بداية نشوئها إلا ضربا من أضرابها ونتيجة من النتائج الايجابية لها وهي: أن الفتوحات كانت أكثرها بالخوف والرعب حيث فيه (الخوف) تسير الجيوش الفاتحة ويسبقها أخبار مسيرها فتاتي قادة القبائل وزعماء الأمصار إلى القادة المسلمين لتسليم مفاتيح البلاد لهم والنزول إلى حكمهم والرضا بما يفرضونه من الضرائب التي كان يقرها الشرع الإسلامي الحنيف.

كما أن موجة الرعب التي قضت على الدولة الإسلامية التي سبقت جيوش (جنكيز خان) و(هولاكو) وجيوش التتار والمغول من الهمج الرعاع إلا نوعا من تلك الدعاية التخريبية التي رافقت تلك الجيوش الجرارة.. إلا أن الفرق بين الاثنين واضح لأن الأولى كانت تطمح الشعوب المفتوحة بعدالة وقسط الشريعة الإسلامية.. والثانية كانت مرعبة من شدة بطشها وقتلها وتدميرها فأثارت موجة من الرعب الشديد في الأوساط كافة..

ولذلك أنصف المستشرق الذي قال: ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب.. فالرحمة كانت من رسالة العرب التي حملوها وليس من ذواتهم وشخصياتهم - قادة وشعوب - رغم ما فيهم من الخصال النبيلة

وكل ذلك - في الحرب النفسية قديما - كان يأتي ارتجاليا وتنقصه الدقة والتنظيم وأسلوب العمل الصحيح والهادف للتأثير على منطقة ما

أو جهة معينة من قوات العدو أو شعبه وما إلى ذلك..

والحرب النفسية: هي سلاح فعال ومتمم للعمليات القتالية العسكرية إلا أنها ليست بديلة عن المعارك والاشتباكات نهائيا بل هي تسهل الطريق أمام الجيوش المحاربة وتساعد في تحقيق النجاح لها في ميدان المعارك..

فالحرب النفسية: هي أحدث أسلحة الحرب، توجه ضد (الفكر) و(العقيدة) و(الشجاعة) و(الثقة بالنفس) وضد الرغبة في القتال، وهي تستخدم في الدفاع كما تستخدم في الهجوم، وذلك لأنها تحاول أن تبني معنويات الشعب والجنود، بينما تحطم في آن واحد معنويات العدو.^(١)

ولم تستخدم الحرب النفسية بشكل علمي ومدروس إلا في القرن الماضي، القرن العشرين قرن الحروب العالمية الكبرى.. وفي الحرب الكونية الأولى/١٩١٤/١٩١٨م/ بالذات حيث استخدمها أعداء ألمانيا ضدها وهذا المارشال (اهدن برنج) الألماني يصدر توجيهها إلى الجيش الألماني يقول فيه:

(يحاربنا العدو بوسائط متنوعة فهو يقصف مواقعنا بالقنابل المتفجرة والأوراق المطبوعة ومفعول هذه الأخيرة قاتل كالقنابل كما يسقط علينا طياروه المنشورات ليقتضوا على أرواحنا المعنوية وهو يأمل أن يرسل جنودنا هذه المنشورات ذات المظهر البريء إلى ذويهم في الوطن حيث تتناقلها الأيدي ويناقشها الناس في اهتماماتهم وهنا يبتلع الأغبياء هذا السم القاتل..)

فبإمكانك أن تلاحظ مدى التأثير الكبير والفعال لتلك القصصات

(١) (الرسول العربي وفن الحرب: ٣٢٤)

من الأوراق أو بما يسمى المنشورات على الجنود في ارض العمليات حيث يصفها الجنرال (ومفعول هذه الأخيرة قاتل كالقنابل) وعلى الرأي العام في داخل ألمانيا حيث يصفها بـ(السم القاتل) ولا يتناوله إلا الأغبياء حسب رأيه.. وبالفعل فإن الحرب النفسية حساسة ودقيقة وتأثيراتها تتوجه إلى النفس والروح لذلك فإن علاجها صعب وربما مستصعب يستعصي على القادة العسكريين مما يؤدي إلى إخراج قسم من القوات خارج المعركة نتيجة الخوف والهلع الذي يمكن أن تصاب به القوات نتيجة الحرب النفسية الموجهة ضدها في ارض العمليات وبوسائل متنوعة..

والأمثلة كثيرة ومتنوعة من ذلك الحين وحتى وصلت إلى أجهزة معقدة في الجيوش وتستخدم احدث التقنيات المعاصرة بما يخدم عملها سلبا أو إيجابا من اجل التأثير وتلافي التأثيرات وكفعل ورد للفعل والتجارب والخبرات العسكرية تقول: بان ما انتصر العدو على العرب في حروبها كلها مع العدو الصهيوني وإسرائيل إلا نتيجة الدعاية التخريبية و(أسطورة الجيش الذي لا يقهر) تعبيرا عن الجيش الصهيوني في إسرائيل؛ لذلك صار أحد أهم منجزات حرب تشرين على الجبهتين السورية والمصرية هو تحطيم هذه الأسطورة لجيش العدو واستلام زمام المبادرة في اتخاذ قرار الحرب الذي اتخذته القيادات السياسية والعسكرية في كلا البلدين وأما تأثير ظهور العجوز الشمطاء على الشاشة تبكي وتصرخ أنقذوا إسرائيل فهو كبير جدا بحيث أن الطيران المعادي كان لا يجرؤ احد من طياريه على الصعود بطيارته.. فكانوا يربطوه على المقعد لأنه موقن بأنه مجرد وصوله فوق الأراضي السورية أو المصرية فسوف يسقط لا محالة وذلك بتأثير الدعاية الرائعة للصورايخ الفعالة التي

استخدمت لأول مرة في حروبنا مع العدو الصهيوني..

وجاءت حروب المقاومة اللبنانية الباسلة التي حررت الأرض من الدنس اليهودي، والنفوس من الرجس الصهيوني، وزرعت في النفوس الأمل وفي الأرواح التفاؤل، وفي الإنسان الإحساس بالذات لنشوة النصر التي تذوقها على أيدي أولئك الأبطال الكبار، والمقاتلين الأشاوس من رجال الله في لبنان..

وعلينا أن لا ننسى هنا مدى التأثير الفعال للحرب النفسية والدعاية الرائعة لصواريخ المقاومة ورجالاتها الأبطال.. وما قامت به وسائل الإعلام لفضح العدو أمام الدنيا بما يظهرونه أمام الكاميرات والبث المباشر عالميا، فكان العدو الكاذب لا يستطيع الكذب والتكذيب على العالم وعلى نفسه وجيشه الجبان وقيادته الهزيلة..

وبالحقيقة إن دول الإستكبار العالمي وكل امبراطوريات الإعلام والإعلان العالمية وعلى رأسها جميعها أباطرة المال اليهود والصهاينة وقفوا عاجزين أمام الحقائق التي تبثها وسائل الإعلام المقاومة للعالم كله، ولا شك عندي أنهم ندموا كثيرا على تلك الصناعات التي صدّورها لنا ليستعبدونا بها ويفسدوا بها أجيالنا الشابة ففضحناهم بها فكانت لنا عليهم ولله الحمد..

وبعد هذه المقدمة عن الحرب النفسية لا بد أن نكون قد وصلنا إلى فكرة تعرفنا عن المعنى المراد منها، وأما ما يسمى بتعريفها: فهي الاستخدام المخطط والمنظم للدعاية والوسائط النفسية الأخرى.. للتأثير على عواطف وسلوك العدو، سواء في الداخل أو في أرض العمليات.. وكذلك للتأثير على الشعوب المحايدة أو الصديقة بغية كسب التعاطف والرأي العام الدولي..

١ . أهداف الحرب النفسية

ومن هذا التعريف يمكن لنا أن نحدد هدف الحرب النفسية أو الأهداف التي من أجلها نستخدم هذا النوع من الحرب الخفية ويجب العلم أن أولى أهداف الحرب النفسية هو أضعاف الروح المعنوية للقوات المعادية ورفع معنويات القوات الصديقة دائما وأبدا..

ومن ثم يجب معالجة العقائد والأفكار التي يؤمن بها الجيش المعادي ومحاولة تحطيمها وتدميرها.. والاستعاضة عنها بمبادئ أخرى تناقضها تماما وهي أقرب إلى النفوس وأسهل في التناول..

وبذلك نعرف أن هدف الحرب النفسية في الأحوال العادية وأيام السلم: هو تحطيم العقائد والأفكار والمبادئ والقيم الأخلاقية التي يتمسك بها المجتمع ويعتز بها إلى مناقضاتها من أفكار وقيم ومبادئ يؤمن بها العدو وبهذا ينسلخ المجتمع عن أصالته وينقلع من جذوره فيكون سهل الاقتلاع على العدو الذي أصبح مجتمعه وقيمه هي بمثابة الأم القديسة للمجتمع الجديد الفاسد..

وهذا ما تحاوله قوى الظلم والاستكبار العالمية حاليا (صهيونية وامبريالية).. أن تفعله في مجتمعاتنا - وللأسف الشديد- إن معظم المجتمعات الإسلامية صارت في مظهرها الخارجي والداخلي صورة ممسوخة وتافهة عن تلك المجتمعات الغربية المنحلة تماما ولكن بشكل أبشع وغير لائق نهائيا..

أما في ظروف المعركة والعمليات الحربية فننظر إليها - الحرب النفسية - من اتجاهين مختلفين سلبا وإيجابا..

١. سلبا: يجب ان تؤثر على الروح المعنوية لقوات العدو والتعجيل

بالتالي في هزيمته وفرار القوات المعادية من أرض المعركة تاركين السلاح والعتاد وربما الاستسلام والرضا بالوقوع بالأسر وذلك عن طريقين اثنين..

أ. إضعاف مقدرة العدو على القتال بإضعاف روحه المعنوية..

ب. حمل قوات العدو على الفرار والاستسلام..

٢. إيجابا: ربما يجب أن ترفع من الروح المعنوية للقوات الصديقة وتجعلها أكثر ثباتا وأشجع في القتال وأقوى من أي فعل مضاد من القوات المعادية لهم.. وبذلك يضمن القائد استمرارهم بالقتال حتى آخر جندي.. فإما الموت وإما النصر ووصول الإمدادات العسكرية..

٢. مبادئ الحرب النفسية

وبعد استعراض ومعرفة هدف أو أهداف الحرب النفسية لابد لنا من اللقاء ببعض الضوء على مبادئها العامة وكذلك أنواعها المستخدمة قديما وحديثا من أجل إعطاء صورة شبه كاملة عن هذه الحرب الخفية والخبیثة في كثير من مراحلها..

ومن مبادئ الحرب النفسية: أنه لا يوجد مبادئ ثابتة للحرب النفسية وذلك لأنها ترتبط بالأنفس والأرواح وهذه متغيرة متقلبة ومختلفة من شعب إلى آخر، ومن إنسان إلى آخر كذلك..

وأما علماء النفس والاختصاصيين بالحرب النفسية فقد قسموا هذه الحرب إلى ثلاث مراحل هي..

١. مرحلة الحصول على انتباه الجمهور فإذا لم يتواجد الجمهور اللازم للتلقي فإن العمل لا شك فاشل..

٢. مرحلة اكتساب ثقة الجمهور وهي أساسية للحرب النفسية..
٣. مرحلة التأثير على الأفكار وهي بمثابة النتيجة المتوخاة من كل الحرب النفسية أي هي مرحلة بث السموم القاتلة في الأمة أو الجيش من أجل التخدير أو القتل البطيء..

٣. أنواع الحرب النفسية

وهناك عدد من الأنواع للحرب النفسية وهي عامل مساعد ليس إلا - كما مر معنا للعمليات القتالية أو عامل مساعد لترويج وتحسين ومساعدة سياسة البلد ضد البلد المعادي له وهي:

١.٣ الحرب النفسية الإستراتيجية (السوقية)

وهي موجهة إلى عمق الأراضي المعادية وتهدف إلى التأثير على الروح المعنوية للشعب والسكان وللجيش والقوات في أن معا ورفع معنويات الصديق داخليا أو حتى في المناطق المحتلة من قبل العدو ووسيلتها الرئيسية هي الإذاعة والتلفاز وما أشبه ذلك ومسؤولية تنظيمها وقيادتها تقع على عاتق الدولة ووزارة الأعلام بالذات وهي لا تعطي نتائج مباشرة ملموسة بل تأثيرها يكون على المدى الطويل والبعيد نسبيا ولا يمكن لمس ذلك مباشرة لانعدام التماس المباشر مع العدو الموجه إليه مثل هذه الحرب..

الحرب النفسية الإستراتيجية يجب أن تستفيد من الأوضاع الداخلية للدولة المعادية وهناك عدد من النقاط ربما نشير إلى أهمها والتي يجب استغلالها على أفضل وجه وهي..

١. النكسات الحربية..كالإستفادة من نتائج معركة الجمل الباهرة من

حيث السرعة والقوة وشدة البطش في صفين والنهروان..

٢. الانهيار السياسي والتدمير والتصددع في الجبهة الداخلية كما فعل معاوية بن أبي سفيان حين رفع المصاحف فشق صفوف جيش الإمام علي عليه السلام وكانت إحدى نتائجها معركة النهروان وكل الخوارج إلى آخر الدهر...

٣. الأزمات الاقتصادية وهي ذات أهمية لفعاليتها فالإضرابات الصناعية والفشل الزراعي والتجاري أو انخفاض سعر الصرف للعملة المحلية وغيرها..

٤. نقص في مواد التموين والمعاشة وفشل الدولة في تموين البلاد والسكان خلال العمليات الحربية..

فباستغلال مثل هذه القضايا الداخلية وتعظيمها والتطويل بها يؤدي إلى أحداث بلبلة في البلد المعادي مما يؤدي إلى انتشار الفوضى والخوف وصعوبة السيطرة على الأوضاع الداخلية من قبل السلطات المعادية وهذا يؤدي بدوره ليس فقط إلى ضعف الروح المعنوية بل إلى التدمير ورفض الأوامر العسكرية كما رفض دعاة التحكيم القتال عندما رفعت المصاحف ودعوا إلى التحكيم، وعندما جرى التحكيم رفضوه وكفروا الطرفين ونادوا بالقتال..حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا رأي لمن لا يطاع..وليس لقصير رأي..

٢.٣. الحرب النفسية المعنوية (تكتيكية)

وهي موجهة ضد قوات العدو في مسارح العمليات والى مواطنيه المتواجدين في منطقة العمليات العسكرية كذلك.. وهي تهدف إلى تحطيم الروح المعنوية للقوات المعادية وخاصة تلك التي بحالة التماس

المباشر معه..

أما الوسائط المستخدمة لهذه الغاية فهي الإذاعات الميدانية والمناشير ومكبرات الصوت وتقع مسؤولية توجيه وإدارة هذه الحرب على عاتق الرؤساء وقادة العمليات المباشرة وبالتعاون مع الأعلى والأدنى في التسلسل العسكري الأقدم والأحدث ويجب الانتباه إلى عدم تعارض النوعين لكي لا تقع في ضباب الكذب والافتضاح.. وبالتالي فإن أهداف الحرب النفسية المعنوية ربما نوجزها بما يلي..

١. تحطيم معنويات القوات المعادية وقدرتها على القتال..
 ٢. إصدار منشورات الاستسلام والإنذارات الخاصة التي تسجل بعض الاستسلامات في بعض المناطق المحددة
 ٣. توجيه تعليمات ورفع معنويات إلى المواطنين أو الجنود في مناطق الاحتلال المعادية.
 ٤. نفي الدعايات المعادية وتبرير الحرب وضرورة المقاومة بالنسبة له..
- وهكذا نجد أن الحرب النفسية التعبوية هي خاصة بالقوات المسلحة المعادية تهدف إلى تدمير الروح المعنوية وأضعاف الروح القتالية للعدو وحملهم على الفرار من المعركة أو الاستسلام دون مقاومة..

٣.٢. الحرب النفسية المحلية

وهي توجه إلى السكان المحليين ومواطني البلاد كلها وبالأخص إلى القوات القريبة من مناطق العمليات أو المناطق المحتلة حديثاً من قبل العدو وتهدف إلى..

أ. المساعدة المباشرة لدعم العمليات العسكرية بتأمين خطوط

المواصلات وتأمين القطعات وتوجيه حركة اللاجئين والتخفيف من الذعر والخوف الذي يدب في الأوساط المدنية..

ب. الحصول على مساعدة ومساندة المدنيين.

ج. معاكسة الحرب النفسية المعادية..

وتستخدم في هذه الحرب عدة أدوات أهمها الإذاعات المحلية ومكبرات الصوت الثابتة والمتنقلة والمناشير والإعلانات وغيرها ويقع مسؤولية تنظيمها وقيادتها على عاتق قادة مسارح العمليات أو يمكن أن تلقى على عاتق السلطات المدنية..

فهذه لمحة سريعة عن الحرب النفسية القديمة في تأثيرها الحديثة في تنظيمها من اجل زيادة تأثيرها على المدنيين وعلى العسكريين وفي المجالين ينحصر تأثيرها على الروح المعنوية للقوات والشعب معا. وأما الأسلحة المستخدمة في الحرب النفسية كثيرة إلا أن أشهرها وأقدمها والأكثر انتشارا واستخداما فهما سلاحان فقط.

١.٣.٣. الدعاية

هي أية محاولة لدولة أو حركة لنشر عقيدة خاصة وتتألف من المعلومات والأنباء والنداءات التي تهدف إلى التأثير على أفكار وأعمال الطرف الآخر..

والدعاية: هي مجموعة من المبادئ والأساليب والأشكال للتأثير الأيديولوجي والنفسي على جنود العدو بهدف تقويض الروح المعنوية عنده والمساعدة في تحقيق الأعمال التي تؤدي إلى إضعاف الجهود المسلحة للقوات والبلاد بشكل عام.. وما أكثر الدعايات التي كان يخترعها الأعداء ضد الإمام علي عليه السلام.. كما سنتبين ذلك فيما يأتي بإذن

الله..

ولها أنواع وأشكال وتختلف في وقت السلم عنها في وقت الحرب وفي الهجوم عن الدفاع وغيرها وهي ثلاثة أنواع أساسية..

٢.٣.٣ . أنواع الدعاية

١. سوداء: هي التي تصدر من العدو لكن دون إعلان صريح عن مصدرها..

٢. بيضاء: هي الدعاية المعروفة المصدر والصريحة:

٣. رمادية: هي الصادرة عن مصدر مجهول تماما..

١.٣ . الشائعات

الشائعة: فهي خبر بسيط يتناوله الناس بسرعة يهدف إلى بث إخبار كاذبة أو التمويه على الحقيقة والواقع وذلك من أجل التأثير على معنويات الشعب والجند على حد سواء كشائعة (علي عليه السلام قتل أمير المؤمنين عثمان) أو (أن علي بن أبي طالب عليه السلام لا يصلي) وغيرها..

١.١.٣ . أنواع الشائعات

١. شائعات الخوف: تنشر الخوف بين الصفوف من مجرد انتشارها (كتخويف البصرة من جيش الكوفة القادم لغزوهم).

٢. شائعات الأمل: تمنّي الجماهير والعساكر بأمنيات باطلة وتجعلهم يعيشون أحلام اليقظة (كأمل الشاميين بدولة مستقلة مرفهة).

٣. شائعات الكراهية والحقد: بانتشارها نعزز الحقد على الطرف الآخر ويزداد كراهية له (كما كان يفعل معاوية بالشام من تعليق قميص عثمان وأصابه المقطوعة على المنبر ويجلس تحته يبكي على

الخليفة المقتول ظلما من قبل الإمام علي عليه السلام الذي استولى على الخلافة الإسلامية بالقهر) ويصدقه أغبياء الشام في ذلك فيحقدون على من (حبه عنوان صحيفة المؤمن) كما قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

ث. الحرب النفسية في حروب التأويل..

إن تأثير الروح المعنوية في القتال ونتائج المعركة لا يمكن أن ينكره عاقل، أو من له أية خبرة بالطبائع البشرية..

نعم؛ تؤثر الحالة المعنوية للقوات المحاربة تأثيرا حاسما في تقدير الموقف تقديرا صحيحا، وفي سير العمليات، وبالتالي في القرارات التي تصدرها القيادات العسكرية، وهذا أمر طبيعي طالما أن (القلب البشري هو نقطة الإنطلاق في كل المسائل المتعلقة بالحرب).

ويعتبر العامل المعنوي أحد أهم العناصر في كل حرب، لأن النصر يعتمد في النهاية على (حالة الروح المعنوية لتلك الجموع التي تسيل دماؤها في ميدان القتال).. ويوضح كلاوزفيتز بكتابه (فن الحرب) قائلا: إن القيم المعنوية هي من أهم العناصر في الحرب، فهي الروح التي تطبع الحرب بطابعها، وهي التي تفرض نفسها مسبقا على الإدارة التي تحرك وتوجه كتلة القوات، ملتحمة معها بشكل ما باعتبار أن الإدارة نفسها أيضا هي قيمة معنوية..

ويرى الجنرال جان بيريه (أن قيمة القيادة، وعدد المقاتلين، وتدريبهم وقوة الأسلحة ووفرتها.. كل هذا بعيد عن أن يكون كل شيء في الحرب.. وكل هذه الصفات لا تعد شيئاً إذا لم تبت القيم المعنوية فيها الروح..

فالقتال - أساساً - هو كفاح معنوي والأسلحة لا حياة فيها إذا لم يستخدمها رجال من لحم ودم بقوتهم وضعفهم.. ومهما كانت القوى المادية لدى طرف من الأطراف كبيرة فإنها لا تحقق أبداً تدمير الخصم تدميراً كاملاً فبين من يبقون على قيد الحياة تقرر القوى المعنوية نجاح طرف من الأطراف، ولا يُغلب الطرف الذي تكبد أكبر الخسائر في الرجال والعتاد، وإنما يُغلب من تحطمت معنوياته قبل الآخر^(١)..

فالمنتصر هو صاحب الروح العالية، والمعنويات المرتفعة في صفوف المقاتلين، وأين كل ذلك من حروب التأويل العلوية المُحقة؟

وهل استخدمت الحرب النفسية في حروب التأويل؟ وما هو نوعها؟ وما مدى تأثير الحرب النفسية المستخدمة على كل الأطراف المتحاربة؟ هذا ما نحاول الإجابة عنه بشكل سريع ومقتضب في هذه العجالة للدلالة والإشارة فقط وإلا فإنها تحتاج إلى دراسة مطولة ومعقدة..

أكاد أجزم بأن الحرب النفسية رافقت كل الحروب والنزاعات من يوم خلق الله الأرض واستعمر عليها الإنسان وحتى آخر نزاع عليها، وإلا ماذا تفسر قول قابيل لأخيه هابيل: لأقتلنك؟ ألا يريد إرهابه وإخافته ليحصل على ما يريد، ألا يريد التأثير على نفسيته ليعطيه ما يريد؟

(١) (الرسول العربي وفن الحرب: ٣١٥)

وهكذا عمل شيخا قريش (طلحة والزبير) وأمهم عائشة علي بث الإشاعات الكاذبة المغرضة ضد الإمام علي عليه السلام، ونشر الدعايات الملفقة عليه ليصنعوا لهم جوا من الثقة فيقووا، ويزعزعوا الثقة بالطرف المقابل ليضعفوا، كما ظنوا ذلك..ومن تلك الدعايات:

* اتهام الإمام علي عليه السلام بدم عثمان..

* اتهام الإمام علي عليه السلام بأنه أجبرهم علي البيعة..

* اتهام الإمام علي عليه السلام بالاستبداد والأثرة بالحكم..

هذا وقد حدد أمير المؤمنين عليه السلام هذا الموقف من التهديد والوعيد بكلام له عليه السلام: وقد أرعدها وأبرقوا، ومع هذين الأمرين الفشل.. ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر.

وأما ما هو أوضح وأجلى للموقف من عثمان وقتله، فهو ما جاء بكلام له عليه السلام والمعني به طلحة بن عبيد الله الذي كان أكثر ضجيجا وعجيجا وتهديدا بالحرب: قد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أرهب بالضرب. وأنا علي ما قد وعدني ربي من النصر..

والله ما استعجل متجردا للطلب بدم عثمان (متجردا كأنه سيف تجرد من غمده) إلا خوفا من أن يطالب بدمه لأنه مظنته (أي عنده)، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه (أحرص عليه أي على دم عثمان بمعني سفكه)، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلبس الأمر (يلبس رباعي من قولهم أمر ملبس أي مشتبه) ويقع الشك.

ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفان ظالما - كما كان يزعم - لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه (ينصر ويعين) أو

ينابذ ناصرته^(١).

ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهين عنه (كفه وزجره عن إتيانه)، والمعتذرين فيه (المعتذرين عنه فيما نقم منه).

ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً (يسكن في جانب) ويدع الناس معه، فما فعل واحدة من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلم معاذيره^(٢).

وأما بخصوص الإجبار والإكراه على البيعة، أو أنهما بايعا بالسيف (واللج على رؤوسهما) كما قال طلحة، فإن هذا أمر نلخصه هنا بكلمات..

إن هذه مجرد دعاية عدوانية، وحجة للناكثين لأنهم ليس لهم حجة بخروجهم على إمام زمانهم البتة بعد أن بايعوا بالرضا ومحض الإرادة الحرة لهم، ولكن يعلمون علم اليقين أن الخارج على إمام زمانه ملعون على لسان رسول الله ﷺ، وأنهم لا يجوز لهم الخروج عليه، ونقض البيعة إلا بما يوجب ذلك من إحداث.. وهم أعلم الناس أن نقض البيعة من الكبائر.. فكيف يخرجون على إمامهم وينكثون بيعتهم له، فلا سبيل لذلك إلا بهذه الدعاية الباطلة..

٢.٢. وفي معركة صفين

وأما الحرب النفسية في معركة صفين فإنها أبعد أثراً، وأعم، وأشمل، وأوضح، وهي أبشع وأشنع من غيرها في الحروب الإسلامية كلها ولدراستها نحتاج إلى وقت كبير، وكلام كثير.. ولكن سأكتفي

(١) (والمنايذة المراماة والمراد المعارضة والمدافعة)

(٢) (نهج البلاغة: خطبة: ١٧٤)

بلمحة موجزة كرؤوس أقلام وإشارات خاطفة، لأنك ممن تكفيه الإشارة..

إن معاوية الأموي كان يمهد لوثبته المنتظرة على كرسي السلطة وصولجان الحكم فكان يخطط بهدوء، وينفذ باطمئنان لانعدام الحسيب والرقيب على أعماله فعمر العادل الذي رأى منه كسرويته وغطرسته قال له: لا أمرك ولا أنهاك.. فأعطاه بذلك حرية بالسير إلى ما يريد دون أن يلتفت إلى الوراء..

وأما في زمن عثمان فكان حاكم مستقل تماما عن الخليفة، وإليك الصورة الحقيقية لمعاوية يرسمها لنا الإمام علي عليه السلام في إحدى لقاءات العتاب مع عثمان في حصاره، حيث استسفره القوم إليه..

فقال عثمان (لعلي عليه السلام): والله لو كنت مكاني ما عنفتك، ولا أسلمتك، ولا عتبتُ عليك أن وصلتُ رحما وسددتُ خلة، وآويتُ ضائعا، ووليتُ من كان عمر يوليه..

قال علي عليه السلام: سأخبرك.. إن عمر بن الخطاب، كان كلما ولى واليا يظأ على صماخه إن بلغه حرف جلبيه، ثم بلغ به أقصى الغاية (بالعقوبة)، وأنت لا تفعل، ضعفت، ورققت على أقربائك..

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضا.

فقال علي عليه السلام: لعمرى أن رحمهم مني لقريبه ولكن الفضل في غيرهم. قال عثمان: أو لم يؤلَّ عمر معاوية؟

فقال علي عليه السلام: إن معاوية كان أشد خوفا وطاعة لعمر من يرفأ (وهو عبد عمر) وهو الآن يبتز الأمور دونك، ويقطعها بغير علمك، ويقول للناس:

هذا أمر عثمان.. ويبلغك (ذلك) ولا تغير^(١).

فعمر كان أقوى على ولاته عامة، وعثمان كان الأضعف وعلى بني أمية خاصة، هذا ما سهّل عليه الوثبة الكبرى على خلافة المسلمين العامة..

ومن أساليب الحرب النفسية التي اتبعتها معاوية كانت الدعاية بكل أنواعها والشائعات بأخس أشكالها، والطابور الخامس (الجواسيس) بأوسع انتشارهم في الحجاز بداية وفي العراق نهاية.. ويكفيه دهاة العرب الذين تسلح بهم كمروان، وابن منية، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، وغيرهم من أصحابه الفسقة..

وهذه كلماتهم التي حفظها التاريخ لهم، فأول رسالة من مروان لمعاوية وعثمان محصورا يقول له عن نفسه الخبيثة: (وأما أنا فمساءف كل مستشير، ومعين كل مستصرخ، ومجيب كل داع، أتوقع الفرصة فأثب وثبة الفهد أبصر غفلة مقتنصة..)

ويرد عليه معاوية بمزيد من الحثّ على الفساد والإفساد، لا سيما بقوله (أنغل الحجاز فإني منغل الشام)، ويطلب من أن يكون كالفهد بالوثبة، وكالثعلب بالمراوغة، وكالقنفذ بالتمويه، وكالعبد بالملاينة والطاعة إلى حصول الفرصة، فهو يقول: (فإذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد الذي لا يصطاد إلا غيلة (الغيلة: الاحتيال)، ولا يتشازر (الشزر: النظر بمؤخر العين) إلا عند حيلة، وكالثعلب لا يفلت إلا روغانا، وأخف نفسك منهم إخفاء القنفذ رأسه عند لمس الأكف، وامتهن نفسك امتهان من يئأس القوم من نصره وانتصاره، وابحث عن أمورهم بحث الدجاج عن

(١) (الطبري ط المطبعة الحسينية المصرية ٩٧ / ٥)

حب الدخن عند فقاسها، وأنغل (انغل الحجاز: أي أفسده) الحجاز فأنني
منغل الشام..)

ويجيبه مروان بأنه أكثر من كل من عداهم بل سيكون كحرباء
الصحراء التي تتلون بلون كل مكان تنزل به، ولكنه كالسبع جراءة
وحذرا، فهو يقول: (وأنا كحرباء السبب (المفازة) في الهجير ترقب عين
الغزالة [الغزالة: الشمس]، وكالسبع المفلت من الشرك يفرق (يخاف) من
صوت نفسه، منتظرا لما تصح به عزيمتك، ويرد به أمرك فيكون العمل به
والمحتذى عليه..

وبالفعل لقد أفسدوا الأرض، وأنغروا القلوب على أمير
المؤمنين عليه السلام ومن تلك الدعايات - وهي مشتركة مع الجمل لاتحادهم
بالهدف الاستراتيجي لهم - كان ما يلي:

* أن الإمام علي عليه السلام هو الذي قتل الخليفة عثمان ومعاوية ولي الثأر.

* أن علي بن أبي طالب استولى على الخلافة غصبا وبالإكراه..

* وأنه سوف يغزو الشام إن استطاع..

* وأن علي بن أبي طالب عليه السلام خارج من الدين لأنه لا يصلي ولا
يتطهر.

هذه من الدعايات التخريبية الموجهة لشعبه في الشام ليسقط عدوه
من الاعتبار، ويعزز الحقد عليه ليكونوا أشرس في القتال، وبنفس
الوقت نشر بعض الدعايات التي تعزز مكانته في قلوب جيشه وشعبه،
منها:

* أنه خال المؤمنين لأن أم المؤمنين السيدة رملة أخته..

* أنه كاتب الوحي لرسول الله ﷺ..

* وهو ابن عم الرسول الأعظم ﷺ ومن المقربين إلى قلبه وجاء ببعض الدجالين يكذبون على رسول الله ﷺ ويخترعون له فضائل ما أنزل الله بها من سلطان ولهذا ترى أهل الشام عندما نزل بهم النسائي سألوه عن فضائل معاوية فقال لهم: لا أعلم له فضيلة إلا قول ﷺ: لا أشبع الله له بطناً. فوطئوه حتى قتلوه.. وكل ذلك من نتائج تلك الدعايات المقبحة.

أليست هذه الأقوال والأفعال في صلب الحرب النفسية التي قدمنا تعريفها من قبل؟ نعم؛ وما زال ابن هند يفعل كل ما من شأنه إلحاق الأذى بأمر المؤمنين ﷺ شخصياً - والعياذ بالله - أو بالمؤمنين خاصة، وبالمسلمين عامة ليعزز موقفه للوصول إلى مبتغاه وهدفه الذي حدده بعد مسالمة الإمام الحسن السبط ﷺ له وعندما دخل الكوفة قال: أظننتم أنني قاتلتكم لتصلوا وتصوموا - وأنتم تفعلون ذلك - إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وكل وعد وعدته الحسن بن علي ﷺ فهو تحت قدمي هاتين لا أف له منه بشيء..

هذه هي النتيجة لا دين ولا ديان، إنما الحكم والصولجان، والوفاء ليس مطلوباً إلا من الأمة لبني أمية وأذئابهم من الشياطين كبسر، ومسرف، والحجاج، وابن أبيه وغيرهم من تلك الحثالات..

وبكلمة هنا: إن معاوية وابن العاص كانا يفعلان أي شيء، بالغدر والمكر والحيلة والرزية، بالدهاء والمراوغة والقتل والنهب والسرقة وكل الأساليب التي ستمر معنا فيما بعد..

وأما أمير المؤمنين علي عليه السلام قائد جبهة الحق فإنه كانت تقيده قيود كثيرة لا سيما ثلاثة:

١. الدين الإسلامي بكل ما فيه من قيود (فالدين قيّد (أو قيد) الفتك)..
 ٢. الأخلاق الإيمانية فلا خيانة ولا غدر ولا مكر ولا احتيال، وو..
 ٣. التقوى. فكان الصورة المثل لفلسفة الإنسانية في هذه الحياة التي جاء بها الدين وبلورها الرسول الأعظم عليه السلام في الدنيا أولاً ثم تلاه وصيه أمير المؤمنين عليه السلام فلم يكن له فكاكاً منها وهذا ما صرح به أكثر من مرة بقوله كما في شرح نهج البلاغة، قال: لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب..
- وقيل له عن دهاء معاوية، فقال: والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس ولكن كل غدره فجرة وكل فجرة كفره ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة..

وقال: لا سواء إمام الهدى وإمام الردى وولي النبي وعدو النبي^(١).

لأن النظام السياسي في الإسلام يقوم على تجنب المكر والحيلة والخداع لأن (السياسة الرفيعة التي تبناها الإسلام صريحة واضحة في جميع معالمها وأهدافها فهي لا تبيح أي وسيلة من وسائل المكر والخداع فقد حرمهما الإسلام ونهى عنهما، فيقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: لولا أن المكر والخداع في النار لكنت أمكر الناس.

وكان عليه السلام كثيراً ما يتنفس الصعداء من الآلام المرهقة التي يلاقها من خصومه فيقول: واويلاه يمكرون بي ويعلمون أنني بمكرهم عالم،

(١) شرح إحقاق الحق ج ٨ - السيد المرعشي ص ٥٩٥

وأعرف منهم بوجوه المكر، ولكنني أعلم أن المكر والخديعة في النار فأصبر على مكرهم ولا أرتكب مثل ما ارتكبوا^(١).

إن الغدر إنما ينبعث عن نفس لا تؤمن بالمثل الإنسانية والقيم الدينية ويصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الغادر بأنه قد نسخ من كيان نفسه الإيمان بالله يقول: ولا يغدر من علم كيف المرجع ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله!! قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها ويتتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين^(٢)

إن سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع شؤونها قد عبرت عن جميع القيم السياسية الخيرة التي أعلنها الإسلام فهي لا تقرر الغدر ولا المكر ولا الخداع ولا تؤمن بأي وسيلة من وسائل النفاق الاجتماعي وإن توقف عليها النجاح السياسي المؤقت لأن الخلافة الإسلامية من أهم المراكز الحساسة في الإسلام فلا بد لها من الاعتماد على الخلق الرصين والإيمان العميق بحق المجتمع والأمة.

١. السياسة الظالمة

نعم؛ إن الإسلام حرم السياسة الظالمة بجميع مفاهيمها وألوانها وأوجب على المسلمين أن يهبوا إلى تحطيمها والإجهاز عليها وحرم عليهم التعاون والالتقاء بجهازها في جميع المجالات. إن السياسة الظالمة

(١) (جامع السعادات ١ / ٢٠٢)

(٢) نهج البلاغة:

تقوم على العنف والبطش والجبروت وعلى إرهاب الشعب واستنزاف ثرواته وسلب إمكانياته وتجريده من مقوماته ونشر الفقر والحرمان في ربوعه فهي لا تعرف الرحمة ولا تؤمن بمصالح الشعوب ولا تقيم وزناً للعدل ولا أهمية للحق لأنها مبنية على البراعة في الجور والاستبداد في الحكم والظلم للعباد إن الإنسانية في ظلال الحكم الجائر تواجه انهياراً خطيراً في جميع قيمها ومقاييسها وتتعرض الحياة العامة إلى الدمار والهلاك وقد بلي المجتمع الإسلامي منذ أقدم عصوره بمن قفزوا على منبر الحكم من السفاكين والمجرمين فصبوا على المسلمين وابلا من العذاب الأليم فطاردوا المصلحين ونكلوا بالأحرار وحاربوا كل نزعة إصلاحية في البلاد ففرقوا الكلمة وشتتوا الشمل ونشروا الفتن والاضطراب وأذاعوا الخوف والإرهاب وأشاعوا الشك والحداد وقد تمثل ذلك كله على مسرح الحياة العامة للمسلمين في دور الحكم الأموي الرهيب الذي فتح فيه باب الظلم على مصراعيه وقاسى المجتمع أمر ألوان الخطوب والكوارث وشاهد جبلاً من جثث الأبرياء سفكت أرواحها قوى البغي والعدوان بغير حق لأجل تدعيم الحكم والسلطان والتحكم والإمرة وابتزاز حقوق الأمة..

إن السياسة الأموية قد تفجرت عن بركان من الظلم والجور فكوت بنارها جميع المواطنين وعمّ شرها جميع الأقاليم الإسلامية فلم يبق وطن في ميدان المجتمع الإسلامي الكبير إلا لحقه الظلم والإرهاب^(١).

نقدم هنا رأي الأستاذ سيد قطب صاحب تفسير «في ظلال القرآن» «يعلق على الأستاذ شفيق جبيري وبعض المواقف والمواقع من تاريخ صدر الإسلام وتاريخ بني أمية مبرزاً فيها العنصر النفسي الذي قامت

(١) (النظام السياسي في الإسلام - باقر شريف القرشي ص ٧٧ بتصرف)

عليه ليكشف عن دراية صاحب الموقف أو الموقعة بذلك العنصر النفسي أو عدم درايته وعن أثر العلم بهذا العنصر أو الجهل به في هذا الموقف أو الموقعة، ويقول سيد قطب عن إحدى ملاحظات الكاتب: «أما الملاحظة الثانية فتبدو على أتمها في الحكم على موقف عمر بن الخطاب من العهد بالخلافة، وندع المؤلف يبين رأيه في هذه السطور: «مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي قبض فيه، فأمر أبا بكر أن يصلي، بالناس (كما يروون).. ثم كان أمر السقيفة ما كان.. ثم مرض أبو بكر المرض الذي مات فيه، فاستخلف على المسلمين عمر بن الخطاب، ثم طعن عمر، فدخلوا عليه وهو في البيت وسألوه أن يستخلف عليهم، فجعل الخلافة شورى بين هؤلاء الستة من المهاجرين الأولين..»

وكل هذا يدل على الارتباك، ولقد كانت هذه الطريقة سبيلا إلى المخاصمة، فقد تشاح (تخاصم) أصحاب الشورى على الخلافة، وأخروا إبرام الأمر، ورجا كل واحد منهم أن يكون خليفة.. وكاد يؤدي هذا الأمر إلى الفتنة، فقد تطلع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم، واحتاج من أقام لانتظار ذلك من أهل البلدان إلى الرجوع إلى أوطانهم، ولسنا ندري ما الذي حمل عمر على الوقوع في هذا الارتباك، وقد كان قادرا على أن يستخلف أصلح القوم، وهو يعرفهم واحدا واحدا، ويعرف عيوبهم وفضائلهم، ولكنه عدل عن ذلك، وإذا لجأت إلى الحرية في الكلام قلت: خاف التبعة ففر منها، فإنه جعل الأمر شورى بين جماعة كل واحد منهم يريد الخلافة لنفسه مخالفا للقواعد النفسية في السياسة، ولقد أنقذ الله المسلمين من فتنة الشورى، وكانوا في غنى عنها لو حزم عمر..

ففكرة عمر في أن يجعل أمر المسلمين شورى بين ستة يتزاحمون

على الخلافة غلطة نفسية (بل فتنة حقيقية)، وقد أدرك معاوية هذه الغلطة، ومثله لا يكاد يفوته شيء من أسرار السياسة النفسية، فقد ذكروا أن زيادا أوفد ابن حصين إلى معاوية، فأقام عنده ما أقام، ثم إن معاوية بعث إليه ليلا فخلا به، فقال له: يا ابن حصين قد بلغني أن عندك ذهنا وعقلا فأخبرنا عن أي شيء أسألك عنه؟

قال: سلني عمّا بدا لك، قال: أخبرني ما الذي شئت أمر المسلمين وملاهم وخالف بينهم؟

قال ابن حصين: نعم، قتل الناس عثمان،

فقال معاوية: ما صنعت شيئا.

قال: فمسير علي إليك وقتاله إياك.

فقال: ما صنعت شيئا،

قال ابن حصين: فمسير طلحة والزبير وعائشة وقتال علي إياهم،

فقال: ما صنعت شيئا.

قال: ما عندي غير هذا يا أمير (المواطنين).

فقال معاوية: فأنا أخبرك، إنه لم يشتت بين المسلمين، ولا فرّق

أهواءهم إلا الشورى التي جعلها عمر إلى ستة نفر.. فلم يكن رجل منهم

إلا رجاها لنفسه ورجاها له قومه وتطلعت إلى ذلك نفسه، ولو أن عمر

استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك خلاف.. وعلى

هذا فالشورى غلطة نفسية رحم الله من غلطها.

ويعلّق سيد قطب على هذا الكلام فيقول:.. إن الشخصية التي

يصدر عليها مثل هذا الحكم السريع شخصية جليلة ضخمة فذة في

تاريخ الإسلام (إنه أبا حفص الفاروق عمر)..على أنني لست من أنصار القداسة المطلقة للشخصيات الإسلامية، ولست أعني مما تقدم أن أحرم المعاصرين حق الحكم على هذه الشخصيات، ولكنني أريد أن تتوافر أسباب الحكم كاملة..وليس ما نقله الأستاذ من أقوال معاوية حجة، فمعاوية كان يريد بهذا القول التمهيد لاستخلاف ابنه يزيد، وهنا عنصر نفسي فات الأستاذ جبري ملاحظته، ولست أجزم الجزم القاطع برأيي هذا، كما فعل الأستاذ في تخطئة عمر، ولكنني أريد فقط ألا نسارع إلى الحكم القاطع وبين أيدينا كفتا الميزان على الأقل تتأرجحان (أي كفة الغلظة النفسية لعمر. وكفة الغلظة النفسية لمعاوية).

ثم يتطرق الكاتب إلى معركة صفين، فوصف الإمام بأنه كان يجهل العناصر النفسية في صراعه مع معاوية فقال: لم تكن معرفته بالأمور النفسية على قدر صراحته، فإذا لم تنجح سياسته النجاح كله، فهذا سببه أنه لم يخطر على باله أن طلب الحقوق يستلزم كثيرا من حسن الموارد والمصادر..ولم يدر الإمام أن الناس عامة إنما همهم حطام هذه الدنيا، فكان يعز عليه أن يعتقد أن الناس يدورون كيف دارت مصالحهم ومنافعهم، فلم يعاملهم كما يجب أن يعاملهم رجل السياسة، وإنما عاملهم كما يعاملهم رجل الأخلاق، فكان من عواقب هذه المعاملة شكواه منهم في كل كلام وفي كل خطبة.

ويعلق سيد قطب فيقول: وهكذا يحكم على علي كرم الله وجهه بأنه كان يجهل النفس البشرية لمجرد أنه لم يستخدم الوسائل السياسية التي استخدمها خصمها معاوية وعمرو بن العاص، وأبسط نظرة تكشف أن هناك فرقا كبيرا بين معرفة السلاح واستخدام هذا السلاح، فلم يكن

الفرق بين علي وبين خصميه أنه يجهل النفس البشرية وأنهما يعرفانها، إنما كان الفرق في حقيقته هو الرضى باستخدام كل سلاح يرضاه الخُلُقُ العالي أو يأباه، فعلي لم تكن تنقصه الخبرة بوسائل الغلبة ولا بنوازع النفوس البشرية وأهوائها، ولكنه لم يكن يتدنى لاستخدام الأسلحة القذرة جميعاً، وفي رده على من أشاروا عليه بتوزيع المال لرشوة الضمائر ما يكفي «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الإسلام. فوالله لا أفعل ذلك ما لاح في السماء نجم»

فحين قالها لم يكن جاهلاً أن الناس عامة همهم حطام هذه الدنيا، ولكنه كان مترفعاً عن استخدام سلاح تستقذره نفسه الكريمة ويستخدمه خصمه بلا تحرج وكذلك رده على ابن عباس. حينما استصوب إشارة المغيرة بن شعبة على علي بأن يولي الزبير البصرة ويولي طلحة الكوفة يدل على هذا، فلقد قال: ولو كنت مستعملاً أحداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام»، فهو إذن لم يكن بجهل ما يضر وما ينفع، ولكنه كان يأبى ويترفع.

ثم يقول سيد قطب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن معاوية وزميله عمرو لم يغلبا علياً لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب، ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع، وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم. لا يملك علي أن يتدنى إلى هذا الدرك الأسفل. فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح، على أن غلبة معاوية على علي كانت لأسباب أكبر من الرجلين، كانت غلبة جيل على جيل، وعصر على عصر، واتجاه على اتجاه، كان مد الروح الإسلامي العالي قد أخذ ينحسر، وارتد

الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذي رفعهم منه الإسلام، بينما بقي علي بن أبي طالب عليه السلام في القمة لا يتبع هذا الانحسار، ولا يرضى بأن يجرفه التيار، من هنا كانت هزيمته، وهي هزيمة أشرف من كل انتصار..

ثم يقول الأستاذ سيد قطب رحمته الله. لقد كان انتصار معاوية هو أكبر كارثة دهمت روح الإسلام التي لم تتمكن بعد من النفوس، ولو قد قدر لعلي أن ينتصر، لكان انتصاره فوزاً لروح الإسلام الحقيقية، الروح الخلقية العادلة المترفعة التي لا تستخدم الأسلحة القذرة في النضال، ولكن انهزام هذه الروح ولما يمض عليها نصف قرن كامل، وقد قضى عليها فلم تقم لها قائمة بعد - إلا سنوات على يد عمر بن عبد العزيز - ثم انطفأ ذلك السراج، وبقيت الشكليات الظاهرية من روح الإسلام الحقيقية.

قد تكون رقعة الإسلام قد امتدت على يدي معاوية ومن جاء بعده، ولكن روح الإسلام قد تقلصت، وهزمت، بل انطفأت، فإن يهش إنسان لهزيمة الروح الإسلامية الحقيقية في مهدها وانطفاء شعلتها بقيام ذلك الملك العضوض، فتلك غلطة نفسية وخلقية لا شك فيها.

ثم يقول رحمته الله: على أننا لسنا في حاجة يوماً من الأيام أن ندعو الناس إلى خطة معاوية، فهي جزء من طبائع الناس عامة (يعني المراوغة والإحتيال والمكر)، إنما نحن في حاجة لأن ندعوهم إلى خطة علي بن أبي طالب عليه السلام (أي إلى الدين الحق والقيم النبيلة)، فهي التي تحتاج إلى ارتفاع نفسي يجهد الكثيرون أن ينالوه، وإذا احتاج جيل لأن يدعى إلى خطة معاوية، فلن يكون هو الجيل الحاضر على وجه العموم، فروح «مكيافيلي» التي سيطرت على معاوية قبل مكيافيلي بقرون هي التي

تسيطر على أهل هذا الجيل، وهم أخبر بها من أن يدعوهم أحد إليها، لأنها روح «النفعية» التي تظلل الأفراد والجماعات والأمم والمحكومات.

ثم يقول رَحْمَةُ اللَّهِ: وبعد، فلست «شيعيا» لأقرر هذا الذي أقول، إنما أنا أنظر إلى المسألة من جانبها الروحي الخلقى، ولن يحتاج الإنسان أن يكون شيعيا لينتصر للخلق الفاضل المترفع عن الوصولية الهابطة المتدنية، ولينتصر لعلي بن أبي طالب عليه السلام على معاوية وعمرو، إنما ذلك انتصار للترفع والنظافة والاستقامة^(١)..

نعم؛ إن بني أمية وأشباههم يسوسون للمصالح الذاتية فقط لأنهم لا رادع لهم من دين ولا وازع لهم من أخلاق، وهذا هو الباطل عينه وأذنه وفمه.. وأما أمير المؤمنين عليه السلام فهو الدين المتشخص في إنسان، والقرآن الناطق، ولهذا لا يمكن أن يقربه دنس أو رجس سواء في السياسة، أو الحياة، في الأسرة أو المجتمع، مع نفسه أو مع غيره، لذلك قلنا بأنه قائد جبهة الحق، بل هو محور الحق (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار) كما قرر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بكلمة درية نورانية..

ومن كلام له عليه السلام: أيتها النفوس المختلفة والقلوب المشتتة. الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحق (أعطفكم) وأنتم تنفرونه عنه نفور المعزى من وعوة الأسد، هيهات أن أطلع بكم سرار العدل (السرار كسحاب في الأصل: آخر ليلة من الشهر، والمراد الظلمة أي أن أطلع بكم شارفا يكشف عما عرض على العدل من الظلمة، كما يدل على هذا قوله: أو أقيم إعوجاج الحق، فإن الحق لا اعوجاج فيه، ولكن قوما خلطوه بالباطل)، أو أقيم اعوجاج الحق. اللهم

(١) (كتب وشخصيات/ سيد قطب ص ٢٣٥ وما بعدها)

إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك. فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك. اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله ﷺ بالصلاة وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل يفضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة^(١)..

وبالحقيقة إن الحرب النفسية لتنجح عليها أن تستخدم كل أنواع الكذب، والخداع، والمكر.. لأنها مبتنية أصلا على ذلك، ولا ينجح بها إلا قليل الدين والضمير من الساسة وقادة العسكر..

والإمام علي عليه السلام نجح بكشف حقيقة القوم من بني أمية، وبين للأمة أهدافهم وتطلعاتهم الخبيثة لحكم الأمة الإسلامية، فكان يفضح أكاذيبهم ويرد على مفترياتهم بالصدق والحق ويرى الأمة حقائق الدين الحنيف عندما كانوا يستمعون إليه..

ولكن عندما فسدت نياتهم وشكوا بإمامهم وصدقوا أعدائهم بالكذب، فوقعت الفتنة بالتحكيم وهو يرفضه وأجبروه عليه وهو لا يريد له لعلمه بحقائق الموقف، فقال عليه السلام عندما نادوا من كل جانب: أجب القوم إلى التحكيم..

هذا ما جاء في حديث عمر بن سعد قال: لما رفع أهل الشام

(١) (نهج البلاغة: نخ ١٣١)

المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال علي عليه السلام: «عباد الله، إني أحق من أجب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال. إنها كلمة حق يراد بها باطل. إنهم والله ما رفعوها لأنهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيذة. أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا».

فجاءه زهاء عشرين ألفا مقنعين في الحديد شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودت جباههم من السجود، يتقدمهم مسعر بن فدكي، وزيد بن حصين، وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا علي، أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم.

فقال لهم: ويحكم، أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجب إليه، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليسوا بالعمل بالقرآن يريدون.

قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك. وقد كان الأشتر صبيحة ليل الهرير قد أشرف على معسكر معاوية ليدخله^(١).

(١) صفين لنصر بن مزاحم، وستمر معنا مفصلة

وهذا التصرف يقتضي منا أن نلتفت إلى مسألة هامة جدا في الحياة العسكرية وتنظيم الجيوش وقيادة المعارك القتالية بشكل عام ألا وهي مسألة الانضباط العسكري فما معناه؟

٢. الانضباط العسكري

إن الانضباط العسكري: هو التقيد التام بأوامر القائد الأعلى للجيش، والتنفيذ الدقيق للأوامر الصادرة منه..والإنضباط يجب أن يكون طوعيا؛ أي تنفذ الأوامر العسكرية بالقناعة والرضا بها، لا أن تنفذ الأوامر والتعليمات بالإكراه والإجبار دون قناعة ذاتية من المقاتلين كحال الجيش الجملي وأتباع البهيمه الذين استقتلوا حوله حتى عقر ففروا بكل اتجاه فلو كانوا يقاتلون عن عقيدة لاستشهدوا قبل أن يفروا من أرض المعركة..

فالانضباط الطوعي التلقائي ينبع من نفوس المقاتلين وقناعاتهم الشخصية وهذا ينتج عن إيمانهم برسالة القائد وعدالة المعركة التي يخوضونها دفاعا عن العقيدة والدين قبل أي شيء آخر، فتتخذ الأوامر بدقة وعن قناعة تامة ووعي كامل لدى أصحاب الإمام علي عليه السلام وهذا ما كان مفقودا بالأطراف الأخرى المحاربة له..

واعلم أن الانضباط العسكري، والروح المعنوية شبه فعلين متكاملين وذلك لان الانضباط يعزز ويقوي الروح المعنوية، والروح المعنوية العالية تؤدي إلى الالتزام بالأمر ومحاولة تنفيذها بدقة وبروح منفتحة، ونفس مطمئنة وهذا كان واضحا في جيش الإمام علي عليه السلام

حتى قال الصحابي الجليل عمار بن ياسر: والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لم يتزعزع يقيني أنا على الحق وهم على الباطل.. هذا من نتيجة الانضباط العسكري الطوعي والواعي فهذا المقاتل يتجاوز التسعين ومن كبار الصحابة فلا يقول جزافا أو رياء بل كلامه نابع من إيمانه وعقيدته ويقينه بقائده..

وفوائد الانضباط في رفع الروح المعنوية للمقاتل هي من عدة اتجاهات وفي عدد من النقاط أهمها..

١. الانضباط يرسى ويرسخ دعائم المعنويات والروح المعنوية.

٢. الانضباط يساعد المقاتل على التكيف مع زملائه وقادته والحياة العسكرية بشكل عام..

٣. الانضباط يعلم الأفراد المقاتلين التضحية والإيثار ونكران الذات في سبيل تنفيذ الواجبات والمهام المطلوبة منه..

٤. الانضباط يصون امن الجيش ويعزز الوحدة والتماسك فيه.

وكل هذه العوامل هي بمثابة أعمال معنوية تزيد من الروح المعنوية وفعالية الجيش وخاصة في الأعمال القتالية وهناك دور بارز للقائد في كل ذلك لان القائد يجب أن يكون مميزا عن البقية مبدعا واستراتيجيا في تفكيره وحكيما في قراراته ومتابعا لتنفيذها..

ولدينا في تاريخنا الإسلامي صورة رائعة لتوضيح قيمة الانضباط العسكري، ولكنها مفجعة جدا في النتائج النهائية للمعركة التي لا يكون فيها إنضباط عسكري وتقييد تام بأوامر القائد الأعلى..

تلك الصورة الماثلة من معركة (أحد) التي قادها الرسول القائد ﷺ بكفاءة رائعة وانتصر على قريش بزمن قياسي جدا..إلا أن عدم انضباط

الرماة الذين وضعهم القائد في سفح الجبل وأوصاهم بعدم ترك أماكنهم مهما كانت الظروف لهم أو عليهم؛ إلا أن حب الغنائم جعلهم يتركون مكانهم الإستراتيجي جدا، وينسون أمر القائد الأعلى مما جعل خالد بن الوليد يغتنمها فرصة ليلتف على الجيش الإسلامي ويوقع به ويكبده الخسائر الفادحة. وما كانت تلك النازلة لتنزل على المسلمين لو كانوا منضبطين عسكريا ومتقيدين بأوامر قائدهم عليه السلام.

فالعلم العسكري والخبرات الميدانية تؤكد: أن ما من ثغرة في الانضباط العسكري، أو الروح المعنوية، لأي جيش وفي أية معركة إلا وستظهر مؤثراتها ونتائجها في نتائج المعركة بشكل أو بآخر. وما الخوارج كلهم ومعركتهم الأولى بالنهروان، وكل معاركهم إلا نتيجة طبيعية لعدم الانضباط.

٣. الحرب الباردة..

وهي حرب الكلام والتهديد بالقوة، أو التلويح بالعصا، لإرهاب العدو وعندنا بالمثل العربي القائل: عصاية العز هزها ولا تضرب بها.. وقبلهم قال بنا سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا نَثَقَفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَّ بِهَدْمٍ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾^(١)

أي اضربهم ضربة قوية تخيف من خلفهم من أتباعهم وأنصارهم وربما هذا معنى القول بأن الإسلام كان ينتشر بالرعب في بدايته حيث أن سمعة القوة تقوي الصديق وتضعف العدو..

فهي موجودة عندنا ومن أقدم العصور، إلا أنهم قالوا: بأنها حديثة نتجت عن فداحة التدمير الذي يمكن أن تخلفه الانفجارات النووية وأسلحة التدمير الشامل وهي التي حسمت الحرب الكونية الثانية /١٩٣٩-١٩٤٥م/ بقنبلتين تكتيكيتين فوق (ناغا زاكي وهوراشيما) اليابانيتين فقط. ومصطلح الحرب الباردة هو المصطلح الذي استخدم بعد الحرب

(١) (الأنفال: ٥٧)

العالمية الثانية وبروز قطبين على المسرح العالمي / غرب وشرق / وراح الجميع بما يشبه التسابق من اجل إنتاج السلاح بحجة (الردع النووي) أو (ردع القوة) أو الردع بشكل كامل وهو بالحقيقة والواقع للفعل ورد الفعل حتى أنهم غزوا الفضاء وزرعوه بالصواريخ والأقمار الصناعية للتجسس وبقية اللائحة السوداء من الأعمال اللا إنسانية التي يقوم بها كلا الطرفين ضد الآخر وكلاهما ضد شعوب الأرض قاطبة إلا أن حصتنا نحن العرب والمسلمين كانت الأوفر فغرزوا إسرائيل خنجرا في قلوبنا من اجل استنزاف قواتنا وطاقاتنا ودمائنا وغرسوها في قدسنا من اجل أن يدنسوا وينجسوا أقداسنا.

والمقصود بالحرب الباردة: أنها هي حرب كلامية ومواقف سياسية وإعلامية وإعلانية والتلويح باستخدام القوة كلما سنحت الفرصة أو أظهار العضلات في بقاع مختلفة من دول العالم الفقيرة من هؤلاء أو أولئك على حد سوء وما حروب فيتنام من الغرب وأفغانستان من الشرق إلا أكبر دليل على عرض العضلات وما أكثر العروض لو دقت على الخارطة السياسية للعالم اليوم ويكفيك أن تلقي نظرة على الضفة الغربية بقيادة حماس، وعلى القطر اللبناني المقاوم بحكومته التي استقتلت لتسليم بلدها لعدوها أمريكا وإسرائيل..

وتضائل وخبأ صوت هذه الحرب بعد انهيار القطب الشرقي الإشتراكي وانفراد القطب الغربي الإمبريالي الأمريكي بالذات بالساحة العالمية إلا أن أحداث أيلول في (مانهاتن) وتدمير أبراج التجارة العالمية فيها، أشعلت حربا ساخنة صليبية على الإسلام والدول الإسلامية للأسف

الشديد فعادت الحرب الباردة بعناوين كثيرة (مكافحة الإرهاب) و(محور الشر) و(مكافحة الأصولية)..

فعادت الحرب الباردة إلى الظهور لكن، ولكن بعد استبدال القطب الشرقي (الإشتراكي الملحد) بالقطب الشرقي (الإسلامي الموحد) ولولا ذلك لما كنا بحاجة لذكر هذا النوع من الحرب الباردة هنا إلا ما نجده في حروب التأويل التي ندرسها حربا باردة عظمي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام ضد الأحزاب القرشية..

وإلا ما معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام عن أهل الجمل: (وقد أردعوا وأبرقوا، ومع هذين الأمرين الفشل..ولسنا نرعد حتى نوقع، ولا نسيل حتى نمطر..)^(١)

والتي كان من مظاهرها الرسائل المتبادلة ما بين الأطراف كافة وعلى كل المستويات من القاعدة وحتى القمة في الحروب..وإليك هذه الكلمات الفجائية لتأثير الحرب النفسية، والباردة على جيش العراق، ومدى تأثر القائد الأقدم وتضايقه من جنوده المتخاذلين..

يقول عليه السلام بعد غارة غادرة على أطراف بلاده: (فيا عجبا والله يميم القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون. وتغزون ولا تغزون. ويعصى الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتهم هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتهم هذه صبارة القر (البرد) أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر والقر فإذا كتتم من الحر والقر تفرون فإذا أنتم والله من السيف أفر.

(١) (النهج : خ ٩)

يا أشباه الرجال ولا رجال. حلوم الأطفال. وعقول ربات الحجال. لوددت
أنني لم أركم ولم أعرفكم. معرفة والله جرت ندما وأعقبت سدما قاتلكم الله لقد
ملأتم قلبي قيحا. وشحتم صدري غيظا. وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا.

وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي
طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب.. لله أبوهم وهل أحد منهم أشدّ
لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا
قد ذرفت على الستين. ولكن لا رأي لمن لا يطاع..^(١)

ما أصعبها على القائد العسكري أن يأمر ولا يطاع لا سيما وأنه البطل
الشجاع والقائد الخبير والعالم الملهم وهو يرى الحق ويريهم إياه ولكن لا
يطيعونه..

وجاء في خطبة له عليه السلام: (أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم
عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم
وإبطائكم عن حقي.

ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها. وأصبحت أخاف ظلم رعيتي.

استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا. وأسמעتم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرا
وجهرا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا. أشهود كغياب وعبيد كأرباب؟
أتلو عليكم الحکم فتنفرون منها. وأعظكم بالموعظة البالغة فتفرقون عنها.
وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين
أيادي سبا (مثل يضرب للتفرقة) ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن
مواظكم.

أقومكم غدوة وترجعون إلي عشية كظهر الحية، عجز المقوم، وأغضل

(١) (النهج)

المُقَوِّم.. أيها الشاهدة أبدانهم. الغائبة عقولهم. المختلفة أهواؤهم. المبتلى بهم
أمرأؤهم.

صاحبكم بطيع الله وأنتم تعصونه. وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم
يطيعونه. لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني
عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم.

يا أهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنتين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام،
وعمي ذوو أبصار. لا أحرار صدق عند اللقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء.

تربت أيديكم. يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جُمعت من جانب
تفرقت من جانب آخر. والله لكأنني بكم فيما إخال (أظن) أن لو حمس الوغى
وحمي الضراب وقد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها (عند
الولادة).

وإني لعلى بيّنة من ربي، ومنهاج من نبي. وإني لعلى الطريق الواضح
ألقطه لقطاً.^(١)

فظلم بني أمية سيعم الآفاق كلها من بعده، كما يقول عليه السلام: والله لا
يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه (يعني بني أمية) ولا عقداً إلا
حلوه. وحتى لا يبقى بيت مدر (بيوت الحضرة) ولا وبر (خيام البدو) إلا دخله
ظلمهم.. ونبا به سوء رعيهم (سياستهم) وحتى يقوم الباكيان يبكيان باك يبكي
لدينه وباك يبكي لديناه.

وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده. إذا شهد
أطاعه، وإذا غاب اغتابه. وحتى يكون أعظمكم فيها غناء أحسنكم بالله ظناً. فإن

(١) (النهج: مخ ٩٧)

أَتَاكُمْ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاَقْبِلُوهَا. وَإِنْ اِبْتَلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا. فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.^(١)

(١) (النهج: خ/٩٨/)

٤. الحرب الإسلامية (الجهاد في سبيل الله)

إن مفهوم الجهاد في الشريعة الإسلامية له معنى خاص وضوابط محددة من الشرع الحنيف وتدور مدار الأحكام الخمسة تقريبا، والإمام علي عليه السلام أعطى الجهاد معناه الحقيقي ولولا أمير المؤمنين لما كان قادة الأمة يعرفون أحكام جهاد البغاة، أو أحكام الحروب البينية الإسلامية، الإسلامية..

فحروب التأويل كانت تعليمية على مستوى الأمة ولولا توضيحات أمير المؤمنين عليه السلام على حرب الجمل ضد الناكثين خاصة واعطاءهم الخطوط العامة والتفصيلية للحرب الإسلامية لجرت كوارث كسبي النساء واستعبادهن مع الأسرى ولكان من حكام الجور مالا يعلمه إلا الله من فضائح وفجائع يندى لها الجبين في كل حين..

وأمير المؤمنين عليه السلام بين للأمة المعنى الحقيقي للجهاد في كثير من الخطب والأقوال الشريفة والبيانات كما في بعض خطب نهج البلاغة فقد جاء في خطبة له عليه السلام: (أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة (جنته

بالضم وقايتة). فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء. وديث بالصغار والقماءة (ديث مبني للمفعول من ديثه أي أذله، وقمؤ الرجل ككرم قمأة وقماءة: أي ذل، وصغر) وضرب على قلبه بالأسداد (الأسداد جمع سد يريد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد. قال الله ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾) ويروى (بالإسهاب) وهو ذهاب العقل أو كثرة الكلام أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة) وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف (أدبل الحق منه أي صارت الدولة للحق بدله، وسيم الخسف أي أولى الخسف وكلفه والخسف الذل والمشقة أيضا) ومنع النصف (والنصف بالكسر العدل، ومُنِع مجهول أي حُرِم العدل بأن يسלט الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه).

ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم^(١) إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنّت الغارات عليكم وملكتم عليكم الأوطان.^(٢)

وقديما قيل: حب الموت يكرهه غيرك.. وموت في عز خير من الحياة في الذل.. وهذا ما كان يشير إليه القائد الأعلى لجيش الحق أمير المؤمنين عليه السلام ويبينه لأهل العراق، وهاهو يبين لهم حقيقة الموت الذي يخافون منه، (إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب.

(١) (عقر الدار بالضم وسطها وأصلها؛ وتواكلتم وَكَلَّ كُلُّ مِنْكُمْ الأمر إلى صاحبه؛ أي لم يتوله أحد منكم بل أحاله كل على الآخر ومنه يوصف الرجل بالوكل أي العاجز لأنه يكل أمره إلى غيره)

(٢) (نهج البلاغة: خ ٢٧)

وإن أكرم الموت القتل (الشهادة في سبيل الله). والذي نفس ابن أبي طالب بيده؛ لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش..

وذلك لأن (في الفرار موجدة الله (غضبه وسخطه)، والذل اللازم والعار الباقي. وإن الفار لغير مزيد في عمره، ولا محجوز بينه وبين يومه. الرائح (الذاهب) إلى الله كالظمان يرد الماء. الجنة تحت أطراف العوالي وبادروا آجالكم بأعمالكم. فإنكم مرتهنون بما أسلفتم، ومدينون بما قدمتم. وكان قد نزل بكم المخوف (الموت). فلا رجعة تنالون، ولا عشرة تقالون.. إستعملنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله، وعفا عنا وعنكم بفضل رحمته

ولكن قد تسأل ما العمل إذن يا أمير المؤمنين عليه السلام: الزموا الأرض، واصبروا على البلاء. ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم. فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيدا ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله. وقامت النية مقام إصلاته لسيفه.

(ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله) أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما. وقولا بالحق. واعملا للأجر. وكونا للظالم خصما وللمظلوم عوناً أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكما عليهما السلام يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»

والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله^(١).

وجاء في تقسيم الجهاد إلى أربعة أقسام، بقوله عليه السلام: (والجهاد

(١) وصية له عليه السلام للحسن والحسين (عليهما السلام)

منها على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن (مواطن القتال في سبيل الحق)، وشنآن (الشنآن بالتحريك البغض) الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنع الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة

وأخيرا إليك هذه الرواية الشريفة عنه عليه السلام يحدد فيها الداء ويصف الدواء بأن معا، فعن أبي جحيفة قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أول ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم، ثم بألستكم، ثم بقلوبكم.. فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب فُجعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه..

ولكن أين الحل - يا مولانا - إذن؟

قال عليه السلام: انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى. فإن لبدوا فالبدوا (إن جلسوا فاجلسوا) وإن نهضوا فانهضوا. ولا تسبقوهم ففضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا. لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحدا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثا غربا، وقد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم. كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم.

إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم. ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء الثواب^(١)..

فهل فعلت الأمة ما أمرها به رسول الله صلى الله عليه وآله من تعظيم وتقدير

(١) نهج البلاغة: ح ٣٧٥

وتبجيل واحترام أهل بيته الأطهار الأبرار عليه السلام الذين أذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً؟

وهل أدت ما عليها من الحق الواجب لأئمتها بالحب والمودة والولاء
باعتبار أن مودتهم كانت أجراً للرسالة الإسلامية المباركة كما أكدت آية
مودة ذوي القربى في سورة الشورى المباركة؟

وهل وقت لأمير المؤمنين ببيعته في غدير خم التي كان شهودها
أكثر من مائة وأربع وعشرين ألف من حجاج المسلمين؟

وهل وفي الأصحاب بالبيعة النورانية لأمير المؤمنين عليه السلام بعد إبعاد
وإقامة جبرية وكل أنواع الحصار السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي
والخدمي.. وأتوه رافعين عقيرتهم ليس لنا إلاك يا علي فمد يدك لنبايعك
على الخلافة؟

حروب التأويل (نظرة شمولية)

إن الباحث الناهض بجناحي البصيرة والإيمان.. والمستنير بنوري العقل والقرآن.. لا بدّ له من أن يتسلق إلى قمة عالية من قمم التاريخ ويجلس متمكنا فيها، متربعا عليها ليشرّف على جميع المساحات الواسعة، والمسافات الشاسعة من سهول وهضاب وجبال التاريخ..

فإذا كان فنانا فإنه سيرسم لنا صورة فنية رائعة، يصور فيها ما يدور في الساحات..وبما أننا نستشرف على مساحة القتال الواسعة، ومعارك النضال الكثيرة، فإن صورة واحدة لا تكفي، فلا بد من حمل كاميرا للفيديو حديثة وحساسة لتسجيل كل صغيرة وكبيرة بالصوت والصورة لما يجري من أحداث على أرض المعركة..

ثم نضعها في شريط فيديو، أو سينما، أو قرص مدمج ليقول للناس: هذا حقيقة ما جرى هناك حيث القتال المحتدم..

وإن كان كاتباً فإنه ستفتنه الكليات، والعموميات، وربما لا يلتفت إلى الجزئيات إلا في تسقط أخبار الرؤوس والزعماء والقادة والسادة الأجلاء في تلك المعارك..ليقول للقارئ الكريم: هذا قال كذا، وذاك فعل

كيت..

ولكن الذي يهمننا هنا لا هذا ولا ذلك.. بل نبحت عن ذلك العسكري القائد ذو الخبرة والعلم.. عن ذاك القائد الجدير، والعسكري الخبير الذي ينظر إلى المعركة نظرة مختلفة عن الفنان، والأديب، والكاتب، لأن نظرتة نابعة من اختصاصه العسكري، وخبرته بالقتال وأساليبه المختلفة لأن خبرته بالمعارك، وحنكته بالقيادة، يجعله أسرع بفهم الظواهر الطارئة، والتحركات الناشئة في أرض المعركة..

ومن هنا فإن الدارس لحروب (الناكثين، والقاسطين، والمارقين) التي خاضها أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كقائد عام للجيش المقاتلة بالمعارك عسكريا.. وكريس أعلى للدولة الإسلامية سياسيا.. سيجد خيطا رابطا قويا ظاهرا لا مخفيا يشدها ببعضها البعض أهملها التاريخ وخفيت على المؤرخين، وهي جديرة بتسليط الضوء بشدة عليها..

فالباحث فيها، وعنهما لا شك أنه سيراهما حربا واحدة بثلاث معارك أساسية.. وقد تسألني - ولك الحق - كيف جمعتها؟

بل كيف نظرت إليها حتى استطعت أن تحكم عليها هذا الحكم القوي والجريء بأن معا؟ فهي ثلاثة حروب طاحنة متباعدة المكان والزمان..

نعم؛ يا عزيزي الغالي إن العلم العسكري يقول: أن الحرب تتضمن

العديد من المعارك، ولا بد من أن تشمل معارك مختلفة في الزمان والمكان ولكن تتحد بالقيادة والأهداف والغايات..

وكذلك المعركة ربما تشمل العديد من المواقع القتالية..

وبهذا التقريب يمكن لنا القول: أن حروب التأويل كلها كانت حربا

واحدة بثلاث معارك أساسية، هي:

أ. معركة الجمل في البصرة..

ب. معركة صفين في الرقة..

ج. معركة النهروان في النهروان..

ومن المعلوم أن كل شيء له جسم، وللجسم رأس وذيل.. وهكذا هي الحرب فلها معركة أساسية تشكل العمود الفقري للحرب كلها، ولها بنفس الوقت طلائع قتالية، يرسلها الجيش للإستطلاع ولتفادي المفاجآت المحتملة، والأخطار المحدقة بالجيش..

فأصل الحرب كانت معركة (صفين) ورأس الفتنة فيها معاوية بن أبي سفيان ومن معه من صبيان أمية من الطلقاء.. وهذه المعركة كان فيها الكثير من المواقع (٩٠ موقعة) أشدها كانت موقعة ليلة الهرير التي اشتهرت في التاريخ الإسلامي كله..

وأما معركة الجمل فإنها كانت بمثابة المقدمة كمعركة تصادمية سريعة ومباغطة ذهب ضحيتها الآلاف من المسلمين على أعتاب البصرة.. لأنها كانت بتوجيه وتحريض من معاوية الداهية الذي أوقع شيوخ قريش (طلحة والزبير وأمهم عائشة) بحبائله واستعملهم كمقدمة قتالية ببلاش، فقتلوا وقتلوا بلا ثمن لهم والذي تقاضى الثمن كان معاوية المتربص بالشام إذ لم تمض أربع سنوات حتى تربع على دست الخلافة،

وصولجان السلطان العربي الواسع..

فمعركة البصرة ما كانت لتحدث لولا التوجيه الخفي والدهاء السياسي لمعاوية آل أمية..وربما تسأل كيف ذلك؟

تروي كتب التاريخ أن كل من طلحة والزبير وأمهم عائشة وعمرو بن العاص هؤلاء هم رؤوس التحريض على عثمان بن عفان الخليفة الطاعن في السن والمحب لبني أمية حتى الموت فكانوا يسوقونه - بقيادة مروان الوزغ - كالجمل المخشوش إلى أن قتلوه بأفعالهم قبل أن يقتله الثوار بسيوفهم فبني أمية بالحقيقة هم الذين قتلوا خليفتهم عثمان من أجل أن ينعشوا بدمه المسفوح أملهم بالخلافة والسلطان، فلم تبقى فائدة بعثمان إلا أن يكون ثأراً لهم ليطلبوا به السلطان.

ومعاوية متربص بالشام وينتظر أخبار ابن عمه الخليفة متى يقتل لينصب قميصه ويبكي تحته كاذباً مع النوادب، ثم ليسل سيف الثأر ويضرب به الخليفة كائنا من كان إلا أن يكون هو..

وطلحة والزبير حرّضوا على الخليفة وقادوا عملية الحصار إلى أن قتلوه ظاناً كل واحد منهم أنه الخليفة ولكنهم جبناء ليقدّموا بعد أن رأوا منهم الأمة أفعالهم بالخليفة فقالوا نرميها برقبة من هو أفضل وأقوى منا عليها وهو أبعد الناس عن دم الخليفة عثمان فتكون لنا يدا عنده فيطلب طلحة البصرة، والزبير الكوفة فيكسبون الأمانة ويتعدون عن تبعات الخلافة الجديدة الكبيرة جداً..

وأما أمهم السيدة عائشة فإنها كانت تبغض الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولا تطيق حتى ذكر اسمه الشريف وكانت معلنة بذلك لا مخفية له، وما كانت تظن بتحريضها على عثمان وتفتي بكفره وزندقته

وتأمر بقتله إلا لكي تعود الأمانة تيمية بابن عمها طلحة بن عبيد (ذا الأصبع) أو لا أقل من زوج أختها الزبير بن العوام فيتحكم بالأمة ابن أختها الأعز والأغلى على قلبها عبد الله بن الزبير ذاك المشؤوم الناصبي لآل محمد ﷺ بشكل عجيب وغريب، ولم يخطر ببالها أن تباع الأمة أمير المؤمنين علي عليه السلام ولهذا تراها قالت لمن أخبرها بهذا الخبر بعد أن خرجت من مكة المكرمة قاصدة المدينة، وهي تقول: إيها ذا الأصبع، إيها ابن عم..

فقال الرجل لها: بايعوا عليا.. فبهتت واحتارت وقالت: ويلك انظر ماذا تقول.. فقال لها: ما خرجت من المدينة حتى رأيتهم بايعوا عليا وأولهم كان طلحة..

فقالت: وددت أن هذه (وأشارت إلى السماء) وقعت على هذه (وأشارت إلى الأرض) إن كان صحيحا ما تقول.. وصاحت ردوني ردوني قتل عثمان والله مظلوما ولأطلبين بثأره..

وأما عمرو بن العاص (ابن النابغة) فكان هاجر عثمان بعد أن نزع منه الأمانة فكان في فلسطين ويحرض كل شيء على عثمان حتى الرعاة في الجبال، ولما بلغه مقتل عثمان قال: أنا أبو عبد الله إذا حككت القرحة نكأتها قتلته وأنا بوادي السباع..

هؤلاء رؤوس الفتنة القرشية ورايتها كان قميص عثمان عند معاوية في الشام الأقوى والأبعد عن مركز الخلافة الإسلامية.. وعندما يئس طلحة والزبير من الولايات والأموال فما كان منهم إلا ندموا ندامة الكسعي كما صرح طلحة بذلك وقالوا قتلنا عثمان لصالح علي بن أبي طالب عليه السلام

فلنقتل أنفسنا للتكفير عن ذنبا تجاه الخليفة..

فأعلنوا العصيان ونكث البيعة وتوجهوا إلى أمهم عائشة التي راحت تحرض السماء والأرض ضد عدوها اللدود علي بن أبي طالب عليه السلام بهدف التشاور بمخالفة الخليفة الجديد..

ولما وصلوا إلى مكة المكرمة وجدوا أن كل ظروف الخلاف قد هيأتها لهم أمهم عائشة المتحمسة لحرب الإمام علي عليه السلام وليس للشار لعثمان أبدا فالتقى لديها في مكة الرجال والمال والعصيان المدني..

وكم هو جميل وحقيقي وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام لهم بقوله: إني بليت بأربعة؛ أدهى الناس وأسخاهم طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأسرع الناس إلى فتنة يعلي بن أمية (أو منية).^(١)

وقال عليه السلام: منيت بأربعة ما مني أحد بمثلهن؛ منيت بأطوع الناس في الناس، عائشة بنت أبي بكر؛ وبأشجع الناس، الزبير بن العوام؛ وبأخصم الناس، طلحة بن عبيد الله؛ وبأكثر الناس مالا، يعلي بن منية التيمي (من قبيلة عائشة وطلحة) أعان عليّ بأصواع الدنانير^(٢)..

وقال عليه السلام: حاربني خمسة: حاربني أطوع الناس في الناس، عائشة.. وأشجع الناس، الزبير.. وأمكر الناس، طلحة بن عبيد الله، لم يدركه ماكر قط.. وحاربني أعبد الناس، محمد بن طلحة بن عبيد الله، كان محمودا حتى استزله أبوه فخرج به.. وحاربني أعطى الناس، يعلي بن منية، كان يعطي

(١) (الإستيعاب: ٢/٣٢٣؛ أسد الغابة: ٣/٨٧)

(٢) (فتح الباري: ١٣/٥٥)

الرجل الواحد الثلاثين ديناراً والسلاح والفرس على أن يقاتلني^(١)..

وقال عليه السلام: منيت (أو بليت) بأطوع الناس في الناس عائشة، وبأدهى الناس طلحة، وبأشجع الناس الزبير، وبأكثر الناس مالا يعلي بن منية، وبأجود قريش، عبد الله بن عامر^(٢)..

وهناك كلمات أخرى تنقل عنه عليه السلام في هؤلاء الرؤوس ولا أظن أنها رواية واحدة باختلاف الألفاظ، بل هي روايات متعددة وفي مواطن مختلفة ولكنها بذات المضمون كما تلاحظ..وهم:

أم المؤمنين (عائشة) المحرصة على قتال أبنائها وقتل أميرهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومن معه من كبار الصحابة.

طلحة والزبير شيخا قريش وحواريي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

يعلي بن منية صهر الزبير، والي اليمن للخلفاء الثلاثة..داهية ماكر سرق بيت مال اليمن وجاء إليهم ومعه ستمائة ألف درهم، وستمائة بعير، وتعهده بنفقات الحرب كلها، وأهدى أمه عائشة الجمل (عسكر)، ومما قال به أمير المؤمنين عليه السلام: بلغني أن ابن منية بذل عشرة آلاف دينار في حربي، من أين له عشرة آلاف دينار؟ سرقها من اليمن ثم جاء بها لئن وجدته لأخذنه بما أقرّ به..

عبد الله بن عامر بن كريز ابن خال عثمان والي البصرة لعثمان وهو ابن أربع وعشرين سنة شاب مشاكس وغني ترف لا يعرف قيمة إلا للترف..هرب من البصرة حيث سرق بيت المال وجاءهم بمليون درهم ومائة بعير، وهو الذي حوّل وجهة القوم من الشام إلى البصرة بتوجيه

(١) (أعلام النبلاء، ٥٩/١، تاريخ الإسلام، ٤٩٩/٣)

(٢) (طبقات ابن سعد، ٥٨/٨)

من معاوية..

مروان بن الحكم (الوزغ بن الوزغ) و(الملعون بن الملعون) و(عليه اللعنة وعلى من يخرج من صلبه) و(ويل لأمتي مما في صلب هذا) و(خيطة الباطل) وزير عثمان الذي ساقه إلى حتفه برجليه، بايع أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة ثم هرب إلى البغاة في مكة، وعندما رأى طلحة يريد الهرب ضربه بسهم فقتله وقال: لا أطالب بدم عثمان بعدها أحدا..

وفي مكة المكرمة اجتمع طلحة والزبير عند أمهم السيدة عائشة وما أن وقع بصرها على ابن عمها طلحة حتى قالت له معاتبة: يا أبا محمد؛ قتلت عثمان، وبايعت عليا؟

فقال: يا أمه ما مثلي إلا كما قال الأول:

ندمت ندامة الكُسعي لما

رأت عيناه ما صنعت يده

فأعرضت عنه إلى صاحبه الزبير، فقالت: يا أبا عبد الله؛ اشتركت

في دم عثمان، ثم بايعت لعلي وأنت - والله - أحق بالأمر منه؟

فقال الزبير بعد أن سمع إطراء أمه له: أما ما صنعت مع عثمان فقد

ندمت منه وهربت إلى ربي من ذنبي من ذلك، ولن أترك الطلب بدم

عثمان.. والله ما بايعت عليا إلا مكرها إلتفتُ به السفهاء من أهل مصر

والعراق واستلوا سيوفهم وأخافوا الناس حتى بايعوه..

وتداولوا شأن الحرب من أين تبدأ، وعلى أي أرض تقع، ولصالح

من ستكون الخلافة إذا ما انتصروا بعضهم هذا، فكانت الآراء كما

يلي:

قالت الأم: علينا بتسديد الضربة إلى القلب النابض، والرأس المدبر

الخليفة الجديد وفي قعر داره المدينة المنورة فيما يتنازل لنا عن السلطة أو نقتله كما قتلنا عثمان وننهي هذا الأمر من بدايته..

فقال طلحة: هذا صحيح ووجه فأهل الأمصار ما زالوا هناك ولكنهم شهودا علينا لا لنا كما تعلمون، وأهل المدينة كانوا محايدين ولكنهم بايعوا عليا راضين به، ولن يرضوا بأن تغزوهم في قعر ديارهم أبدا.

قال الزبير: لا أخالفك رأيك يا أم؛ فقولك لازم ويقره العقل والمنطق، ولكن لا أستبعد رأيك يا أبا محمد كذلك واعلموا أننا لا طاقة لنا بعلي بن أبي طالب وهو من تعلمون قوة وشجاعة ونجدة فكيف وقد بويع بالأمانة وبايعناه على السمع والطاعة، فحجته أقوى ومكانته أعظم ولا تنكر، وهو في المدينة ومعه بني هاشم أسود قريش والأنصار ومن لحقهم من عرب الجزيرة والأمصار المجاورة..

قالت الأم: نعم؛ لا طاقة لنا بأهل المدينة فكلامكما صحيحا ولكن ما العمل فإن بقينا هنا دهمنا علي بسرعة وربما أخذنا أسرى إلى المدينة وذاك العار الذي ما بعده عار.. فماذا تشيرون إذن علي؟

قال الداهية طلحة: وجدتها؛ فما رأيكم بالشام؟

قالت الأم: الشام يا أبا محمد قتلنا عثمان وتريدنا أن نسلم أنفسنا لمعاوية وهو ابن عمه والطالب بثأره قبلنا؟

فتبسّم طلحة وقال: هذا كتابه إليّ يبلغني بإحكام الأمر لنا في الشام اسمعيه يقول: أما بعد: فإنك أقل قريش في قريش وترا، مع صباحة وجهك، وسماحة كفك، وفصاحة لسانك، فأنت بإزاء من تقدمك في السابقة، وخامس المبشرين بالجنة، ولك يوم أحد وشرفه وفضله، فسارع - رحمك الله - إلى ما تقلدك الرعية من أمرها، مما لا يسعك التخلف

عنه، ولا يرضى الله منك إلا بالقيام به، فقد أحكمت لك الأمر قبلي، والزبير فغير متقدم عليك بفضل، وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الإمام، والأمر من بعده للمقدم له، سلك الله بك قصد المهتدين، ووهب لك رشد الموفقين، والسلام^(١).

فضحك الزبير وقال: نعم؛ يا أمتنا معاوية هو مَنْ كتب لنا للطلب بدم ابن عمه عثمان وهذه رسائله لنا، وأخذ رسالة وفضّها وقرأ ما فيها..

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الزبير بن العوام (أمير المؤمنين) من معاوية بن أبي سفيان. سلام الله عليكم أما بعد، فإني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوني إلى بيعتك فاستوثقتهم كما استوثق الحلف، فدونك الكوفة والبصرة [لا يسبقك عليهما علي بن أبي طالب] فإنه لا شيء بعد هذين المصرين وقد بايعتهم لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فعليكما بالظهور في طلب دم عثمان عليه السلام، فأدعوا الناس إلى ذلك بالجد والتشمير، ظفركما الله تعالى وخذل مناوئكما^(٢).
قالت الأم: وما في الرسالة الأخرى بعد؟ ففضّها وقرأ ما فيها..

أما بعد، فإنك الزبير بن العوام ابن أخي خديجة بنت خويلد، وابن عمّة رسول الله عليه وآله، وحواريه وسلفه، وصهر أبي بكر، وفارس المسلمين، وأنت الباذل في الله مهجته له بمكة عند صيحة الشيطان، بعثك المنبعث فخرجت كالثعبان المتسلخ بالسيف المنصلت، تخبط خبط الجمل الرديع، كل ذلك قوة إيمان وصدق يقين منك، وقد سبقت لك من رسول الله عليه وآله البشارة بالجنة، ثم جعلك عمر عليه السلام أحد المستخلفين على الأمة.

(١) الغدير ج ١٠ - الشيخ الأميني ص ٣٢٩

(٢) (في البحار: لعبد الله الزبير أمير المؤمنين)

فانهض يا أبا عبد الله فإن الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعي، فسارع - رحمك الله - في حقن الدماء ولمّ الشعث، واجمع الكلمة لصالح ذات البين قبل تفاقم الأمور وانتشار الأمة، فقد أصبح الناس على شفا جرف هار عما قليل منهار، إن لم يرأب، فشمّر لتأليف الأمة وابتغ إلى ربك سيلا، فقد أحكمت لك الأمر على من قبلي لك ولصاحبك على أن الأمر للمقدم، ثم لصاحبه من بعده، جعلكما الله من أئمة الهدى، وبغاة الخير والتقوى، وسلك بكما قصد المهتدين، ووهبكما رشد الموفقين والسلام^(١)..

فقالت الأم وهي شبه متحيرة ومستبشرة: إن كان معاوية يحالفنا ويمدنا بالجنود فإن الظفر بعلي بن أبي طالب محقق ووشيك، فإنظروا من عندنا من بني أمية لنتحالف معهم ونبدأ بالتحرك إلى الشام فنكون نحن ومعاوية يدا واحدة على ابن أبي طالب..وبما أن أختي أم سلمة هنا سأذهب إليها وأحرضها للخروج معنا إن استطعت اقناعها بذلك..

وبالفعل لما قصدت عائشة الخروج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أتت إلى أم سلمة بمكة المشرفة..

وقالت لها: يا بنت أبي أمية لقد كنت كبيرة أمهات المؤمنين، وكان رسول الله ﷺ يقيم ببيتك ويقسم لنا وينزل عليه الوحي..

[قالت لها: يا بنت أبي بكر] ولقد زرتني [وما كنت زوّارة ولأمر ما تقولين].

[قالت: إن أخي] وابن أخي أخبراني أن عثمان قتل مظلوما، وأن بالبصرة مائة ألف [سيف يطاعنون]، فهل لك في الخروج معي لعل الله أن يصلح أمر المسلمين من التشاجر بين الفئتين؟

(١) (جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٠).

(فقالت: يا بنت أبي بكر أهدم عثمان تطلبين؟) فلقد كنت أشد الناس عليه عداوة، وإن كنت لتدعيه بالتبرئ، أم أمر ابن أبي طالب تنقضين!

ولقد نصَّ عليه رسول الله ﷺ، والآن قد بايعته المهاجرون والأنصار، وأن لك سدة بين رسول الله ﷺ وبين أمته، وحجابه مضروب على حرمة، وقد جمع [القرآن ذلك] ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ فلا [تبدخيه] وسكني عقيراك فلا تضحي بها [الله من وراء] هذه الأمة.. قد علم رسول الله ﷺ مكانك، ولو أراد أن يعهد إليك فعل.

وقد نهاك رسول الله ﷺ عن الفراطة في البلاد، فإن عمود الإسلام لا يرأبه النساء إن أثلم ولا يشعب بهن إن انصدع، حماديات النساء غض الأطراف وقصر الوهادة، وما كنت قائلة لو أن رسول الله ﷺ عرَّضَ لك ببعض الفلوات وأنت ناصّة قلوفا من منهل إلى آخر بعين الله مهواك، وعلى رسول الله ﷺ ترددين قد وجهت سدافته وتركت عهده.

أقسم بالله لئن سيرت مسيرك هذا، ثم قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى رسول الله ﷺ هاتكة حجابا قد ضربه عليّ، فاجعلي حصنك بيتك، وقاعة الستر قبرك حتى تلقيه وأنت على ذلك أطوع [ما تكونين لله ما التزمتيه، وأبصري ما تكونين للدين ما جلست عند بيتك] (أي عليك الجلوس في بيتك لتكوني للدين وإلا فأنت على الدين ولست له).

ثم قالت: لو ذكرتك من رسول الله ﷺ خمسا في علي ﷺ

لنهشتيني نهش الحية الرقشاء المطرقة ذات الحبيب (هي الأفعى الرقطاء السامة التي تكمن على الطرقات)

أتذكرين إذ كان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفرا، فأقرع بينهن فخرج سهمي وسهمك، فبينما نحن معه وهو هابط من قديد ومعه علي عليه السلام يحدثه، فذهبت لتهجمي عليه، فقلت لك: رسول الله ﷺ معه ابن عمه ولعل له إليه حاجة، فعصيتني ورجعت باكية فسألتك، فقلت: إنك هجمت عليهما، فقلت له يا علي: إنما لي من رسول الله ﷺ يوم من تسعة أيام وقد شغلته عني! فأخبرتيني أنه قال لك: أتبغضينه؟ فقلت: كيف أبغضه وهو أخوك وابن عمك، وأحب الناس إليك. فقال عليه السلام: ما يبغضه أحد من أهلي ولا من أمتي إلا خرج من الإيمان. قالت عائشة: نعم.

(ويوم أراد) رسول الله ﷺ (سفرا) وأنا أجش له جيشا فقال: (ليت شعري) أيتكن صاحبة الجمل الأحذب (أو الأدب) تنبها كلاب الحوآب، فرفعت يدي من الجيشيش، وقلت: أعوذ بالله من ذلك أن أكون. فقال عليه السلام: والله لا بد لأحدكما أن يكونه (اتقي الله) يا حميراء، أن تكونيها!، أتذكرين هذا؟! قالت: نعم.

ويوم تبذلنا لرسول الله ﷺ، فلبستُ ثيابي ولبستِ ثيابك، فجاء رسول الله ﷺ إلى جنبك، فقال عليه السلام: أتظنين يا حميراء إنني لا أعرفك؟ أما إن لأمتي منك يوما [مرا أو يوما]، أتذكرين هذا؟ قالت: نعم.

ويوم كنتُ أنا وأنتِ ذات يوم مع رسول الله ﷺ، فجاء أبوك وصاحبه يستأذنا الدخول، فدخلتُ الخدر.

فقالا: يا رسول الله، إننا لا ندري قَدَرَ مقامكَ فينا، فلو جعلت لنا إنسانا نأتيه بعدك.

فقال عليه السلام: أما إنني أعرف مكانه وأعلم موضعه، فلو أخبرتكم به لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن عيسى بن مريم عليه السلام.

فلما خرجا خرجتُ إليه أنا وأنت حزينة عليه، فقلتُ له: يا رسول الله من كنت جاعلا لهم؟ فقال عليه السلام: خاصف النعل [وغاسل الثوب]، وكان علي عليه السلام يخصف نعل رسول الله عليه السلام، ويغسل ثوبه إذا اتسخ. فقلتُ: ما أرى إلا عليا؟ فقال عليه السلام: هو ذاك، أتذكرين هذا؟ قالت: نعم.

قالت: يوم جمعنا رسول الله عليه السلام في بيت ميمونة فقال عليه السلام: يا نساء النبي، أتقين الله ولا يسفرن (يظهرن) بكن أحد، أتذكرين هذا؟ قالت: نعم. (ثم قالت: أتذكرين قول رسول الله عليه السلام لك) : (يا حميراء إنك لتقاتلين عليا وأنت ظالمة له!؟).. قالت: نعم.

ثم قالت عائشة: لقد سمعتُ وفهمتُ قولك [وقبلت نصحك ووعظك لي] (أو ما أقبلني لوعظك) وأسمعتني لقولك فإن أخرج ففي غير حرج، وإن أقعد ففي غير بأس.

ثم إنها خرجت وأمرت أن ينادى في الناس: من أراد الخروج فليخرج، فإن أم المؤمنين نأت عن الخروج.

وخرج طلحة والزبير يبعثان عن رؤوس بني أمية للتفاوض معهم والتحالف الذي طرحه معاوية برسائله لهم.. ولما توجهوا إليهم وجدوهم قد هياهم لهم معاوية برسائله لبني أمية يحرضهم بها على العصيان ويدعوهم للطلب بدم عثمان من الخليفة الشرعي علي بن أبي

طالب عليه السلام لأنه سوف يقشرهم قشر اللحاء عن العصا، ويعيد كل ما سرقوه من بيت المال كما صرح بذلك في أول خطبة له عليه السلام فكان مما كتب لهم معاوية الرسائل التالية:

١ . مكاتبة معاوية بن أبي سفيان إلى بني أمية

١.١ . كتب إلى مروان بن الحكم:

أما بعد، فقد وصل إليّ كتابك بشرح خبر قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وما ركبه به ونالوه منه جهلا بالله وجرأة عليه، واستخفافا بحقه، ولأماني لَوَّح الشيطان بها في شرك الباطل ليدهدهم (دهده الحجرة متدهده: دحرجه فتدحرج) في أهويات الفتن، ووهيدات الضلال، ولعمري لقد صدق إبليس عليهم ظنه، اقتنصهم بأنشطة فخره، فعلى رسلك يا أبا عبد الله تمشي الهوينى وتكون أولا، فإذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد الذي لا يصطاد إلا غيلة (الغيلة: الاحتيال)، ولا يتشازر (الشزر: النظر بمؤخر العين) إلا عند حيلة، وكالثعلب لا يفلت إلا روغانا، وأخف نفسك منهم إخفاء القنفذ رأسه عند لمس الأكف، وامتهن نفسك امتهان من ييأس القوم من نصره وانتصاره، وابحث عن أمورهم بحث الدجاج عن حب الدخن عند فقاسها، وأنغل (انغل الحجاز: أي أفسده) الحجاز فأنى منغل الشام، والسلام^(١)..

فكتب مروان بن الحكم إلى معاوية مجاوبا:

أما بعد، فقد وصل إليّ كتابك، فنعم كتاب زعيم العشيرة، وحامي الذمار (ما يلزمك حفظه وحمائته)، فأخبرك أن القوم على سنن استقامة

(١) (جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠١).

[إلا شظايا شعب] شنت بينهم مقولي (المقول: اللسان) على غير مجابهة، حسب ما تقدم من أمرك، وإنما كان ذلك دسيس (إخفاء المكر) العصاة ورمي الجذر من أغصان الدوحة، ولقد طويت أديمهم على نغل (الأديم: الجلد المدبوغ، ونغل الأديم: فسد في الدباغ) يحلم منه الجلد، كذبت نفس الظان بنا ترك المظلمة، وحب الهجوع إلا تهوية (التهويم: هز الرأس من النعاس) الراكب العجل، حتى تجذ الجماجم جذ [العراجي المهذلة حين] (وتجذ: تقطع، والعراجين: جمع عرجون وهو أصل العذق) انبياعها، وأنا على صحة نيتي، وقوة عزيمتي، لتحريك الرحم لي وغلbian الدم مني. غير سابقك بقول، ولا متقدمك بفعل، وأنت ابن حرب وطلاب الترات (جمع ترة، وهي الثأر)، وأبي الضيم، وكتابي إليك وأنا كحرباء السبب (المفازة) في الهجير ترقب عين الغزالة (الغزالة: الشمس)، وكالسع المفلت من الشرك يفرق (يخاف) من صوت نفسه، منتظرا لما تصح به عزيمتك، ويرد به أمرك فيكون العمل به والمحتذى عليه.

وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات شعرا

أبقتل عثمان وترقا دموعنا

ونرقد هذا الليل لا تنزع

ونشرب برد الماء ربا وقد مضى

على ضمأ يتلو القرآن ويركع

فأنني ومن حج الملبون بيته
 وطافوا به سعيا وذو العرش يسمع
 سامنع نفسي كل ما فيه لذة من
 العيش حتى لا يرى فيه مطعم
 وأقتل بالمظلوم من كان ظالما
 وذلك حكم الله ما عنه مدفع^(١)

٢.١ . وكتب إلى عبد الله بن عامر بن كريز:

أما بعد، فإن المنبر مركب ذلول سهل الرياض لا ينازعك اللجام،
 وهيئات ذلك إلا بعد ركوب اثباج (جمع ثبج بالتحريك، وهو ما بين
 الكاهل إلى الظهر) المهالك، واقتحام أمواج المعاطب، فكأنني بكم يا
 بني أمية شعارير (ذهبوا شعاليل وشعارير أي متفرقين) كالأوراق تقودها
 الحداة (جمع الحادي وهو سائق الإبل)، أو كرخم الخندمة (جبل بمكة)
 تذرف خوف العقاب، فثب الآن قبل أن يستشري الفساد، وندب السوط
 جديد، والجرح لما يندمل، ومن قبل استضرء الأسد، والتقاء لحييه على
 فريسته، وساور الأمر مساورة الذئب الأطلس (الذئب الاطلس: الذي في
 لونه غبرة إلى السواد) كسيرة القطيع، ونازل الرأي، وانصب الشرك، وأرم
 عن تمكن، وضع الهناء مواضع النقب (الهناء: القطران، والنقب بضم
 ففتح: القطع المتفرقة)، واجعل أكبر عدتك الحذر، وأحد سلاحك
 التحريض، وأغض عن العوراء، وسامح عن اللجوج، واستعطف الشارد،
 ولاين الأشوس (الشوس بالتحريك: النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا)،
 وقو عزم المرید، وبادر العقبة، وأزحف زحف الحية، واسبق قبل أن تسبق،

(١) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٦ - ٣٠٧

وقم قبل أن يقام لك، واعلم أنك غير متروك ولا مهمل، فأني لك ناصح أمين، والسلام.

ثم إنه كتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات شعرا:

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته، ما شاء أن يترحما
تحية من أهدي السلام لأهله
إذا شط دارا عن مزارك سلما
فما كان قيس هلكه هلك
واحد ولكنه بنيان قوم تهدما^(١)

وكتب عبد الله بن عامر إلى معاوية برده له:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين كان لنا الجناح الحاضنة تأوي إليها فراخها تحتها، فلما أقصده السهم صرنا كالنعام الشارد، ولقد كنت مشرد الفكر، ضال الفهم، التمس [درية] (الدريئة: كل ما استتر به الصيد ليختل) استجن بها (استتر) من خطأ الحوادث، حتى وقع إلي كتابك، فانتبعت من غفلة طار فيها رقادي، فأنا كواجد المحجبة (الطريق الواضح) كان إلى جانبها حائرا، وكأني أعابن ما وصفت من تصرف الأحوال، فالذي أخبرك به أن الناس في هذا الأمر: تسعة لك، وواحد عليك، ووالله إن الموت في طلب العز أحسن من الحياة في الذلة. وأنت ابن حرب فتى الحروب، ونصار بني عبد شمس، والهمم بك منوطة لأنك منهضها، فإذا نهضت فليس لنا التخلف عنك، بل ولا لأحد من الناس القعود حين نهوضك، وأنا اليوم على خلاف ما كانت عليه عزيمتي: من طلب العاقبة، وحب السلامة قبل قرعك سويداء القلب

(١) (جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٣). والأبيات لعبدة بن الصليب يرثي بها قيس بن عاصم كما

في رواية الاصفهاني في الأغاني ١٨: ١٦٣)

(حبه) بسوط الملام، ولنعم مؤدب العشيرة أنت، وإنا لنرجوك بعد عثمان كهفا لنا، نتوقع لوعدك، نترقب لأمرك وما يكون منك لأمثله واعمل عليه، إن شاء الله تعالى وكتب في أسفله هذه الأبيات شعرا:

لا خير في العيش في ذل ومنقصة
فالموت أحسن من ضيم ومن عار
إنا بنو عبد شمس معشر أنف
غرجحاجة طلاب أوتار
والله لو كان ذمي مجاورنا
ليطلب العز لم نقعد عن الجار
فكيف عثمان إذ يدفن بمزبلة
على القمامة مطروحا بها عار
فازحف إلي فإني زاحف لهم
بكل أبيض ماض الحد بتار^(١)

٣.١. وكتب إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط الفاسق:

أما بعد، يا ابن عقبة: كن الجيش، وطيب العيش، أطيب من سفح سموم (سفعته السموم: لفتحته الريح الحارة لفحا يسيرا فغيرت لون البشرة) الجوزاء عند اعتدال الشمس في أبقها، إلا أن أخاك (أخو عثمان لأمه) عثمان أصبح منك بعيدا، فصرت بعده مزيدا، فأطلب لنفسك ظلا تأوي إليه فتستكن به، فإني أراك على التراب رقودا، وكيف بالرقاد بك؟ لا رقاد لك! فلو قد استتب هذا الأمر لمريده ألفيت كشريد النعام يفرع من ظل الطائر، وعن قليل تشرب الرنق (أي كدر)، وتستشعر الخوف (جعله

(١) جمهرة رسائل العرب: ١: ٣٠٧ - ٣٠٨

شعارا له)، ألا وإنني أراك فسيح الصدر، مسترخي اللبب (ما يشد في صدر الدابة لتثبيت الرحل)، رخوا الحزام، قليل الاكتراث، وعن قليل يجثث أصلك، والسلام. وكتب في آخره هذين البيتين شعرا:

اخترت نومك أن هبت شامية
عند الهجير وشربا بالعشيات

على طلابك ثأرا من بني حكم
هيهات من راقد طلاب ثارات^(١)

وكتب الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى معاوية:

أما بعد، فإنك ابن حرب (في جمهرة رسائل العرب: أسد قريش عقلا) وسيد قريش، وأكملهم عقلا، وأحسنهم فهما، وأصوبهم رأيا، وأعرفهم لحسن السياسة (في الجمهرة: معك حسن السياسة)، إذ أنت معدن الرياسة (في الجمهرة: وأنت موضع الرياسة)، تورد بمعرفة، وتصدر عن منهل روي، مناويك كالمنقلب من العيون، نهوي به عواصف الشمال في لجة البحر. كتبت إلي تذكر كن الجيش، ولين العيش، [فملأت بطني على حمام] إلى مسكة الرحق (الرحيق وهو الخالص من الخمر، وتقول: يا شارب الرحيق أبشر بعذاب الحريق، ومن المجاز: مسك الرحيق، لا غش فيه)^(٢)، حتى أفري أوداج قتلة عثمان رضي الله عنه فري الأهب^(٣) بشبا الشفار^(٤)، وأما اللين فهيهات، إلا خفية الموت إذ يرتقب غفلة الطالب، فإننا على مداجاة (المداراة) ولم نبد صفحاتنا بعد، وليس دون الدم بالدم

(١) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٤

(٢) انظر: أساس البلاغة: ١٥٧

(٣) (أخذ للسفر أهبتة وتأهب له)

(٤) (الشفرة الحادة)

مزحل^(١) إذ لا يخفى عند ذوي المعرفة والمروءة أن العار منقصة والضعف ذل، أيخبط قتلة عثمان زهوة الحياة الدنيا، ويسقون برد العين، وكما يمتطوا الخوف، ويستحلسوا^(٢) الحذر مع بعد مسافة الطرد (وطرده وأطرده: أبعده ونحاه)، وامتطاء العقبة الكئود (الصعبة) وفي الرحلة؟ لا دعيت لعقبة! إن كان ذلك، حتى انصب لهم حربا، تضع الحوامل لها أطفالها، فقد ألوت

(ألوى بهم الدهر: أهلكهم) بنا المسافة، ووردنا حياض المنايا، وقد عقلت نفسي على الموت عقل البعير، واحتسبت أني قتيل ثاني بعد عثمان أو أقتل قاتله، فعجل علي بما تتوقاه من رأيك الحسن (في الجمهرة: فعجل علي ما يكون من رأيك)، فإننا منوطون بك منتظرون لوعدك متبعون لعقبك، [ليس لنا من مخالف لأمرك]، ولم أحسب الحال يتراخي بك إلى هذه الغاية لما أنا خائف من أحكام القوم لأموهم، كما لا يخفى عليك، والسلام عليك. وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات شعرا:

نومي عليّ محرم إن لم أقم
بدم ابن أمي من بني العلات
قامت عليّ إذ قعدت ولم أقم
بطلاب ذاك مناحة الأموات
عذبت حياض الموت عندي بعد
ما كانت كريمة مورد النهلات^(٣)

(١) (مبعد، من زحل مال عنه)

(٢) (استحلس فلان الخوف: إذا لم يفارقه الخوف)

(٣) (جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٨ - ٣٠٩)

٤.١ . وكتب إلى يعلى بن أمية (منية):

أما بعد، أحاطك الله بكلاءته، وأيدك بتوفيقه، كتبت إلي صبيحة ورد علي كتاب مروان بن الحكم، يخبرني باستشهاد أمير المؤمنين وشرح الحال، وأنه قد طال به العمر حتى نقضت قواه، وثقلت نهضته، وظهرت به الرعشة في أعضائه، فلما رأى ذلك منه أقوام لم يكن لهم عنده موضعا للإمامة والأمانة، وتقليل الولاية، وثبوا إليه وألبوا عليه، فكان أعظم ما نقموا عليه وأعابوه به، ولايتك اليمن، وطول مدتك عليها، ثم ترامى بهم الأمر حالا بعد حال، حتى ذبحوه ذبح النطيحة مبادرا بها الموت، وهو مع ذلك صائم، معانق المصحف، يتلو كتاب الله تعالى، فقد عظمت مصيبة الإسلام باستشهاد صهر الرسول، والإمام المقتول على غير جرم سفكوا دمه، وانتهكوا حرمة، وأنت تعلم أن بيعته في أعناقنا، وطلب ثأره لازم علينا، فلا خير في امرئ يعدل عن الحق، ويميل إلى الباطل، عن نهج الصدق، النار ولا العار، ألا وإن الله جل ثناؤه لا يرضى بالتعذير في دينه، فشمّر أطرافك لدخول العراقيين، فأني قد كفيتك الشام وأهلها، وأحكمت أمرها، واعلم أنني كتبت إلى طلحة بن عبيد الله أن يلقاك بمكة لاجتماع رأيكما لإظهار الدعوة لطلب دم عثمان، وكتبت أيضا إلى عبد الله بن عامر، يمهد لكم أهل العراقيين ويسهل لكم حزونة عتابها واعلم أن القوم قاصدوك بادئ بدء، لاستنزاف ما حوته يداك من المال، فاعلم ذلك واعمل على حسبه، أيدك الله تعالى بمشيئته والسلام، وكتب في أسفله هذه الأبيات شعرا:

ظل الخليفة محصورا يناشدهم

بالله طورا، وبالقرآن أحيانا

وقد تألق أقوام على حنق عن
غير جرم، وقالوا فيه بهتاناً
فقام يذكرهم وعد الرسول
له وقوله فيه إسراراً وإعلاناً
فقال: كفوا فإني معتب لكم
وصارف عنكم يعلى ومروانا
فكذبوا ذلك منه، ثم ساوره
من حاض لبته ظلماً وعدواناً^(١)

وكتب يعلى بن أمية (منية) إلى معاوية:

أما بعد، فأنا وأنتم بني أمية كالحجر، الذي لا يبنى بغير مدر (قطع
الطين اليابس)، وكالسيف لا يقطع إلا بضاربه. وصل إلي كتابك يخبرنا
بخبر القوم وحالهم، فلئن كانوا ذبحوه ذبح النطيحة بودر بها الموت، فإننا
بني أمية، والله لنخرجن ذابحه، ولننحرنه نحر البدنة (البدنة: من الإبل
والبقرة، كالأضحية من الغنم تهدي إلى مكة وتنحر بها، والهدي: ما
يهدي إلى مكة) وافى بها الهدي الأجل!! ثكلتني (فقدته) من أنا ابنها إن
نمت عن طلب وتر عثمان رضي الله عنه، من أن أذبح القوم، وإني مدلج (سار من
أول الليل) وإن كان قصدهم ما حوته يداي من المال، فالمال أيسر مفقود
إن دفعوا إلينا القاتل، وإن منعوا عن تسليمه، أنفقنا المال على قتالهم، وإن
لنا وإياهم لمعركة [نتناحر فيها نحر الجزار، النقاع (النقاع: جمع نقيعة،
وهي كل جزور جزرت للضيافة) عن قليل تصل لحومها].

وكتب في أسفل الكتاب

(١) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٥ - ٣٠٦

لمثل هذا اليوم أوصي الناس
لا يعط ضيما أو يحز الرأس^(١)

٥.١. وكتب إلى سعيد بن العاص يستنهضه معهم:

أما بعد، فقد ورد علي كتاب مروان بن الحكم من ساعة حين وقعت
النازلة، تصل بها البرد (جمع بريد) بسير المطى الوجيف (وجف الفرس:
عدا)، يتوجس (تتوجس: تسمع إلى الصوت الخفي) كتوجس الحية
الذكر خوف ضربة الفأس وقبضة الحاوي (جامع الحيات)، ومروان لا
يكذب أهله، فعلام الافكاك (التراخي) يا بن العاص ولات حين مناص؟
وذلك إنكم يا بني أمية عما قليل تسألون أدنى العيش من أبعد المسافة،
فينكركم من كان بكم عارفا، ويصد عنكم من كان لكم واصلا، فتتفرقون
في البلاد، وتتمنون لمظة (ما يبقى في الفم من الطعام) المعاش.

ألا وإن أمير المؤمنين عتب عليه فيكم، وقتل في سبيكم، فقبیح القعود
عن نصرته، والطلب بدمه! وأنتم بنو أمية، ودون الناس منه رحما وقربا
وطلاب ثأره، فأصبحتم متمسكين [بشظف معاش زهيد] قليل ينزع منكم
عند التخاذل، وضعف القوى.

فإذا قرأت كتابي هذا فدب دبب البرد في الجسد النحيف، وسر سير
النجوم تحت الغمام، واحشد حشد (أي اجمع جمع الذرة وهي صغار
النمل) الذرة في الصيف لأنجحارها في الصرد، فقد أيدتكم بأسد وتيم،
وكتب في آخر الكتاب:

تالله لا يذهب شيخي باطلا
حتى أبير مالكا وكاهلا

(١) (جمهرة رسائل العرب ١: ٢١٠، مع اختلاف يسير)

القاتلين الملك الحاحلا

خير معد حسبا ونائلا^(١)

وأما سعيد بن العاص فإنه كان منصفاً إلى حد ما فكتب إلى معاوية بخلاف ما كتب إليه القوم بالتحريض على شق عصا الأمة والخروج على إمامهم دون ذنب جاء منه.. وهذه صورة كتابه إليه:

أما بعد، فإن الحزم في الثبت، والخطأ في العجلة، والشؤم في البدار، وأسهم سهمك ما لم ينبض به الوتر، وأن يرد الحالب في الضرع اللبن، قد ذكرت ما لعثمان علينا من الحقوق والقرابة فيه، وأنه قتل فينا، فهنا خصلتان ذكرهما نقص، والثالثة تكذب (تكلف الكذب)، وأمرتنا بطلب دمه، فأبي جهة تسلك فيها أبا عبد الرحمن؟ ردمت الفجاج (الفجاج: جمع فج (بالفتح) وهو الطريق الواسع. وردم: سد)، واحكم الأمر عليك، وولي زمامه غيرك، فدع مناوأة من لو كان افترش فراشه صدر الأمر لم يعدل به غيره، وقلت: كأنا عن قليل لا نتعارف، فهل نحن إلا حي من قريش، إن لم تنلنا الولاية لم يفتأ عن الحق؟ إنها خلافة منافية (ومنافية نسبة إلى عبد مناف جد الإمام علي عليه السلام ومعاوية، يعني بذلك أن الخلافة إن صارت في البيت العلوي، فهي لن تخرج من بني عبد مناف)، وبالله أقسم قسماً باراً لئن أصبحت عزيمتك على ما ورد به كتابك لألفيتك في الحاليتين طليحاً، وهبني أخالك بعد خوض الدماء تنال الظفر، هل في ذلك عوض من ركوب المآثم ونقص في الدين.

أما أنا فلا على بني أمية ولا لهم.. عليّ أن أجعل الحزم داري والبيت سجني وأتوسد الإسلام، واستشعر العاقبة، فأعدل أبا عبد الرحمن زمام راحلتك إلى محجة الحق، واستوهب العافية لأهلك وعشيرتك، واستعطف

(١) (جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٢)

الناس على قول الصدق قبل أن تهلك) (وهيهات من قبلك ما أقول حتى يفجر مروان ينابيع الفتن وأجج في البلاد، وكأني بكما عند ملاقة الاقران تعذران بالعدر، ولبئس العاقبة الندامة عما قليل يتضح الأمر لك والسلام)^(١)

فمعاوية ومن ورائه بني أمية حددوا الهدف وتواثقوا على العمل لأجله بكل جهد وجد، وكل مكر ودهاء وحيلة، ومعاوية بعد أن سمع بأخبار رؤوس قريش الثلاثة (عائشة، وطلحة، والزبير) يعلنون النكث بالبيعة والخروج على الإمام علي عليه السلام - وهو كان أجبن من أن يظهر العصيان لولا أولئك الرهط - فوجههم لما يخدم مصلحته وتطلعه للخلافة، فأمرهم بالطلب بدم عثمان ولكن من العراق والبصرة تحديدا فلماذا البصرة إذن؟

* لكثرة العثمانيين فيها كما يروي التاريخ..

* لكثرة خيراتها وغناها بالأموال وعبد الله بن عامر خبير بها وله فيها أنصار وهو الوالي الهارب منها بالأمس القريب..

* قربها من البحر واتصالها بفارس وما وراء النهر عمقا واتساعا وهذا يعطيهم قوة ومنعة عند الحاجة..

* بعدها عن الشام فيكون معاوية رمى الإمام علي عليه السلام من أقصى اليمين وهو بأقصى الشمال وهذه ضربة معلم داهية..

* أن لها هوى بطلحة بن عبيد، وله فيها هوى قديم، وعنده فيها من الأموال والتجارات والعلاقات ما يقويه فيها..

اجتمعت هذه الأسباب المغرية، وتلك التوجيهات الداهية عند القوم ولما اجتمعوا عند أمهم عائشة وعرضت لهم المسير إلى معاوية للوقوف

(١) (جمهرة رسائل العرب ١: ٣١١ مع بعض الاختلاف اليسير)

بوجه الخليفة الجديد ويطالبون جميعا بدم عثمان بن عفان من الشام..

فقال يعلي بن منيه الداهية وصاحب المال: يا قوم لماذا الشام؟ بل إياكم من الشام؛ لأن معاوية قد سبقكم إلى الشام، وفيها الجماعة، وأنتم تقدمون عليه غدا في فرقة، وهو ابن عم عثمان دونكم، أفرأيتم إن دفعكم عن الشام، أو قال أجعلها شوري، أتقاتلونه؟ أم تجعلوها شوري فتخرجوا منها؟^(١)

ولم يقل لهم طبعاً أن هذا التوجيه جاءه من معاوية لكي يستغلهم لإضعاف قوة الإمام علي عليه السلام المادية والمعنوية فيكون ذلك قوة له في عصيانه عليه مستقبلاً.. ولكنه زرع الخوف على الخلافة والحكم في قلوب طلحة والزبير وعائشة وأفهمهم أن معاوية مستقلاً بدولته فعليهم بناء دولتهم بأنفسهم ثم يتحالفوا معه من موقع الندية..

ففهم الشيوخ الرسالة الأموية وراحوا ينظرون إلى بعضهم البعض بحيرة واستغراب، فلم يمهلهم، أو يتركهم بحيرتهم عبد الله بن عامر والي البصرة والخبير بها فقال لهم: يا قوم لماذا لا تخرجون جميعاً إلى البصرة فإن لي فيها أتباعاً وأنصاراً كُثراً، ولك - يا طلحة - الأصحاب والأموال، ونرسل إلى معاوية نستمدده بالرجال إن لزم الأمر لذلك..

ثم قال: نادوا بالخروج وكل من يخرج فعليّ جهازه ونفقته..

وقال ابن منية: نعم؛ نادوا بالخروج إلى العراق والمال والجهاز علينا

كله..

ووافقهم مروان بن الحكم الذي كان عين وأذن معاوية أينما يحل

أو يرحل، وبقيّة رجال بني أمية الذين اجتمعوا عندهم ولكن بشرط أن

(١) (الإمام علي والحرب: ١١٢ عن عبد الفتاح عبد المقصود: ١٤/٢)

تكون الراية والشعار (يا ثارات عثمان) وهو شعار الفتنة كلها حتى صار مضرباً للمثل للفتن إلى اليوم، فلكل فتنة (قميص عثمان)..

ولكن كيف تخرج أمهم عائشة بعد أن ذكرتها سيدتنا أم سلمة بكل هذه الأحاديث التي سمعتها ووعتها من فم الرسول الأعظم ﷺ؟

ولما رجعت عائشة إلى منزلها فقالت: لعبد الله بن الزبير ابلغهما أنني لست بخارجة من بعد الذي سمعت من أم سلمة، فرجع فبلغهما..

فقالا له: اذهب إلى خالتك فاقنعها بالخروج معنا ولا يقنعها غيرك..

فدخل عليها عبد الله بن الزبير بن العوام [فنفث في أذنيها كنفث الحية لسمها، وقلبها في الذرورة]، فأمرت أن ينادى في الناس: إن أم المؤمنين خارجة فمن أراد الخروج فليخرج معها. فأنشأت أم سلمة تقول هذه الأبيات شعرا:

لوان معتصما من زلة أحد

كانت لعائشة العنبي على الناس

كم سنة لرسول الله تاركة

وتلو آي من القرآن مدراس

قد ينزع من أناس عقولهم

حتى يكون الذي يقضى على الناس

فيرحم الله أم المؤمنين لقد

كانت تبدل إيحاشا بإيناس

وذكر ابن الجوزي في تذكرة الخواص، نهي أم سلمة لها فلما رأتها

لا تقبل النصيح قالت:

نصحت ولكن ليس للنصح قابل
ولو قبلت ما عنفتها العواذل
كان بها قد ردت الحرب رحلها
وليس لها إلا الترحل راحل^(١)

قال: فما انتصف الليل حتى سمعت - أم سلمة - رغاء إبلهما
ترتحل فارتحلت معهما وأرسلت إليها عائشة قبل مسيرها: أما ما كنتِ
تعرفيه من رأيي في عثمان فقد كان ولا أجد مخرجاً منه إلا الطلب بدمه
وأما علي فإنني أمره برد هذا الأمر شورى بين الناس فإن فعل وإلا ضربتُ
وجهه بالسيف حتى يقضي الله ما هو قاضٍ..

فأرسلت إليها أم سلمة: أما أنا فغير واعظة لك من بعد ولا مكلمة
لك جهدي وطاقتي والله إنني لخائفة عليك البوار ثم النار والله ليخين ظنك
ولينصرن الله ابن أبي طالب على من بغى وستعرفين عاقبة ما أقول والسلام..
وفي رواية أخرى أن أم سلمة حلفت أن لا تكلم عائشة من أجل
مسيرها إلى حرب الإمام علي عليه السلام فدخلت عائشة عليها يوماً وكلمتها
فقالت أم سلمة: يا حائط ألم أنك، ألم أقل لك.. قالت: إنني أستغفر الله
كلميني فقالت: أم سلمة يا حائط ألم أنك ألم أقل لك فلم تكلمها أم
سلمة حتى ماتت^(١).

وربما ردت السيدة عائشة بعض الردع إلا أن بغض الإمام
علي عليه السلام ولحاح ابن أختها المشؤوم عبد الله بن الزبير أثرا عليها
فرجعت إلى رأيها في المسير إلى البصرة للثأر لعثمان بالمدينة.. وقتل
أكثر من عشرين ألف من الأبرياء بحجة الثأر لشخص واحد مجرماً

(١) (تذكرة الخواص: ٣٨)

(٢) (المحاسن والمساوي للبيهقي ج ١ - ص ٢٣١)

وعاصياً برأيها.

٢ . مسيرة الناكثين في مكة المكرمة

وهكذا قرر الناكثون بالإجماع مكرهين بالتوجه للبصرة للطلب بثأر عثمان.. نعم؛ لما تحقق عزم القوم على المسير إلى البصرة وظهر تأهبهم لذلك اجتمع طلحة والزبير وعائشة وخواصهم من قومهم وبطانتهم وقالوا نحب أن نسرع النهضة إلى البصرة فإن بها شيعة عثمان وأنصاره وعامله عبد الله بن عامر وهو قريبه ونسيبه وقد عمل على استمداد الجنود من فارس وبلاد المشرق لمعونته على الطلب بدم عثمان.. وقد كاتبنا معاوية بن أبي سفيان أن ينفذ لنا الجند من الشام فإن أبطأنا عن الخروج خفنا أن يدهمنا علي عليه السلام بمكة أو في بعض الطريق فيمن يرى رأيه في عداوة عثمان خوفاً من أن يفرق كلمتنا وإذا أسرعنا المسير إلى البصرة وأخرجنا عامله منها وقتلنا شيعته بها واستعنا بأمواله منها كنا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب وإن أقام بالمدينة سترنا إليه جنوداً حتى نحصره فيخلع نفسه أو نقتله كما قتل عثمان وإن سار فهو كاليء ونحن جامون وهو على ظاهر البصرة ونحن بها متحصنون فلا يطول الزمان إلا تفل جموعه وإهلاك نفسه وإراحة المسلمين من فتنته (هكذا تقلب الموازين).

وصدق المسعودي لما قال: ولما ورد كتاب معاوية إلى طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، لم يشكا في صدقه بالنصيحة لهما فاجتمعا على خلاف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام..

وأصاب كبد الحقيقة الشيخ القرشي بقوله: وبالفعل قام معاوية

بخديعة طلحة والزبير واتخاذهما سلما يعبر عليه لأهدافه فقد متّاهما بالخلافة عندما ناداهما - كذبا ودجلا ونفاقا - بأمرة (المواطنين)، وزين لهم البيعة لهم بالشام وبقي عليهما العراقيين لينقضا بعدها على القلب فينزعه من صدر المدينة المنورة فخدعا بذلك وذهبا إلى حتفهما بأرجلهما فرحين راضيين بذلك..

وبالفعل ما أجمل ما وصفه به أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول عنه: إن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذره ثم احذره ثم احذره، والسلام^(١).

هذه صورة شبه كاملة إلا أنها مختصرة إلى حد ما قدمناها لكي ندلل على ما ذهبنا إليه من أن الحرب واحدة ولكن المعارك مختلفة.. فالحرب كلها كانت بقيادة معاوية بن أبي سفيان، والتمرد كله هو الذي غذاه، وشجعه، وقواه ليضعف الأخصام ويقوى هو..

هذا عن معركة الجمل التي اعتبرناها معركة الطليعة، وأما معركة النهروان فلا أجدني بحاجة إلى الاستدلال عليها وتوضيح أنها من عواقب معركة صفين ومن نتائج التحكيم الذي أنتج الخوارج كلهم على مدى الأيام والليالي..

فمعركة النهروان كانت جزءا من حرب الاستنزاف التي أعلنها معاوية بعد معركة صفين وحرب الاستنزاف هي حرب واحدة بلا أشكال في مفهوم القتال..

وهنا الدقة في التشخيص المرضي لحروب التأويل التي خاضها أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بمعاركها الثلاث (الجمل،

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤، ٦٨

وصفين، والنهروان) فهي سلسلة من سلاسل النكت بالبيعة، والقسط عن الحق، والخروج من الدين الحنيف؟

٣. من أين التسمية لهذه الحروب؟

علينا التذكير هنا فقط ببعض الروايات التي سمّت أصحاب تلك الحروب بأسمائها صريحة غير موارد ولا تحتاج إلى تأويل أو إمعان نظر زائد..

فإنها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بكل جدارة، وإليك الدليل من كليهما.. فما هو وجه التسمية القرآنية أولاً؟

١.٣. الناكثين..

لفتة لغوية:

جاء في معجم مقاييس اللغة وغيره ما يلي: النون والكاف والشاء أصل صحيح يدلُّ على نقض الشيء.. ونكث العهد ينكثه نكثاً: نقضه نقضاً، ونكث الحبل أو العهد أو اليمين أو البيعة: نبذها؛ وناكثه العهد: ناقضه.

والنكث:

هو نقض أغلاف الأكيسة والأخبية لتغزل ثانية.. والنكيثة: الأمر الجلل، والخطبة الصعبة ينكث فيها قوم ويتخاذلون عن تنفيذها. فالكلمة عربية أصيلة تستخدم بشكل عام بنقض الشيء ونفسه بعد ضبطه واحكامه بالشدُّ والربط أو الجدل والإحكام..

نظرة قرآنية:

ولقد جاءت في كتاب الله الحكيم بنفس المعنى وذات الاستعمال /٧/ سبع مرات بخمس صيغ، بحيث أن (نكث، ينكث، نكثا) مرة واحدة.. وكل من (نكثوا، ينكثون) مرتان لكل منهما..

وبآية سورة النحل المباركة ينهى ربنا عن نقض الأيمان والعهد والبيعة ويضرب لذلك مثلا توضيحيا رائعا بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَالِفُونَ ﴿١٢﴾﴾

قالوا: أن سبب نزول هذه الآيات الشريفة، أن بعضا من الذين بايعوا رسول الله ﷺ أرادوا نقض البيعة خوفا من كثرة المشركين وقتلهم.. فنزلت الآيات تعرّض بهم وتأمّرههم بالوفاء بالعهد والبيعة.. وأعطى للعهد معنى كبيرا بنسبته إلى ذاته القدوسية ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ فاليمين، والعهد، والبيعة بالتعظيم واسم الله كانت عهدا مع الله مباشرة والنكث بها يكون نكثا مع الله تعالى والعياذ بالله..

والمثال: كان يشير إلى امرأة جاهلة عاشت في قريش بالجاهلية تدعى (ريطة) وكان من قصة تلك المرأة أنها كانت وعاملاتها يعملن بالغزل فيغزلن ما لديهن من الصوف والشعر من الصباح حتى منتصف النهار.. وعندما ينتهين من عملهن تأمرهن بقض ما غزلن. فكانت تعرف

(١) (النحل: ٩١-٩٢)

بينهم (بالحمقاء) لأن عملها عين الحمق، وذات الحماقة، وهكذا حال بالنسبة لمن يبرم عهدا أو يمينا أو بيعة مع الله وباسمه الشريف ثم يعمل على نقضه بنفسه (فهو ليس بعابث فقط، وإنما هو دليل على انحطاطه وسقوط شخصيته)^(١)

لأن (أربى) تعني الكثرة والزيادة ومنها الربا المحرم..

و(الدخل) يعني الفساد والتقلب، وهو نوع من النفاق كما هو ظاهر.

فمن يخاف ويتزلزل من أعماقه إذا ما رأى كثرة في صفوف العدو (فهذا يدل على ضعف شخصية الفرد، أو نفاقه، وخيائته حينما يرى كثرة أتباع المخالفين فيترك دينه القويم، وينخرط في المسالك الباطلة التي يتبعها الأكثرية)^(٢)

من هذا المثال النابع من قلب قريش وحياتهم وأمثالهم المضروبة بين الله سبحانه لهم معنى اليمين والعهد والبيعة ووجوب الوفاء بها وعدم نقضها لأن ناقضها يكون (كريطة) الحمقاء وفعلهم كفعلها فعلا ونتيجة..

ويأتينا التوضيح الوافي من سورة التوبة (أو الفاضحة للمنافقين

كما يسمونها) التي جاء بها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَلِيلًا أَيْمَةً الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْلِيلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُكُمْ وَأُولَٰئِكَ مَرَّةً آتَخَشُونَهُمْ فَأَلَلُّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾^(٣)

(١) (الأمثل: ١٥٥/٧)

(٢) (ن م)

(٣) (التوبة: ١٢-١٣)

فالوفاء من شيم المؤمنين، والنكث من شيم الآخرين واللوم على البادئ بالنكث ونقض البيعة والعهد وغيره ولذا فلا حرج من قتال الناكثين بداية بعهدهم.. وكما كان اليهود، والمشركون، والمنافقون يريدون إخراج الرسول الأعظم من المدينة المنورة، جاء رجال قريش ورؤوسها لإخراج أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة ذاتها فلماذا لا يقاتلوا كما أمر ربنا سبحانه وتعالى؟

فمن نكث وناقض يجاهد إلى أن يعود إلى أمر الله أو يحكم الله عليه وهو أحكم الحاكمين ونكاله من الظالمين ليس ببعيد لأنه القوي الشديد..

وبالحقيقة؛ إن حال الناكثين كحال بني إسرائيل تماماً فكانوا يفعلون السبعة وذمتها- كما في المثل- وعندما ينزل عليهم العذاب ويعانون منه الأمرين يلجؤون إلى سيدنا موسى الكليم عليه السلام ليتوسط لهم عند ربه (وليس ربهم كما يظنون) ليرفع عنهم العذاب فيجدد عليهم العهد والمواثيق والبيعة ويحلفون على الوفاء..ولكن ما أن يرفع عنهم العذاب حتى يعودوا إلى أشر ما كان منهم..وهكذا فعل ناكثوا هذه الأمة المرحومة مع إمامهم الأعظم عليه السلام..

وعلى كل حال: الله سبحانه يلخص القضية ويوضح الحكم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يَكْفُرْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)

وهل ترانا نحتاج إلى مزيد من الشرح والتوضيح أو مزيد من التفسير

(١) (الفتح ١٣)

لهذه الآية المباركة التي بينت أن البيعة لها طرفان؛ يد الأول بشرية مبايعة، ولكن الثانية يد إلهية مبايعة.. فليس بالأمر مجال للنقض أو التكت أو عدم الوفاء بها، وإلا فالويل للناكث والناقض لها من عذاب الله لأن الخائن خائن لله تعالى، ومبارك للوفي أجر الله العظيم كما في الآية الشريفة..

٢.٣ . القاسطين..

لفتة لغوية: قسط: القاف والسين والطاء أصل صحيح يدلُّ على معنيين متضادين والبناء واحد.. فالقسط: يعني العدل؛ والقسط: هو الجور.. والقسوط: العدول عن الحق.. أو الجور والعدول عن الحق..

وقسَطَ: جار وعدل عن الحق، وجمعها: قاسطون..

فالقسط يعني العدل وضده الجور والظلم والتعدي على أصحاب الحق الشرعي بدون وجه حق شرعي أو عقلي أو غيره..

نظرة قرآنية: والكلمة عربية وقرآنية فقد وردت بكلا المعنيين المشار إليهما (العدل، والجور) في /٢٥/ خمس وعشرين مرة بستة صيغ أكثرها (القسط) /١٥/ مرة، و(المقسطين) ثلاث مرات، و(تقسطوا، والقاسطون، وأقسط) لكل منها مرتان، و(أقسطوا) مرة واحدة فقط..

وكان أكثر ورودها بالمعنى الأول (العدل)، ومرتان فقط في سورة الجن المباركة بالمعنى الثاني بقوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١١﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(١)

(١) (الجن: ١٤-١٥)

وكما ترى أن القاسطون كانوا مقابل المسلمون، وبما أن المسلمون للجنة أهل وسكان - وجعلنا الله منهم - ، فالقاسطون لجهنم خطبا - أبارك الله منهم - وأبعدنا الله جميعا من المسلمين المخلصين لله في عقائدنا وثبتنا بالقول الثابت بالولاية المطلقة لله تعالى ، ولأولياء الله الذين عيّنهم ، ونصّبهم أئمة للناس في هذه الدنيا..

والقاسطون من هذه الأمة هم كل من حاد عن أمير المؤمنين عليه السلام وساعد معاوية بن أبي سفيان بشكل أو طريقة من الأشكال المعادية للحق وأهله وبأي نوع من أنواع الحرب السابقة..

وهم لجهنم خطبا بلا نزاع أجده بين علماء هذه الأمة عدا عن بعض سفهائها الذين تربوا على السحت أو جاؤوا من ماء آسن مجهول المالك - والعياذ بالله - وهم النواصب الذين يبغضون أمير النحل عليه السلام بالطينة الآجنة، والطبيعة النتنة ولا كلام لنا معهم لوضوح نتيجتهم في الدنيا والآخرة، والحرام النار أولى به عاجلا وآجلا..

فمعاوية بن هند، وصاحبه عمرو بن النابغة ليسوا من الدين في شيء فهم قد خرجوا بالدليل قرآنا وسنة، لأنهم ملعونين على لسان الوحي في القرآن الحكيم، وعلى لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالسنة المطهرة والأحاديث أكثر من أن تحصى في ذلك..

وإن لم يكن ذلك كله فإن أفعالهم الفاسقة والمنافقة تدل دلالة واضحة على مكانتهم في الدين الحنيف الذي يبرأ منهم ومن أعمالهم

الشيعة من حرب رسول الله ﷺ وقتل ذريته جميعا، وتدميرهم البيت الحرام وقصفه بالمنجنيق، واستباحتهم المدينة المنورة ثلاثا، وسفك الآلاف من الدماء الطاهرة الزكية التي تضح وتعج إلى الله شاكية ظلمهم الفظيعة في هذه الأمة..

وبالحقيقة اجتمع لديهم النص الذي يخرجهم من الدين ويلعنهم بالتعيين، والأعمال الفاسقة المخرجة لهم من الإسلام أصلا وفصلا فسيدهم معاوية (لم يمت على الملة الإسلامية، بل لم يمت إلا ويلبس الصليب في عنقه) كما في الروايات التي سلمت من مقصلته الفظيعة التي كانت تقطع كل رواية تذكر أهله بسوء، أو إعدام كل رواية تذكر أعداءه أهل البيت النبوي الشريف بالخير فالسيف بتار والتقطيع شغال على قدم وساق فلم يسلم إلا مثل همل النعم، ولكن بها كفاية لمن أراد الحق الصريح، والدين الصحيح..

٣.٣. المارقين..

لفتة لغوية: مرق: الميم والراء والقاف أصل صحيح يدل على خروج شيء من شيء، والمروق: الخروج من الشيء، ومرق السهم من الرمية مروقا؛ نفذ منها واخرقها، أي خرج من الجانب الآخر في سرعة.. والمارق من الدين: الخارج منه؛ ومنه سمي الخوارج: بالمارقة لأنها نفذت من الدين دخلت من جهة وخرجت من الجهة الأخرى بسرعة الطلقة النارية فقتلت ثم ذهبت..

نظرة قرآنية: لم ترد هذه الكلمة بالكتاب العزيز ولكنها وردت بنصوص كثيرة من السنة النبوية المطهرة، ورسول الله ﷺ هو الذي

وصفهم بالمروق من الدين والخروج منه طوعا ومع سبق الإصرار والترصد مع شدة الكفر وبلاهة التفكير كما ستعلم..

وبعد هذه الكلمات الضرورية لمعرفة المعاني وكشف المباني الكلية لهذه الألفاظ التي أطلقت على تلك الجماعات الضالة عن جادة الحق والزائغة عن سبيل الهدى التائهة في ظلمات الجهل المركب لدى القادة، والجهل الواضح لدى البسطاء من العامة..

وهنا نستعرض بعض الروايات الشريفة عن الرسول الأعظم ﷺ ووصيه أمير وقائد جبهة الحق الحقيقي.. فقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في أثناء خطبة خطبها حاكيا عن رسول الله ﷺ قوله: يا علي انك باق بعدي، ومبتلى بأمتي ومخاصم بين يدي الله، فأعدد للخصومة جوابا..

فقلت: بأبي وأمي أنت بين لي ما هذه الفتنة التي ابتلى بها؟ وعلى ما أجاهد بعدك؟

فقال: لي انك ستقاتل بعدي الناكثة، والقاسطة، والمارقة، وحلاهم (وصفهم) وسماهم رجلا، رجلا، وتجاهد من أمتي كل من خالف القرآن وسنتي، ممن يعمل في الدين بالرأي، ولا رأي في الدين إنما هو أمر الرب ونهيه..

فقلت: يا رسول الله فأرشدني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة..

فقال: نعم. إذا كان ذلك كذلك فاقصر على الهدى، إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى، وعطفوا القرآن على الرأي، فتأولوه برأيهم بتتبع الحجج من القرآن لمشتبهات الأشياء الطارئة عند الطمأنينة إلى الدنيا، فاعطف أنت الرأي على القرآن، وإذا قومك حرّفوا الكلم عن مواضعه عند الأهوال الساهية، والأمراء الطامحة، والقادة الناكثة، والفرقة القاسطة، والأخرى

ألمارقة أهل الإفك المردي والهوى المطغي، والشبهة الخالفة، فلا تنكلن عن فضل العاقبة، فان العاقبة للمتقين^(١).

عن المبارك بن فضالة عن رجل ذكره قال أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام بعد الجمل، فقال: يا أمير المؤمنين رأيت في هذه الواقعة أمرا هالني من روح قد بانت وجثة قد زالت، ونفس قد فاتت، لا أعرف فيهم مشركا بالله تعالى، فالله الله مما يجعلني من هذا إن يك شرا فهذا نتلقى بالتوبة، وإن يك خيرا ازددنا منه اخبرني عن أمرك هذا الذي أنت عليه، أفتنة عرضت لك فأنت تنفع الناس بسيفك أم شيء خصك به رسول الله؟.

فقال عليه السلام: إذن أخبرك، إذن أنبئك، إذن أحدثك، إن ناسا من المشركين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسلموا، ثم قالوا لأبي بكر: استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نأتي قومنا فنأخذ أموالنا ثم نرجع.

فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذن لهم، فقال، عمر: يا رسول الله أنرجع من الإسلام إلى الكفر؟

فقال: وما علمك يا عمر ان ينطلقوا فيأتوا بمثلهم معهم من قومهم، ثم إنهم أتوا أبا بكر في العام المقبل فسألوه أن يستأذن لهم على النبي فاستأذن لهم، وعنده عمر فقال: مثل قوله فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: والله ما أراكم تنتهون حتى يبعث الله عليكم رجلا من قريش يدعوكم إلى الله فتختلفون عنه اختلاف الغنم الشرود..

فقال له أبو بكر: فذاك أبي وأمي يا رسول الله أنا هو؟ قال: لا. قال عمر: فمن هو يا رسول الله؟ فأومى إلي وأنا أخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) الاحتجاج للطبرسي ص ٤٦٤

وقال: «هو خاصف النعل عندكما، ابن عمي، وأخي، وصاحبي، ومبرئ ذمتي، والمؤدي عني ديني، وعداتي، والمبلغ عني رسالاتي، ومعلم الناس من بعدي، ومبينهم من تأويل القرآن ما لا يعلمون»

فقال الرجل: اكتفي منك بهذا يا أمير المؤمنين ما بقيت. فكان ذلك الرجل أشد أصحاب علي عليه السلام فيما بعد علي من خالفه^(١).

ولما اتصل به مسير عايشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة حمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد سارت عايشة وطلحة والزبير كل واحد منهما يدعى الخلافة دون صاحبه، لا يدعى طلحة الخلافة الا انه ابن عم عايشة، ولا يدعيها الزبير الا انه صهر أبيها، والله لئن ظفرا بما يريدان ليضربن الزبير عنق طلحة أو ليضربن طلحة عنق الزبير، ينازع هذا على ملك هذا، وقد والله علمت انها الراكبة الجمل لا تحل عقدة ولا تسير عقبة ولا تنزل منزلا إلا إلى معصية الله حتى توردها نفسها ومن معها موردا يقتل ثلثهم، ويهرب ثلثهم، ويرجع ثلثهم، والله ان طلحة والزبير ليعلمان انهما مخطيان وما يجهلان، ولرب عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه والله لتنبحنها كلاب الحوآب، فهل يعتبر معتبر أو يتفكر متفكر، لقد قامت الفئة الباغية فأين المحسنون؟

حدثني زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فما كنت لأترك شيئاً مما أمرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله.^(٢)

وبرواية أخرى حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام انه أتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين أكفر أهل الجمل وصفين وأهل

(١) الاحتجاج للطبرسي ص ٣٩٩

(٢) مسند زيد بن علي ص ٤١٠

النهر وان؟ قال: لا، هم إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم حتى يفيئوا إلى أمر الله عز وجل.

ومن ذلك الرواية المستفيضة عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام: (تقاتل يا علي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله)^(١).

وقوله لسهيل بن عمرو ومن حضر معه لخطابه على رد من أسلم من مواليهم (لتنهين يا معشر قريش لبيعث الله عليكم رجلا يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله) فقال له بعض أصحابه من هو يا رسول الله؟ أهو أبو بكر؟

قال: لا.. قال: أهو عمر؟

قال: لا؛ ولكنه خاصف النعل في الحجرة.. فنظروا فإذا به علي عليه السلام في الحجرة يخصف نعل النبي..

وقوله ﷺ لعلي عليه السلام: (تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين) والقول في هذه الرواية كالأخبار التي تقدمت، قد سلمت من طاعن في سندها بحجة ومن قيام دليل على بطلان ثبوتها وسلم لروايتها الفريقان فدل على صحتها.

وقوله ﷺ: سيكون بعدي قوم يقاتلون عليا على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك شيء.^(٢)

ومما يؤكد الحق العلوي بالقيادة والأمانة والإمامة العامة، قوله ﷺ:

(١) (مسند أحمد بن حنبل (ج ٣ ص ٣٣)

(٢) (أخرجه الطبراني كما في (مجمع الزوائد) ٩ ص ١٣٤، و(كنز العمال) ٦ ص ١٥٥، وفي ج

٧ ص ٣٠٥ نقلا عن الطبراني وابن مردويه وأبي نعيم)

(علي مع الحق والحق مع علي) (١)

وقوله ﷺ: (اللهم أدر الحق مع علي حيث ما دار) (٢).

وقوله ﷺ له: علي مع القرآن، والقرآن مع علي يدور معه كيفما دار.. أو أدره معه حيثما دار..

وهذه أيضا أخبار قد رواها محدثوا العامة وأثبتوها في الصحاح عندهم ولم يعترض أحدهم لتعليل سندها، ولا أقدم منهم مقدم علي تكذيب ناقلها ولا توجد حجة في العقل ولا السمع على فسادها فوجب الاعتقاد بصحتها وصوابها وأنها صادرة من رسول الله ﷺ حتما فاللازم العمل بها بعد الاعتقاد لأنه لا عذر لتارك العمل بها.

ومما يؤيد ذلك قوله ﷺ: (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) وهذا في الرواية أشهر من أن يحتاج معه إلى جمع السند له وهو أيضا مسلم عند نقلة الأخبار.. وقوله ﷺ: (قاتل الله من قاتلك وعادى الله من عاداك) والخبر بذلك مشهور وعند أهل الرواية معروف مذكور.

ومن ذلك قوله ﷺ: (من آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله..)، فحكم أن الأذى له أذى الله والأذى لله جل اسمه ضلال مخرج عن الإيمان، بتقرير من الله بما قاله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٣)

(١) (تاريخ بغداد (ج ١٤ ص ٣٢١)، ومستدرك الحاكم (ج ٣ ص ١١٩)

(٢) (مستدرك الحاكم النيسابوري (ج ٣ ص ١٢٤)

(٣) (الأحزاب: ٥٧)

بعض الآراء. بقتال البغاة

اختلفت الأمة كثيرا بالقول والحكم
في أصحاب الجمل والفتنة التي أحدثوها
في الأمة الإسلامية، واختلفت تبعا لذلك
الآراء الفقهية وأحكام القتال فيها ولسنا
بحاجة للإطالة لأنها من مختصات الفقه
ولكن سنعرض لبعض أقوال العلماء
والفرق المختلفة:

١. الشيعة والمباشرون للقتال فيها

قال شيخنا المفيد رَحِمَهُ اللهُ: واجتمع رأي الشيعة وأجمعوا على الحكم
بكفر محاربي أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ولكنهم لم
يخرجوهم بذلك عن حكم ملة الإسلام؛ إذ كان كفرهم من طريق التأويل

كفر ملة ولم يكفروا كفر ردة عن الشرع مع إقامتهم على الجملة منه وإظهار الشهادتين والاعتصام بذلك عن كفر الردة المخرج عن الإسلام وإن كانوا بكفرهم خارجين عن الإيمان مستحقين اللعنة والخلود بالنار حسبما جاء بكتب الشريعة، وهذا رأي أمير المؤمنين عليه السلام بالحقيقة الذي تقدم وهو قوله لمن سأله عن ذلك.. قيل أنه جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين أكفر أهل الجمل، وصفين، وأهل النهروان؟

قال: لا، هم إخواننا بغوا علينا، فقاتلناهم حتى يفيثوا إلى أمر الله بِزُجْرِكَ. وهو الجواب النابع من الآية الشريفة ﴿وَأِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١)

فنزلهم أمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة البغاة من المسلمين فالواجب يقضي بأن نقف بوجوههم ولو بالسيف والقتال لردهم إلى جادة الحق والصواب والإسلام..

فأرى العاملين في هذه الفتنة فقد أنبأنا عملهم فيها عن اعتقادهم بها، ودلت ظواهرهم في ذلك على بواطنهم فيه، إذ أن أهل العلم يعتقدون بأن أمير المؤمنين عليه السلام وولده وأهله من بني هاشم وأتباعه من المهاجرين والأنصار وغيرهم من المؤمنين لم يسلكوا فيما باشروه من الحرب، وسعوا فيه من القتل، واستباحة الدماء طريق المجرمين من أهل الفساد - والعياذ بالله - ، ولم يكونوا طالبين به الدنيا العاجلة، وتاركين به ثواب الآخرة، بل كان ظاهرهم في ذلك، والمعلوم من حالهم، وقصدتهم الاعتقاد والتدين والقربة إلى الله تعالى بعملهم وقتالهم كان في سبيل الله، والجد والاجتهاد فيه وأن تركه والإعراض عنه

(١) (الحجرات: ٩)

هو موبق من الأعمال والتقصير فيه موجب لاستحقاق العقاب.

ألا ترى إلى ما اشتهر من قول أمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن قتاله للقوم: (لم أجد إلا قتالهم أو الكفر بما أنزل الله على محمد).

وقول عمار بن ياسر رضي الله عنه: أيها الناس والله ما أسلموا ولكنهم استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا له أعوانا أظهروه^(١)

إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان صريحا بالحكم على محاربيه ووسمهم بالغدر والنكث، وأخيرا أن النبي صلى الله عليه وآله أمره بقتالهم، كما في الأحاديث السابقة، وفرض عليه جهادهم ولم يحفظ عن محاربيه جميعا أي شيء فيه ولا سمة له بمثل ذلك وإن كان معلوما من ظاهر رأيهم التخطئة له وبذل الجهد في قتاله، وإن كانت فلتات لسانهم ينبئ عن عقيدتهم بأحقية الإمام علي عليه السلام وإمامته الشرعية وولايتهم عليه، وأما الحكم عليه في بقائه على الأمر والامتناع من رده الحكم شورى بينهم، وتسليمه قتلة عثمان إليهم - كما كانوا يدعون رغم يقينهم بأن دم عثمان عندهم - بالزلل عن الحق الواجب عندهم والصواب كما كانوا يريدون أو يرغبون.. فالحق نابع من رغباتهم لا من دينهم..

وهذا رأي كثير من الصحابة الأجلاء، ومنهم من قال بأنه مأمور من رسول الله صلى الله عليه وآله بقتالهم كأبي أيوب الأنصاري الذي نقل عنه أكثر من موقف في ذلك..منها ما كان في وقت مبكر من خلافة عمر بن الخطاب فقال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين مع علي بن أبي طالب..^(٢)

(١) (صفين ص ٢٤٣)

(٢) (البداية والنهاية: ٣٠٧/٧)

وفي المعجم الكبير قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري وهو يعلف خيلا له بضعنبي (قرية باليمامة) فقلنا عنده (أخذنا قيلولاً) فقلت له: أبا أيوب، قاتلت المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟ قال: إن رسول الله ﷺ أمرني بقتال ثلاثة: الناكثين، والقاسطين، والمارقين.. فقد قاتلت الناكثين، وقاتلت القاسطين، وأنا مقاتل - إن شاء الله - المارقين بالشفعات بالطرقات بالنهروانات وما أدري ما هم؟^(١)

والرواية بتاريخ بغداد أجمل وأشمل وأوضح: عن علقمة والأسود قالوا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله؟

فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي؛ بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين..

فأما الناكثون؛ فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير.. وأما القاسطون؛ فهذا منصرفنا من عندهم - يعني معاوية وعمرا - وأما المارقون؛ فهم أهل الطرفاوات، وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات.. والله ما أدري أين هم، ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله، ثم قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: (يا عمار تقتلك الفئة الباغية) وأنت مذ ذاك مع الحق والحق معك.. يا عمار بن ياسر: إن رأيت علياً سلك وادياً وسلك الناس غيره فاسلك مع علي فإنه لن يدريك في ردي ولن يخرجك من هدى.. يا عمار: من تقلد سيفاً أعان به علياً على

(١) (المعجم الكبير، ١٧٢/٤، البداية والنهاية: ٣٠٧/٧)

عدوه قلده الله يوم القيمة وشاحين من در، ومن تقلد سيفا أعان به عدو
علي عليه السلام عليه قلده الله يوم القيمة وشاحين من نار..

فقلنا: يا هذا: حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله....^(١)

وهذا رأي أبو سعيد الخدري يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال
الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا: يا رسول الله، أمرتنا بقتال هؤلاء
فمع من؟

قال صلى الله عليه وآله: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمار بن ياسر^(٢)..

وهذا رأي حذيفة بن اليمان، ففي حديث طويل عن الفتن يسألوه: يا
أبا عبد الله فكيف نصنع إن أدركنا ذلك الزمان؟

قال: انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي عليه السلام فالزموها فإنها على
الهدى..^(٣)

وأما عمار بن ياسر فقال لعمر بن العاص: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن
أقاتل الناكثين، وقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين، فأنتم هم، وأما
المارقون فما أدري أدركهم أم لا؟^(٤)

ونختم برأي أم سلمة سلام الله عليها، عن شهر بن حوشب
كنت عند أم سلمة فسلم رجل فقيل من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى
أبي ذر..

فقالت: مرحبا بأبي ثابت، ادخل فدخلت فرحبت به، ثم قالت: أين

(١) (تاريخ بغداد: ١٣ / ١٨٦، البداية والنهاية: ٣٠٧/٧)

(٢) (البداية والنهاية: ٣٠٦/٧، أسد الغابة: ١٠٨/٤)

(٣) (فتح الباري: ٥٥/١٣، مجمع الزوائد: ٤٧٧/٧)

(٤) (شرح النهج: ٢١/٨، عن صفين: ٣٢٨)

طار قلبك حين طارت القلوب مطايرها؟

قال: مع علي بن أبي طالب عليه السلام..

قالت: وفقت، والذي نفس أم سلمة بيده لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض..

ولقد بعثت ابني عمر وابن أخي عبد الله - أبي أمية - وأمرتهما أن

يقاتلا مع علي عليه السلام من قاتله، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنا أن نقر في

حجالنا (بيت كالقبة يستر بالثياب للنساء) أو في بيوتنا، لخرجت حتى

أقف في صفِّ عليَّ. ^(١)

٢. رأي أئمة السنة:

كان ما تقدم من آراء الصحابة الكبار، ونلتفت إلى أئمة الفقه

ورأيهم في قتال رؤوس قريش لأمر المؤمنين عليهم السلام.. فهذا الإمام الأعظم

أبو حنيفة يقول: ما قاتل أحد علي عليه السلام ليرده إلى الحق إلا وكان علي

أولى بالحق منه، ولولاه ما علم أحد كيف السيرة في قتال المسلمين.

وقال: لا شك أن طلحة والزبير قاتلا عليا بعدما بايعاه وحالفاه..

وقال لمن سأله عن حرب الجمل: سار علي فيه بالعدل، وهو الذي

علم المسلمين قتال أهل البغي ^(٢).

وجاء في فيض القدير عن عبد القاهر الجرجاني: أجمع فقهاء

الحجاز والعراق من فريقَي الحديث والرأي، منهم: مالك، والشافعي،

وأبو حنيفة، والأوزاعي، والجمهور الأعظم من المتكلمين والمسلمين:

(١) (مناقب الخوارزمي: ١٧٦، البحار: ٣٨/٣٥، كشف الغمة: ١٤٨/١)

(٢) (مناقب أبي حنيفة: ٢/٣٤٤ وبعدها)

أن عليا مصيب في قتاله لأهل صفين، كما هو مصيب في أهل الجمل، وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، لكن لا يكفرون ببغيهم^(١).

وقال محمد بن اسحق بن خزيمة الفقيه الحافظ: كل من نازع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في إمارته؛ فهو باغ، على هذا عهدت مشايخنا، وبه قال ابن ادريس الشافعي^(٢).

قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي في الفرق بين الفرق: في بيان الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة: قالوا بإمامة علي في وقته، وقالوا بتصويب علي في حروبه بالبصرة، وبصفين، وبنهروان^(٣)..

وذكر أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي في (أحكام القرآن) أن علياً عليه السلام كان إماماً لأنهم اجتمعوا عليه ولم يمكنه ترك الناس لأنه كان أحق الناس بالبيعة فقبلها حوطة على الأمة وأن لا تسفك دماءها بالتهارج ويتخرق الأمر وربما تغير الدين وانقض عمود الإسلام وطلب أهل الشام منه التمكين من قتلة عثمان فقال لهم علي عليه السلام: ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه وكان علي عليه السلام أسدهم رأياً وأصوب قولاً لأنه لو تعاطا القود لتعصبت لهم قبائلهم فتكون حرباً ثالثة فانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة العامة ثم ينظر في مجلس الحكم ويجري القضاء ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة.

وحينئذ فكل من خرج على علي عليه السلام باغ وقتال الباغي واجب

(١) (فيض القدير ٣٦٦/٦، التذكرة للقرطبي: ٤٢٢/٢)

(٢) (الإعتقاد والهداية: ٢٤٨)

(٣) (الفرق بين الفرق: ٣٠٩)

حتى يفيء إلى الحق وينقاد إلى الصلح، وأن قتاله - لأهل الشام الذين أبوا الدخول في البيعة، وأهل الجمل، والنهروان الذين خلعوا بيعته - حق وكان حق الجميع أن يصلوا إليه ويجلسوا بين يديه ويظالبوه بما رأوا فلما تركوا ذلك بأجمعهم صاروا بغاة فتناولهم قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَئِي تَبَغَى حَتَّى قَتَىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾.

ولقد عتب معاوية على سعد بن أبي وقاص بعدم مشاركته له فقال سعد رادا عليه: لقد ندمت على تأخري عن قتال الفئة الباغية يعني بها معاوية ومن تابعه^(١).

وفي أحكام القرآن للجصاص: أن عليا كان محقا في قتاله الفئة الباغية لم يخالف فيه أحد^(٢).

وفي (روح المعاني) للآلوسي عن الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عمر أنه قال: ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت في نفسي من هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَئِي تَبَغَى﴾ حيث إنني لم أقاتل الفئة الباغية - يعني معاوية ومن معه من الباغين على علي عليه السلام، ولم يتعقبه الآلوسي بشيء، ثم ذكر الآلوسي عن بعض الحنابلة التصريح بوجوب قتال الباغين احتجاجا بأن عليا عليه السلام اشتغل في زمان خلافته بقتال الباغين دون الجهاد فهو إذا أفضل من الجهاد^(٣).

وبحديث عمار بن ياسر (رضوان الله عليه) كثيرة هي الأقوال.. عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما حفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين، لبنتين قال أبو سعيد فحدثني أصحابي أن

(١) (أحكام القرآن) ج ٢ - ص ٢٢٤

(٢) (أحكام القرآن للجصاص: ج ٣ ص ٤٩٢)

(٣) (روح المعاني: ج ٢٦ ص ١٥١)

رسول الله ﷺ كان ينفض التراب عن رأسه ويقول: «ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية»

وقد قال الحافظ ابن حجر معلقا عليه: ثبت أن أهل (الجمل وصفين والنهروان) بغاة ويدل عليه حديث علي: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. الذي رواه النسائي في الخصائص، والبخاري، والطبراني..

والناكثين: أهل الجمل لأنهم نكثوا بيعته..

والقاسطين: أهل الشام لأنهم جاروا عن الحق في عدم مبايعته. والمارقين: أهل النهروان لثبوت الخبر الصحيح فيهم: أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.. وثبت في أهل الشام حديث عمار: «تقتلك الفئة الباغية» وأن عليا قاتل أصحاب الجمل وأهل الشام والنهروان ولم يتبع بعد الاستيلاء ما أخذوه من الحقوق وهذا معروف في التواريخ الثابتة وقد استوفاه أبو جعفر بن جرير الطبري وغيره^(١)..

والحافظ ابن حجر العسقلاني يقول: روى حديث «تقتل عمارا الفئة الباغية» جماعة من الصحابة، منهم قتادة بن النعمان كما تقدم وأم سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان وحذيفة وأبو أيوب وأبو رافع وخزيمة بن ثابت ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو اليسر، وعمار نفسه، وكلها عند الطبراني وغيره وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عددهم. وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلي ولعمار ورد على النواصب الزاعمين أن عليا لم يكن مصيبا في حروبه وفي رواية ابن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا

(١) (٤/ ٤٤، منحة المعبود: ٢/ ١٥٢)

اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق»^(١)

وقال الحافظ ابن كثير: ومعلوم أن عمارا كان في جيش علي عليه السلام يوم صفين وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله رجل يقال له أبو الغادية وقيل إنه صحابي وفي رواية: وقاتله في النار لا أناله الله شفاعتي يوم القيامة»

وفي رواية خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار شيء فانطلق عمار يشكوا خالدًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل لا يزيدُه إلا غلطا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فبكى عمار وقال: يا رسول الله ألا تراه؟ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: «من أبغض عمارا أبغضه الله ومن عادى عمارا عاداه الله» وفيه دليل على أن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - كان على الحق في خلافه مع معاوية وأن معاوية كان على الخطأ ويدل عليه حديث أم سلمة عليها السلام تقول: علي على الحق فمن اتبعه اتبع الحق ومن تركه ترك الحق عهد معهود قبل موته.^(٢)

وفي رواية أبي ذر قال: دخلت على أم سلمة فرأيتها وتذكر عليا وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة».^(٣)

وقال ابن همام الحنفي: كان علي - كرم الله وجهه - على الحق في قتال الجمل، وقاتل معاوية بصفين، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمار: «نقتلك الفئة الباغية» وقد قتله أصحاب معاوية صريح بأنهم بغاة..

(١) «ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» (١/ ٥٤٣)

(٢) (٢٣/ ٣٩٥، والهيثمى في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٥)

(٣) (أخرجه الخطيب: ١٤/ ٣٢١) (أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»

وقال في كتاب أدب القاضي: كان الحق بيد علي عليه السلام في نوبته (أمارته) فالدليل عليه قول النبي ﷺ لعمار: تقتلك الفئة الباغية «ولا خلاف إنه كان مع علي وقتله أصحاب معاوية، ثم قال: أجمعوا أن عليا كان مصيبا في قتال أهل الجمل وأهل صفين.

وقال الحافظ ابن كثير: وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية وبان بذلك أن عليا محق وأن معاوية باغ وفي رواية عبد الله بن سلمة عند أحمد وعنه ابن كثير في «تاريخه» يقول: رأيت عمارا يوم صفين شيخا كبيرا آدم طوالا أخذ الحربة بيده ويده ترعد (أي ترجف) فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أنا مصلحين على الحق وأنهم على الضلالة..^(١)

وفي رواية يعقوب بن راقط قال: اختصم رجلان في سلب عمار وفي قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص ليتحاكما إليه، فقال لهما، ويحكما أخرجنا عني، فإن رسول الله ﷺ قال: «ولعبت قريش بعمار: ما لهم ولعمار؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار قاتله وسالبه في النار، قال: فبلغني أن معاوية قال: إنما قتله من أخرجته يخدع بذلك أهل الشام.

وفي رواية ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق» وفي رواية سالم بن أبي الجعد قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال: إن الله قد أمننا أن يظلمنا ولم

(١) ابن كثير في تاريخه (٧/ ٢٧٨)

يؤمننا أن يفتننا، رأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع؟ قال: عليك بكتاب الله، قلت: رأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق»^(١).

والجويني إمام الحرميين يقول: علي عليه السلام كان إماما حقا في توليته، ومقاتلوه بغاة..^(٢)

والنووي بشرحه لصحيح مسلم يقول: وكان علي عليه السلام هو المصحق المصيب في تلك الحروب، هذا مذهب أهل السنة.^(٣)

وقال شارح البخاري في حديث: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار» المتفق عليه واللفظ للبخاري وأخرجه في صحيحه قوله: (يدعوهم إلى الجنة) والمراد بالدعاء إلى الجنة أو إلى الله: أي إلى سببها وهو طاعة الإمام وكان الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك هو أمير المؤمنين علي عليه السلام وكان معاوية يدعوهم إلى جهنم..^(٤)

وفي «الفتح الرباني» قال ابن حجر المكي في قوله عليه السلام في عمار: أنه يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، وبالضرورة إن الذين دعاهم عمار إلى ذلك هم فئة معاوية فحكمه عليه السلام بأنهم يدعونه إلى النار صريح في أنهم على الضلال ولو صح الحديث ولم يكن تأويله.

أقول، وفي هذا الحديث إشارة جلية بل فيه نص صريح على أن معاوية وأتباعه أئمة النار كما قال الله عز وجل: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ»

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٩٥)

(٢) (تذكرة القرطبي: ٤٢٣/٢)

(٣) (ش مسلم: ٢٢٨/١٨)

(٤) (١/ ٣٩٤) الجزء ١١ باب مسح الغبار من كتاب الجهاد.. (٢٢/ ٢٣١)

ويدل عليه أيضا رواية عمرو بن الحمق الخزاعي قال: بعث رسول الله ﷺ سرية فقالوا: يا رسول الله: إنك تبعثنا ولا لنا زاد ولا لنا طعام ولا علم لنا بالطريق فقال: «إنكم ستمرون برجل صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب ويدلكم على الطريق وهو من أهل الجنة..»

فلم يزل القوم على جمل جعل يشير بعضهم إلى بعض.. ثم هاجرت إلى رسول الله ﷺ فبينما أنا عنده ذات يوم فقال لي: يا عمرو هل لك أن أريك آية الجنة تأكل الطعام وتشرب الشراب وتمشي في الأسواق؟

قلت: بلى بأبي أنت

قال: «هذا وقومه أشار بيده إلى علي بن أبي طالب» وقال لي: يا عمرو هل لك أن أريك آية النار، تأكل الطعام وتشرب الشراب وتمشي في الأسواق؟

قلت: بلى بأبي أنت

قال: «هذا وقومه آية النار، وأشار إلى رجل، فلما وقعت الفتنة ذكرت قول رسول الله ﷺ ففررت من آية النار إلى آية الجنة وترى بني أمية قاتلي بعد هذا، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: والله إن كنت في حجر في جوف حجر لاستخرجني بنو أمية حتى يقتلونني، حدثني به حبيبي رسول الله، إن رأسي أول رأس تحيز في الإسلام وينقل من بلد إلى بلد^(١)..»

ويحق لنا أن نسأل: من هو الرجل آية النار؟ ألا يمكن أن نستفيد من آخر الرواية بأنه رأس بني أمية الذين أخبره رسول الله ﷺ بأنهم قاتلوه، وأن رأسه أول رأس يهدى بالإسلام؟ وبالفعل فإن هذا هو الذي جرى تماما حيث قتلوه وداروا برأسه بالبلاد حتى أهدوه إلى زوجته

(١) (رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤٠٦))

الصابرة بعد طول الفراق فقالت مقولتها الشهيرة: أخذتموه مني حيا وأعدتم إليّ رأسه ميتا فأهلا وسهلا..

وحتى رأس خوارج القرون المتأخرة الضال المضل أحمد بن تيمية يقول بعد خبر عمار والفئة الباغية: وهذا يدل على صحّة إمامة علي ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار - وإن كان متأولا - وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي عليه السلام..

وعلى هذا فمقاتله مخطئ وإن كان متأولا، أو باغ بلا تأويل - وهو أصح القولين لأصحابنا - وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليا، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين^(١)..

نعم هذه آراء إخواننا أهل السنة من علمائهم الأعلام الذين عرفوا الحق الصراح فلهجوا بشعاع منه، ولكن الملفت هنا أنهم يشبتون بغبي المعادي لأمير المؤمنين عليه السلام من حديث عمار، فكيف يغضون الطرف عن آلاف الأحاديث جاءت بفضل وفضائل الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة المتواترة أو المتفق عليها؟

فولاية أمير المؤمنين عليه السلام ثابتة بنص القرآن الحكيم، وروايات السنة تكاد لا تحصى فيه فكيف نثبت الأصل بإثبات الفرع، أو نتجاهل الأصل العظيم فأكبر فضيلة لعمار بن ياسر كانت التزامه بإمامه علي عليه السلام كما أوصاه وأمره نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم؟

ففضل عمار كان بالتزامه الحق، والحق مع علي عليه السلام يدور معه، والقرآن معه، والدين معه، والفضيلة معه، والقيم معه ولذا فإنه عندما

(١) (مجموع فتاوي ابن تيمية: ٤/٤٣٧)

ثبت معه ثبت على كل ذلك، فهو فرع لا أصل والأصل هناك عند أميره وإمامه وقائده علي بن أبي طالب عليه السلام...

٣. رأي الحشوية من السنة:

إلا أن هناك رأي آخر ممن لا يعتد به اليوم، كراي بعض العلماء من الحشوية المنتسبة إلى السنة على ما زعموا في ذلك أقاويل مشهورة وذهبوا مذاهب ظهرت عنهم مذكورة. فمنهم طائفة اتبعت رأي سعد بن أبي وقاص وشركائه المعتزلة عن الفريقين ومذهبهم في إنكار القتال وحكموا بالخطأ على أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام. ومحمد بن علي وابن عباس وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي أيوب الأنصاري وأبي الهيثم بن التيهان وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة وأمثالهم من وجوه المهاجرين ونقباء الأنصار.

وبنفس الوقت حكموا على عائشة وطلحة والزبير وجميع من اتبعهم في الحرب واستحل معهم القتال، وشهدوا عليهم جميعا فيما صنعوه بالزلل عن الصواب، ووقفوا فيهم مع ذلك ولم يقطعوا لهم بعقاب، ورجوا لهم الرحمة والغفران، وكان الرجاء لهم في ذلك أقوى عندهم من الخوف عليهم من العقاب.

وقالت فرقة منهم أخرى بتخطئة الجميع كما قالت الأولى منهم في ذلك وقطعوا على أن أمير المؤمنين والحسن والحسين وابن عباس وعمار بن ياسر وخزيمة ذي الشهادتين إن كانوا قد زلوا بالقتال وسفك الدماء فإنه مغفور لهم ذلك، لما قدموا من عظيم طاعتهم لله تعالى وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحبتهم له، مواساتهم إياه. وكذلك قولهم في عائشة، وطلحة والزبير ومن شركهم في القتال ممن له صحبة وسالف جهاد...

وأما مَنْ سوى الصحابة بين الفريقين منهم بقتالهم واستحلالهم الدماء فمن أهل النار، وحكوا عن بعض مشيختهم وأئمتهم في الدين إنه كان يقول: نجت القادة وهلك الأتباع، وفرقوا بين الصحابي في ذلك وغيره بحديث رووه عن النبي ﷺ أنه قال لبعض المسلمين ممن أدركه ولم يكن له صحبته وقد سأمى رجلا من الصحابة: إياكم وأصحابي لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدى أحدهم ولا نصفه..

وقالت فرقة أخرى منهم (وهذا من أغرب الأقوال لأنه ينهى عن التفكير أو مجرد السماع، والنطق بحرف واحد عن الصحابة): لا ينبغي لأحد أن يخوض في ذكر الصحابة وما جرى بينهم من تنازع واختلاف وتباين وقتال ولا يتعرض بالنظر في ذلك ولا الفكر فيه ويعرض عنه جانبا، وأن استطاع أن لا يسمع شيئا من الأخبار الواردة به فليفعل، فإنه إن خالف هذه الوصية وأصغى إلى الخبر باختلاف الصحابة أو تكلم بحرف واحد، وتبرع بالحكم عليهم بشيء يشين المسلم فقد أبدع في الدين، وخالف الشرع، وعدل عن قول النبي ولم يحذر مما حذره منه بقوله ﷺ: إياكم وما سيجري بين الصحابة.

وزعموا أن الرواية بذكر أخبار السقيفة، ومقتل عثمان والجمل وصفين بدعة، والتصنيف في ذلك ضلال، أو الاستماع إلى شيء من ذلك يكسب الآثام. وهذه فرقة مستضعفة من الحشوية إلا أنه يميل إلى قولها جمع كبير من الجماهير العامة للسنة، ويدعوا إليه المتظاهرون بالورع والزهد، والصمت وطلب السلامة، وحفظ اللسان، وما ذلك إلا حفاظا على شخصيات الصحابة الكبار ليس إلا وهم بذلك بعداء جدا عن روح العلم وأهله، والموضوعية المطلوبة في الأبحاث العلمية، فتحجير العقل بهذا الشكل جدا سيء ومهين لكرامة الإنسان حتى.

وقالت فرقة من العامة تختص بمذاهب الحشوية غير أنها تتعاطى النظر (الكلام)، وتدعى المعرفة بالفقه وتزعم أنها من أهل الاعتبار، إن علي بن أبي طالب عليه السلام ومن كان في حيزه من المهاجرين والأنصار وسائر الناس، وعائشة وطلحة والزبير وأتباعهم جميعا كانوا على صواب فيما انتهوا إليه من التباين والاختلاف والحرب والقتال وسفك الدماء، وضرب الرقاب، فإن فرضهم الذي يعين عليهم من طريق الاجتهاد هو ذلك بعينه دون سواه، لم يخرجوا بشيء منه عن طاعة الله ولا دخلوا به في شيء منه إلا أنهم كانوا على الهدى والصواب، ولو قصرُوا عنه مع الاجتهاد المؤدي لهم إليه؛ لضلوا عن الحق، وخالفوا السبيل والرشاد.

وزعموا: إنهم كانوا جميعا مع الحال التي انتهوا إليها من سفك الدماء؛ وقتل النفوس؛ والخروج عن الأموال والديار على أتم مصافاة ومودة وموالات، ومخالصة في الضماير والنيات؛ واستدلوا على ذلك وزعموا بأن قالوا: (وجدنا كل فريق من الفريقين متعلقا بحجة تعذره فيما أتاه وتوجب عليه العمل بما صنع، وذلك أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان مذهبه عدم قتل الجماعة بالواحد وإن اشتركوا في قتله (يعني عثمان) معا وهو مذهب عندهم مشهور من مذاهب أصحاب الاجتهاد؛ ولم يثبت عنده أيضا إن المعروفين بقتل عثمان تولوا على ما ادعى عليهم من ذلك فلم يسعه تسليم القوم إلى مَنْ إلتمسهم (طلبهم) منه ليقتلوهم بعثمان؛ ووجب عليه عليه السلام في اجتهاده الدفاع عنهم بكل حال..

وكان مذهب عائشة وطلحة والزبير قود الجماعة بالواحد من الناس (والحقيقة الغائبة عن هؤلاء المفلسين أن القود بعثمان كان عند طلحة والزبير بالمباشرة، وعائشة بالتحريض فكيف خفيت عليهم؟) وهذا مذهب ابن عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة وجماعة من التابعين؛

وبه دان جماعة من الفقهاء وأصحاب الاجتهاد، وثبت عندهم أن الجماعة يقتلون بالرجل الواحد وأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يسلمهم ليقتلوهم بعثمان، وأن الناس تولوا قتله واشتركوا في دمه؛ وكان إماما مرضيا عندهم؛ قتل بغير حق؛ فلم يسعهم ترك المطالبة بدمه؛ والاستقادة من قاتله وبذل الجهد في ذلك؛ فاختلف الفريقان في ذلك لما ذكروه من الاجتهاد؛ وعمل كل فريق منهم على رأيه وكان بذلك مأجورا وعند الله مشكورا؛ وإن كانوا قد سفكوا فيه الدماء وبذلوا فيه الأموال وهذا مذهب جماعة من الناس أجروا عقولهم وضحكوا على لحاهم بتلبيس الحق على أنفسهم وعلى أتباعهم من البسطاء.. فأئى اجتهاد هذا، وأي أجر على اجتهاد الباغي القاتل للمسلمين، الضارب لوحدهم والساعي لخراب ديارهم وإهدار أموالهم؟ وقبل كل ذلك هم أنفسهم لم يدعوا ذلك منهم اجتهادا في الدين بل طلبا للسلطة والكرسي، وهذا واضح من كلماتهم وأقوالهم على طول المسيرة، والاجتهاد الحق كان عند أمير المؤمنين عليه السلام الذي علم الأمة الإسلامية فقه قتال أهل القبلة.. وأما الآخرون فإنهم علموا المتمردين وأصحاب الأهواء على شق عصا المسلمين، وهل تسمى هذا اجتهاد أم فساد وعليهم وزره ووزر من عمل به إلى قيام يوم الدين؟

٤. رأى المعتزلة

وذهب أهل الاعتزال إلى رأي مختلف في ذلك أيضا كاختلاف الحشوية الآنف؛ فقال إمامهم المقدمان وشيخاهم المعظمان اللذان هما أصلان للاعتزال، وافتتحا لمعتقديه فيه الكلام وهما فخر الجماعة منهم

وجمالهم الذي لا يعدلوا عندهم سواه (واصل بن عطاء الغزال؛ وعمرو بن عبيد بن باب المكاربي)^(١).

يقول واصل: إن أحد الفريقين ضال في البصرة مضل فاسق خارج من الإيمان والإسلام ملعون مستحق الخلود في النار. والفريق الآخر هاد مهدي، مصيب مستحق للثواب والخلود في الجنان..

غير أنهم زعموا أن لا دليل على تعيين الفريق الضال ولا برهان على المهدي ولا بينة نتوصل بها إلى تمييز أحدهما من الآخر في ذلك بحال من الأحوال، (وهذه مغالطة واضحة، ومخاتلة فاضحة).

وأنة لا يجوز أن يكون علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين ومحمد بن علي وعبد الله، وقثم والفضل وعبيد الله بنو العباس وعبد الله ابن جعفر الطيار وعمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبو أيوب الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان وكافة شيعة علي عليه السلام وأتباعه من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وبيعة الرضوان وأهل الدين المتحيزين إليه والمحققين بسمة الإسلام هم الفريق الضال، والفاسق الباغي الخارج عن الإيمان والإسلام والعدو لله والبرئ من دينه الملعون المستحق للخلود في النار.

وتكون عائشة وطلحة والزبير والحكم بن أبي العاص ومروان ابنه وعبد الله بن أبي سرح والوليد بن عقبة وعبد الله بن عامر بن كريز بن عبد شمس ومن كان في حيزهم من أهل البصرة هم الفريق المهدي

(١) (كان باب من سبي فارس وعبيد من سبي سجستان وكان عبيد نساجا ثم صار من شرطة الحجاج على السجن وهو يقول إني أصبت أم عمرو من غلول وكان عبيد يقول لو أن عليا وعثمان وطلحة والزبير شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزت شهادتهم وقد أحدث عمرو بدعة قتل فيها الناس وفيه يقول يحيى بن معين: أنه رجل سوء مات سنة ١٤٤)..

الموفق إلى الله المصيب في حربه المستحق للإعظام والإجلال والخلود في الجنان.

قالا جميعا نعم ما ننكر ذلك ولا نؤمن به إذ لا دليل يمنع من الحكم به على ما ذكرناه بحل وكما أن قولنا ذلك في علي وأصحابه فكذلك هو في الفريق الآخر فإننا لسنا ننكر أنهم وأتباعهم على السوء ولسنا ننكر أن يكونوا هم الفريق الضال الملعون، العدو لله البريء من دينه، المستحق للخلود في النار، وأن يكون علي عليه السلام وأصحابه هم الفريق الهادي المهتدي الولي لله في سبيله؛ المستحق بقتاله عائشة وطلحة والزبير وقتل من قتل منهم الجنة وعظيم الثواب.

قالا ومنزلة الفريقين منزلة المتلاعنين فيهما فاسق لا يعلمه على التمييز له والتعيين إلا الله عز وجل. وهذه مقالة مشهورة عن هذين الرجلين قد سطرها الجاحظ عنهما في كتابه الموسوم (بفضيلة المعتزلة).

وحكى ابن يحيى أن أبا الهذيل العلاف كان على هذا المذهب في أمير المؤمنين عليه السلام وعائشة وطلحة والزبير متبعا فيه إماميه المذكورين ولم يزل عليه إلى أن مات..

وقال شيخ المعتزلة أيضا ومتكلمها في الفقه وأحكام الشريعة على أصولها الأصم المكنى بأبي بكر الملقب بحريال: أنا أقف في كل فريق من الفريقين فلا أحكم له بهدى ولا ضلال ولا أقطع على أحدهما بشيء من ذلك في التفصيل ولا الإجمال ولكني أقول: إن كان علي بن أبي طالب عليه السلام قصد بحرب عائشة وطلحة والزبير كف الفساد ومنع الفتنة في الأرض ودفعهم عن التغلب على الأمر والعدوان على العباد فإنه مصيب مأجور، وإن كان أراد بذلك الجبرية والاستبداد بالأمر بغير مشورة من العلماء بل ليتأمر على الناس بالقهر لهم على ذلك والأضرار

فهو ضال مضل من أهل النار؛ قال وإنما قلت ذلك لخفاء الأمر لي فيه واستتار النيات في معناه واشتباه أسباب الباطل فيه باستتار الحق عند العقلاء..

قال وكذلك قولي في الفريق الآخر، أقول إن عائشة وطلحة والزبير إن كانوا قصدوا بقتالهم علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه منعه من الاستبداد بالأمر من دون رضا العلماء به، وأرادوا الطلب بدم عثمان والاقتصاص له من ظالميه برد الأمر شورى ليختار المسلمون من يرون فهم بذلك هداة أبرار مستحقون للثواب وإن كانوا أرادوا بذلك الدنيا والعصبية والإفساد في الأمر وتولي الأمر بغير رضا العلماء فهم بذلك ضلال مستحقون اللعنة والخلود في النار غير أنه لا دليل لي على أعراضهم فيه ولا حجة تظهر في معناه من أعمالهم ولذلك وقفت فيهم كما وقفت في علي وأصحابه كما بينت. وإن كان طلحة والزبير أحسن حالا من علي فيما أتاه.. (وهذا بان عن أصله في آخر ما سطره)..

وقال هشام القوطي وصاحبه عباد بن سليمان الصيمري، وهذان الرجلان من أئمة المعتزلة أيضا: أن عليا وطلحة والزبير وعائشة في جماعة من أتباع الفريقين كانوا على حق وهدى وصواب وكان الباكون من أصحابهم على ضلال وبوار وذلك أن عائشة وطلحة والزبير إنما خرجوا إلى البصرة لينظروا في دم عثمان (فلماذا البصرة أيها الشيخ؟) ويأخذوا بثأره من ظالميه (وهل الثأر من الإسلام أم من الجاهلية؟) وأرادوا بذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلبوا به وجه الله (بل وجه الخلافة والحكم)..

وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام ليتفق معهم على الرأي والتدبير

في مصالح الإسلام وأهله وكف السعي في الفتنة ومنع العامة مما ليس إليهم بل هو إلى وجوه العلماء وليقع التراضي بينهم على إنصاف واجتهاد في طلب الحق والاجتماع على الرأي فلما تراءى الجمعان تسرع غوغاؤهم إلى القتال فانتشبت الحرب بينهم على غير اختيار من القادة والرؤساء وخرج الأمر عن أيديهم في تلافي ذلك فكان من الاتباع الفتنة وسفك الدماء ما لم يؤثره علي وطلحة والزبير وعائشة ووجوه أصحابهم من الفضلاء فهلك بذلك الأتباع ونجا الرؤساء..وفات هؤلاء المتقولون أن الجيوش بقيت ثلاثة أيام على الصفوف وأمير المؤمنين عليه السلام يرأسهم ويلتقي رؤوسهم حتى لا تقع الفتنة الممحنة ولكن من وراءه آلاف السيوف يصم عن الرأي الحصيف، ومن راجع روايات بدء القتال يعلم أن هذه دعوى باطلة لا سند واقعي ولا عقلي لها إلا في رؤوس أصحابها فقط.

وقال باقي المعتزلة كبشر بن المعتمر وأبي موسى المراد وجعفر بن بشر والإسكافي والخياط والشحام وابن مجالد البلخي والجبائي فيمن اتبعهم من أهل الاعتزال وجماعة الشيعة من الإمامية والزيدية، إن أمير المؤمنين عليه السلام كان محقا في جميع حروبه مصيبا بقتال أهل البصرة والشام والنهران مأجورا على ذلك مؤديا فرض الله تعالى عليه في الجهاد وإن كل من خرج عليه وحاربه في جميع المواطن ضلال عن الهدى مستحقون بحربه والخلاف عليه النار غير أن من سميناه من المعتزلة خاصة استثنوا عائشة وطلحة والزبير من الحكم باستحقاق العقاب وزعموا أنهم خرجوا من ذلك إلى استحقاق الثواب بالتوبة والندم على ما فرط منهم في القتال فحكموا بصد الظاهر من الفعال والمعلوم منهم من المقال وضعفوا في دعواهم عما هو صناعتهم من الحجاج وأظنهم اتقوا

به من العامة وتقربوا بإظهاره إلى أمراء الزمان إذ لا شبهة تعترض أمثالهم من العلماء بالأخبار والنظار المتميزين بالكلام عن أهل التقليد في فساد هذا الاعتقاد..

وعلاوة المعتزلة في عصره عز الدين بن أبي الحديد كان جامعاً لقول المعتزلة مبيناً له شارحاً أسباب إختلافهم فيه، ويعطي رأيه بكل شجاعة ووضوح مصرحاً بأفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على الجميع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإليك بعض تلك الأقوال منه..

قال ابن أبي الحديد: فأما الأفاضل من المهاجرين والأنصار الذين ولوا الإمامة قبله عليه السلام فلو أنه أنكر إمامتهم وغضب عليهم وسخط فعلهم فضلاً عن أن يشهر عليهم السيف أو يدعو إلى نفسه لقلنا: إنهم من الهالكين كما لو غضب عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: «حربك حربي وسلمك سلمي» وقال: «اللهم والي من والاه وعادي من عاداه»، وقال: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»، ولكننا رأيناه رضي إمامتهم (وهنا ادعاء ينقصه الدليل، وإلا فأينك يا أيها العلامة الكبير من الخطبة الشقشقية فقط؟) فلم يكن لنا أن نتعدى فعله ولا نتجاوز ما اشتهر عنه، ألا ترى أنه لما برئ من معاوية برئنا منه ولما لعنه لعناه، ولما حكم بضلال أهل الشام ومن كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص وعبد الله ابنه وغيرهما حكمنا أيضاً بضلالهم..

والحاصل: أنا لم نجعل بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله إلا رتبة النبوة. وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك، ولم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم، وعاملناهم بما عاملهم به^(١)..

(١) (شرح النهج: ٥ / ٨٨١)

قال ابن أبي الحديد: لو نازع عقب وفاة الرسول ﷺ، وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه، كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنه مالك الأمر وصاحب الخلافة، إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب القول بعدالة من أغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله ﷺ، لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال: «علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار» وقال له غير مرة: «حريك حربي وسلمك سلمي» وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي وبه أقول^(١)

وقال: ومذهب أصحابنا من البغداديين أنه الأفضل والأحق بالإمامة وأنه لولا ما يعلمه الله ورسوله من أن الأصلح للمكلفين من تقديم المفضول عليه لكان من تقدم عليه هالكا، فرسول الله ﷺ أخبره أن الإمامة حقه، وأنه أولى بها من الناس أجمعين، وأعلمه أنه في تقديم غيره وصبره على التأخر عنها مصلحة راجعة إلى المكلفين، وأنه يجب عليه أن يمسك عن طلبها ويغض عنها لمن هو دون مرتبته، فامتثل ما أمره رسول الله ﷺ، ولم يخرجته تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل والأولى والأحق..

ويقلسف ذلك بقوله: معنى هذا أن قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فيه إشارة إلى مخاطبة دائرة الاختيار والإرادة عند الصحابة. بمعنى إذا أردتم سلوك طريقي والنجاة من الفتن التي حدثتكم عنها فهذا هو طريق ولا إجبار في دين الله، وهذا أصل في حكمة الوجود وخلافة الموجود وخلافة الإنسان في الأرض، فحركة الإنسان تدور في فلك عظيم لينظر الله كيف يعملون ويترتب على هذا العمل إما الثواب وإما

(١) (المصدر السابق ٤٨٠ / ١).

العقاب وليس معنى قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» أنه اكتفى بمخاطبة دائرة الاختيار عند الصحابة، لا فلقد روى في أحاديث صحيحة قوله: «فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي» فهناك خاطب ملكة الاختيار وهنا ثبت الأمر في هذه الملكة^(١).

وعليه فكل من قطع على ضلال محاربي أمير المؤمنين عليه السلام من المعتزلة فهو يحكم على أعدائه بالفسق واستحقاق الخلود في النار ولا يطلق عليهم الكفر ولا يحكم عليهم بالإكفار.

ولا أحسبك غافلا عما في هذا الرأي من ضعف وذلك لأنه ينظر بعين واحدة فقط فيكون أعورا، أو أنه يرى النصف الفارغ ويتغاضى عن النصف النافع لأن ابن أبي الحديد وأمثاله من العلماء لا تخفى عليهم آلاف الأحاديث التي فاه بها النبي المصطفى ﷺ يأمر بها الأمة بالإقتداء بأمير المؤمنين عليه السلام حتما وجزما لأن الله ورسوله يريدون الحق والأفضل للخليفة وليست كل تلك الروايات بمكان وموضع الإرشاد للأمة فقط حتى يقول القائل: (إذا أردتم سلوك طريقي والنجاة من الفتن التي حدثتكم عنها فهذا هو طريق..) فالشارع الأقدس يريد النهج السليم، والصراط المستقيم ويأمر بهما وهنا تكمن مسألة الاختيار البشري، فهل يقدم ما أراد الله ورسوله، أم يقدم ما يختاره هواه ومصالحه الآنية؟ تلك هي المسألة..

والعجيب الغريب في الإنسان أنه لا يوجد شيء في الحياة أشطر منه بخلق الأعذار والمبررات لنفسه، فيريد أن يقنعك بشيء لم يقنع به هو شخصيا بعد فتراه يحدثك ليقنعك وهو بالحقيقة يريد أن يقنع نفسه ويظهر لك أنه بكامل القناعة بما يقول لك.. وإليك هذا الرأي المعاصر

(١) (المصدر السابق ٤٨٠ / ١)

لعلامة الشام وفيلسوفها اليوم صاحب التصانيف والمؤلفات الكثيرة، الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي، أنقلها هنا لتشابهها برأي المعتزلة وهو من هو من علماء السنة، اسمعه يقول: «لو أن علياً - كرم الله وجهه - اتخذ يوم السقيفة موقفاً مستقلاً، أو اتخذ يوم استخلاف أبي بكر لعمر موقفاً مستقلاً، أو يوم الشورى التي بويع على أعقابها لعثمان موقفاً مستقلاً، إذن لتركنا كل نهج، واتبعنا نهج علي».

وهذا كلام ينم عن تجاهل الواقع وتجاوفي الحقيقة الناصعة.. وقد سبقه إلى هذا القول جماعة من أعلام المعتزلة المتقدم بقول ابن أبي الحديد السابق وعلق عليه بقوله: «وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي وبه أقول»^(١)

وهذا عجيب للغاية بل عجاب والله! يقولون: «لو نازع..» وتقول الأحاديث الصحيحة: كان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت انصرفت وجوه الناس عنه، وعند ذلك بايع أبا بكر!

ويقول هو: «وظفقت أرثي بين أن أصول بيد جذا أو أصبر طخية عمياء..» ويقول: «فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت..»

ويقولون: أمسك! ويقول: صبرت وفي العين قذا وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا.. وصبرت على أمر من حزّ المدى وطعن السنان في الحشا.. ويقولون: ضحى، تنازل، أغضى.. فمن أين لهم هذا الإدعاء والله هو المحاسب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.؟

(١) (شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٩٦)

٥. القاعدون عن القتال:

وكان مذهب سعد بن مالك بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد ابن مسلمة الأنصاري، وأسامة بن زيد وأمثالهم ممن رأى القعود عن الحرب والتبديع لمن تولاهما والحكم على أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين ومحمد بن علي عليه السلام وجميع ولد أبي طالب وكافة أتباع أمير المؤمنين من بني هاشم والمهاجرين والأنصار والمتدينين بنصرته المتابعين له على رأيه في الجهاد، بالضلال والخطأ، في المقال والفعال، والتبديع لهم في ذلك على كل حال.

وكذلك كان مذهبهم في عائشة وطلحة والزبير ومن كان على رأيهم في قتال أمير المؤمنين عليه السلام وإنهم بذلك ضلال عن الحق عادلون عن الصواب، مبتدعون في استحلال دماء أهل الإسلام، ولم يحفظ عنهم في الطائفتين ولا في احديهما تسمية بالفسوق ولا إخراجهم بما تولوه من الحرب والقتال عن الإيمان.

فهذه جمل القول من فيما اختلف فيه أهل القبلة، من أحكام الفتنة بالبصرة والمقتولين بها ممن ذكرناه وأحكام صفين والنهروان وقد تحريت القول بالمحفوظ عن أرباب المذاهب المشهورة عنهم عند العلماء.. هذا ما أفاد به شيخنا الأكبر المفيد لهذه الأمة المرحومة بمقدمته لكتاب الجمل بشيء من الإجمال فصلنا بها الحديث وأيدناها بالروايات الداعمة لرأي الأمة والطائفة المحقة ومن أراد المزيد فعليه بالأبحاث

المطولة في هذا الباب..

مقدمات لحرب الناكثين

١ . مقدمات ضرورية

بعد الذي قدمناه من هذه الأبحاث التي كان لابدً منها لتوضيح الموقف العام السياسي والعقائدي والاجتماعي والاقتصادي وغيره من الأوضاع التي كان يعيشها المجتمع الإسلامي في قلب حاضرتة الأولى وعاصمته الكبرى المدينة المنورة، ولإعطاء الرأي الفقهي الديني أولاً والسياسي المصلحي ثانياً والعسكري ثالثاً كانت فصول تلك الأبحاث وللدخول بصلب فتنة الناكثين لابد من جلاء الصورة بشكل مختصر ومفيد..

١.١ . فتنة عثمان بن عفان

كان عثمان رأس بني أمية في الإسلام، كما كان صخر بن حرب (أبو سفيان) رأسهم في الجاهلية. وبني أمية تقدم ذكرهم وبيان أصلهم

وفصلهم جاهلية وإسلاماً..

وعثمان رجل تجارة ومال في قريش، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَا مَنِ اسْتَعْتَفَى (٥) فَإِنَّ لَهُ تَصَدَّى (٦)﴾^(١) التي اتهموا بها رسول الله ﷺ من أجله، ومن تجراً من العلماء، قال: أنها نزلت برجل من بني أمية.. تنزيها للخليفة الراشدي وقذفا لرسول الله ﷺ الذي عصمه الله، وقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)

بعلم المعاني ومقتضى الحال يقولون: أن التاجر والغني هو من يعبس ويأنف من الفقير البائس الأعمى لا رسول الإنسانية ومن هو ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الذي كان يحب الفقراء البسطاء، ويساعد المرضى وأصحاب العاهات لتتأسى به الأمة وأكاد أجزم بل أقسم لو أن رسول اله ﷺ هو الذي عبس بوجه ابن أم مكتوم لرأيت أصحاب العاهات مجزرين كالأضاحي كما فعل بهم هتلر بوقته، ولكن رسول الله ﷺ كان رسول إنسانية الإنسان فكيف يرضى أن تهان كرامة أحد أصحابه المقربين من أجل غني ترف أو مشرك صلف؟

نعم؛ لا يرض الله، ولن يرض الرسول مثل هذا التصرف في مجلسه القيمي والأخلاقي أن تكون فيه شائبة تكبر أو إهانة إنسان مؤمن ولهذا جاءت الآيات مخبرة ومنكرة هذا التصرف ليكون الرسول على بينة من أصحابه ويرببهم على مكارم الأخلاق التي بعثه الله ربنا لإتمامها في بني البشر قاطبة..

وعثمان بن عفان كان المثال الواضح لقتيل أهله، فحبه الشديد

(١) (عبس: ١-٦)

(٢) (القلم: ٤)

لأهله هو الذي أودى به إلى ما صار إليه في آخر عمره الذي انتهى بقتله بأسلوب بشع (ذبح على فراشه وأمام أهله) ومنع من دفنه ورمي على المزابل ثلاثة أيام حتى أكلت منه الكلاب ودفن ليلاً في (حش كوكب) مقابر يهود المدينة كما تروي كتب التاريخ.

فعثمان كان مثال الرجل الذي قتله حب أهله وعشيرته وهم أعدى أعداء الإسلام للإسلام في جاهلية الشرك، وفي نفاق عصر الإسلام..

نعم؛ كان عثمان وصولاً لأرحامه من بني أمية (الشجرة الملعونة في القرآن) والسنة النبوية، وآل أبي العاص الذي قال رسول الله ﷺ فيهم: (إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً)، ولو عا أشد الولع بحبهم وإيثارهم على غيرهم، حتى لم تأخذه في سبيلهم ملامة اللائمين، ولا ثورات الثائرين، وقد استباح في صلتهم مخالفات كثيرة من أدلة الكتاب الحكيم، والسنن المقدسة، والسيرة التي كانت مستمرة من قبله^(١).

قال ابن أبي الحديد: وصحت فيه فراسة عمر، إذ قد أوطأ بني أمية رقاب الناس، وأولاهم الولايات، وأقطعهم القطائع، وافتتحت أرمينيا في أيامه، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان وهذا مشهور لا شك فيه، ذكره الشعراء فقال عبد الرحمن بن الحنبل الجمحي:

أحلف بالله رب الأنام
ما ترك الله شيئاً سدى
ولكن خلقت لنا فتنة
لكي نبتلي بك أو نبتلي

(١) (النص والإجتهد: السيد شرف الدين ص ٣٩٩)

فإن الأمينين قد بينا منار
الطريق عليه الهدى
فما أخذنا درهما غيلة ولا
جعلنا درهما في هوى
وأعطيت مروان خمس البلاد
فهيهات سعيك ممن سعى

[قال]: وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أن سيره رسول الله ﷺ من المدينة بعد أن هجا رسول الله ولمزه، ثم لم يردده أبو بكر ولا عمر (رغم توسط عثمان لكل منهما)، وأعطاه مائة ألف درهم..

وتصدق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بنهروز على المسلمين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم.

وأقطع مروان فدكا وقد كانت فاطمة الزهراء عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها رسول الله تارة بالميراث، وتارة بالنحلة فدفعت عنها.

وحمى المراعي حول المدينة كلها عن مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية

وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله على المسلمين من فتح إفريقية، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة، من غير أن يشرك فيه أحدا من المسلمين

وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، وقد كان زوجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح ووضعها بين

يدي عثمان وبكى.

فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي!

قال: لا! ولكن أبكي لأنني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً.

فقال عثمان: ألق المفاتيح يا ابن أرقم فإننا سنجد غيرك.

قال ابن أبي الحديد: وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جلييلة فقسمها كلها في بني أمية^(١)..

وأنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه (وقيل ثلاث مائة ألف كما في أنساب الأشراف)^(٢)

(قال): وانضم إلى هذه الأمور أمور أخرى نقمها عليه المسلمون، كتسيير أبي ذر الغفاري ذاك الصحابي الجليل الذي طالما ذكاه ومدحه رسول الله ﷺ فقال فيه: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر) وقصته مع بني أمية وخاصة عثمان ومعاوية هي من أبشع قصص الظلم الأموي وأشنع تعامل إنساني عرفه التاريخ الإسلامي، فما زال مطارداً مظلوماً ومبعداً عن أهله إلى أن كانت منيته بالربذة فريداً وحيداً كما أخبره رسول الله ﷺ: (رحم الله أبا ذر يموت وحده ويحشر وحده)^(٣)

(١) (شرح النهج ج ١ / ٦٧، السيرة الحلبية ج ٢ / ٨٧)

(٢) (أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ / ٥٢)

(٣) (أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ / ٥٢)

وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه^(١)، وما أظهر من الحجاب والعدول عن طريقة عمر في إقامة الحدود، ورد المظالم، وكف الأيدي العادية. والانتصاب لسياسة الرعية، وختم ذلك بما وجدوه من كتابه إلى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين^(٢)

فاجتمع عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديد أحداثه عليه فقتلوه وقد كان الواجب عليهم أن يخلعوه من الخلافة ولا يعجلوا بقتله

وأمر المؤمنين أبرأ الناس من دمه. وقد صرح بذلك في كثير من كلامه، فمن ذلك قوله: والله ما قتلت عثمان ولا مالات على قتله. وقد صدق صلوات الله عليه وحسبك ما في الخطبة الشقشقية لأمر المؤمنين عليه السلام وقد ذكره فيها فقال: إلى أن قام ثالث القوم نافجا حوضيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الأبل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليه فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته.

وبالجملة فإن أحداث عثمان كلها أو جلها متواترة عنه. رواها المحدثون وأهل السير والأخبار بأسانيدهم المتعددة الطرق والمعتبرة، وأرسلها الكثير منهم إرسال المسلمات وأن ممن أرسلها كمسلمات لا ريب فيها الشهرستاني في كتابه الملل والنحل فليراجع من يريد الاطلاع.

وكم لعثمان بن عفان من أحداث نقمها عليه المسلمون:

* كإحراقه المصاحف جمعا للناس على قراءة واحدة فقط.

(١) (أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ / ٣٦، تاريخ اليعقوبي ج ٢ / ١٤٧)

(٢) (مروج الذهب ج ٢ / ٣٤٤، أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ / ٢٦، الإمامة والسياسة ص

٣٣ - ٣٧، تاريخ الطبري ج ٥ / ١١٩، الكامل في التاريخ ج ٣ / ٨٥)

* واعطائه المقاتلة من مال الصدقة مع أنهم ليسوا من الأصناف الثمانية التي حصر الله الصدقة بهم وقصرها عليهم في قوله **بِزَيْنَانٍ**: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾.

* وكضربه عمار بن ياسر ذلك الضرب المبرح.

* وعدم إقامته الحد على عبيد الله بن عمر إذ قتل الهرمزان.

ألا ترى إلى ما جاءت به الأخبار من إنكاره **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إدراء ورفع الحد عن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وقد استحق القود بقتله الهرمزان ومن قتل معه من أهل العهد بغير حق بمقتضى شريعة الإسلام ولما طالبه القوم للقود منه تعلق عثمان تارة بأن أباه قتل بالأمس ولا يرى قتله اليوم، وأراد أن يسقط حد الله عنه والنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: الحدود لا تسقط بحال فلم يقبل شفاعة أحد في سارقة الحلبي حتى قطع يدها^(١)..

وقال بحجة أخرى: الهرمزان رجل غريب لا ولي له وأنا ولي من لا ولي له وقد رأيت العفو عن قاتله..

فقال له أمير المؤمنين **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ليس للإمام أن يعفو عن حق يتعلق بالمخلوقين إلا أن يعفو الأولياء عنه وليس له أن يعفو عن ابن عمر ولكن إن أردت أن تدرأ الحد عنه فأد الدية إلى المسلمين الذين هم أولياء الهرمزان أو أقسمها مع ما في بيت المال على مستحقه.. فلما رأى أمير المؤمنين دفاع عثمان عن الحد الواجب في حكم الله وتعلله في ذلك قال له: أما أنت فلمطالب بدم الهرمزان يوم يعرض الله الخلق للحساب وأما أنا فأقسم بالله فإنني لأن وقعت عيني على عبيد الله بن عمر لأخذت حق الله منه وإن رغم أنف من رغم..

(١) (سنن أبي داود والسجستاني (ج ٤ - ص ١٣٢)

فاستدعى عثمان عبيد الله ليلا وأمره بالهرب من أمير المؤمنين عليه السلام فخرج من المدينة ليلا وقد أصحبه عثمان كتابا أقطعه فيه قرية من قرى الكوفة وهي (كويفة ابن عمر) فلم يزل بها حتى ولي أمير المؤمنين عليه السلام فهرب إلى معاوية وكان من جملة المعاندين له واجتهد في حربه مع جند الشام فقتل في صفين..

* لما ورد أهل الكوفة يتظلمون من الوليد بن عقبة بن أبي معيط ويشهدون عليه بشرب الخمر وسكره وصلاته فيها بالناس الفجر وهو سكران وأنه قاء بالخمير ونام في موضعه حتى حمل منه وجعل مواضع القرآن شعرا مشهورا، فاغتاز عثمان من الشهود وتغير عليهم وأمر بضربهم فصاروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يشكون إليه أمرهم وما حل بهم من عثمان فقام عليه السلام حتى دخل عليه فلما رآه عثمان قال: ما لك يا ابن أبي طالب أحدث أمر؟ قال: نعم حدث أمر عظيم..
قال: وما ذاك؟ قال: عطلت الحدود وضربت الشهود..

فقال عثمان: فما ترى؟ قال: أرى أن تعزل أخاك عن الكوفة وتستدعيه وتقيم عليه الحد.. قال أنظر في هذا^(١)..

ولما حضر الوليد لإقامة الحد عليه أخذ عثمان السوط فألقاه إلى من حضر من الصحابة وقال وهو مغضب: من شاء منكم فليقم الحد على أخي.. فأحجم القوم عن ذلك فنهض أمير المؤمنين عليه السلام وبيده السوط إلى الوليد فلما رآه الوليد يقصد نحوه ليضربه نهض من موضعه لينصرف فبادر إليه فقبضه وشتمه الوليد فسبه علي عليه السلام بما كان أهله وتعتته حتى أثبت إقامة الحد عليه..

(١) (ابن الأثير (ج ٣ - ص ٤٠) حوادث سنة ٣٠، والأغانى (ج ١ - ص ٢٠ وج ٤ ص ١٧٦) وتاريخ اليعقوبي (ج ٢ - ص ١٤٢).

فاستشاط عثمان من ذلك وقال له: ليس لك أن تعنفه يا علي ولا لك أن تسبه.. فقال له عليه السلام: بل لي أن أقهره على الصبر على الحد وما سبته إلا لما سبني بباطل وقلت فيه حقا..

ثم ضربه بالسوط وكان له رأسان أربعين جلدة في الحساب بثمانين فحقدما عليه عثمان.

* ولما كان من إنكار أبي ذر وإحداث عثمان ما كان ودخل عليه في بعض الأيام وعنده قوم يمدحونه بالأباطيل فأخذ بيده كفا من التراب وضرب وجوههم، فقال له عثمان: ويلك ما هذا تضرب وجوه المسلمين بالتراب.. قال: إنه لم أفعل إلا ما أمر به رسول الله ﷺ بقوله ﷺ: إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب.. وقد رأيت هؤلاء يتقربون بالأباطيل إليك ويمدحونك بما ليس فيك..

فقال عثمان: كذبت فهو إذا يكذبه ويغلظ له في القول وأبو ذر يخاصمه إذ دخل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عثمان: يا علي أما ترى هذا الكذاب كيف يكذب على رسول الله..

فقال له علي عليه السلام: انزل له يا عثمان فيما قال بمنزلة مؤمن آل فرعون قال الله تعالى ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ فغضب عثمان وقال: اسكت بفيك التراب.. فجاء عليه السلام على ركبته ثم قال: بل بفيك التراب سيكون^(١).

* ولما ردّ عثمان طريد رسول الله وهو عمه الحكم بن أبي العاص الذي لعنه الله ورسوله ﷺ وقد كان نفاه النبي ﷺ من المدينة إلى الطائف وذلك أنه كان يؤذي النبي حتى بلغ من أذاه له أنه كان يتسلى على

(١) (تاريخ اليعقوبي (ج ٢ - ص ١٤٨) ط النجف)

حائط بيته ليراه مع أزواجه فضربه ﷺ وهو متطلع عليه ولما وقعت عيناه في عينه كلع في وجه النبي ثم نزل وكان النبي إذا مشى، مشى خلفه الحكم يتخلع في مشيته فيحاكيه ويمثله - والعياذ بالله - وكان من رسول الله ﷺ التفاتة إليه فقال له: كن كما أنت.. فكان لا يقدر على المشي بعدها إلا مخلجاً وكان يقف نصب عينه (أمامه) فإذا تكلم ﷺ يذكر شيئاً من الوحي إليه وشرع لأمته من الدين شيئاً ووعظهم وأنذرهم أو وعدهم أو رغبتهم وعلم شيئاً من الحكم لوى شذقيه في وجهه يحكيه ويعيب به فلما طال ذلك منه على رسول الله ﷺ وقد كان يداري قومه من قبل بالصبر عليه فنفاه إلى الطائف وأباح دمه متى وجد بالمدينة وقضى رسول الله ﷺ وانتقل إلى الرفيق الأعلى والحكم مطروداً فلما ولي أبو بكر جاءه عثمان فسأله في رده فامتنع عليه وقال له: قد مضى رسول الله ﷺ ولم يأذن له في الرد فإني لا أرده..

فلما مات أبو بكر وولي عمر جاءه عثمان يسأله في رده فقال له: لقد كنت سألت رسول الله في ذلك فلم يجبك وسألت أبا بكر فلم يجبك ولست أرى إجابتك إلى ما سألت فأمسك يا عثمان فإني لا أخالف صاحبي^(١)

ولما ولي عثمان الحكم استدعاه من الطائف إلى المدينة وآواه وحباه وأعطاه وقطعه المربرد بمدينة الرسول فعظم ذلك على المسلمين وقالوا أوى طريد رسول الله ﷺ وحباه وأعطاه وصاروا إلى أمير المؤمنين ﷺ فسألوه أن يكلمه في إخراجهم عن المدينة ورده إلى حيث نفاه النبي فجاءه أمير المؤمنين ﷺ وقال له: قد علمت يا عثمان أن النبي قد نفى هذا

(١) (الإصابة لابن حجر (ج ١ - ص ٣٤٥)

الرجل عن المدينة ولم يرده وأن صاحبك سلكا سبيله في تبيعه واتبعه
ستته في ذلك وقد عظم على المسلمين ما صنعت في رده وإبوائه فأخرجه
عن المدينة واسلك في ذلك سنة النبي ﷺ..

فقال: يا علي قد علمت مكان هذا الرجل مني وأنه عمي وقد كان
النبي ﷺ أخرجه عن المدينة لبلاغه ما لم يصلح عليه وقد مضى النبي
لسبيله ورأى أبو بكر وعمر ما رأياه وأنا أرى أن أصل رحمي وأقضي
حق عمي وهو ليس شر أهل الأرض وفي الناس من هو شر منه.

فقال ﷺ: والله لئن بقيت يا عثمان ليقول الناس فيك ما هو شر من
هذا..

* ولما كان من عثمان من تفريق ما في بيت المال على أوليائه وأقربائه
وإخراج خمس مال إفريقية إلى مروان بن الحكم وتسويغه إياه^(١)
أن عثمان أعطى آل مروان ألفي دينار وعشرين ألف ديناراً وجاءه
زيد بن ثابت بمائة ألف درهم من بيت المال وإقطاعه من أقطع من
أرض المسلمين وإجازته الشعراء بكثير من مال المسلمين.. أعظم
المسلمون ذلك وفزعوا إلى علي ﷺ فدخل عليه ووعظه وذكر له ما
عليه المسلمون من إنكاره بما عمله فسكت عثمان ولم يجبه بحرف
فلما طال على أمير المؤمنين ﷺ سكوته قال: له بماذا أرجع إلى
المسلمين عنك؟ ألك عذر فيما فعلت؟

قال: انصرف يا ابن أبي طالب فسأخرج إلى المسجد وتسمع مني
جواب ما سألت عنه. ثم خرج عثمان بعد وقت العصر حتى صعد المنبر
واجتمع المسلمون لسماع كلامه فقال: معشر الناس قد بلغني خوضكم

(١) (في البداية لابن كثير (ج ٧ - ص ١٥٨)

في بزي أهل بيني ووصلني لهم وحباي لمن حبوت من أهلي وأوليائي وأقربائي؛ إن رسول الله من بني هاشم فحبا أهله ووصلهم وجعل لهم الخمس نصيبا ووفره عليهم ونحلهم صفو الأموال وأغناهم عن السؤال؛ وأن أبا بكر حبا أهله وخصهم بما شاء من المال؛ وأن عمر حبا بني عدي واصطفاهم وخصهم بالإكرام والإعظام وأعطاهم ما شاء من المال؛ وإن بني أمية وعبد شمس أهلي وخاصتي وأنا أخصهم بما شئت من المال أما والله لو قدرت على مفاتيح الجنة لسلمتها إلى بني أمية على رغم أنف من رغم.

فقام عمار بن ياسر فأخذ بطرف أنفه وقال: والله إن أنفي أول أنف يرغم بذلك..

وتفرق المسلمون على سخط من مقالته وجاءه خزان بيت المال فألقوا المفاتيح بين يديه وقالوا: لا حاجة لنا فيها وأنت تصنع في أموال الله ما تصنع.

* ولما كتب المسلمون كتابا يذكرون فيه ما ينكرون من إحدائه التمسوا من يوصله إليه ليقف عليه فيرجع عن ذلك أو يعرفون رأيه فيه فوقع اختيارهم على عمار بن ياسر رضي الله عنه فضمن لهم عرض الكتاب عليه وأخذه واستأذن عليه حاجبه في إيصاله إليه فأذن له فدخل عليه وقد لبس ثيابه وهو يلبس خفيه فقال له: مرحبا بك يا عمار فيما جئت؟

قال: جئتك بهذا الكتاب؛ فأخذه من يده فلما قرأه تغير واستشاط غضبا وقال له: يا عاص بظر أمه أنت تجتري عليّ وتلقاني بما أكره.. ووثب إليه فدفعه حتى انصرع على الأرض وداس بطنه وعورته حتى أغمي عليه.. فلم يصل الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة وعرف

المسلمون ذلك فأنكروه.

عن عبيد الله بن عباس عن عكرمة قال كان بين عثمان بن عفان وبين علي عليه السلام كلام على عهد عمر بن الخطاب فقال له: ما تقول فيّ فما ذنبي والله ما تحبكم قريش أبدا بعد سبعين رجلا قتلتم منهم يوم بدر كأنهم شنوف الذهب.

٢٠١. من مؤتمرات الأمويين

كان الأجدد بنا أن نسميها مؤامرات الأمويين وما أكثرها، والتاريخ يروي عن الزهري أنه قال: كان أمراء (البلاد وقادة) الأجناد يقدمون على عثمان في كل عام مرة، فقدم عليه ابن أبي سرح من مصر، ومعاوية من الشام، وعبد الله بن عامر من البصرة، وسعيد بن العاص من الكوفة،

فقال لهم عثمان: يا بني أمية أنتم باطنتي دون ظاهري، وقد أكثر الناس شكائتي حتى تناولني بها البعيد، وأذاني بها القريب، فأشيروا عليّ؟

فأشار عبد الله بن عامر - وكان امراً سخياً - فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس إنما يرضيهم ما أسخطهم، وهي الأموال، فأعطهم منها تستلّ بذلك سخائم صدورهم وضغائن قلوبهم وضبابها (أحقادها).

ثم تكلم ابن أبي سرح فقال: يا أمير المؤمنين إن لك عليهم حقا ولهم عليك حقا، فأعطهم حقهم عليك وخذهم بحقك عليهم، واتبع سنة الذين قبلك يجتمعوا بالرضا عليك.

ثم تكلم سعيد بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس قد أمروا وجموا (حسّنوا وارتاحوا) حتى كبرت كبراهم، فابعثهم جيوشا وجمّزهم (جمّز الجيش في المغازي: حبسه في أرض العدو ولم يرجعه - وفي

الحديث الشريف: لا تجمروا الجيش ففتنواهم) في المغازي حتى تكون دبرة دابة أحدهم أهم إليه من التفكير في أمر الأئمة (أي اشغلهم بأنفسهم وأبعدهم عن أهلهم حتى يلينوا).

ثم تكلم معاوية، فقال: إني سمعت الذي قالوا فليسمعوا الذي أقول. ليكفك كل رجل منهم مصره، وأكفيك الشام، فلن تؤتى من الشام أبدا..^(١)

وقال المدائني: ويقال إن سعيد بن العاص هو قائل المقالة التي رويت عن ابن أبي سرح، قال: وقال معاوية: يا أمير المؤمنين إنك قد بلغت من صلتنا ما يبلغه كريم قوم من صلة قوم، حملتنا على رقاب الناس، وجعلتنا أوتاد الأرض، فخذ كل رجل منا بعمله وما يليه يكفك.

قال: فأخذ(عثمان) بقول معاوية وردَّ عماله إلى أمصارهم. فقال له معاوية: اخرج معي إلى الشام فهم شيعتك وأنصارك.

فقال: ما كنت لأفارق مهاجر رسول الله ﷺ ومسجده ومنازل أزواجه.

قال: فإذا أبيت فأذن لي أجهز إليك جيشا من الشام تطأ بهم من رابك (أي من شككت به يدوسه الجيش الأموي)..

قال: لا أكون أول من أذلَّ المهاجرين.

قال: فلا تخرج ولا تأذن لي أن أوجه إليك جيشا؟! أنت مقتول.

ثم خرج إلى المسجد وفيه نفر من المهاجرين، فقال: أوصيكم

(١) (تاريخ المدينة لابن شبه ج ٣ ص ١٠٩٥ وانظر تاريخ الطبري ٥: ٩٤ - ٩٩ - والغدير ٩: ٥٣ وشرح نهج البلاغة ٢: ١٣٥ - والكامل لابن الأثير ٣: ١٤٩ - والتمهيد والبيان

بشيخي هذا خيرا، والله لئن أحدثتم فيه حدثنا لا أعطيكم إلا السيف.
فقال بعضهم: ألا تسمعون لما يقول هذا؟ فردّ عليهم آخرون: لا
تلوموه أن يتكلم في ابن عمه.

قال عبد الله بن عباس: قدم سعيد بن العاص من الكوفة حاجا
فمرض بمكة، فدخل عليه علي عليه السلام يعوده وعنده معاوية، وعبد الله
بن عامر، وعبد الله بن خالد بن أسيد، فأوسعوا له عليه السلام عند رأسه،
فسأله (عن حاله)، فلما فرغ، قال له معاوية: أبا حسن، أني قائل لك
قولا فإن كرهته فاصبر على ما تكره منه فإن من ورائه ما تحب، إنه
والله ما صاحبنا (عدونا) غيرك، ولو سكت عنا ما نطق من قال معك، وما
يُغضب أمرنا (حكمننا) إلا بك، وإن الذين معك اليوم لعليك غدا، ولئن
لا يشنأك (أي وإن كان لا يكرهك) لنكونن أحب إليهم منك، وباطلنا
أحب إليهم من حقك، إنك والله ما أنت بقوي على ما تريد (الخلافة)،
ولا نحن بضعفاء عما نطالب (الحكم).

فقال علي: يا معاوية أفتراني أقعد أقول وتقول! ثم خرج.

قال ابن عباس، فلقيته فعرفت الغضب في وجهه، فدخلت على
سعيد بن العاص فسألته، ثم قلت لهم: كأنكم أنفرتم شيخكم!
فقال معاوية: أردنا تسكينه فنفر.

فقلت: ولم؟ فوالله إنه لوقور غيور يسبغ بغير مضغ، فإياكم يا بني
أمية، لا تمثلوا به فيمثل بكم.

وكان معاوية وعمرو عند عثمان، فقال لهما: قوما فاعذراني (تحدثوا
للناس لكي يعذروني). فخرجا، فقال معاوية لعمرو: تكلم. قال: بل أنت
فتكلم فأنت أعلم بعذر صاحبك..

فقال معاوية: يا أهل المدينة إن قولكم اليوم سُنَّة على من سواكم، وُحْكَمَ على مَنْ خالفكم، وقد خلى الناس بينكم وبين أمركم في هذا الرجل (عثمان)، فإن تركتموه (في الحكم) حتى يمضي (يموت) قام الأمر فأقمتم به، وكان لكم وإليكم، وإن أمضيتموه (قتلتموه) وأقمتم أتهمكم الناس على حكمكم (أي كذبوكم) وحكموا عليكم (بالقتل)..

وإن الفتنة تنبت على ثلاث: على التخون، ثم السكون، ثم الخلع وهي العظمى، وفيها يصير الصغير كبيرا والشريف وضيعا، ويقول فيها من لم يكن يسمع منه فيسمع له، ولا يقال معه.^(١)

وعن قيس بن طلحة قال: خرج معاوية من عند عثمان فمرَّ به نفر من المهاجرين.. فقال: استوصوا بشيخي هذا خيرا، فوالله لئن قتل لا أعطيكم إلا السيف.

ثم أتى عمارا فقال: أبا اليقظان، إني تركت بالشام أكثر من عدد أهل الحجاز، كلهم شجاع فارس، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويحج البيت، لا يعرف عمارا ولا سابقته، ولا عليا ولا قرابته، فإياك أن تنجلي الغمة، فيقال: هذا قاتل عمار.

فقال: أبالقتل تخوفني؟ والله يا بني أمية لا تسبونني وأقول أحسنتم.

حدثني الليث بن سعد: أن معاوية لما سمع الذي كان معاتبه أصحاب النبي ﷺ على عثمان أقبل من الشام بغير إذن، فدخل مسجد رسول الله ﷺ، فوجد عليا وطلحة والزبير في ناحية المسجد يتحاورون، فسلم عليهم، ثم قال: أباذن منكم (يستأذن بالجلوس إليهم)؟ قالوا: نعم يا معاوية.

(١) تاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ١٩٧

فقعد، فقالوا: ما جاء بك؟

قال: الذي دخل بينكم، فإن الناس قد رأوا أن هذا ميراث لكم أيها النفر (بالحجة القرشية مع الأول، وبالشورى العمرية مع صاحبهم)، ليس لأحد فيه حق معكم، حتى إنهم ليقولون فلان بعد فلان، وفلان بعد فلان كأنه ميراث، وإن تصلحوا ذات بينكم لا يطمع أحد في منازعتكم (الحكم)، وإن تختلفوا يدخل عليكم غيركم..

قالوا: ومن ذلك (أي من الذي يطمع بها بوجودهم)؟

قال: أنا أولهم.. فوقع به (أي صغره) علي عليه السلام فضعف من أمره،

فقام فدخل على عثمان، فقال (عثمان): معاوية؟ قال: نعم.

قال: ما جاء بك؟ قال: الذي بلغني من أمرك وأمر أصحابك، ثم أخبره بما كلم به عليا عليه السلام وأصحابه، وما أجابه به علي عليه السلام، ثم قال له: إني قد جئت معي بظهر (خيول وجمال) فأركب الآن فأقدم على أهل الشام، فإنك أحب الناس إليهم حتى ترى رأيك.

فقال: ما أريد أن أفر. قال: فأذن للناس في القتال.

قال: لا أريد أفتح سنة السور..

قال: فبقيت أخرى، إن رأيت أن تردني إلى عملي فافعل. قال: نعم، ولاك من هو خير مني: عمر بن الخطاب، فاخرج إلى عمك.

فركب ثم قال لمن حضره: يا أهل المدينة دونكم جزوركم - يريد عثمان - وستعلمون كيف العاقبة.^(١)

عن صالح بن كيسان قال: حج عثمان ومعاوية معه، فأمره عثمان،

(١) تاريخ المدينة لابن شبه ج ٣ ص ١٠٩٤

فتكلم (معاوية) فقال: يا أيها الناس، إنكم قد اجتمعتم في أعظم حرمة لله، والله لا أقول في مقامي هذا إلا حقا هيبه لله وحرمته، وخيفة من الله وعقوبته، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين قد أنعم الله عليهم في أنفسهم، وأنعم على المسلمين بهم، فهم ولاية هذا الأمر ما بقي منهم إنسان، وهذان البلدان - المدينة ومكة - خير البلدان، فالتابعون ينظرون إلى السابقين، والبلدان ينظرون إلى هذين البلدين، وإني قد رأيتكم بطرتم نعمكم، ونشبتم في الطعن على أمرتكم، وإني والله إن صفقت إحدى يدي على الأخرى لم يقم السابقون للتابعين، ولا البلدان على البلدان وما هم في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، فلا ينزعن أمركم من أيديكم، ولا يخرجن من بين أظهركم، فإياكم إياكم، فرب أمر يستأني فيه وإن كره خيفة لما في عاقبته.^(١)

فبني أمية ورأسهم المقدم، وطاغيتهم الأكبر معاوية بن أبي سفيان يهيئون الأجواء لوثبتهم سلفا، ويعلمون أن شيخهم مقتول لا محالة إن استمر بهذا النهج المخالف للكتاب الكريم، والسنة النبوية..

ويتعاملون مع كبار المهاجرين بالتهديد تارة، والوعيد أخرى ويقللون من شأنهم (فما هم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود)، وأن (جيش الشام أكثر من سكان الحجاز) ودينهم وعقيدتهم أموية بحتة فلا يعرفون عمار وسابقتها في الإسلام، ولا عليا عليه السلام وقرابته للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ولا يميزون حتى بين الناقة والجمال..

ويعلن جهارا نهارا أنه أول طامع بالخلافة بعد ابن عمه عثمان الذي أكل عمره وبلغ من العمر عتيا..

(١) (تاريخ المدينة ج ٣ / ١٠٩٢ الإمامة والسياسة ١: ٤٩)

هذا وقد لاحظت بعد أن قرأت كلمات معاوية للإمام علي عليه السلام وكأنها نابعة من صدر أبيه صخر (أبو سفيان)، بعدائه لرسول الله صلى الله عليه وآله، أو جده حرب بن أمية بعدائهم لأجداد أمير المؤمنين عليه السلام الطينة الخبيثة ذاتها، ولهجة العداة واحدة وأعانك الله سيدي يا أمير المؤمنين..

٣.١. الإمام علي عليه السلام وفتنة عثمان

وتكلم أمير المؤمنين علي عليه السلام مع المصريين في المرة الأولى وأرجعهم إلى بلادهم ورجع هو إلى المدينة.. ثم دخل على عثمان وأخبره أنهم قد رجعوا؛ فمكث عثمان ذلك اليوم حتى إذا كان الغد جاء مروان فقال له: تكلم وأعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا، وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلا فإن خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه. فأبى عثمان أن يخرج.. فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر فلما تيقنوا أنه باطل ما عنه رجعوا إلى بلادهم.

فناداه الناس من كل ناحية: اتق الله يا عثمان! وتب إلى الله. وكان أولهم عمرو بن العاص.

قال: إتق الله يا عثمان! فإنك قد ركبت نهابير (عظائم) وركبناها معك فتب إلى الله نتب.

وهكذا أشعلت بني أمية كل البلاد على خليفتهم العجوز، ومما زاد في الطين بلة، وفي الطنبور نغما كان مروان بن الحكم رئيس الحكومة الأموية فكان لا يفعل الخليفة شيء إلا ويفعل ضده بالناس، ولا يتكلم عثمان بكلام إلا أجبره على الإجهار بعكسه، ولم يعط عهدا إلا أنقضه،

فأجج البلاد وأحقد العباد على عثمان..

فبعد أن فرح المصريون وعادوا بكتابهم الذي كتبه عثمان فصاروا بأيلة (مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام) أو بمنزل قبلها رأوا راكبا خلفهم يريد مصر فقالوا له: من أنت؟

فقال: رسول أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد، وأنا غلام أمير المؤمنين. وكان أسود فقال بعضهم لبعض: لو أنزلناه وفتشناه ألا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئا..

فقال بعضهم لبعض: خلوا سبيله فقال كنانة بن بشر: أما والله دون أن أنظر في إداوته فلا.

فقالوا: سبحان الله أيكون كتاب في ماء؟ فقال: إن للناس حيلة. ثم حل الإداوة فإذا فيها قارورة مختومة، أو قال: مضمومة، في جوف القارورة كتاب في أنبوب من رصاص فأخرجه فقرأ فإذا فيه: أما بعد؛ فإذا قدم عليك عمرو بن بديل فاضرب عنقه، واقطع يدي ابن عديس وكنانة، وعروة، ثم دعهم يتشحطون في دمائهم حتى يموتوا، ثم أوثقهم على جذوع نخل.

فيقال: إن مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان، فلما عرفوا ما في الكتاب، قالوا: عثمان محل (الدم)، ثم رجعوا عودهم على بدئهم حتى دخلوا المدينة فلقوا علياً عليه السلام بالكتاب وكان خاتمه من رصاص، فدخل به علي عليه السلام على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه وقال: أما الخط فخط كاتبني، وأما الخاتم فعلى خاتمي،

قال علي عليه السلام: فمن تتهم؟ قال: أنهمك وأتهم كاتبني.

فخرج علي مغضبا وهو يقول: بل هو أمرك.

وجاء المصريون إلى دار عثمان فأحدقوا بها وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم: يا عثمان! أهذا كتابك؟ فجحد وحلف فقالوا: هذا شر، يكتب عنك بما لا تعلمه، ما مثلك يلي أمور المسلمين، فاختلع من الخلافة.

فقال: ما كنت لأنزع قميصا قمصنيه الله، أوقال: سربلنيه الله. وقالت بنو أمية: يا علي أفسدت علينا أمرنا ودستت وألبت،

فقال: يا سفهاء! إنكم لتعلمون أنه لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وإني رددت أهل مصر عن عثمان ثم أصلحت أمره مرة بعد أخرى. فما حيلتي؟ وانصرف وهو يقول: اللهم إني برئ مما يقولون ومن دمه إن حدث به حدث.

قال: وكتب عثمان حين حصروه كتابا قرأه ابن الزبير على الناس يقول فيه: والله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا علمت بقصته وأنتم معتبون من كل ما ساءكم، فأمروا على مصركم من أحببتهم، وهذه مفاتيح بيت مالكم فادفعوا إلى من شئتم

فقالوا: قد اتهمناك بالكتاب فاعتزلنا. وأخرج ابن سعد من طريق جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إن عثمان وجه إلى المصريين لما أقبلوا يريدونه محمد بن مسلمة في خمسين من الأنصار أنا فيهم فأعطاهم الرضا وانصرفوا فلما كانوا ببعض الطريق رأوا جملا عليه ميسم الصدقة فأخذوه فإذا غلام لعثمان ففتشوه فإذا معه قصبه من رصاص في جوف إداوة فيها كتاب إلى عامل مصر فوجدنا فيه هذا الكتاب فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده

مائة، واحلق رأسه ولحيته، وأطل حبسه حتى أتيتك أمري، وعمرو بن الحمق، فافعل به مثل ذلك، وسودان بن حمران مثل ذلك، وعروة بن البياع الليثي مثل ذلك.

قال: فقلت: وما يدريكم أن عثمان كتب بهذا؟ قالوا: فيقتات مروان على عثمان بهذا فهذا شرٌّ، فيخرج نفسه من هذا الأمر.

ثم قالوا: انطلق معنا إليه فقد كلمنا عليا ووعدنا أن يكلمه إذا صلى الظهر وجئنا سعد بن أبي وقاص فقال: لا أدخل في أمركم، وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو فقال مثل هذا، فقال محمد: فأين وعدكم علي؟ قالوا: وعدنا إذا صلى الظهر أن يدخل عليه.

قال محمد: فصليت مع علي عليه السلام، قال: ثم دخلت أنا وعلي عليه (عثمان) فقلنا: إن هؤلاء المصريين بالباب فأذن لهم، قال: ومروان جالس فقال مروان: دعني جلعت فداك أكلمهم.

فقال عثمان: فض الله فاك اخرج عني، وما كلامك في هذا الأمر؟ فخرج مروان وأقبل علي عليه السلام عليه قال: وقد أنهى المصريون إليه مثل الذي انهوا إلي فجعل علي يخبره ما وجدوا في كتابهم، فجعل يقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شور فيه، فقال محمد بن مسلمة: والله إنه لصادق، ولكن هذا عمل مروان،

فقال علي عليه السلام: فادخلهم عليك فليسمعوا عذرك.

قال: ثم أقبل عثمان على علي عليه السلام فقال: إن لي قرابة ورحما والله لو كنت في هذه الحلقة لحللتها عنك، فأخرج إليهم فكلمهم فإتهم يسمعون منك.

قال علي عليه السلام : والله ما أنا بفاعل ولكن أدخلهم حتى تعتذر إليهم.

قال: فادخلوا. قال محمد بن مسلمة: فدخلوا يومئذ فما سلموا عليه بالخلافة فعرفت أنه الشر بعينه قالوا: سلام عليكم، فقلنا: وعليكم السلام، قال: فتكلم القوم وقد قدموا في كلامهم ابن عديس، فذكر ما صنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملا منه على المسلمين وأهل الذمة وذكر استئثارا منه في غنائم المسلمين، فإذا قيل له في ذلك قال: هذا كتاب أمير المؤمنين إلي، ثم ذكروا أشياء مما أحدث (عثمان) بالمدينة وما خالف به صاحبيه (أبو بكر وعمر) قال: فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلا دمك أو تنزع، فردنا علي ومحمد بن مسلمة وضمن لنا محمد النزوع عن كل ما تكلمنا منه، ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة قالوا: هل قلت ذاك لنا؟ قال محمد: فقلت: نعم، ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عز وجل عليك ويكون حجة لنا بعد حجة، حتى إذا كنا بالبويب (مدخل أهل الحجاز بمصر) أخذنا غلامك فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبد الله بن سعد تأمره فيه بجلد ظهورنا، والمثل بنا في أشعارنا، وطول الحبس لنا، وهذا كتابك

قال: فحمد الله عثمان أثنى عليه ثم قال: والله ما كتبت ولا أمرت ولا شورت ولا علمت.. قال: فقلت وعلي جميعا: قد صدق.

قال: فاستراح إليها عثمان؛ فقال المصريون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري. قال: أفيجترأ عليك فيبعث غلامك وجمل من صدقات المسلمين، وينقش على خاتمك، ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور

العظام وأنت لا تعلم؟ قال: نعم

قالوا: فليس مثلك يلي، اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعتك الله منه قال: لا أنزع قميصا ألبسنيه الله عزوجل. قال: وكثرت الأصوات واللغط فما كنت أظن أنهم يخرجون حتى يواثبوه..

قال: وقام علي عليه السلام فخرج فلما قام علي قمت وقال المصريون: أخرجوا فخرجوا، ورجعت إلى منزلي ورجع علي عليه السلام إلى منزله فما برحوا محاصرته حتى قتلوه.^(١)

٤.١. صورة أجمل وأكمل

فيما تقدم بعض ملامح الصورة للحصار الأول لعثمان، وأسباب الحصار الثاني له، وإليك هذه الرواية عن سعيد بن المسيب قال: إن عثمان لما ولي كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لأن عثمان كان يحب قومه، فولى الناس اثنتي عشرة سنة، وكان كثيرا ما يولي بني أمية ممن لم يكن له من رسول الله ﷺ صحبة، وكان يجيء من أمراء ما يكره أصحاب محمد، فكان يستعيب فيهم فلا يعزلهم، فلما كان في الحجج الآخرة استأثر ببني عمه فولاهم وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر، فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه، وقد كانت من عثمان قبل هنات (سقطات) إلى عبد الله بن مسعود، وأبي ذر، وعمار بن ياسر، فكان في قلوب هذيل، وبني زهرة، وبني غفار، وأحلافها من غضب لأبي ذر ما فيها، وحنقت بنو مخزوم لحال عمار بن ياسر (لأنه حليفها)، فلما جاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح، كتب إليه كتاب يتهدده فيه، فأبى أن ينزع (يرتدع) عما نهاه عثمان عنه وضرب بعض من شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتى قتله، فخرج من

(١) الغدير ج ٩ الشيخ الأميني ص ١٧٧

أهل مصر سبع مائة رجل إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا ما صنع بهم ابن أبي سرح في مواقيت الصلاة إلى أصحاب محمد..

فقام طلحة إلى عثمان فكلمه بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة تسأله أن ينصفهم من عامله، ودخل عليه علي بن أبي طالب عليه السلام وكان متكلم القوم فقال له: إنما يسألك القوم رجلا مكان رجل، وقد ادعوا قبله دما فاعزله واقض بينهم، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه.

فقال لهم: اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه. فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر، فقالوا: استعمل علينا محمد بن أبي بكر. فكتب عهده وولاه ووجه معهم عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح، فشخص محمد بن أبي بكر وشخصوا جميعا فلما كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير وهو يخبط البعير خبطا كأنه رجل يَطلب أو يُطلب..

فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر: ما قصتك؟ وما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب. فقال لهم مرة: أنا غلام أمير المؤمنين، وقال أخرى: أنا غلام مروان، وجهني إلى عامل مصر برسالة..

قالوا: فمعك كتاب؟ قال: لا. ففتشوه، فلم يجدوا معه شيئا وكانت معه أداة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج شقوا

الأداة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح. فجمع محمد من كان معه المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم قرأ الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمد وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي، واحبس من يجيء إليّ متظلما

منك إن شاء الله.

فلما قرؤوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر ممن كان معه، ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة، فجمعوا عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان من أصحاب النبي ﷺ ثم فكروا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرؤوهم الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وعمار بن ياسر وأبي ذر حنقا وغيظا، وقام أصحاب النبي ﷺ بمنزلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما في الكتاب.

وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم، وأعاناه على ذلك طلحة بن عبيد الله، وكانت عائشة تقرصه كثيرا، ودخل علي وطلحة والزبير وسعد وعمار في نفر من أصحاب محمد ﷺ كلهم بدري على عثمان ومع علي ﷺ الكتاب والغلام والبعير..

فقال له علي ﷺ: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم،

قال: والبعير ببعيرك؟ قال: نعم.

قال: وأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، وحلف بالله: ما كتبت هذا

الكتاب ولا أمرت به ولا علمت بشأنه..

فقال له علي ﷺ: أ فالخاتم خاتمك؟ قال: نعم.

قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم

به؟ فحلف بالله: ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام

إلى مصر قط.. وعرفوا أن الخط خط مروان فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى، وكان مروان عنده في الدار، فخرج أصحاب محمد ﷺ من عنده غضابا وعلموا أنه لا يحلف بباطل إلا أن قوما قالوا: لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه عن الأمر ونعرف حال الكتاب، وكيف يؤمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله بغير حق؟ فإن يكن عثمان كتبه عزلناه، وإن يكن مروان كتبه عن لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان، فلزموا بيوتهم فأبى عثمان أن يخرج مروان. فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا: لا. قال: أفيكم سعد؟ فقالوا: لا. فسكت، ثم قال ألا أحد يبلغ عليا فيسقيننا ماء؟ فبلغ ذلك عليا عليه السلام فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت.^(١)

٥.١. الإمام علي عليه السلام ينصح عثمان:

وروي أنه لما عاب الناس على عثمان ما عابوا عليه من أعماله المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرة الأمة الإسلامية وعرفها، كلموا الإمام علي عليه السلام في ذلك فدخل على عثمان وقال: إن الناس ورائي قد كلموني فيك فو الله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئا تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه إنك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغك وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله ﷺ كما صحبنا وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من عمل الخير منك وأنت أقرب إلى رسول الله وقد نلت من صهره ما لا ينالا ولا سبقاك إلى شيء فالله الله في نفسك فإنك والله لا تبصر من

(١) (الغدير ج ٩ الشيخ الأميني ص ١٧٧ وما بعدها)

عمى ولا تعلم من جهل وإن الطريق لواضح بيّن وإن أعلام الدين لقائمة..

أتعلم يا عثمان: أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدي فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة فو الله إن كلا لبين وإن السنن لقائمة لها أعلام وإن البدع لظاهرة لها أعلام وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به فأمات سنة معلومة وأحي بدعة متروكة وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتي يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتطم في غمرة جهنم..

وإني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقماته فإن عذابه شديد أليم وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة وتلبس أموراً عليها وتنشب الفتن فلا يبصرون الحق لعلو الباطل يمجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً.

فقال له عثمان: كلم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم.. فقال ﷺ: ما كان في المدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول أمرك إليهم..

فقال عثمان: والله قد علمت ما تقول أما والله لو كنت بمكاني ما أغضبتك ولا عتبتُ عليك ولا جئتُ منكراً ولا عملتُ سوءاً إن وصلتُ رحماً أو سددتُ خُلة..^(١)

ثم خرج عثمان فجلس على المنبر مغضباً وقال: أما بعد فإن لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة، وأن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم ويقولون..

(١) (تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٩٦ وص ٩٧).

أمثال النعام يتبعون أول ناعق أحب مواردها إليها البعيد لا يشربون إلا نغصا ولا يردون إلا عكرا لا يقوم لهم رائد وقد أعتبهم الأمور وتعذرت عليهم المكاسب..

ألا فقد والله عبتم عليّ بما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطأكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له ما أحببتم أو كرهتم وأوطأت لكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم عليّ أما والله لأنا أعزُّ نفرا وأقرب ناصرا وأكثر عددا وأقمن إن قلت هلم أتى إليّ.. ولقد أعددت لكم أقرانكم وكشرت لكم عن نابي وأخرجتم مني خُلُقًا لم أكن أحسنه ومنطقًا لم أكن به أنطق فكفوا عني ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فإنني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ألا فما تفقدون من حقكم والله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي وما وجدتمكم تختلفون عليه فما بالكم.

فقال مروان بن الحكم: إن شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف فنحن وأنتم كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم

مغارسكم تبنون في دمن الشرى

فقال عثمان: لمروان اسكت أسكتك الله دعني وأصحابي ثم نزل عثمان^(١)

فلما كان بعد أيام عاد إليه علي عليه السلام فوعظه فقال: لست أبدء بك وإنني لأعلم شئناك لي دعني وأصحابي.. فقال عليه السلام: لقد أدبت إليك ما أوجب الله عليّ وخرج من عنده.

(١) (تاريخ الطبري ج ٥ - ص ٩٦) وابن الأثير (ج ٣ - ص ٥٨)

خطبة عثمان: ويروى أن عثمان لما رأى كثرة العاتبين عليه وشدة المطالبين بحقهم وانصافهم من ولاته الفسقة من بني أمية وخروج أمير المؤمنين عليه السلام وعهده له بأن لا يعود إليه، فاستشعر الخطر وتلمس الجد من ذلك، فلم يكن بأسرع من أن خرج عثمان إلى المسجد فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما بعد أيها الناس فو الله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه ولكني مئنتني نفسي وكذبتني نصيحتي وضلّ عني رشدي ولقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من زلّ فليتب ومن أخطأ فليتب ولا يتمادى بالهلكة فإن من تمادى في الجور كان أبعد عن الطريق..

فأنا أول من اتعظ أستغفر الله؛ أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه فمثلي نزع وتاب فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم فو الله لئن ردني الحق عبداً لأكونن له كالمرقوق إن مُلك صبر وإن عُتق شكر وما عن الله مذهب إلا إليه فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إليّ لئن أبثّ يميني لتتابعني شمالي.

فقام إليه المقداد بن عمر فقال: يا عثمان ليس بواصل لك ما ليس معك الله، الله في نفسك فأتمم على ما قلت.^(١)

ولما نزل عثمان وجد مروان بن الحكم وسعيد بن العاص ونفرا من بني أمية في مجلسه ولما جلس فقال له مروان: يا أمير المؤمنين أتكلم أم أصمت؟؟..

ف قالت له نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان: بل أصمت فأنتم والله قاتلوه ومؤثموه لأنه قال مقالة لا ينبغي أن ينزع عنها..

(١) (الطبري ج ٥ - ص ١١١)

فأقبل عليها مروان قال لها: وما أنت في هذا فو الله لقد مات أبوك ولا يحسن أن يتوضأ..

فقالت: مهلا عن ذكر الآباء فإنك تخبر عنه وهو غائب تكذب عليه وأن أباك لا يستطيع أن يُدفع عنه أما والله لولا أنه عمه (زوجها عثمان) وأنه يناله غمه لأخبرتك عنه ولم أكذب عليه..

ثم أعرض مروان عنها وقال: أتكلم أم أسكت؟

فقال له عثمان: تكلم.. قال: بأبي أنت وأمي والله لو ددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع وكنت أول من رضي بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبين وبلغ السيل الزبي وحين أعطى الخطة الدليلة الذليل والله لإقامة على خطيئة تستغفر منها أجمل من توبة تخوف عليها وأنت إن شئت تقربت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة..

وقد اجتمع على الباب مثل الجبال من الناس.. فقال عثمان: فاخرج إليهم وكلمهم فإني أستحي منهم فخرج إليهم مروان وفتح الباب والناس يركب بعضهم بعضا، قال: ما شأنكم قد اجتمعتم أيها الناس كأنكم جئتم لنهب، شامت الوجوه، كل إنسان أخذ بأذن صاحبه إلا من أريد جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فإننا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا..

فرجع الناس وخرج بعضهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: خرج علينا مروان وقال كذا وكذا وقصوا عليه الخبر فخرج مغضبا حتى دخل على عثمان فقال: يا عثمان أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بحرفك عن دينك وبخدعك عن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار

به والله ما مروان بذى رأي في دينه ولا نفسه وأيم الله إنني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك أذهبت والله شرفك وغلبت على أمرك.. ثم انصرف عنه^(١)

٦.١. كتاب عثمان إلى معاوية:

وبعث عثمان في الحال المسور بن مخرمة الزهري بكتاب إلى معاوية بن أبي سفيان: أما بعد: فإني كتبت كتابي هذا والله ما أحسبه يبلغك وأنا حي وقد رأيتك ورضيت عنك بمكانك واطمأنت إلى نفسك ووثقت بأمنية من مَنَّاك (بالخلافة والحكم) ولن تنتهي بك الأمنية دون الذلة (والتفريط بعثمان) فأحداهما خير لك من الأخرى (الولاية خير لك من الخلافة).. وإذا بلغك كتابي هذا فابعث إليَّ جيشاً سريعاً برجل معه من أهل ثقتك في نفسك واجعله حبيب بن مسلمة ثم أمره فليجعل اليومين يوماً والليلتين ليلة والمنزلين منزلاً وإن استطعت أن تفاجئني مفاجأة فقد التقت العصا ولم يبق إلا خذ وآت، وأعط وامنع، وهات وهلم، ونعم ولا (كناية عن المناوشات في بداية أية مخاصمة)، وبين ذلك.. عاجل وأمر ناهض (في بدايته) والدين مع أول صدمة، والسلام. وفي تاريخ الطبري أن معاوية لما وصل إليه الكتاب تربص وأظهر كراهية المخالفة لأصحاب رسول الله ﷺ وقد علم باجتماعهم عليه فأبطأ في الأمر^(٢)

في أمثال ما أثبتناه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وإنكاره عليه في مقام بعد مقام واعتزاله أمره وأمر القوم حتى كان منه ومنهم ما كان؛ وكيف لا يكون ساخطاً عليه مع ما بيناه ومشاركاً للقوم جميعاً في تبديعه

(١) (تاريخ الطبري ج ٥ - ص ١١٢) وابن الأثير (ج ٣ - ص ٦٥)

(٢) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١٥)

على ما تقدم من أعماله الشنيعة؟ غير أنه لم يساعدهم على حصره ولا أعانهم على خلعه ولا شاركهم في قتله لما أسلفناه من القول في ذلك وعلمه بها وأحاطته بجميع ما كان منها ولإقامة الحجة عليه من جهة، وعليهم من جهة أخرى..

٧.١. الآراء في أحداث عثمان:

هناك طوائف من الناس حقدوا على عثمان وسعوا في عزله وهم مختلفون ما بين محق ومبطل وما بين منصف ومرجف..

فطائفة منهم تعلقوا عليه بأحداث لم ينكروا مثلها من غيره طمعا فيه لضعفه ولينه وتتبع عثراته ومقاله وقصدوا من ذلك تقلد الأمر والحكومة من بعده ونيل الرياسة بخلعه منها كطلحة والزبير..

ومنهم طائفة أرغمها عثمان بمنعه لها المراد منه من العدل والإنصاف للرعية وردّها عن طلباتها وأبطل رسومها فحققت عليه وسعت في خلعه وسفك دمه، كشوار مصر والعراق وغيرهم.

وطائفة انتقضت عاداتها بعثمان والإكرام لها والإعظام ممن تقدمه من الخلفاء كعائشة بنت أبي بكر فصارت بذلك كارهة لأمره وساعية في خلعه..

وطائفة كان المتقدمون يقلدونهم الأعمال واستبدل بهم منها سواهم من الناس وخواصه من بني أمية، وحرّمهم ما كانوا يصلون إليه من بيت المال فسعت في ذلك في خلعه وعاونوا من أجله على قتله كعمرو بن العاص وأمثاله..

وطائفة استشنعت أحداثا كانت منه، واعتقدت فيه الضلال بذلك وقصدت في خلعه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وربما كان منهم غالطا فيما أنكرته، وربما كان منهم مصيبا فيه غير أن الغرض كان منهم فيما صنعوه قصدا لنصرة الدين والإسلام وهذه الطائفة هي التي كانت الأصل في الإنكار عليه وبفعلها تسببت الأسباب في خلعه وقتله..فبداية الأمر كان دينيا ولكنه انتهى دنيويا أمويا وملكا عضوضا بكل ما في الكلمة من معنى..

وأما أمير المؤمنين عليه السلام فلم يكن تفرده عن نصرته وترك النهوض بالدفاع عنه خذلانا له لرأي يستصوبه في خلعه وقتله بل كان رأيه عليه السلام تابعا في ذلك لعقيدته فيمن تقدم عليه من الأمراء من كافة القوم وكان عالما بعواقب الأمور غير شك في المصالح يرى المودعة والمهادنة والرقود والمسالمة إلى انقضاء المدة التي يعلم صواب التدبير فيها بذلك فامتنع عليه السلام من التحمّل للدفاع عن حصره وقتله بمثل ما امتنع من دفاع المتقدمين عليه في الأمر وذلك لشيئين معروفين:

أحدهما: عدم الأنصار له على مراده في ذلك..

والثاني: لوخيم العاقبة في المباينة للجمهور ولما تقتضي الحرب وتوقع الفتنة وقد دافع عليه السلام عنه بالقول في أحوال اقتضت المصلحة دفاعه عنه وأمسك عن الإنكار لما كان القوم عليه والرأي في حصره وخلعه وقتله لما عرف من جميل العاقبة في ذلك ولو لم يكن عليه السلام مستودعا علم ذلك كما تذهب إليه الشيعة فيه لكانت مشاهدته للحال ودلائلها تكفيه وتقنعه فيما صنع..

وزاده في الأحوال والاختلاف بين ذوي العقول: فإن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فعمل عليه السلام في اختلاف الأقوال منه والأفعال على علمه

بعواقب الأمور وشاهد الحال. وعلى هذا شواهد كثيرة من أقواله عليه السلام.

كقوله عليه السلام: والله ما قتلت عثمان ولا مالات في قتله.

وقوله عليه السلام: الله قتل عثمان. (أي أن الحق والعدل من قتله).

وقوله عليه السلام: لو لم يدخل الجنة إلا قاتل عثمان لما دخلها ولو لم

يدخل النار إلا قاتل عثمان لما دخلها.

وقوله عليه السلام: والله ما غاظني قتل عثمان، ولا سرنني ولا أحببت ذلك

ولا كرهته.. (لأنه أكثر من نصحه فلم ينتصح، وأغواه مروان وبني أمية

حتى قتلوه).

وقوله عليه السلام: أكرهت الله قتلة عثمان.

وقوله عليه السلام: عند مطالبة القوم بقتلة عثمان: من قتل عثمان فليقم..

فقام أربعة آلاف من الناس المتحيزين إليه، فقال: هؤلاء قتلة عثمان..

وأما القول في كون قتلة عثمان من خاصّة أنصاره وأعوانه وأصحابه فهذا

لا يصح أبداً، لأنه عليه السلام كان يكثر من الدعاء عليهم، ويجهر بالسخط

لأعمالهم، فكيف يستقيم ذلك مع إظهاره الولاية لهم والتعظيم والمودة

والإكرام مع تقربهم إليه وائتمانه لهم، وقوله عليه السلام: اللهم اقتل قتلة عثمان

في بر الأرض وبحرها.. كما يروون؟

في أمثال ما ذكرناه من أقواله عليه السلام ولكن الأفعال والأقوال التي

ذكرناها منه متلائمة غير مختلفة في معناها إذا دحض بعضها بعضاً

وحمل بعضها على بعض في الرأي الذي تقتضيه الأحوال ويوجبه النظر

في العلم بالعواقب وتمام المصالح.

٨.١. رأي الجاحظ في ذلك:

قد زعم الجاحظ وهو من شيوخ المعتزلة وناصبي بامتياز: أن أمير المؤمنين عليه السلام كان ممتحنا بعد قتل عثمان بمحن عظيمة وذلك أن جميع من نصب له الحرب جعل الحججة عليه في دعواه عليه قتل عثمان، (وأسأله هل كل دعوى هي صادقة وكل تهمة لأحد لاصقة به لا انفكاك له منها؟ ومن يثبت البراءة إذن؟)

وقال: وظاهر الحال يوهم ذلك عليه لأنه كان مبينا له في الأحوال، والأوقات، وهاجرا له في زمان وأيام، وكان المنكرون على عثمان من أهل مصر والعراق يلجؤون إليه في السفارة بينه وبين عثمان (لأنه من كان سيجرؤ على عثمان وهو الذي ضرب كبار الصحابة وعفسهم برجليه عندما بلغوه أمرا كعمار بن ياسر ذاك الصحابي الكبير فقد لطمه وسبه ووطأه برجليه حتى فتقه وأغماه، وكذا عبد الله بن مسعود الذي ضربه وحرمه رزقه؟) وكان عليه السلام فيهم مسموع القول مطاعا معظما مأمونا (لأنه أعظم الصحابة وأطهرهم وهو صاحب الفضائل ولا ينكر فضله مسلما) ثم قعد عن نصرته (كيف تكون النصره، وهو الذي قال لابن عباس: دفعت - أو عاتبت - عنه حتى خفت الخطيئة، وهو الذي بعث بأبنائه لحراسته والدفاع عنه كما تروون فمن نصر بأحسن من ذلك؟) وتقلد الأمر من بعده (هذا حقه أولا، وما قلده هم ثانيا ألم يقل لطلحة والزبير: أنا لكم وزير خير مني أمير.. فلم يقبلوا إلا به أميرا وحاكما، فما رضىها حتى أجبروه كما سيأتي) واستنصر على محاربيه (أي الإمام علي عليه السلام) بقاتليه (أي عثمان) فلم يشك القوم أنه قاتله.. (كيف هذا يا عقلاء الأمة، هل كانت الحرب إلا بسبب القتل الذي قاده طلحة والزبير والأمة رأت وسمعت ذلك منهم فكيف (لم يشك القوم أنه قاتله) يرون عليا عليه السلام

بعيدا عن المدينة، ومدافعا إن حضر بها، وطلحة والزبير يقودان الحصار حتى يقتل عثمان ثم يخرجان للطلب بدم عثمان الذي قتلاه من الإمام علي عليه السلام البريء من دم عثمان كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، وهو الذي بايعاه بكل الرضا. وتقول أيها الجاحظ بل الجاحد أن الأمة لا يشكون بأن أمير المؤمنين عليه السلام هو من قتل عثمان؟ أين العقل والمنطق والضمير والدين والأخلاق من ذلك؟

ثم يقول: وواحدة من هذه الخصال تريب (من لا دين له ولا علم لديه بالحقائق) فكيف بجميعها.. (وفيلسوف ذلك بقول عجيب حقا).

حيث يقول: وقد علم الناس قد يكون في هذا المصر الذي يتولاه أميراً ووزيراً وعاملاً من يوصل مثل عمله ويصلح لمثل رتبته ويمد عنقه إلى مثل ولايته ولا يتفق له من مراده من ذلك ويقصده الناظر بما يمنعه من صرفه والتدبر في عزله فيلزم بيته ويقصر مراعاته خوفاً من بيعته في عزله وتولى مقامه فيموت حتف أنفه فلا يشك الناس أنه دس إليه من قتله، ولو قتل ذلك الإنسان ذو غرم لغرض له أو لطلب ماله.. لقطعوا أن أمير البلدة وضعه على ذلك ودبر الأمر فيه عليه.. وقد يحبس السلطان بعض الرعية لشيء يجده في نفسه عليه فيموت في الحبس حتف أنفه فيحلف خلق من الناس بالله أنه تقدم فخنقه، ولا يشك الجمهور أنه واطأ على دمه ولو أقسم السلطان بالله أقساماً أكدها على البراءة من دمه لجعلوا ذلك شبهة فيما ادعوه عليه من قتله..

(تأمل - يا رعاك الله - لهذا المثال واعجب منه من عدة جهات:

من الحاكم القاتل أم المقتول؟

وهل قتل عثمان في سجن أمير المؤمنين عليه السلام حتى يتهم به؟

ومتى كانت التهمة صحيحة بمجرد إلقائها على المتهم؟

ومتى تثبت التهمة بتصديق الغوغاء وعامة الناس لها؟

وهل قتل الخليفة غيلة أم أنهم حصروه أكثر من أربعين يوما؟

وهل قتله متنكر أم ذبحوه جهارا نهارا وهم ألوف حول بيته؟

وأخيرا هل قتل الحاكم الأعلى كقتل أي شخص من الناس؟

ثم قال هذا الرجل أعني الجاحظ: أن أقوال علي عليه السلام في عثمان إنما اختلفت وتناقضت (بزعمه) لأنه كان محتاجا إلى التبرئة من دمه لكف أهل البصرة وأهل الشام عنه بذلك، وكان محتاجا إلى إضافة دم عثمان إليه لاستصلاح رعيته وارتباطهم لنصرته..

(أي أنه يحتاج إلى البراءة من دم عثمان ليبرر حربه لمخالفيه الذين خرجوا للطلب بدمه فيظهر البراءة منه، وهو بحاجة للظهور بمظهر من ساعد على الخليفة ليرضى عنه جنوده والذين قتلوا عثمان فيظهر لهم ذلك ليضمن ولاءهم..وهل هي إلا تهمة لأمير المؤمنين عليه السلام من هذا الأعمى بالنفاق، لأن النفاق ليس إلا هذا؟ فإن كان كذلك فعليه من الله ما يستحق، ولنعم ما أجابه به شيخنا الأمين رحمته الله في غديره النمير اسمعه حيث يقول):

وليس الأمر كما زعمه الجاحظ ولا القصد فيه كما توهمها وإنما حمل الجاحظ حال أمير المؤمنين عليه السلام في ما زعمه على أحوال أهل

الدنيا ومن لا دين له ولا يقين ولا تقوى من يصنع ما يصنع ويقول ما يقول لعمرارة الدنيا ولا يبالي بعاقبة ذلك في الآخرة بل كانت أفعال الإمام علي عليه السلام وأقواله التي أثبتناها في ما تقدم على الأغراض التي أنبأنا عنها وأوضحنا عن اتفاقها ووافقها للدين والنظر في مصالح المسلمين ومن تأمل ما ذكرناه وفكر فيه بقلب سليم وجدده على ما وصفناه.

٩.١. رأي العثمانية:

وقد زعمت العثمانية أن الذي يدل على مشاركة الإمام علي عليه السلام قتلة عثمان أشياء قد ثبتت بالأخبار وتظاهرت بها الآثار..

منها أنه تولى الصلاة بالناس يوم النحر وعثمان محصور ولم يستأذنه في ذلك وتغلب عليه فيه.. وقد كان طلحة بن عبيد الله صلى بهم يوم الجمعة في حصار عثمان فزعمت العثمانية أن عليا كان متهما بدم عثمان لصلاته بالناس يوم النحر عن غير إذنه ولم يتعلق أحد منهم برمي طلحة بدم عثمان لصلاته بالناس يوم الجمعة وعثمان محصور ولا نسبوه إلى التغلب بذلك وبرؤوه من دمه وهو الذي تولى حصره حتى قتله..

ومما تعلق القوم به مقامه بالمدينة منذ حصر وقول أسامة بن زيد مشيرا عليه بالخروج عنها على ما رواه حذيفة القرشي عن رجاله قال: قال أسامة بن زيد لعلي عليه السلام: لأنت والله يا أبا الحسن أعز علي من سمعي وبصري فأطعني واخرج إلى أرضك بينبع فإن قتل عثمان وأنت شاهد طلبك الناس بدمه، وإن لم تشهد لم تعد بك الناس أحدا..

فقال ابن عباس: لأسامة يا أبا محمد أتطلب أثرا بعد عين أبعد ثلاثة من قريش..

فجعلت العثمانية هذه الأشياء وشبه لها فيما قذفت به أمير

المؤمنين عليه السلام من دم عثمان واحتجّت أيضا في ذلك بما صنعه علي عليه السلام عند قتل عثمان من أخذ نجائبه وأدراعه وأورد في ذلك قول الوليد بن عقبة (الفاسق) يخاطب بني هاشم ويعاتبهم عند قتل عثمان:

بني هاشم ردوا سلاح ابن
أختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم كيف الهوادة بيننا
وعند علي درعه ونجائبه
بني هاشم كيف التودد بيننا
وتبر ابن أروى فيكم وجوائبه
بني هاشم إني وما كان منكم
كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما
غدرت يوما بكسرى مرازبه
فإن لم تكونوا قاتليه فإنه
سواء علينا مسلموه وسالبه^(١)

وأعجب العجب ممن يتعلق بمثل هذا القول من مثل هذا الرجل الذي وصفه الله سبحانه بالفسق وأمر برد خبره فكيف يحتجّون على تهمة أمير المؤمنين عليه السلام وصديق هذه الأمة وأول المصدقين لرسولها الأمين عليه السلام بكلام فاسق لعين.؟ فهذا من أعجب العجب.

كما أنهم واحتجوا أيضا بقول حسان بن ثابت الأنصاري ذاك الناصبي لأهل البيت عليه السلام حيث يقول مسعرا الفتنة في قتل عثمان:

(١) (أبو الفرج في الأغاني (ج ٤ - ص ١٧٤) في الرواية عن محمد بن حبيب أبياتا تسعة)

ضحوا بأشمط عنوا السجود
 له يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
 يا ليت شعري وليت الطير تخبرني
 ما كان بين علي وابن عفانا
 لتسمعن وشيكا في ديارهم
 الله أكبر يا ثارات عثمانا

هذا قول حاقد على المسلمين ويحاول أن يشعل نيران الفتنة ويعطيهم شعارها (وبالفعل كان هذا شعار الفتنة كلها) وأسأل لماذا أخذوا هذا القذف الغير مبرر لأمير المؤمنين عليه السلام ولم يأخذوا قوله لطلحة والزبير حيث يقول أيضا:

من عذيري من الزبير ومن
 طلحة هاجا أمرا له إعسار
 حين قالوا للناس دونكم العلج
 فثبت وسط المدينة نار

فالأمر والثأر الذي يدعوا إليه هو عند طلحة والزبير وأهم عائشة فلماذا هذا التجني على أمير المؤمنين عليه السلام وبهذه الصلافة؟

وأخيرا نتساءل مع الشيخ الأميني رحمته الله: أكان من العدل وعلى الصراط المستقيم إزرائه (عثمان) صلحاء الأمة وعظماء الصحابة وإيذائهم بغير ما اكتسبوا وقد احتمل بهتاننا وإثما مبينا، وهم بين مسيرها لك في تسييره، ومعذب في قعر السجون وظلم المطامير، ومشتوم مهان ينادى عليه بذل الاستخفاف، ومضروب قد دقت بالضرب أضلاعه، وآخرها عذر متنه وفتق بطنه، ومحروم عن مال الله لأمره بالمعروف وإنكاره المنكر؟

أم سبه الصحابة - العدول - وتكفيره إياهم بكتابه وخطابه؟

أم مجابته صنو رسول الله ﷺ ونفسه الزكية بنص آية المباهلة ووصيه وأبو ولده بتلكم القوارص؟

أم عده مروان الوزغ الطريد اللعين أفضل من سيد العترة عليّ ﷺ؟

أم رأيه فيه (سلام الله عليه) وتهديده له وقوله: بأنه أولى الناس بالنفي من جوار النبي الأقدس ﷺ بعد أن نفى أبا ذر منها؟

أم إبعاده إياه، عن المدينة مرة بعد أخرى؟

أم نقضه العهود والمواثيق المؤكدة؟

أم نبذه كتاب الله وراء ظهره، وشذوذه عن السنة الشريفة في صلاته، وصيامه، وحجه، وزكاته، وإدخال آرائه واجتهاداته الشاذة في جميع ذلك؟ أم، وأم إلى ما شاء الله.

هلا عرفت الصحابة عدل هذا الإنسان وكونه على الصراط المستقيم يوم حسبوه جائرا في الحكم، حائدا عن العدل، متنكبا عن الصراط، باغيا ساعيا في الأرض فسادا ولم يبرحوا ناقمين مؤلبين عليه إلبا واحدا حتى تمخضت عليه البلاد، وأسعرت وراءه نارا، ولم تنطفئ إلا باختلاسه وإخماد أنفاسه؟ أو أنهم عرفوا ذلك غير أن الضغائن حدتهم إلى ما ارتكبوا منه؟ فأين إذن عدالة الصحابة؟

وإن كان الرجل أمرا بالعدل وهو على صراط مستقيم فعده على نفسه سنة /٣٥/ وفي الشورى العمرية، بأن يعمل بالكتاب والسنة لماذا؟ وتوبته مرة بعد أخرى على صهوات المنابر عن ماذا؟ والتزامه بالإقلاع عما هو عليه وتغيير خطته لماذا؟ وما تلكم الأقوال من الصحابة الواقفين عليه وعلى أعماله من كذب؟ مثل قول علي أمير المؤمنين عليّ ﷺ له: ما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعقلك مثل جمل

الظعينة يقاد حيث يسار به. وقوله: أذهبت شرفك وغلبت على أمرك.

وقول عمار: امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله.

وقول عمرو بن العاص لعثمان: ركبت بهذه الأمة نهابير من الأمور فركبوها منك وملت بهم فمالوا بك، اعدل أو اعتزل.

وقول سعد بن أبي وقاص: لكن عثمان غيّر وتغيّر، وأحسن وأساء. وقول مالك الأشتر: الخليفة المبتلى الخاطيء الحائد عن سنة نبيه، الناخذ لحكم القرآن وراء ظهره.

وقول صعصعة بن صوحان له: ملت فمالت أمتك، اعتدل يا أمير (المواطنيين)! تعتدل أمتك.

وقول هاشم المرقال: إنما قتله أصحاب محمد وقراء الناس حين أحدث أحداثا وخالف حكم الكتاب.

وقول عبد الرحمن العنزي: هو أول من فتح أبواب الظلم، وارتج أبواب الحق.

وقول أصحاب حجر بن عدي: هو أول من جار في الحكم، وعمل بغير الحق.

وقول الصحابة له: بلونا منك من الجور في الحكم، والأثرة في القسم، والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس.

وقول نائلة بنت الفرافصة زوجته له: إتق الله وحده لا شريك له، واتبع سنة صاحبك من قبلك.

إلى كلمات كثيرة لأمة كبيرة من كبار الصحابة، وشهادات من هؤلاء

العظماء الكبار في دنيا الإسلام وتاريخ المسلمين ولو جاءت واحدة بحق غيره لأخرجناه من الدين وحكمنا عليه بالضلال وربما بأكثر من ذلك لاسيما إذا قتل على رأيه وأعماله المنكرة..ولكنه ذو النورين والخليفة الراشدي الثالث، ولكن الأهم من ذلك كله أنه رأس وزعيم بني أمية الذي أوصلهم إلى كراسي السلطة في الأمة ولو فكرت الأمة بآية واحدة من كتاب الله، أو حديث من السنة المطهرة بحقهم، لعرفت إذن قدره وقدر بني أمية في هذا الدين الذي حاربوه باسمه ومن داخله بكل ما لديهم من قوة، ومال، ومكر، ودهاء، وخداع، ولو طاولتهم الجبال لطاولوها كما في الرواية.

ولنعم ما قال شيخنا الأمين رحمته الله: للباحث أن يسأل العلماء المدافعين عن الطلب والمطالبين بدم عثمان: هل كان أمرا مشروعا يرتضيه الله ورسوله؟ أو كان غير ذلك؟ فإن كان الأول؟ فلماذا كان رسول الله ﷺ يعهد إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام أن يقاتل الناكثين والقاسطين الطالبين بدم عثمان؟ ويحث عيون أصحابه على مناصرته عليه السلام متى واثبه القوم؟ ويحذر مناوئيه في المقامين وينهاهم عن قتاله عليه السلام، ويصفهم بالظلم إن فعلوا؟

ولماذا كان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يناضلهم، فضلا عن اشتراكه معهم في الطلب؟ ولا يسلم إليهم قتلة عثمان وآواهم؟ وهو الذي يدور الحق معه حيثما دار، وهو مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا على النبي الحوض.

وكيف كانت الصحابة العدول يقاتلون معه عليه السلام الثائرين بدم عثمان؟ وفي يوم الجمل تحت رايته عيون الصحابة ووجهاء الأمة، وفي

صفيين شهد معه الإمامان السبطان الحسنان وممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة مائتان وخمسون^(١)

ويقال: ثمانمائة نفس فقتل منهم ثلاثمائة وستون نفسا وكان معه ثمانون بدريا على رواية ابن ديزيل والحاكم^(٢) وجاء في خطبة سعيد بن قيس: سبعون بدريا^(٣) وفي كلام لمالك الأشتر: قريب من مائة بدري^(٤) ومن أولئك الصحابة وفي مقدمهم البدريون كما أوردهم الشيخ الأميني في غديره المبارك:

١. أسيد بن ثعلبة الأنصاري. بدري.
٢. ثابت بن عبيد الأنصاري. بدري قتل بصفيين.
٣. ثعلبة بن قيظي بن صخر الأنصاري. بدري.
٤. جبر بن أنس بن أبي زريق. بدري.
٥. جبلة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي. بدري.
٦. الحارث بن حاطب بن عمرو الأنصاري الأوسي. بدري.
٧. الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري الأوسي. بدري.
٨. حصين بن الحارث بن المطلب القرشي. بدري.
٩. خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري. بدري.
١٠. خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاري الأوسي. بدري قتل بصفيين.

(١) (في مستدرك الحاكم ٣ : ١٠٤)

(٢) (مستدرك الحاكم ٣ ص ١٠٤، تاريخ ابن كثير ٧ : ٢٥٤)

(٣) (كتاب صفيين لابن مزاحم ص ٢٦٦، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٣)

(٤) (كتاب صفيين لابن مزاحم ص ٢٦٨، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٤)

١١. خليفة - ويقال: عليفة - بن عدي بن عمرو البياضي. بدري.
١٢. خويلد بن عمرو الأنصاري السلمي. بدري.
١٣. ربعي بن عمرو الأنصاري. بدري.
١٤. رفاعه بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي. بدري.
١٥. زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي البلوي. بدري.
١٦. جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي. بدري.
١٧. خباب بن الأرت أبو عبد الله التميمي. بدري.
١٨. سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي. بدري.
١٩. سماك بن - أوس بن - خرشة الأنصاري الخزرجي. بدري.
٢٠. صالح الأنصاري. بدري.
٢١. عبد الله بن عتيك الأنصاري. بدري.
٢٢. عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود الأنصاري. بدري.
٢٣. عمار بن ياسر المطيب الطيب الشهيد بصفين. بدري.
٢٤. عمرو بن أنس الأنصاري الخزرجي. بدري.
٢٥. عمرو بن الحمق الخزاعي الكعبي. بدري.
٢٦. قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي. بدري.
٢٧. كعب بن عامر السعدي. بدري.
٢٨. مسعود بن أوس بن أصرم الأنصاري. بدري.
٢٩. أبو الهيثم مالك بن التيهان البلوي المستشهد بصفين. بدري.

٣٠. أبو حبة عمرو بن غزية. بدري.
٣١. أبو عمرة بشر بن عمرو بن محصن الأنصاري المستشهد بصفين. بدري
٣٢. أبو فضالة الأنصاري استشهد بصفين. بدري.
٣٣. أبو محمد الأنصاري. بدري.
٣٤. أبو بردة هاني بن نيار - ويقال: نمر - بدري.
٣٥. أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد الأنصاري السلمي. بدري.
٣٦. أسود بن عيسى بن أسماء التميمي.
٣٧. أشعث بن قيس الكندي كان أميراً على الميمنة يوم صفين.
٣٨. أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي.
٣٩. الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي السعدي.
٤٠. أعين بن ضبيعة الحنظلي. أحد الأمراء بصفين.
٤١. بريد الأسلمي. قتل بصفين ورثاه أمير المؤمنين عليه السلام.
٤٢. البراء بن عازب الأنصاري الخزرجي.
٤٣. بشر - بشير - بن أبي زيد الأنصاري.
٤٤. بشير بن أبي مسعود الأنصاري.
٤٥. ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري.
٤٦. جارية بن زيد المستشهد بصفين.
٤٧. جارية بن قدامة بن مالك التميمي السعدي.
٤٨. جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري.
٤٩. جبير بن الحباب بن المنذر الأنصاري.

٥٠. جندب بن زهير الأزدي الغامدي كان من قادة معركة صفين.
٥١. جندب بن كعب العبدي أبو عبد الله الأزدي الغامدي.
٥٢. الحارث بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي.
٥٣. حازم بن أبي حازم الأحمسي المستشهد بصفين.
٥٤. الحبشي بن جنادة نصر السلولي.
٥٥. الحجاج بن عمرو بن عزية الأنصاري.
٥٦. حجر بن عدي الكندي، كان من الأمراء يوم صفين.
٥٧. حجر بن يزيد بن مسلمة الكندي.
٥٨. حنظلة بن النعمان الأنصاري.
٥٩. حيان بن أبجر الكناني.
٦٠. خالد بن أبي خالد الأنصاري.
٦١. خالد بن أبي دجانة الأنصاري.
٦٢. خالد بن المعمر بن سليمان السدوسي من قادة معركة صفين.
٦٣. خالد بن الوليد الأنصاري، كان ممن أبلى بصفين.
٦٤. خرشة بن مالك بن جرير الأودي.
٦٥. رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الخزرجي الحارثي.
٦٦. ربيعة بن قيس العدواني.
٦٧. ربيعة بن مالك بن وهيل النخعي.
٦٨. زبيد بن عبد الخولاني شهد صفين مع معاوية وكانت معه الراية فلما قتل عمار تحول إلى عسكر علي عليه السلام أخذاً بقوله عليه السلام: عمار

تقتله الفئة الباغية.

٦٩. زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الكعبي الخزرجي.
٧٠. زيد بن جارية الأنصاري.
٧١. زيد بن حيلة - بالمهملة والياء ويقال: بالمعجمة والموحدة - .
٧٢. زياد بن حنظلة التميمي.
٧٣. سعد بن الحارث بن الصمة الأنصاري استشهد يوم صفين.
٧٤. سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي.
٧٥. سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد.
٧٦. سليمان بن سرد بن أبي الجون أبو المطرف الخزاعي ، كان أميراً على رجاله الميمنة يوم صفين.
٧٧. سهيل بن عمرو الأنصاري ، قتل بصفين مع علي عليه السلام.
٧٨. شيب بن ربعي التميمي اليربوعي أبو عبد القدوس.
٧٩. شبيب بن عبد الله بن شكل المذحجي.
٨٠. شريح بن هاني بن يزيد بن نهيك أبو المقدام الحارثي.
٨١. شيبان بن محرث.
٨٢. صدى بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي.
٨٣. صعصعة بن صوحان العبدي.
٨٤. صفر بن عمرو بن محسن. وقتل بصفين.
٨٥. صيفي بن ربعي بن أوس.
٨٦. عائذ بن سعيد بن زيد بن جندب المحاربي الجسري. المستشهد

بصفين.

٨٧. عائذ بن عمرو الأنصاري.
٨٨. عامر بن وائلة بن عبد الله أبو الطفيل الليثي.
٨٩. عبد الله الأسلمي ممن استشهد بصفين وأثنى عليه مولانا أمير المؤمنين.
٩٠. عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي. قتل بصفين.
٩١. عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم. كان على الميسرة يوم صفين.
٩٢. عبد الله بن خراش أبو يعلى الأنصاري.
٩٣. عبد الله بن خليفة البولاني الطائي.
٩٤. عبد الله بن ذباب بن الحارث المذحجي.
٩٥. عبد الله بن الطفيل بن ثور بن معاوية البكائي.
٩٦. عبد الله بن كعب المرادي، قتل يوم صفين وكان من أعيان أصحاب أمير المؤمنين.
٩٧. عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري الأوسي.
٩٨. عبد الرحمن بن بديل بن ورقاء الخزاعي، من شهداء يوم صفين.
٩٩. عبد الرحمن بن حسل الجمحي. قتل بصفين.
١٠٠. عبيد بن خالد السلمى.
١٠١. عبيد الله بن سهيل الأنصاري.
١٠٢. عبيد بن عازب أخو البراء بن عازب.
١٠٣. عبيد بن عمرو السلماني أبو عمرو صاحب ابن مسعود.

١٠٤. عبد خير بن يزيد بن محمد الهمداني من أصحاب الإمام علي عليه السلام.
١٠٥. عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي.
١٠٦. عروة بن زيد الخيل الطائي.
١٠٧. عروة بن مالك الأسلمي قتل بصفين وأثنى عليه الإمام علي عليه السلام.
١٠٨. عقبة بن عامر السلمى.
١٠٩. العلاء بن عمرو الأنصاري.
١١٠. عليم بن سلمة الفهمي.
١١١. عمرو بن بلال كان من المهاجرين.
١١٢. عمير بن حارثة الليثي.
١١٣. عمير بن قررة السلمى.
١١٤. عمار بن أبي سلامة بن عبد الله بن عمران.
١١٥. عوف بن عبد الله بن الأحمر الأزدي.
١١٦. الفاكه بن سعد بن جبير الأنصاري الأوسي قتل بصفين.
١١٧. قيس بن أبي قيس الأنصاري.
١١٨. قيس بن المكشوح أبو شداد المرادي. من شهداء صفين.
١١٩. قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي.
١٢٠. كرامة بن ثابت الأنصاري.
١٢١. كعب بن عمر أبو زعنة.
١٢٢. كميل بن زياد النخعي، يقال: أدرك من الحياة النبوية ثماني عشرة سنة وكان شريفا مطاعا ثقة^(١).

(١) الإصابة ٣: ٣١٨

١٢٣. مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الأشتر.
١٢٤. مالك بن عامر بن هاني بن خفاف الأشعري.
١٢٥. محمد بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، من شهداء صفين.
١٢٦. محمد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي يقال: قتل بصفين.
١٢٧. مخنف بن سليم بن الحرث بن عوف بن ثعلبة الأزدي الغامدي ،
كان على راية الأزدي بصفين.
١٢٨. معقل بن قيس الرياحي التميمي اليربوعي.
١٢٩. المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي.
١٣٠. منقذ بن مالك الأسلمي أخو عروة ممن استشهد بصفين..
١٣١. المهاجر بن خالد بن المخزومي. استشهد بصفين.
١٣٢. نضلة بن عبيد الأسلمي أبو بريزة.
١٣٣. النعمان بن عجلان بن النعمان الأنصاري الزرقي.
١٣٤. هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال. كان صاحب الراية واستشهد
بصفين
١٣٥. هبيرة بن النعمان بن قيس بن مالك بن معاوية الجعفي. كان من
أمرء علي عليه السلام.
١٣٦. وداعة بن أبي زيد الأنصاري.
١٣٧. يزيد بن الحويرث الأنصاري
١٣٨. يزيد بن طعمة بن جارية بن لوذان الأنصاري الخطمي.
١٣٩. يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحرث التميمي الحنظلي.
يقال: إنه قتل بصفين.
١٤٠. يعلى بن عمير بن يعمر بن حارثة بن العبيد النهدي.

١٤١. أبو شمر بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميري ثم الأبرهي قتل مع علي عليه السلام بصفين.
١٤٢. أبو ليلى الأنصاري والد عبد الرحمن.
١٤٣. أبو جحيفة السوائي.
١٤٤. أبو عثمان الأنصاري.
١٤٥. أبو الورد بن قيس بن فهر الأنصاري.

٢. بيعة الحق والنور

يروى العلماء أن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام تمت في يوم عيد الله الأكبر عيد الغدير الأغر في الثامن عشر من ذي الحجة لعام/٣٥/ وهي ما بين الجمعة والسبت وقد استمرت ثلاثة أيام بلياليها، والمسلمون يتقاطرون زرافات وجماعات لبيعته الشريفة..

١.٢. البيعة النورانية..

قد ثبت بتواتر الأخبار ومتظاهر الحديث والآثار أن أمير المؤمنين عليه السلام ما كان منزلاً للفتنة بقتل عثمان وأنه بعد عن منزله في المدينة^(١) حصر عثمان وعلي بخيبر وفي شرح النهج لابن أبي الحديد^(٢) كتب عثمان إلى علي عليه السلام

فإن كنت مأكولاً فكن خير

أكل وإلا فأدركني ولما أمزق^(٣)

(١) (في تاريخ الطبري (ج ٥ ص ١٥٤)

(٢) (ج ٢ ص ٤٠٠)

(٣) وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٨) مثله)

لكي لا تتطرق عليه الظنون برغبته في البيعة بالأمر على الناس وأن الصحابة لما كان من أمر قتل عثمان ما كان التمسوه وبحثوا عن مكانه حتى وجدوه فذهبوا إليه وسألوه القيام بأمر الأمة وشكوا إليه ما يخافونه من فساد الأمة؛ فكره إجابتهم إلى ذلك على الفور ومن بداية الأمر لعلمه بعاقبة الأمور وإقدام القوم على الخلاف عليه والمظاهرتهم له بالعداوة والشنآن.. فلم تمنعهم أنفته من الإجابة لهم فضغطوا عليه بالحاح ليستجيب لهم فيما دعوه إليه من البيعة.

حيث ناشدوه بالله عَزَّوَجَلَّ وقالوا له: إنه لا يصلح لإمامة المسلمين سواك ولا نجد أحدا يقوم بهذا الأمر غيرك فاتق الله في الدين وكافة المسلمين.. فامتحنهم عند ذلك وأشار لهم إلى مبايعة أحد الرجلين (طلحة أو الزبير)، وضمن النصر لهما متى أرادوا إصلاح الدين وحيطة الإسلام..

فأبى القوم عليه تأمير من سواه والبيعة لمن عداه وبلغ ذلك طلحة والزبير فصارا إليه راغبين في بيعته منتظرين للرضا بتقدمه عليهما وإمامته عليهما فامتنع فألحًا عليه في قبول بيعتهما له، واتفقت الجماعة كلها على الرضا به وترك العدول عنه إلى سواه، وقالوا: أن تجبنا إلى ما دعوناك إليه من تقليد الأمر وقبول البيعة وإلا أنفتق الإسلام ما لا يمكن رتقه وانصدع في الدين ما لا يستطاع شعبه..

فقال لهم: إن البيعة لا تكون إلا عامة وفي المسجد النبوي.. فقاموا وسعوا بين يديه فرحين مسرورين لإجابته لهم للبيعة، ولما وصل إلى المسجد ارتفعت أصوات الجماهير بالتأييد الكامل له والتهنأ بحياته، فاعتلى أعواد المنبر وخاطب الحضور قائلاً: (أيها الناس؛ إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا ما أمرتم، وقد افترقنا بالأمس وكنت كارها لأمركم،

فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أن آخذ درهما دونكم، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا آخذ علي أحد (يعني البيعة)..

فتعالت الأصوات من جميع جنبات المسجد وهي تعلن الإصرار الكامل على انتخابه مرددين: نحن علي ما فارقناك بالأمس..

فلما سمع ذلك منهم بسط يده لبيعتهم فتداكوا عليه تذاك الإبل على حياضها يوم ورودها حتى شقوا أعطافه وكادوا أن يطؤوا ابنه الحسن والحسين عليهما السلام لشدة ازدحامهم عليه وحرصهم على البيعة له والصفقة بها على يده رغبة بتقديمه على كافتهم وتوليته أمر جماعتهم لا يجدون عنه معدلا ولا يخطر ببالهم سواه لأنه كان لهم موثلا فتّمت بيعة المهاجرين والبدرين والأنصار العقبيين المجاهدين في الدين والسابقين إلى الإسلام من المؤمنين وأهل البلاء الحسن مع النبي صلى الله عليه وآله من الخيرة البررة الصالحين.. نعم؛ تدافعت الجماهير إلى البيعة النورانية وكان أولهم طلحة بيده الشلاء ومن ثم الزبير من بعده، وابتهج المسلمون بهذه البيعة، وعمّت الفرحة على الجميع، لأنه عاد الحق إلى نصابه، وقامت دولة العدل، وتقلد الخلافة أبو الأيتام وناصر المحرومين والمظلومين، وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام تلك الحالة من السرور العام بقوله: (وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل إليها العليل، وحسرت إليها الكعاب. (الصبايا في مقتبل العمر)^(١).

فلم تكن بيعته عليه السلام إذن مقصورة على واحد أو اثنين أو ثلاثة ونحوها في العدد كما كانت بيعة أبي بكر مقصورة على صاحبيه (عمر

(١) (موسوعة الإمام علي عليه السلام لشيخنا القرشي ج ١١ ص ١٦ بتصرف)

وأبو عبيدة) وعلى بشر بن سعد فتمت بهم عنده البيعة وصار خليفة بعد أن رأى عمر قبيلة أسلم..

أما بيعة عمر بن الخطاب فإنها تمت بتعيين من أبي بكر وحده وعقد له إياها دون من سواه.. وكذلك كان أمر عثمان بن عفان والبيعة له لأنه تمَّ بعبد الرحمن بن عوف خاصّة وخالفهم على ذلك من أضاف إلى عبد الرحمن بقية الأصحاب..

ولكن بقيت بيعة عمر منفردة باختيار صاحبه له فلا مجال للاختيار والشورى هنا.. وعثمان إنما تم له الأمر ببيعة بقية أهل الشورى وهم خمسة نفر، أحدهم عبد الرحمن فاعترفت الجماعة به رغم كراهة ثلثهم (أمير المؤمنين عليه السلام والزبير)، ولماذا كان عبد الرحمن هو الحاكم في الشورى إن كانت شورى كما يدعون؟

ولكن ثبتت البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام بإجماع من حوته مدينة الرسول من المهاجرين والأنصار ولا سيما البدرين والعقبين وأهل بيعة الرضوان من الصحابة والتابعين بإحسان.. ومن انضم إليهم من أهل مصر والعراق الذين قدموا لحصار عثمان في تلك الحال ولم يدع أحد من العلماء أو الناس العاديين أن بيعته عليه السلام تمّت له بواحد مذكور ولا إنسان مشهور ولا بعدد يحصى محصور.^(١)

وإذا ثبت بالإجماع من وجوه المسلمين وأفاضل المؤمنين من المهاجرين والأنصار والتابعين؛ على إمامة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام والبيعة له على الطوع والإيثار وكانت البيعة على الوجه الذي ثبتت به إمامة الثلاثة الذين تقدوا عليه قبله بالرضا والاختيار.. بل هي

(١) (الجمل للشيخ المفيد)

أشد وأؤكد مما لديهم حتما، بما ذكرناه من الرغبة إليه من وجوه الأمة في ذلك والإجماع عليه ممن سميناه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان..

فثبت وجوب طاعته، وحرم على كل أحد من الخلق التعرض لخلافه ومعصيته، ووضح الحق في الحكم على مخالفه ومحاربه بالضلال عن هدايته والقضاء بباطل مخالفة أمره وفسقهم بالخروج عن طاعته لما أوجب الله تعالى من طاعة أولياء أمره في محكم كتابه حيث يقول: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾

فقرن طاعة الأئمة العدول بطاعته ودل على أن المعصية لهم كمعصيته على حد سواء في حكمه وقضيته.. وأجمع أهل القبلة مع مَنْ ذكرناه على فسق محاربي أئمة العدل وفجورهم بما يرتكبونه من حكم السمع والعقل وإذا لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام أحدث بعد البيعة العامة له ما يخرج عن العدالة - حاشاه - ولا كان قبلها على الظاهر بخيانة في الدين ولا خرج عن الإمامة كان المارق عن طاعته ضالا فكيف إذا أضاف له بذلك حربا واستحلالا لدمه ودماء المسلمين معه ويبغي بذلك في الأرض فسادا يوجب عليه التنكيل بأنواع العقاب، المذكور في نص من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾

وتقدم منا الآراء وأقوال العلماء بأحقية أمير المؤمنين عليه السلام بالقيادة الإسلامية، ووجوب قتال من خالفه بأمر أو رد عليه بكلمة.. وفي العقد الفريد رواية بغاية الروعة والجمال يقسم بها أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: (والله ما تقدمت عليها (الخلافة) إلا خوفا من أن ينزو على الأمة تيس من

بني أمية، فيلعب بكتاب الله بِزُورِكَ (١).

٢.٢. تخلف بعض الرجال..

فإن قال قائل كيف تتم لكم دعوى الإجماع على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وقد علمتم أن الأخبار قد ثبتت بتخلف (سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأسامة بن زيد؛ ومحمد بن مسلمة)؛ ومخالفتهم له بوجوب قتال من نكث بيعته، بل رأوا فيما رأوه بتجنب القتال والوقوف على الحياد منها.

وفي الجواب فقد قيل: له أما تأخر من سميت عن الخروج مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة فمشهور ورأيهم في القعود عن القتال معه ظاهر معروف وهذا رأي الحسن البصري سامري هذه الأمة كما سماه أمير المؤمنين عليه السلام لأنه يقول: لا قتال بدل لا مساس.. وهذا الرأي بالقتال ليس مناف لبيعتهم له عليه السلام على الإيثار ولا مضاد للتسليم لإمامته على الاختيار، لأن المشهور الثابت منهم البيعة بالرضا والاختيار، دون الإكراه والاضطرار..

فروى أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي، وغيره من رواة السيرة والمؤرخون: أنه لما هم أمير المؤمنين عليه السلام بالمشير إلى البصرة بلغه عن سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر.. قعودهم عن نصرته فبعث إليهم فلما حضروا عنده..

قال عليه السلام لهم: قد بلغني عنكم هنات كرهتها وأنا لا أكرهكم على المسير معي (وأنتم) على بيعتي؟ قالوا: بلى..

(١) (العقد الفريد: ٣ / ٩٣)

قال: فما الذي يُقعدكم عن صحبتي؟

فقال له سعد بن أبي وقاص: إني أكره الخروج في هذه الحرب فأصيب مؤمناً.. فإن أعطيتني سيفاً يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك.

وقال له أسامة بن زيد: أنت أعزُّ الخلق عليّ، ولكنني عاهدت الله أن لا أقاتل أهل لا إله إلا الله، (وكان أسامة قد أهوى برمحه في عهد رسول الله ﷺ إلى رجل في الحرب من المشركين فخافه الرجل فقال: لا إله إلا الله.. فشجره (طعنه) بالرمح فقتله فبلغ النبي ﷺ خبره، فقال ﷺ: (يا أسامة أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله؟) فقال: يا رسول الله إنما قالها تعوداً (أي خوفاً من السيف والقتل)

فقال له ﷺ: (ألا شققت عن قلبه..)

فزعم أسامة أن النبي ﷺ أمره أن يقاتل بالسيف ما قاتل المشركين فإذا قوتل به المسلمون ضرب بسفه الحجر فكسره.

وقال عبد الله بن عمر: لست أعرف في هذه الحرب شيئاً.. أسألك أن لا تحملني على ما لا أعرف.

فقال لهم أمير المؤمنين ﷺ: ليس كل مفتون معاتب أستم على بيعتي؟ قالوا: بلى..

قال انصرفوا فسيغني الله عنكم.. فاعترفوا له ﷺ بالبيعة وأقاموا في تأخرهم عنده عذراً لم يقبله منهم وأخبر أنهم بتركهم الجهاد مفتنون ولم ير الإنكار عليهم في الحال بأكثر مما أبداه لهم هذا وقد قال الله ﷻ: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾.

وقد ذكر بعض العلماء أن الأسباب في تأخر القوم عن نصره أمير المؤمنين عليه السلام بعد البيعة له معروفة وإن الذي أظهره من الاعتذار في خلافه خداع منهم وتمويه وستر على أنفسهم ما استبطنوه منه خوفاً من الفضيحة فيه،

فقال: أما سعد بن مالك بن أبي وقاص فسبب قعوده عن نصره أمير المؤمنين عليه السلام: الحسد له، وطمع كان منه في مقامه الذي يرجوه (الخلافة) فلما خاب من أمه حمله الحسد على خذلانه والمخالفة له في الرأي.. علماً أنه ندم أشد الندم على عدم المشاركة بتلك الحروب فيما بعد لا سيما حين كان معاوية يستهين به، ويعنفه، ويضطرط لكلامه...

قال: والذي أفسد سعدا هذا الذي أطمعه فيما ليس له بأهل؛ عمر بن الخطاب الذي أدخله في الشورى ووضع الأمر كله بيده.. فأهله بذلك للخلافة وأوهمه بذلك فرأى نفسه أنه محل الإمامة فأقدم عليه برغبة فأفسد حاله في الدنيا والدين حتى خرج منها صفرا مما كان يرتجيه.

وأما أسامة بن زيد: فإن النبي صلى الله عليه وآله كان ولاءه في مرضه الذي توفي فيه على أبي بكر وعمر وعثمان فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سبيله انصرف القوم عن معسكره وخذعوه بتسميته مدة حياتهم له بالإمارة مع تقدمهم عليه في الخلافة وصانعوه بذلك مما خالفوه فيه من السمع له والسير معه والطاعة له.. فاغتر بخداعهم وقبل منهم مصانعتهم وكان يعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لا يسمح له بالخداع ولا يصانعه مصانعة القوم ويحذر من التسمية التي جعلوها له ولا يرفعه عن منزلته ويسير به سيرته في عبيده وموالي نعمته فكره الانحطاط عن رتبته التي وضعه القوم فيها، ولم يجد إلى التخلص من ذلك إلا بكفر النعمة والمخالفة لسيده ومولاه عليه السلام فحمل نفسه على رفض الطاعة.

وأما محمد بن مسلمة: فإنه كان صديق عثمان بن عفان وخاصته وبطانته فحملته العصبية له على معاونة الطالبين بثأره وكره أن يتظاهر في كونه مع المحاربين لهم.. ولم يجرؤ على معاونة أعدائهم، فلم تسمح نفسه بذلك، فأظهر من العذر بتأخره عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام بخلاف باطنه..

وأما عبد الله بن عمر: فهو ليس من رجال الحرب في شيء، فإنه كان ضعيف العقل كثير الجهل (كما كان يصفه والده بأنه لا يجيد طلاق زوجته) وكان مبغضا وماقتا لأمير المؤمنين عليه السلام - والعياذ بالله - وورثة الخلف عن السلف ما يرثونه من المودة والعداوة..

وكان أمير المؤمنين عليه السلام مع ذلك قد شجاه وأقضى مضجعه بإهدار دم أخيه عبيد الله لقتله الهرمزان وطرده وأجلاه عن المدينة وشرده في البلاد لا يأمن على نفسه من الظفر به فيسقط قودا فلم تسمح نفسه بطاعة أمير المؤمنين عليه السلام ولا أمكنه المقت والبغض من الانقياد له لنصرته وتجاهل ما أبداه من الحيرة في قتال البغاة والشك في لمسه ذلك وحجته. وهذا الرجل بدوره ندم على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وبيعتة لا سيما عندما بايع لعبد الملك بن مروان برجل الحجاج الثقفي.

وروي هذا الكلام بعينه أو معناه عن أمير المؤمنين عليه السلام في أسباب تأخر القوم عنه فإن صحّت الرواية بذلك فهو أوكد بحجته وإن لم تثبت كفى في برهانه أن قائله ليس من أهل العلم له صحة فكر وصفاء فطنة.

على أنا لو سلمنا للآخرين ما ادعوه من امتناع سعد وابن مسلمة وأسامة وابن عمر من بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وكرهتهم لها باعتزالهم إياها وأضفنا إليهم في ذلك أمثالهم ممن ظاهر عليه بالعداوة كزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وولد عثمان

بن عفان وجماعة ممن كان معهم في الدار يوم الحصار من بني أمية المعروفين ببغض وكره ومقت بني هاشم وعداوتهم لهم في الجاهلية والإسلام بالخلاف لما قدح ذلك بإمامته.. لأن قاعدتهم في ثبوت البيعة بالاختيار من أهل الرأي (أو الحل والعقد) فما بالك بإجماع المهاجرين الأولين وعيون الأنصار وفضلاء المسلمين ممن حوته المدينة يومئذ والتابعين لهم بإحسان والخيرة الصالحين من أهل الحجاز والعراق ومصر وغيرها من البلاد والذين كانوا حاضرين بالمدينة يومئذ بأجمعهم..

هذا عدا عن أن المخالفين لهم محصور عددهم لقلتهم- ربما احصتهم أصابع اليد الواحدة - وهم راضون بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام إلا أنهم رفضوا الخروج معه للقتال.. وإليك هذه الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام حين سمع عن بعض أولئك يتهمونه بأنه يحارب للدنيا وزبرجها، فقال: عجباً لسعد وابن عمر؛ يزعمان أنني أحارب على الدنيا؟ أفكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحارب على الدنيا؟ فإن زعماً أن رسول الله صلى الله عليه وآله حارب لتكسير الأصنام، وعبادة الرحمن.. فإنما حاربت لدفع الضلال، والنهي عن الفحشاء والفساد.. أفمثلي يُزَنُّ (يُتَّهَم، وَيُظَن) بحب الدنيا.. والله؛ لو تمثلت لي بشرا سويا لضربتها بالسيف..^(١)

هذا حال الحساد وأما جموع الأمة المسلمة فإنهم راغبون فيه لتولي الأمور وسألوه وطلبوا منه ذلك، ورؤوا أنه صاحب الحق بها ولا يستحقها سواه.. وتابعوه على الطوع منهم والإيثار وبذلوا نفوسهم من بعد البيعة معه في جهاد أعدائه واعتقدوا أن التأخر عن طاعته في قتال أعدائه ضلال موبق وفسق مخرج عن الإيمان..

والبيعة عند القوم تتم ببعض ما ذكرنا إذ عقدوها بخمسة نفر على

(١) (شرح النهج: ٢٠/٣٢٨)

قول فريق منهم، أو أربعة على قول آخرين، أو اثنين على مذهب فريق آخر بل تتم عند أكثرهم بواحد فكيف يحل لحفنة من الرجال نقض البيعة النورانية لأمر المؤمنين عليه السلام وهم بايعوه ولكن لم يرافقه للحرِب.؟

سبحان الله..في بداية الخلافة يرونها تنعقد باثنين أو ثلاثة، وبعدها بواحد فقط، وفي الشورى - المسخرة - توقفت بعبد الرحمن بن عوف.. فكانت تنعقد البيعة ويعترفون بالخلفاء ويحتجون علينا بها وكأنها نصوص مقدسة..

وأما في خلافة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام فإنهم يبطلونها أو يشكُّون في صحة انعقادها لمجرد خلاف اثنين أو حتى خمسة لم يوافقوا على الحرب مع اقرارهم بالبيعة..

فكيف ذلك يا عقلاء الدنيا أجيونا رحمكم الله.؟

٣.٢. المبايعون..

بايع أمير المؤمنين عليه السلام بغير ارتياب ودان بإمامته على الإجماع والاتفاق، واعتقد فرض طاعته والتحریم لخلافه ومعصيته والحاضرون معه في حرب البصرة /ألف وخمسمائة/ رجل من أعيان المهاجرين الأولين والسابقين إلى الإسلام والأنصار البدرين العقبيين وأهل بيعة الرضوان من جملتهم / سبعمائة/ من المهاجرين و / ثمانمائة/ من الأنصار سوى أبنائهم وحلفائهم ومواليهم وغيرهم من بطون العرب والتابعين بإحسان على ما جاءت به الأخبار الموثقة.

١.٣.٢ . بيعة المهاجرين:

فمن جملة المهاجرين عمار بن ياسر صاحب رسول الله ﷺ وحببيه وأخص الأصحاب كان به والثقة قبل البعثة وبعدها وأنصر الناس له وأشدهم اجتهادا في طاعته المعذب في الله أبوه وأمه أول شهيدة في الإسلام الذي لم يكن لأحد من الصحابة في المحنة ما كان له ولا نال أحد منهم في الدين من المكروه والصبر على الإسلام كما ناله، لم تأخذه في الله لومة لائم، مقيم - مع شدة البلاء - على الإيمان الذي اختص من رسول الله بمدح لم يسبقه فيها سواه من الصحابة كلهم، مع شهادته له بالجنة مع القطع والبيان لإنذاره من قتله والتبشير لقاتله بالنار على ما اتفق عليه أهل النقل من حملة الآثار فمن ذلك قول رسول الله ﷺ: (إن الجنة لتشتاق إلى عمار فإنها إليه أشوق منه إليها)

وقوله ﷺ: (بشر قاتل عمار وسالبه بالنار)

وقوله ﷺ: عمار جلدة بين عيني وأنفي،

وقوله ﷺ: لا تؤذوني في عمار،

وقوله ﷺ: عمار ملاً إيماناً وعلماً، في أمثال ذلك من المدائح

والتعظيمات التي اختص بها هذا الرجل الكبير.

ثم الحصين والطفيل بن الحرث بن عبد المطلب المهاجران

البدریان..

ومسطح بن أثاثه..

وحجار بن سعد الغفاري..

وعبد الرحمن بن جميل الجمحي..

وعبد الله ومحمد ابنا بديل الخزاعي..

والحرث بن عوف..

وأبو عابد الليثي..

والبراء بن عازب..

وزيد بن صوحان..

ويزيد بن نويرة الذي شهد له رسول الله ﷺ بالجنة..

وهاشم بن عتبة المرقال..

وبريدة الأسلمي..

وعمر بن الحقم الخزاعي، ومرّ عليك طرفاً من حديثه..

والحرث بن سراق..

وأبو أسيد بن ربيعة..

ومسعود بن أبي عمر..

وعبد الله بن عقيل..

وعمر بن محصن..

وعدي بن حاتم..

وعقبة بن عامر..

ومن في عدادهم ممن أدرك عصر النبي

كحجر بن عدي الكندي.. وشداد بن أوس في نظرائهما من الأصحاب وأمثال من تقدم ذكره من المهاجرين على طبقاتهم في التقى ومراتبهم في الدين ممن يطول تعداد ذكره والكلام فيه.

٢.٣.٢ . بيعة الأنصار:

ومن الأنصار أبو أيوب خالد بن زيد صاحب رسول الله ﷺ..

وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين..

وأبي الهيثم بن التيهان..

وأبو سعيد الخدري..

وعبادة بن الصامت..

وسهل وعثمان ابنا حنيف..

وأبو عباس الزرقى فارس رسول الله ﷺ يوم أحد، وزيد بن أرقم..

وسعد وقيس ابنا سعد بن عبادة..

وجابر بن عبد الله بن حزام..

ومسعود بن أسلم..

وعامر بن أجبل..

وسهل بن سعيد..

والنعمان بن حجلان..

وسعد بن زياد ورفاعة بن سعد..

ومخلد وخالد ابني أبي خلف..

وضرار بن الصامت..

ومسعود بن قيس..

وعمر بن بلال..

وعمار بن أوس..

ومرة الساعدي..

ورفاعه بن مالك الزرقبي..

وجبله بن عمرو الساعدي..

وعمر بن حزم وسهل بن سعد الساعدي في أمثالهم من الأنصار الذين بايعوا البيعتين وصلوا القبليين واختصوا من مدائح القرآن والثناء عليهم من نبي الهدى (عليه وآله الصلاة والسلام) مما لم يختلف فيه من أهل العلم اثنان وممن لو أثبتنا أسماءهم لطل بها الكتاب ولم يحتمل استيفاء العدد الذي حدناه.

٢.٣.٣. بيعة الهاشميين:

ومن بني هاشم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة الحسن والحسين سبطا نبي الرحمة وسيدا شباب أهل الجنة ﷺ..

ومحمد بن الحنفية..

وعبد الله بن جعفر..

ومحمد وعون ابنا جعفر الطيار..

وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله..

والفضل وقثم وعبيد الله بنو العباس..

وعبد الله بن أبي لهب..

وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب..

وعبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وكافة بني هاشم

وبني عبد المطلب.

٢ . ٣ . ٤ . بيعة باقي الشيعة:

ومن يلحق بهم بالذكر من أوليائهم وعليه شيعتهم وأهل الفضل في الدين والإيمان والعلم والفقہ والقرآن المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة والجهاد والتمسك بحقائق الإيمان: محمد بن أبي بكر ربيب أمير المؤمنين عليه السلام وحببيه..

ومحمد بن أبي حذيفة وليه وخاصته المستشهد في طاعته..

ومالك بن الحرث الأشتر النخعي سيفه المخلص في ولايته..

وثابت بن قيس النخعي..

وكميل بن زياد..

وصعصعة بن صوحان العبدي..

وعمر بن زرارة النخعي..

وعبد الله بن أرقم..

وزيد بن الملقق..

وسليمان بن صرد الخزاعي..

وقبيصة وجابر وعبد الله ومحمد بن بديل الخزاعي..

وعبد الرحمن بن عديس السلولي..

وأويس القرني..

وهند الجملي..

وجندب الأزدي..

والأشعث بن سوار..

وحكيم بن جبلة..

ورشيد الهجري..

ومعقل بن قيس بن حنظلة..

وسويد بن الخارث وسعد بن مبشر..

وعبد الله بن وال..

ومالك بن ضمرة الحارث الهمداني..

وحبة بن جويرة العرني ممن كانوا بالمدينة عند مقتل عثمان وأطبقوا

على الرضا بأمير المؤمنين عليه السلام فبايعوه على حرب من حارب وسلم من

سالم وأن لا يولوا في نصرته الأدبار وحضروا مشاهده كلها لا يتأخر عنه منهم أحد حتى مضى الشهيد منهم على نصرته وبقي المتأخر منهم على حجته حتى مضى أمير المؤمنين عليه السلام لسبيله وكان من بقي منهم بعده على ولايته والاعتقاد بفضله على الكافة بإمامته..

وإذا كان الأمر في بيعته حسب ما ذكرناه وإجماع من سميناه ونعتناه على الرضا به والطاعة له والاعتقاد كما وصفناه بطل اعتراض المعترض في ثبوت إمامته بتأخر من سميناه عن البيعة وتفردهم عن الحرب معه ووضح عددهم وتفاهة شأنهم..

٤.٢. الإيجاب في البيعة:

قال بعض النواصب أن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام تمت بالإكراه، والإجبار، والقوة، وسيف الأشر..

فروى الواقدي عن هاشم بن عاصم عن المنذر بن الجهم قال سألت عبد الله بن تغلبة كيف كانت بيعة علي عليه السلام قال: رأيت بيعة رأسها الأشر، يقول: من لم يبايع ضربت عنقه؛ وحكيم بن جبلة (قائد الجماعة التي قتلت عثمان) وذو وهما.. ما ظنك بما يكون أجبر فيه جبرا..

ثم قال: أشهد لرأيت الناس يحشرون بيعته فيتفرقون فيؤتى بهم فيضربون ويعسفون فبايع من بايع وانفلت من انفلت..

وروى أيضا عن سعيد بن المسيب قال: لقيت سعد بن زيد بن نفيل

فقلت بايعت؟

فقال: ما أصنع إن لم أفعل قتلني الأشر وذووه..

قال: وقد عرف الناس من طلحة والزبير كانا يقولان: بايعناه مكرهين، وروى عنهما أنهما قالا: بايعناه بأيدينا ولم تباعه قلوبنا، والخبر مشهور عن طلحة بن عبيد الله إنه كان يقول: بايعت مع علي وإلا رقبتي.. وقال: بايعت واللعج على رقبتي. (واللعج اسم سيف الأشر)..

قالوا: وإذا كانت البيعة لعلي بقهر وإصرار وإكراه الناس وإجبار لم تثبت إمامته ولم يثبت نظيرها (الإكراه) في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان.. وبالجواب لهم: نقل الرواة قول أمير المؤمنين عليه السلام لأسماء المتقدم: لم أكره أحدا على بيعته.. وبكتابه لأهل الكوفة يقول: وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين. وهذا أصدق من كل متقوّل.. ولكن نقول:

فأما الواقدي فناصبي وعثماني المذهب بالميل وعداءه للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام معروف عنه وهو الذي ما رواه من إكراه الناس على البيعة لأمر المؤمنين عليه السلام والتخرص عليه بالأباطيل الكاذبة.. ولو سلم القول من الطعن فيه فإنه خبر واحد يضاد التواتر الوارد، والشهرة بخلاف معناه فكيف وهو من الوهن الظاهر ما لا يخفى عليك.

وأما خبر ابن المسيب عن سعيد بن زيد بن نفيل فقد صرح فيه بإقرار سعيد بالبيعة ودعواهم أنه بايع خوفا من الأشر باطلة إذ كان ظاهره بخلاف ما ادعاه ولم يذكر سعيد شيئا من إمارات خوفه فيكون له حجة فيما ادعاه، ولم يقل أحد أن الأشر ولا غيره من شيعة أمير

المؤمنين عليه السلام كلموا ممتنعا من بيعته في الحال ولا ضربوا أحدا منهم بالسوط ولا نهروه فضلا عن القتل وضرب الرقاب.. وقبل هذا وذاك كيف يخاف سعيد بن نفيل من الأشتر وهو من البطولة والشجاعة بمكان كما يروون عنه.

وأما قول طلحة والزبير إنهما بايعا مكرهين فالكلام فيه منا على ما تقدم، ولهما من أمير المؤمنين عليه السلام الجواب الكافي.. أخرج أبو الحسن علي بن محمد المدائني من طريق عبد الله بن جنادة خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام منها قوله: بايعني هذان الرجلان في أول من بايع، تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم، ألهم فخذهما بما عملا أخذة واحدة رابية، ولا تنعش لهما صرعة، ولا تقل لهما عثرة، ولا تمهلها فوفا، فإنهما يطلبان حقا تركاه، ودما سفكاه، ألهم إني أقتضيك وعدك فإنك قلت: وقولك الحق لمن بغى عليه لينصرنه الله، ألهم فانجز لي موعدك، ولا تكلني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير.^(١)

وعليه فالتهمة لهما في ذلك أوكد لأنهما جعللا ذلك عذرا في نكثهما البيعة والخروج عن الطاعة وطلب الرياسة والإمرة فلم يجدا إلى ذلك سبيلا مع ما كان منهما في ظاهر الحال من البيعة على الطوع بلا إجبار إلا بدعوى الإكراه والإحالة في ذلك على الضمائر والبواطن التي لا يعلمها إلا الله وقد ثبت في حكم الإسلام الأخذ لهما بمقتضى الاقرار منهما في البيعة والقضاء عليها بلزوم الطاعة لهما لمن بايعاه والخلاف عليهما لإمامهما الذي اعترفا ببيعتهما له ووفقا له بأيديهما على يده بالعقد له على ظاهر الرضا والإيثار وسقوط دعواهما للباطن المضاد

(١) (شرح ابن أبي الحديد ١: ١٠٢)

للحكم الظاهر من ذلك وما زعماه من حكم الكراهة في قلوبهما على ما ادعياه.

وبين ذلك لعبد الله بن العباس عندما رجع من مناقشة الزبير، وقوله: بايعنا بأيدينا ولم نبايع بقلوبنا.. فقال عليه السلام: يزعم أنه قد بايع بيده، ولم يبايع بقلبه، فقد أقرَّ بالبيعة، وادعى الوليعة (الدخيلة) فليأت عليها بأمر يعرف، وإلا فليدخل فيما خرج منه..^(١)

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام فإن كنتما قد بايعتماني كارهين، فقد جعلتني لي عليكم السبيل بإظهاركما الطاعة وأسراركما المعصية وإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا إلى الله من قريب^(٢).

فالإقرار سيد الأدلة، لاسيما إقرار المرء على نفسه بالبيعة، وهي ظاهرة ومعروفة عنه لأنها تمت بالمسجد وأمام مرأى المسلمين كانا أول من بايع، ولكن يبقى الدليل على الدعوى الأخرى (لم يبايع القلب) ومن قال له أن الأمر لا يتم إلا بإقرار القلب، وهذا ليس بصحيح لأنه لنا الظاهر والقلب بيد الرب كما تعلمون.؟.

وعليه: فإنه لو ثبت الإكراه في البيعة لأمير المؤمنين لمن ادعى المخالفون إكراهه لم يقدح ذلك في إمامته عليه السلام على أن أصول مذهب أهل البيت عليهم السلام وشيعته الدائنين بالنص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله تقتضي ذلك لأن الإمام المنصوص عليه المفترض طاعته على الأنام أن يكره من أبي طاعته ونصرتة بالسوط والسيف - تأديبا ومنعا من الفساد - على ذلك حتى يفىء إلى أمر الله والانقياد له ويزول بذلك ما يحذر من فسادهم وفتنهم. ولا يؤثر أيضا في إمامته على رأي المذاهب الأخرى

(١) (النهج: ٨)

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٩٠/١.

من المخالفين القائلين بالاختيار والشورى.. لأنه إذا بايع عندهم من أهل الفضل (الحل والعقد) عدد محصور ثبت له العقد ووجب له الطاعة وكان له إكراه من أبي البيعة ورام الخلاف والعصيان وإعمال السوط والسيف في ردعه عن ذلك وإكراهه على الطاعة والدخول مع الجماعة كما فعل عمر بأهل البيت عليهم السلام حين امتنعوا عن البيعة لأبي بكر فأراد أن يحرق البيت عليهم بالنار وفيها سادة الدنيا (فاطمة الزهراء، وعلي المرتضى، وسيدا شباب أهل الجنة (عليهم الصلاة والسلام) ومن اعتصم بهم حتى الزبير كان معهم..

ومعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام قد بايعه على الرضا به من لا يحصى عددهم كثرة ممن جاهد معه في حروبه وبذل دمه في نصرته من المهاجرين البدرين والأنصار العقبيين وأهل بيعة الرضوان، والتابعين بإحسان فبطل ما تعلق به الآخرون من دعوى الإكراه لمن سموه ظنا منهم أن هذه الدعوى تبطل البيعة وبالتالي الخلافة العلوية الشريفة والواجبة في الرقاب إلى يوم الحساب.

ولإحقاق الحق نذكرك بأول بيعة في المسلمين فكيف جرت؟ يقال: إن كان الخبر بإكراه قوم على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام يقدر في إمامته فإنكم حتما تبطلون خلافة الخلفاء الثلاثة قبله..

فقد جاءت الأخبار المتواترة بإكراه من أكره على بيعة أبي بكر وعمر وعثمان فيجب أن نقطع على فساد إمامتهم بذلك وإلا كنت متناقضا عند العقلاء تكيل بمكيالين، وتنطق بلسانين، ألا ترى أن المعلوم وبلا شك من توقف الأنصار في بيعة أبي بكر ودعوتها إلى البيعة لسعد بن عباد كما تحكي قصة السقيفة المشؤومة؟ وعملهم بذلك حتى أفسد أمره

بِشْرِ بْنِ سَعْدٍ حَسِداً وَنَفَاسَةً لَهُ.. فَبَادِرٌ وَبَايَعُ أَبَا بَكْرٍ حَسِداً لِابْنِ عَمِّهِ وَضِنَا عَلَيْهِ بِالرِّيَاسَةِ وَالتَّقَدُّمِ عَلَيْهِ.. فَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَسُلَّتِ السُّيُوفُ وَدَعَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى قَتْلِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ وَحَرَضَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَقَالَ: اقْتُلُوا سَعْدًا قَتَلَ اللَّهُ سَعْدًا..

لأي شيء يُفتى بقتل سعد بن عبادة وهو من هو في الأنصار؟

والحباب بن المنذر صاحب راية الأنصار في مشاهد وحروب رسول الله ﷺ ولأنه قال: منا أمير ومنكم أمير: أخذ ووطئ في بطنه، ودسوا في فيه التراب، وكسروا أنفه. (ديمقراطيا^(١))..

وبالحقيقة إن الأنصار جميعاً رفضوا البيعة بداية، وقالوا: لا نبايع إلا علياً.. كما يقول عمر نفسه: وتخلفت عنا الأنصار بأسرها^(٢)..

وما أيقن رجال قريش بالسلامة حتى جاءت قبيلة (أسلم)، فقال عمر: ما أن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر.. ولما بايعت أسلم خرج موكب الخليفة إلى الشارع فكانوا يرفعون يد من يلاقونه ولا يدعونه إلا أن يبايع أبا بكر^(٣).

ويصف لنا المشهد الديمقراطي جدا الصحابي الجليل البراء بن عازب اسمعه يقول: فلم ألث وإذ أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية ولا يمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه (ديمقراطيا) شاء ذلك أو أبى، فأنكرت عقلي وخرجت أشد حتى انتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق فضربت الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد

(١) (شرح النهج: ٤٠/٦)

(٢) (تاريخ الطبري: ٤٤٦/٢)

(٣) (كنز العمال: ٣/٢٣٤٦، شرح النهج: ٢١٩/١)

بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة..

فقال العباس: تربت أيديكم إلى آخر الدهر..^(١)

والمهاجرين كذلك فقد جاءت الأخبار متضافرة بإنكار الزبير بن العوام لبيعة أبي بكر وخروجه بالسيف مصلنا للقتال فتكاثر القوم عليه حتى أخذوه من يده وضربوه بالأحجار فكسروه وجاؤوا به ملبيا لأبي بكر حتى بايع مكرها على غير اختيار منكرا عليهم فعلتهم..

وسلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: لو بايعوا عليا لأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم.. والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وعبادة بن الصامت، وأبا الهيثم بن التيهان، وحذيفة بن اليمان.. وغيرهم ممن أنكر أمرهم،.. وبني هاشم عامة وأهل البيت عليهم السلام خاصة، وروت الكتب ما كان من إنكار العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وآله صرف الأمر عن بني هاشم وبيعتهم لمن بايعوا ودعائه أمير المؤمنين عليه السلام إلى بسط يده لبياعه على الأمر، فقال له: أمدد يدك يا ابن أخي أبايعك ليقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان..

وقول أبي سفيان صخر بن حرب بأعلى صوته: يا بني هاشم أرضيتم أن يلي عليكم ابن تيم مرة حاكما على العرب ومتى طمعت أن تتقدم على بني هاشم في الأمر انهضوا لدفع هؤلاء القوم عما تمالؤوا إليه ظلما لكم أما والله لئن شئتم لأملأنها عليهم خيلا ورجالا ثم قال:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم
ولا سيما تيم بن مرة أو عدي

(١) (السقيفة وفدك للجوهري: ٤٦)

فما الأمر إلا فيكم وإيكم
 وليس له إلا أبو حسن علي
 أبا حسن فاشدد بها كف فاتك
 فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
 وإن امرءا يرمي قصيا ورائه عزيز
 الحمى والناس من غالب وقصي^(١)

وجاء إلى الإمام علي عليه السلام، فقال: يا علي بايعتم رجلا من أذل قبيلة
 من قريش^(٢) ..

والحق أنه كان المهاجرون والأنصار لا يشكون (أن الأمر)
 لعلي عليه السلام.^(٣) واللطيف أن أبا قحافة والد أبا بكر كان يخالفه الرأي
 والبيعة، وزيد بن الخطاب وصحبه يعارضون بيعة السقيفة..^(٤)

ورواية البيعة الديمقراطية جدا تقول: لما اجتمع من اجتمع في دار
 فاطمة عليها السلام من بني هاشم وغيرهم للتحيز عن أبي بكر وإظهار الخلاف
 أنفذ عمر بن الخطاب قنفذا وقال له: اخرج من في البيت فإن خرجوا وإلا
 فاجمع الأحطاب على بابه وأعلمهم أنهم إن لم يخرجوا للبيعة أضرمت
 البيت عليهم نارا

وفي الحديث الكارثة المذكور (إن عمر بن الخطاب جاء إلى
 بيت فاطمة بقبس من نار يريد أن يحرقه على من فيه فخرجت إليه
 فاطمة عليها السلام تقول: يا ابن الخطاب جئت لتحرق دارنا؟ قال نعم، والقبس

(١) (اليقوبي في تاريخه: ج ٢ - ص ١٠٥)

(٢) (أنسب الأشراف: ٥٨٨/١)

(٣) (تاريخ اليقوبي: ١٢٤/٢)

(٤) (شرح النهج: ٣١/٢)

في نص أهل اللغة شعلة نار مضرمة^(١).

ولما عرف أهل اليمامة تقلد أبي بكر أنكروا أمره وامتنعوا من حمل الزكاة حتى أنفذ إليهم الجيوش فقتلهم وحكم عليهم بالردة عن الإسلام وفي إنكار أهل اليمامة بيعة أبي بكر يقول:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا

فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر

إذا مات بكر قام عمر مكانه

وذلك لعمر الله قاصمة الظهر^(٢)

ذكر سبعة أبيات منها البيتين ونسبها للخطيل بن أوس أخو الحطيئة وفي روايته عجز البيت الأول: (فيا لعباد الله ما لأبي بكر) وصدر البيت الثاني: (أيورثنا بكر إذا مات بعده)

وكان عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب خارجا عن المدينة فدخلها وقد بايع الناس أبا بكر فوقف في وسط المسجد وأنشأ يقول:

ما كنت أحسب هذا الأمر منتقلا

عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أول من صلى لقبلتهم

وأعرف الناس بالآثار والسنن

وآخر الناس عهدا بالنبي ومن

جبريل عون له بالغسل والكفن

(١) (في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٥٢)

(٢) (في تاريخ الطبري (ج ٣ - ص ٢٢٣)

من فيه ما فيهم لا يمترون به
وليس في القوم ما فيه من الحسن
فما الذي ردكم عنه فعلمه
ها إن بيعتكم في أول الفتن^(١)

رواه أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي عن محمد إسحاق الكلبي وأبي صالح ورواه أيضا عن رجاله زائدة بن قدامة قال: كان جماعة من الأعراب قد دخلوا المدينة ليمتاروا (يشتروا الميرة وهي الطعام) منها فشغل الناس عنهم بموت رسول الله ﷺ فشهدوا البيعة وحضروا الأمر فأنفذ إليهم عمر واستدعاهم وقال: لهم خذوا بالحظ من المعونة على بيعة خليفة رسول الله واخرجوا إلى الناس واحشروهم ليباعوا فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه (ديمقراطيا).

قال: والله لقد رأيت الأعراب تحزّموا، واتشحوا بالأزر الصنعانية وأخذوا بأيديهم الخشب وخرجوا حتى خبطوا الناس خبطا وجاؤوا بهم مكرهين إلى البيعة.. تلك هي ديمقراطية البيعة الأولى:
(ديمقراطية النار لأهل البيت ﷺ، وأسلم وخبط الدرّة والعصي والأخشاب لبقية الناس من هذه الأمة)

(١) (في تاريخ اليعقوبي (ج ٢ - ص ١٠٣) ط النجف نسبت إلى عتبة بن أبي لهب ولم يذكر الخامس وفي روايته الصدر الأول: (ما كنت أحسب أن الأمر منصرف) والبيت الثاني: عن أول الناس إيماننا وسابقة وأعلم الناس بالقرآن والسنن)

٣. رأي كبار الصحابة باستخلاف عمر:

هذا والأمة مجتمعة على أن أبا بكر لما أراد استخلاف عمر بن الخطاب حضره وجوه المهاجرين وفيهم طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص فقالوا: ما تقول لربك إذا وليت علينا هذا اللفظ الغليظ وإننا لم نكن نطيقه وهو رعية لك فكيف إذا ولي الأمر، فاتق الله في الإسلام وأهله ولا تسلطه على الناس..

فغضب أبو بكر وقال: أجلسوني فأجلس واستند إلى صدور الرجال من ضعفه، ثم قال لهم: أبالله تخوفوني إن كل واحد منكم قد طمع في هذا الأمر، فلما سمع ما أريده لعمر ورم لذلك أنفه..

ثم قال: وقد رأيت ما جاءته (الخلافة من الخير) فعملتم على التأمير واستعمال الستور ونضائد الديباج لتتخذوها كسروية لا والله لا أحببتكم إلى ما تريدون إنني إذا لقيت ربي فسألني من استخلفت عليهم قلت استخلفت عليهم خير أهلهم^(١)..

وهذا خبر مشهور لا تنازع فيه بين العلماء.. فإن كانت بالكراهة القلبية هناك فهنا كراهة ظاهرية واضحة وتصريح لا تلويح من ذات الرجلين (طلحة والزبير) يقولان لأبي بكر: أتولى علينا فظا غليظا ما تقول لربك^(٢)

وإذا كان المعيار واحدا فيجب أن تكون إمامة عمر بن الخطاب فاسدة وباطلة لكراهتها ممن عددناه من الصحابة فما رأيكم؟

(١) (في تاريخ الطبري (ج ٤ - ص ٥٢) والعقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٥٧) وشرح النهج لابن

أبي الحديد (ج ١ - ص ٥٥)

(٢) (تاريخ الخميس (ج ٢ - ص ٢٩٩)

وإليك هذه المناظرة الطريفة مع رأس المعتزلة وشيخها في عصره يرويها لنا بلسانه، نعم إنه أبو الهذيل العلاف: محمد بن الهذيل بن عبيد الله العبيدي البصري العلاف، رأس المعتزلة، لقب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت في العلافين، شيخ البصريين في الاعتزال ومن أكبر علمائهم، وصاحب المقالات في مذهبهم، ولد في سنة إحدى أو أربع وثلاثين ومائة وتوفي في أول أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين بسر من رأى وسنه مائة سنة^(١)

فقد حكى عن أبي الهذيل العلاف، قال: دخلت الرقة فذكر لي أن بدير زكن رجلا مجنوناً حسن الكلام، فأتيته فإذا أنا بشيخ حسن الهيئة جالس على وسادة يسرح رأسه ولحيته، فسلمت عليه، فرد السلام وقال: ممن يكون الرجل؟

قال: قلت: من أهل العراق.

قال: نعم، أهل الظرف والأدب.

قال: من أيها أنت؟

قلت: من أهل البصرة.

قال: أهل التجارب والعلم.

قال: فمن أيهم أنت؟

قلت: أبو الهذيل العلاف.

قال: المتكلم؟

(١) (أمالي المرتضى ج ١ ص ١٧٨، سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٤٢ رقم: ١٧٣، طبقات المعتزلة

قلت: بلى. فوثب عن وسادته وأجلسني عليها، ثم قال - بعد كلام جرى بيننا - : ما تقولون في الإمامة؟

قلت: أي الإمامة تريد؟ قال: مَنْ تقدّمون بعد النبي ﷺ؟

قلت: من قدّم رسول الله ﷺ قال: ومن هو؟

قلت: أبا بكر. قال لي: يا أبا الهذيل ولم قدمتم أبا بكر؟

قال: قلت: لأن النبي ﷺ قال: (قدموا خيركم وولوا أفضلكم) وتراضي الناس به جميعا.

قال: يا أبا الهذيل، هاهنا وقعت. أما قولك: إن النبي ﷺ قال: (قدموا خيركم وولوا أفضلكم)، فإني أوجدك أن أبا بكر صعد المنبر وقال: (وليتكم ولست بخيركم وعلي فيكم)^(١)

فإن كانوا كذبوا عليه فقد خالفوا أمر النبي ﷺ، وإن كان هو الكاذب على نفسه فمنبر رسول الله ﷺ لا يصعده الكاذبون.

وأما قولك: أن الناس تراضوا به، فإن أكثر الأنصار قالوا: منا أمير ومنكم أمير، وأما المهاجرون فإن الزبير بن العوام قال: لا أبايع إلا عليا، فأمر به فكسر سيفه، وجاء أبو سفيان بن حرب وقال: يا أبا الحسن، لو شئت لأملأنها خيلا ورجالا.. يعني (المدينة)^(٢)

وخرج سلمان فقال بالفارسي: (كرديد ونكرديد، وندانيد كه چه كرديد) (يعني فعلتم وما فعلتم ولا تعلمون ما الذي فعلتم).. والمقداد وأبو ذر، فهؤلاء المهاجرون والأنصار. أخبرني يا أبا الهذيل عن قيام أبي

(١) (الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٢٢، العقد الفريد ج ٥ ص ١٣)

(٢) (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٢٢)

بكر على المنبر وقوله: إن لي شيطانا يعتريني^(١)

فإذا رأيتموني مغضبا فاحذروني، لا أقع في أشعاركم وأبشاركم،
فهو يخبركم على المنبر أنني مجنون، وكيف يحل لكم أن تولوا
مجنوناً؟!

وأخبرني يا أبا الهذيل، عن قيام عمر وقوله: وددت أنني شعرة في
صدر أبي بكر، ثم قام بعدها بجمعة فقال: (إن بيعة أبي بكر كانت فلتة
(الفلتة جمع فلتات: الأمر يقع من غير إحكام، يقال: خرج الرجل فلتة،
أي بغتة، وحدث الأمر فلتة أي فجأة من غير تدبر).^(٢)

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: وذكر صاحب الصحاح أن
الفلتة: الأمر الذي يعمل فجأة من غير تردد ولا تدبر. وهكذا كانت بيعة
أبي بكر، لأن الأمر فيها لم يكن شورى بين المسلمين، وإنما وقعت
بغتة لم تمحص فيها الآراء، ولم يتناظر فيها الرجال، وكانت كالشيء
المستلب المنتهب، وكان عمر يخاف أن يموت عن غير وصية، أو يقتل
قتلا فيبايع أحد من المسلمين بغتة كبيعة بأبي بكر، فخطب بما خطب
له، وقال معتذرا: ألا إنه ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق كأبي بكر وفي
هذا المعنى يقول محمد بن هانئ المغربي.

ولكن أمرا كان أبرم بينهم

وإن قال قوم فلتة غير مبرم

وقال آخر:

(١) (كنز العمال ج ٥ ص ٥٨٩ ح ١٤٠٥٠، مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٨٣، الطبري في تاريخه ج

٣ ص ٢٤٤، ابن كثير في البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٠٣، ابن أبي الحديد في شرح النهج ج

٦ ص ٢٠، السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧١، ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص ٢٢)

(٢) المنجد ص ٥٩٢

زعموها فلتة فاجئة لا

ورب البيت والركن المشيد

إنما كانت أمورا نسجت

بينهم أسبابها نسج البرود

وقى الله شرها، فمن دعا

كم إلى مثلها فاقتلوه^(١)

فبينما هو يود أن يكون شعرة في صدره، وبينما هو يأمر بقتل من

بايع مثله.

فأخبرني يا أبا الهذيل عن الذي زعم أن النبي ﷺ لم يستخلف

وأن أبا بكر استخلف عمر، وأن عمر لم يستخلف، فأرى أمركم بينكم

متناقضا.

(لا يمكن القول بأن النبي ﷺ ترك أمته سدى ولم يعين لهم خليفة

وهذا خلاف فعله وفعل الحكماء أيضا فإنه حينما ترك المدينة في غزوة

تبوك لم يتركها بلا خليفة! بل خلف من يلي أمرهم مقامه وهو علي بن

أبي طالب عليه السلام، وإذا كان كذلك فكيف يتركهم بلا خليفة بعد موته

وهو يعلم أن أمته سوف تلاقى ويلات من النزاع والاختلاف والفتن وهو

القائل: (ستفترق أمتي بعدي على ثلاث وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقي

في النار)، ناهيك عن النصوص الكثيرة المستفيضة في كتب المذاهب

الإسلامية الدالة على تعيينه للخليفة والوصي من بعده وهو علي بن أبي

طالب عليه السلام، وكما تشير إلى ذلك أيضا الأدلة العقلية، فالذي يزعم

(١) (شرح نهج البلاغة لابن الحديد ج ٢ ص ٢٣، النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ٤٦٦، تاريخ

الطبري ج ٣ ص ٢٠٥، الصواعق المحرقة ص ٣٦، أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ١٥،

تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٨، نهج الحق ص ٢٦٤)

أنه عليه السلام ترك أمته سدى بلا خليفة ما هو إلا مكابر معاند وما أحسن قول الأزرى - عليه الرحمة - في هذا المعنى حيث يقول:

أنبي بلا وصي تعالى
الله عما يقوله سفهاها
زعموا أن هذه الأرض مرعى
ترك الناس فيه ترك سداها
كيف تخلو من حجة وإلى من
ترجع الناس في اختلاف نهاها
وأرى السوء للمقادير ينمى
فإذا لا فساد إلا قضاها
قد علمتم أن النبي حكيم
لم يدع من أموره أولها
أم جهلتم طرق الصواب من
الدين فقاتت أمثالكم مثلاها
هل ترى الأوصياء يا سعد
إلا أقرب العالمين من أنبيها
أو ترى الأنبياء قد اتخذوا
المشرك دهورا بالله من أوصياها
أم نبي الهدى رأى الرسل ضلت
قبله فافتقى خلاف اقتفاها)

وأخبرني يا أبا الهذيل عن عمر حين صيرها شورى بين ستة، وزعم أنهم من أهل الجنة فقال: (إن خالف اثنان لأربعة فاقتلوا الاثنيين، وإن

خالف ثلاثة لثلاثة، فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن عوف.^(١)
فهذه ديانة أن يأمر بقتل أهل الجنة (أضف إلى ذلك شهادة عمر،
بأن رسول الله ﷺ مات راضيا عنهم، وهو قوله إن رسول الله ﷺ مات
وهو راض عن هذه الستة من قريش: علي، وعثمان، وطلحة، والزبير،
وسعد، وعبد الرحمن بن عوف؟^(٢))

وأخبرني يا أبا الهذيل، عن عمر لما طُعن، دخل عليه عبد الله بن
عباس، قال: فرأيته جزعا.

فقلت: يا أمير، ما هذا الجزع؟

قال: يا بن عباس، ما جزعي لأجلي ولكن جزعي لهذا الأمر من يلية
بعدي.

قال: قلت: ولها طلحة بن عبيد الله.

قال: رجل له حِدَّة، كان النبي ﷺ يعرفه فلا أولي أمر المسلمين
حديدا.

قال: قلت: ولها الزبير بن العوام.

قال: رجل بخيل، رأيت يماكس امرأته في كبة من غزل، فلا أولي
أمر المسلمين بخيلا.

(١) (عهد الخليفة عمر بالشورى على هذه الكيفية ثابت بالتواتر في مصادر المسلمين، فراجع
على سبيل المثال: الكامل لابن الأثير (في حوادث سنة ٢٣) ج ٣ ص ٦٦، شرح نهج
البلاغة لابن أبي الحديد (في شرح الخطبة الشقشقية) ج ١ ص ١٨٥ - ١٩٤، تاريخ
الطبري ج ٤ ص ٢٢٨، وقريب منه في الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٣٣٨.)
(٢) (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٥ (في قصة الشورى)، تاريخ الطبري ج
٤ ص ٢٢٧، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٦٥)

قال: قلت: ولها سعد بن أبي وقاص.

قال: رجل صاحب فرس وقوس، وليس من أحلاس الخلافة.

قال: قلت: ولها عبد الرحمن بن عوف.

قال: رجل ليس يحسن أن يكفي عياله.

قال: قلت: ولها عبد الله بن عمر. فاستوى جالسا..

ثم قال: يا بن عباس! ما الله أردت بهذا أولي رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته؟!

قال: قلت: ولها عثمان بن عفان..

قال: والله لئن وليته ليحملن بني أمية وبني أبي معيط على رقاب المسلمين، ويوشك أن يقتلوه.. قالها ثلاثا..

(ويذكر ذلك في باب فراسة عمر، ومن الذين ذكروا ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج (في قصة الشورى)^(١))

أن عمر قال لعثمان (وهو ملقى على فراشه يجود بنفسه) : هيا إليك! كأنني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب، فذبحوك على فراشك ذبحا، والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن، ثم أخذ بناصيته، فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي، فإنه كائن؟)

قال: ثم سكت لما أعرف من مغايرته لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام..

(١) شرح النهج ج ١ ص ١٨٦

فقال: يا بن عباس أذكر صاحبك.

قال: قلت: فولها عليا.

قال: فو الله ما جزعي إلا لما أخذنا الحق من أربابه، والله لئن وليته ليحملنهم على المحجة العظمى، وإن يطيعوه يدخلهم الجنة، فهو يقول هذا ثم صيرها شورى بين ستة فويل له من ربه!!

(روى ابن عبد البر في الاستيعاب أن عمر قال في علي عليه السلام: إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيم..

فقال له ابن عمر: ما يمنعك أن تقدم عليا؟ قال: أكره أن أتحمّلها حيا وميتا^(١)

وأیضا نص على هذا المعنى رسول الله ﷺ كما أخرجه أحمد في مسنده عن النبي ﷺ في حديث: وإن تؤمروا عليا عليه السلام ولا أراكم فاعلين، تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم^(٢).

وفي حديث عنه ﷺ: وإن تستخلفوا عليا - ولا أراكم فاعلين - تجدوه هاديا مهديا يحملكم على المحجة البيضاء^(٣).

ثم قال أبو الهذيل: فوالله بينما هو يكلمني إذ اختلط، وذهب عقله. فأخبرت المأمون بقصته، وكان من قصته أن ذهب بماله وضياعه حيلة وغدرا، فبعث إليه المأمون، فجاء به وعالجه وكان قد ذهب عقله بما صنّع به، فرد عليه ماله وضياعه وصيره نديما له، فكان اتهام المأمون

(١) (عن هامش الايضاح ص ١٢٨)

(٢) أحمد في مسنده ج ١ ص ١٠٩

(٣) وفي الفرائد ج ١ ص ٢٦٦ ح ٢٠٧

بالتشيع لذلك^(١)..

ونزيد فقد نص على ذلك النبي ﷺ: إن استخلفوا علياً ﷺ أدخلهم الجنة، وروى الخطيب الخوارزمي في المناقب، مُسنداً عن عبد الله بن مسعود قال: كنت مع رسول الله ﷺ وقد أصحرت نفس الصعداء، فقلت: يا رسول الله مالك تتنفس؟ قال: يا بن مسعود نعت إلي نفسي، فقلت: يا رسول الله استخلف، قال: من؟ قلت: أبا بكر، فسكت، ثم تنفس، فقلت: مالي أراك تتنفس؟ قال: نعت إلي نفسي. فقلت: استخلف يا رسول الله، قال: من؟ قلت: عمر بن الخطاب، فسكت، ثم تنفس قال: فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال نعت إلي نفسي، فقلت: استخلف قال: من؟ قلت: علي بن أبي طالب، قال: أوه ولن تفعلوا إذا أبداً، والله لئن فعلتموه ليدخلنكم الجنة.^(٢)

وكذلك فرائد السمطين، وفيه: أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين..^(٣)

٤ . ولاية عثمان والشورى

قال ولما كان في يوم الشورى حضر عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقام في الناس وقال: إن وليتموها علياً ﷺ سمعنا وأطعنا وإن وليتموها عثمان سمعنا وعصينا..

(١) (الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٨٢ - ٣٨٥ بتصرف)

(٢) (الخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٦٨، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٦٠)

(٣) (المناظرات في الإمامة - الشيخ عبد الله الحسن ص ١٧٩ عن فرائد السمطين ج ١ ص ٢٧٣)

فقام الوليد بن عقبة وقال: يا معشر الناس أهل الشورى إن وليتموها عثمان سمعنا وأطعنا وإن وليتموها عليا سمعنا وعصينا.. فانتهره عمار وقال: له متى كان مثلك يا فاسق يعترض في أمور المسلمين وشتات جمعه، وتسابا جميعا وتناوشا حتى حيل بينهما؛ فقال المقداد من وراء الباب: يا معشر المسلمين إن وليتموها أحدا من القوم فلا تولوها من لم يحضر بدرا، وانهزم يوم أحد، ولم يحضر بيعة الرضوان وولى الدبر يوم التقى الجمعان^(١) فقال له عثمان: أما والله لئن وليتها لأردنك إلى ربك الأول، ولما صفق عبد الرحمن يده على يد عثمان نهض أمير المؤمنين عليه السلام وقال: مال الرجل إلى صهره ونبذ دينه وراء ظهره وأقبل على عبد الرحمن؛ فقال: والله ما أملت منه (أي الخلافة) إلا ما أمل صاحبك (عمر) من صاحبه (أبا بكر) دق الله بينكما عطر منشم..^(٢)

وانصرف مظهرا للتنكير على عبد الرحمن واعتزل بيعة عثمان فلم يبايعه حتى كان من أمره مع المسلمين ما كان وقد عرفت الخاصة والعامه ما أظهره أمير المؤمنين عليه السلام من كراهته مَنْ تقدم عليه وتظلمه منهم. فقال في مقام بعد مقام: اللهم إني أستعينك على قريش فإنهم ظلموني حقي ومنعوني إرثي وتمالؤوا علي.

(١) (في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ - ص ٦٦) إن عبد الرحمن بن عوف أرسل إلى عثمان يذكره بفراره يوم أحد وعدم حضوره بدرا ولا بيعة الرضوان فلم ينكر عليه)
 (٢) (في تاج العروس (ج ٩ - ص ٧٩) بمادة نشم أن امرأة صنعت لزوجها طيبا تطيب به ثم أنها صادفت رجلا فطيبته فلقبه زوجها فشم طيب زوجته فقتله فاقتل الحيان من أجله فضرب به المثل وقالوا أشأم من عطر منشم، وقيل إن المنشم حب عطر شاق الدق وهو سم ساعة وفيه يقول زهير:

تداركتما عبا وذبيان بعد ما

تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم)

وقال عليه السلام: لم أزل مظلوما منذ قبض رسول الله ﷺ.

وقال عليه السلام: وقد عهد إليّ رسول الله أن الأمة ستغدر بي من بعده.

وقال عليه السلام: اللهم أجز قريشا عني الجوازي فقد قطعت رحمي ودفعتني عن حقي وأغرّت بي سفهاء الناس وخاطرت بدمي^(١)..

وفي خطبة الإمام علي عليه السلام يوم البيعة قيل: لما أفضى الأمر إليه رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد كانت أمور كثيرة لم تكونوا عندي فيها محمودين أما إنني لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف سبق الرجلان، وقام الثالث كالغراب همته بطنه وفرجه، يا ويحه لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيرا له.

والأمر أوضح منه عليه السلام في الخطبة الشقشقية: فأما خطبته عليه السلام التي رواها عبد الله بن عباس فهي أشهر من أن ندل عليها لشهرتها وهي التي يقول عليه السلام في أولها:

(والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا. أرى تراثي نهبا فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا..

إلى قوله عليه السلام: فجعلني عمر سادس ستة زعم أنني أحدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ولكني أسففت إذا سفوا، ووطرت إذا طاروا)

فدل ما ذكرناه عنه عليه السلام على كراهيته لبيعة من تقدم عليه، وإنكاره

(١) (البيان والتبيين (ج ٢ - ص ٥٢) ط سنة ١٣٣٢ هـ)

ما صنعوه في ذلك، والآخرين - لعنادهم الحق وتجاهلهم - يجعلون الأخبار الشاذة في كراهة نفر معدودين لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام قدحا في إمامته ولا يجعلون ما ذكرناه من خلاف وجوه المسلمين وعامة المؤمنين والأنصار والمهاجرين في إمامة الثلاثة من المتقدمين عليه حجة في بطلان إمامتهم، بلى والله (إن هذا لشيء عجاب)..

وبعد هذا الإستعراض السريع للخطوط والآراء ببيعة أمير المؤمنين النورانية المباركة نستعرضها ونحن على يقين من سلامتها من أي شك في صحتها السياسية رغم إيماننا بأفضلية وأحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة من كل أحد من هذه الأمة؛ لأنه الإمام المنصوص عليه من الله، ومنصوب على الأمة من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن جريا مع النظريات السياسية للقوم قدمنا هذا القول ليكون من خالفنا بعقائدنا على بينة من أمر الخلافة العلوية وبالتالي الصحابة الذين حاربوه عليها..

١.٤ . امتناع الإمام علي عليه السلام من البيعة له:

فمن روى خبر البيعة وما كانت عليه الحال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه المصنف في حرب البصرة عن سيف بن عمر الكذاب عن محمد بن عبد الله بن سواده وطلحة بن الأعلم وابني عثمان أجمع قالوا بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب العكي^(١)..

والناس يلتمسون من يجيبهم لهذا الأمر فلا يجدون فيأتي المصريون عليا عليه السلام فيختبئ عنهم ويلوذ بحيطان المدينة (بساتينها) فإذا لقوه يأبى عليهم البيعة ويصرفهم إلى غيره من الصحابة.

(١) (الطبري (ج ٥ - ص ١٠٣ وص ١٥٥)

وقام عمار بن ياسر والهيثم بن التيهان ورفاعة بن أبي رافع ومالك بن عجلان وأبو أيوب خالد بن زيد فقالوا لعلي عليه السلام: إن هذا الأمر قد فسد وقد رأيت ما صنع عثمان وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة فابسط يدك لنبايعك لتصلح من أمر الأمة ما قد فسد..

فاستقال علي عليه السلام وقال: قد رأيتم ما صنع بي وعرفتم رأي القوم فلا حاجة لي فيهم.. فأقبلوا على الأنصار وقالوا: يا معاشر الأنصار أنتم أنصار الله وأنصار رسوله، وبرسوله أكرمكم الله وقد علمتم فضل علي عليه السلام وسابقته في الإسلام وقربته ومكانته من النبي صلى الله عليه وآله وإن ولي بنا لكم خيراً..

فقال القوم: نحن أرضى الناس به ما نريد به بدلاً..

ثم اجتمعوا عليه وما يزالوا به حتى بايعوه. وبإسناده عن ابن أبي الهيثم بن التيهان؛ قال: يا معشر الأنصار قد عرفتم رأيي ونصحي ومكاني من رسول الله صلى الله عليه وآله واختياره إياي فردوا هذا الأمر إلى أقدمكم إسلاماً وأولاكم برسول الله صلى الله عليه وآله لعل الله أن يجمع به ألفتكم ويحققن به دماءكم.. فأجابهم القوم بالسمع والطاعة..

وروى سيف عن رجاله قال اجتمع الناس إلى علي عليه السلام وسألوه أن ينظر في أمورهم وبذلوا له البيعة فقال لهم: التمسوا غيري.. فقالوا له: ننشدك الله أما ترى الفتنة ألا تخاف الله في ضياع هذه الأمة.. فلما ألحوا عليه، قال لهم: إني لو أجبتكم حملتكم على ما أعلمه وأن تركتموني كنت كأحدكم.. قالوا: قد رضينا بحكمك وما فينا مخالف لك فاحملنا على ما تراه ثم بايعته الجماعة..

٢٠٤. بيعة طلحة والزبير

وروى إسحاق بن راشد عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ابن أثري قال: ألا أحدثك بما رأت عيناى وسمعت أذناى لما التقى الناس عند بيت المال، قال علي عليه السلام لطلحة: أبسط يدك أبايعك..

فقال طلحة: أنت أحق بهذا الأمر منى وقد اجتمع لك من هؤلاء الناس ما لم يجتمع لى^(١)..

فقال له عليه السلام: ما خشينا غيرك..

فقال طلحة: لا تخش - فوالله - لا تؤتى من قبلى..

انظر إلى هذا اليمين الغموس الذى نطق به طلحة - سبحان الله! - وكأنه حلف يمينا بالله إنه لا تؤتى إلا من قبلى بعكس يمينه الأولى.

وروى أبو إسحاق بن إبراهيم بن محمد الثقفى عن عثمان بن أبى شيبة عن إدريس عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم قال: جاء طلحة والزبير إلى علي عليه السلام وهو متعوذ بحيطان المدينة فدخلا عليه وقالا: أبسط يدك نبايعك فإن الناس لا يرضون إلا بك..

فقال لهما: لا حاجة لى فى ذلك ولئن أكون لكما وزيراً خير لكما من أن أكون أميراً فليسط قرشياً منكما يده أبايعه..

فقالا: إن الناس لا يؤثرون غيرك ولا يعدلون عنك إلى سواك فابسط يدك نبايعك أول الناس..

فقال: إن بيعتى لا تكون سرا فامهلا حتى أخرج إلى المسجد..

فقالا: بل نبايعك هنا ثم نبايعك فى المسجد.. فبايعاه أول الناس ثم

(١) (الطبرى (ج ٥ - ص ١٥٦)

بايعه الناس على المنبر؛ أولهم طلحة بن عبيد الله وكانت يده شلاء (من يوم أحد حيث ثبت مع الرسول الأعظم ﷺ وفر الآخرون) فصعد المنبر إليه فصفق على يده، ورجل من بني أسد يزجر الطير قائم ينظر إليه فلما رأى أول يد صفقت على يد أمير المؤمنين ﷺ يد طلحة وهي شلاء.. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد صفقت على يدي (أمير المؤمنين يد) شلاء يوشك أن لا يتم هذا الأمر ثم نزل طلحة والزبير وبايعه الناس بعدهما^(١)..

وهذه الأخبار مع كثرتها وانتشارها في كتب السير وكافة كتب العلماء وظهورها واستفاضتها تتضمن نقيض ما ادعاه المخالف من إكراه أمير المؤمنين ﷺ على البيعة ويبطل ما تعلق به الواقدي لا بل قد أثبت في كتابه الذي صنفه في حرب البصرة ما يوافق الأخبار التي قدمنا ذكرها..

فقال حدثني عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد قال: لما قتل عثمان أقبل الناس على علي ﷺ ليبايعوه فتأبى عليهم وقالوا بايعنا لا تخلف أمرك فأبى عليهم فمدوا يده وبسطوها وقبضوها فقالوا بايعنا لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك..

وروى إسماعيل بن محمد عن محمد بن سعد عن أبيه قال: أرسل علي بن أبي طالب ﷺ إلى أبي لبياع.. فقال له: إذا لم يبق غيري بايعتك.. فقال علي ﷺ: خلوا سعدا.. وأرسل إلى أسامة بن زيد فقال له أسامة: أنا لك طوع ولكن أعفني الخروج بالسيف.. فقال له علي: لم أكره أحدا على بيعته.. وأن جميع من بايعه كان مؤثرا له داعيا إليه في ذلك على ما قدمناه والحمد لله.

(١) (العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٦٩) والطبري (ج ٥ ص ١٥٣)

٣.٤. الناكثان

فإن ظاهر الفتنة بالبصرة فهو ما أحدثه طلحة والزبير من نكث البيعة التي بذلها لأمر المؤمنين عليه السلام طوعا واختيارا وإيثارا وخروجهما عن المدينة إلى مكة على إظهار منهما ابتغاء العمرة فلما وصلها اجتمعا مع عائشة وعمال عثمان الهاربين بأموال المسلمين إلى مكة طمعا فيما احتجبه وسرقوه من الأموال وخوفا من أمير المؤمنين عليه السلام واتفاق رأيهم على الطلب بدم عثمان وشبهوا بذلك على الضعفاء واغثروا به السفهاء وأوهموهم بذلك لظلم عثمان والبراءة من شيء يستحق به ما صنع به القوم من إحصاره وخلعه والمنازعة إلى دمه فأجابهم إلى مرادهم من الفتنة ممن استغووه وقصدوا البصرة لعلمهم أن جمهور أهلها من شيعة عثمان وأصحاب عامله وابن خاله كان بها وهو عبد الله بن كريز بن عامر وكان ذلك منهم ظاهرا..

وأما باطنا فإنه كان خلافه تماما وهذا تدل عليه الأخبار الواردة ويفصح عن صحة الحكم به العقل والاعتبار..

ألا ترى أن طلحة والزبير وعائشة بإجماع العلماء بالسير والآثار هم الذين كانوا أشد الناس لخلع عثمان وحصره وقتله فكانت عائشة من أشد المحرضين عليه وتقول: اقتلوا نعثلا فقد كفر؛ والزبير كان يحرض عليه مباشرة، وطلحة كان القائد لعملية الحصار لاسيما منع الماء عنه.. وأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يزل يدفعهم عن ذلك ويلطف في منعهم عنه ويبذل الجهد في إصلاح حال عثمان مع المنكرين عليه، العائيين له؛ المحتجين عليه بأفعاله وأحداثه.. فهذا عبيد الله بن عمر بن الخطاب

يمدح علياً بأن لم يشترك في قتل عثمان..^(١)

فمن أنكر ما ذكرناه أو شك في شيء مما وصفناه فهو بعيد عن علم الأخبار ناء عن معرفة السير والفتن والآثار ومكابر يحمل نفسه على جحد الحق راضياً لا على اضطرار..

٥ . قادة الناكثين ومبرراتهم

والبحث هنا بأبرز قيادة الناكثين الثلاثة فقط ولكن يجب ملاحظة بقية الشخصيات ذات التأثير الكبير على الأحداث كالمعتوه ابن عامر، والوزغ بن الوزغ مروان بن الحكم، والمشؤوم عبد الله بن الزبير، والداهية ابن أمية ومنية.. وغيرهم من رؤوس الفساد والإفساد في تلك الحقبة من عمر الدولة الإسلامية..

لأننا سوف نتعرض لها خلال البحث ولن نهملها بإذن الله تعالى..

١ . ٥ . طلحة بن عبيد الله

الحقائق التاريخية تقول: بأن هذا الشيخ القرشي التيمي طلحة بن عبيد الله وهو ابن أخا الخليفة الأول عبد الله بن أبي قحافة أبو بكر والمرشح الأول لابنة عمه السيدة عائشة لتولي الخلافة من بعد عثمان الأموي، وهو أخو شريكه الزبير حين المؤاخاة بين أصحاب النبي ﷺ، ولم يحضر بدرًا لأنه كان برحلة تجارية إلى الشام، ولكنه حضر بأحد وأبلى بلاء حسناً بشبته وفرار الآخرين مع الرسول ﷺ وبني هاشم الميامين، وأصيبت يده فكانت تسميه عائشة ذا الأصبع..

(١) (في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ - ص ٢٥٦)

كما أنه هو الذي قال يوما: ما بال محمد ينكح نساءنا ولا ننكح نساءه، والله لئن مات لأتزوجن ابنة عمي عائشة، فأنزل الله سبحانه: ونسأؤه أمهاتكم..فعظموهن وانقطع الجميع عن ذكرهن..

وهو من أصحاب الشورى السداسية العمرية وتنازل عن حقه لصالح عثمان عندما تنازل الزبير لصالح الإمام علي عليه السلام، وكان في غاية الدهاء والحنكة والسياسة ولكن ما زلت أعجب من تنازله لمعاوية والسماح له باللعب به، ليسوقه إلى حتفه كيف يشاء، ويستغل ذلك للوصول إلى مآربه الخاصة به..

كما أنه استطاع أن يجمع ثروة طائلة في عهد صاحبه عثمان الذي تنازل له عن سهمه بالشورى العمرية، فأغدق عليه عثمان الذهب بالبحار (وهو جلد ثور، أو بعير) وأعطاه من القطائع والبساتين والأراضي الشيء الكثير، وقتل ولديه الذهب أتلالا كما مرَّ معنا من قبل ربما تزيد عن (ثلاثين مليون) دينار..

ووصفه من عرفه عمر إذ قال عنه: رجل له حِدَّة، كان النبي ﷺ يعرفه فلا أولي أمر المسلمين حديدا.

وبرواية: أن به بأو، أي غرور وعجب وعنجهية أصيب بها بعد معركة أحد وثباته مع رسول الله ﷺ حين فرَّ الآخرون ولازمته إلى آخر حياته على ما يبدو..والله العالم بالبواطن..

وهو الشخصية الأولى المسؤولة عن دم الخليفة عثمان قيادة، وتحريضا، وتنفيذا..ولذلك لم يستطع بل ولم يجرؤ على المطالبة

بالخلافة لأنه قتل الخليفة ولن تستقيم له الأمة فقال في سره وتآمر مع صاحبه الزبير نلقبها برقبة علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه بريء من أي تهمة ونمنها عليه ونطالبه بولاية العراقيين (البصرة، والكوفة) فلا يستطيع ردنا لمكاننا ومكانتنا، فخاب أملهم وردهم أمير المؤمنين ردا جميلا، فلم يقبلوا منه ذلك فأعلنوا النكث والعصيان والتمرد على إمام الزمان عليه السلام وقادوا الجيوش لقتاله.

فهو المسؤول الأول عن خروج الناكثين وقتالهم لأمر المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل التي قتل بها بسهم صائب ضربه به حليفه مروان بن الحكم، فذهب دمه هدرا، ومات رخيصة وهو من شيوخ قريش الكبار وتأسف أمير المؤمنين عليه السلام من أجل ذلك.

فقد روى البلاذري بإسناده من طريق ابن سيرين أنه قال: لم يكن من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أشد على عثمان من طلحة^(١).

وربما أفتى بعدم رد السلام على عثمان وبذلك أخرجته من الملة فقد روى البلاذري في حديث: وسلم عثمان على جماعة فيهم طلحة فلم يردوا عليه، فقال: يا طلحة! ما كنت أرى إنه أعيش إلى أن أسلم عليك فلا ترد علي السلام^(٢).

وكان هذه القضية غير ما وقع في أيام الحصار الثاني مما ذكره الديار بكري في تاريخ الخميس، حيث قال: أشرف عثمان عليهم ذات يوم وقال: السلام عليكم. فما سمع أحدا من الناس يرد عليه إلا أن يرد في نفسه. وحديث جبلة بن عمرو الأنصاري ونهيه الناس عن رد السلام على

(١) (الأنساب ٥: ٨١، وذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢: ٢٦٩)

(٢) (الأنساب الأشراف: ٥: ٧٦)

عثمان إذا سلم عليهم.^(١)

وقال ابن أبي الحديد: كان طلحة من أشد الناس تحريضا عليه (عثمان)، وكان الزبير دونه في ذلك (التحريض).

ولهذا روي أن عثمان كان يقول: ويلى على ابن الحضرمية - يعني طلحة - أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي، يُحرض على نفسي، اللهم لا تمتعه به (الذهب) ولقه عواقب بغيه.

وحكى ابن أبي الحديد عن الطبري: إن عثمان كان له على طلحة خمسون ألفاً فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة: قد تهيأ مالك فاقبضه؛ فقال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك. قال: فكان عثمان يقول وهو محصور جزاء سنمار..^(٢)

أخرج الطبري من طريق الحسن البصري: إن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بسبعمئة ألف فحملها إليه فقال طلحة: إن رجلاً تتسق هذه عنه (أو عنده) وفي بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله عَزَّ وَجَلَّ لغرير بالله سبحانه، فبات ورسوله يختلف بها في سكك المدينة يقسمها حتى أصبح فأصبح وما عنده منها درهم.

قال الحسن: وجاء هاهنا (يعني البصرة) يطلب الدينار والدرهم. أو قال: الصفراء والبيضاء.^(٣)

(١) (تاريخ الخميس ٢: ٢٦٠)

(٢) (هذا الحديث أخرجه الطبري في تاريخه ٥: ١٣٩ وليس فيه ما حكاه عنه ابن أبي الحديد

(فكان عثمان يقول وهو محصور: جزاء سنمار)

(٣) تاريخ الطبري ٥: ١٣٩، تاريخ ابن عساكر ٧: ٨١.

٥. ١. ١. قيادة طلحة لقتل عثمان

فقد أخرج الطبري من طريق بشر بن سعيد قال: حدثني عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة قال: دخلت على عثمان فتحدثت معه ساعة فقال: يا ابن عباس! تعال فأخذ بيدي فأسمعني كلام مَنْ على باب عثمان فسمعنا كلاماً، منهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع، فبينما أنا وهو واقفان إذ مرَّ طلحة بن عبيد الله فوقف فقال: أين ابن عديس؟ فقيل: ها هو ذا.

قال: فجاء ابن عديس فناجاه بشيء ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده قال: فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله ثم قال عثمان: اللهم اكفني طلحة بن عبيد الله فإنه حمل عليّ هؤلاء وألبهم، والله إنني لأرجو أن يكون منها (الخلافة) صفراً وأن يسفك دمه، إنه انتهك مني ما لا يحل له، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه فيقتل، أو رجل زنى بعد إحصانه فيرجم، أو رجل قتل نفساً بغير نفس. ففيم أقتل؟

قال: ثم رجع عثمان. قال ابن عباس: فأردت أن أخرج فمنعوني حتى مرَّ بي محمد بن أبي بكر فقال: خلوه. فخلوني^(١).

أخرج الطبري من طريق حكيم بن جابر قال: قال علي لطلحة - وعثمان محصور - : أنشدك الله إلا رددت الناس عن عثمان،

قال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها. فقال: فكان علي عليه السلام يقول: لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٢٢، الكامل ابن الأثير ٣: ٧٣

(١). فعل.

ذكر البلاذري في حديث: إن طلحة قال لعثمان: إنك أحدثت أحداثا لم يكن الناس يعهدونها، فقال عثمان: ما أحدثت أحداثا ولكنكم أظنّاء تفسدون عليّ الناس وتؤلبوهم^(٢).

وأخرج الطبري بالإسناد قال: حصر عثمان وعلي عليهما السلام بخيبر فلما قدم أرسل إليه عثمان يدعوه فانطلق فقلت: لأنطلقن معه ولأسمعن مقالتهما، فلما دخل عليه كلمه عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن لي عليك حقوقا حق الإسلام، وحق الإخاء، وبين حق القرابة والصهر وما جعلت لي في عنقك من العهد والميثاق، فوالله لو لم يكن من هذا شيء ثم كنا إنما نحن في جاهلية لكان مبطا على بني عبد مناف أن يبتزهم أخو بني تيم (يعني طلحة) ملكهم.

فتكلم علي عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: فكل ما ذكرت من حقك عليّ علي ما ذكرت، أما قولك: لو كنا في جاهلية لكان مبطا (عارا) على بني عبد مناف أن يبتزهم أخو بني تيم ملكهم، فصدقت، وسيأتيك الخبر.

ثم خرج فدخل المسجد فرأى أسامة جالسا فدعاه فاعتمد على يده فخرج يمشي إلى طلحة وتبعته فدخلنا دار طلحة بن عبيد الله وهي رجاس من الناس فقام إليه فقال: يا طلحة! ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟

فقال: يا أبا حسن! بعد ما مسّ الحزام الطبيين.. (وهو مثل لبلوغ الأمر نهايته) فانصرف علي عليه السلام ولم يحر إليه شيئا حتى أتى بيت المال

(١) تاريخ الطبري ٥ : ١٣٩، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٦٨

(٢) الأنساب ٥ : ٤٤.

فقال: افتحوا هذا الباب. فلم يقدر علي المفاتيح فقال: اكسروه فكسر باب بيت المال، فقال: أخرجوا المال. فجعل يعطي الناس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع علي عليه السلام فجعلوا يتسللون إليه حتى ترك طلحة وحده، وبلغ الخبر عثمان فسرَّ بذلك، ثم أقبل طلحة يمشي عائدا إلى دار عثمان فقلت: والله لأنظرن ما يقول هذا فتبعته فاستأذن علي عثمان فلما دخل عليه، قال: يا أمير المؤمنين! أستغفر الله وأتوب إليه أردت أمرا فحال الله بيني وبينه..

فقال عثمان: إنك والله ما جئت تائبا ولكنك جئت مغلوبا، الله حسيك يا طلحة^(١).

وبالفعل فإنه أقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلا ونهارا وطلحة يحرّض الفريقين جميعا على عثمان، ثم إن طلحة قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه^(٢).

وبرواية أخرى أنه لما أبى عثمان أن يخلع نفسه تولى طلحة والزبير حصاره والناس معهما على ذلك فحصره حصرا شديدا ومنعوه الماء وأنفذ (أرسل) إلى علي عليه السلام يقول: إن طلحة والزبير قد قتلاني من العطش، والموت بالسلاح أحسن..

فخرج معتمدا على يد المسور بن مخزوم الزهري حتى دخل علي طلحة بن عبيد الله وهو جالس في داره يسوي نبلا وعليه قميص هندي فلما رآه رَحَّب به ووسَّع له علي الوسادة فقال له علي عليه السلام: إن عثمان قد

(١) تاريخ الطبري ٦ : ١٥٤، كامل ابن الأثير ٣ : ٧٠، شرح ابن أبي الحديد ١ : ١١٦٥. تاريخ

ابن خلدون ٢ : ٣٩٧.

(٢) الإمامة والسياسة ١ : ٣٤.

أرسل إلي إنكم قد هلكتموه عطشا وإن ذلك ليس بالحسن والقتل بالسلاح أحسن وكنت آليت على نفسي أن لا أرد عنه أحدا بعد أهل مصر وأنا أحب أن تدخلوا عليه الماء حتى تروا رأيكم فيه..

فقال طلحة: لا والله لا ننعمة عينا ولا نتركه يأكل ولا يشرب.. فقال علي عليه السلام: ما كنت أظن أن أكلم أحدا من قريش فيردني دع ما كنت فيه يا طلحة..

فقال طلحة: ما كنت أنت يا علي في ذلك من شيء..

فقام علي عليه السلام مغضبا وقال: ستعلم يا بن الحضرمية أكون في ذلك من شيء أم لا، ثم انصرف.

وقيل أنه كان الزبير وطلحة قد استوليا على الأمر، ومنع طلحة عثمان من أن يدخل عليه الماء العذب فأرسل علي إلى طلحة وهو في أرض له على ميل من المدينة: أن دع هذا الرجل فليشرب من مائة ومن بشره يعني بثر رومة، ولا تقتلوه من العطش.

فأبى فقال علي عليه السلام: لولا أنني قد آليت يوم ذي خشب أنه إن لم يطعني لا أرد عنه أحدا لأدخلت عليه الماء^(١).

أخرج البلاذري من طريق يحيى بن سعيد قال: كان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار، فبعث عثمان عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب إلى علي عليه السلام بهذا البيت من الشعر:

وإن كنت مأكولا فكن أنت

آكلي وإلا فأدركني ولما أمزق^(٢)

(١) في رواية للبلاذري ص ٩٠

(٢) أنساب الأشراف: ٩٠/٥٠

وقال أبو مخنف: صلى علي عليه السلام بالناس يوم النحر (عيد الأضحى) وعثمان محصور فبعث إليه عثمان بهذا البيت:

وإن كنت مأكولا فكن أنت

آكلي وإلا فأدركني ولما أمزق^(١)

وكان رسوله به عبد الله بن الحارث ففرق علي عليه السلام الناس عن طلحة، فلما رأى ذلك طلحة دخل على عثمان فاعتذر فقال له عثمان: يا ابن الحضرمية! ألبت عليّ الناس ودعوتهم إلى قتلي حتى إذا فاتك ما تريد جئت معتذرا، لا قبل الله ممن قبل عذرك^(٢)

وحكى البلاذري عن أبي مخنف وغيره أنه: حرس القوم عثمان ومنعوا من أن يُدخل عليه، وأشار عليه سعيد بن العاص بأن يحرم ويلبي ويخرج فيأتي مكة فلا يقدم عليه. فبلغهم قوله فقالوا: والله لئن خرج لا فارقناه حتى يحكم الله بيننا وبينه، واشتد عليه طلحة بن عبيد الله في الحصار، ومنع من أن يدخل إليه الماء حتى غضب علي بن أبي طالب عليه السلام من ذلك، فأدخلت عليه روايا الماء^(٣)

وروى أبو إسحاق قال: لما اشتد الحصار بعثمان عمد بنو أمية على إخراجهم ليلا إلى مكة وعرف الناس فجعلوا عليه حرسا وكان على الحرس طلحة بن عبيد الله وهو أول من رمى بسهم في دار عثمان، قال وأطلع عثمان وقد اشتد به الحصار وظمأ من العطش فنادى: أيها الناس اسقونا شربة من الماء واطعمونا مما رزقكم الله..

فناده الزبير بن العوام: يا نعثل لا والله لا تنوقه.

(١) ن.م. ٧٧/٥.

(٢) (الأنساب ٥: ٧٧)

(٣) (الأنساب ٥: ٧١)

وروى أبو حذيفة بن إسحاق بن بشير القرشي أيضا قال حدثني يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال والله إنني لأنظر إلى طلحة وعثمان محصور وهو على فرس أدهم وبيده الرمح يجول حول الدار وكأني أنظر إلى بياض ما وراء الدرع.. (في شرح النهج لابن أبي الحديد كان طلحة يوم قتل عثمان مقنعا بثوب يرمي الدار بالسهم وإنه حمل الذين حاصروه إلى دار بعض الأنصار فتسوروا منها على عثمان فقتلوه والزبير يقول اقتلوه فقد بدل دينكم وإنه لجيفة على الصراط)^(١)

وروى البلاذري: قالوا: مر مجمع بن جارية الأنصاري بطلحة بن عبيد الله فقال: يا مجمع ما فعل صاحبك؟ قال: أظنكم والله قاتليه. فقال طلحة: فإن قتل فلا ملك مقرب ولا نبي مرسل.^(٢)

وقيل: إن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن أعين الناس، يرمي الدار بالسهم، وقيل: أنه أول من رمى بسهم باتجاه بيت عثمان وهو محصور.. ورووا أيضا: إنه لما أمتنع على الذين حاصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه.^(٣)

فهذه الأحاديث في جملة كثيرة في هذا المعنى وهي كاشفة عما ذكرناه من أدغال القوم من التظاهر بطلب دم عثمان وهم تولوا سفكه ولم يظهر أحد منهم إلا الدم عليه، ولما بايع الناس عليا أظهروا الندم على ما فرط منهم وقرفوا بما صنعوا وأثاروا الفتنة التي رجعت عليهم بالخزي والعار والقتل في الدنيا والله أعلم بهم في الأخرى؛ والجدير

(١) (ج ٢ - ص ٤٠٤)

(٢) (الأنساب ٥: ٧٤)

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٤٠٤.

بالذكر هنا أن طلحة بن عبيد كان يردد في المعركة التي يقودها طلبا بدم الخليفة المظلوم - كما يدّعي - ويقول: اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى يرضى؛ والذي قتله كان ابن عم عثمان ووزيره الأول وممن كانوا معه بالمعركة ويعمل تحت قيادته مروان بن الحكم؛ وهذا كان يقول: لا أطلب بثأري لعثمان بعد طلحة، ليقينه أن طلحة والزبير هما من قتل الرجل) فالظاهر منهم كان الطلب بدم عثمان، ولكن الباطن كانا يطلبان الخلافة والأمانة التي هربوا منها حين عرض عليهما أمير المؤمنين عليه السلام البيعة لأحدهما وعرض لهما الأمانة وله الوزارة فرفض ذلك منه؛ فلماذا ثارا عليه إذن تلك هي المسألة؟

ومن كلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام في طلحة: والله ما استعجل متجردا للطلب بدم عثمان إلا خوفا من أن يطالب بدمه لأنه مظنته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشك، ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عفان ظالما - كما كان يزعم - لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه أو ينابذ ناصريه. ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهين عنه والمعذرين فيه. ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانبا ويدع الناس معه، فما فعل واحدة من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابيه، ولم تسلم معاذيره^(١).

فإن قلت: يمكن أن يكون طلحة إعتقد إباحة دم عثمان أولا ثم تبدل ذلك الاعتقاد بعد قتله فاعتقد أن قتله حرام وأنه يجب أن يقتص من قاتليه. قلت: لو اعترف بذلك لم يقسم الإمام علي عليه السلام هذا التقسيم وإنما قسمه لبقائه على اعتقاد واحد، وهذا التقسيم مع فرض بقاءه على

(١) (نهج البلاغة ١: ٣٢٣).

اعتقاد واحد صحيح لا مطعن فيه، وكذا كان حال طلحة فإنه لم ينقل عنه إنه قال: ندمت على ما فعلت بعثمان.

فإن قلت: كيف قال أمير المؤمنين عليه السلام: فما فعل واحدة من الثلاث؟ وقد فعل واحدة منها لأنه وازر قاتليه حيث كان محصورا.

قلت: مراده: إنه إن كان عثمان ظالما وجب أن يوازر قاتليه بعد قتله يحامي عنهم ويمنعهم ممن يروم دماءهم، ومعلوم أنه لم يفعل ذلك. وإنما وازرهم وعثمان حي وذلك غير داخل في التقسيم^(١).

روى المدائني في كتاب مقتل عثمان: إن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام، وإن عليا لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسة أيام، وأن حكيم بن حزام أحد بني أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن الحرث بن نوفل استنجدا بعلي عليه السلام على دفنه فأقعد طلحة لهم في الطريق ناسا بالحجارة فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطا (بستانا) بالمدينة يعرف بحش كوكب (مقبرة ليهود المدينة) كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما صار هناك رُجم سريره وهُمُوا بطرحه، فأرسل علي عليه السلام إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه، فكفوا فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب.

وأخرج المدائني في الكتاب قال: دفن عثمان بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وابنة عثمان وثلاثة من مواليه (عبيده) فرفعت ابنته صوتها تندبه وقد جعل طلحة ناسا هناك أكرمهم كميناً فأخذتهم الحجارة وصاحوا: نعثل، نعثل، فقالوا: الحائط، الحائط. فدفن في حائط هناك.

(١) (ابن أبي الحديد في الشرح ٢: ٥٠٦)

وأخرج الواقدي قال: لما قتل عثمان تكلموا في دفنه فقال طلحة: يدفن بدير سلع. يعني مقابر اليهود^(١).

٥. ١. ٢. الإمام علي عليه السلام يقيم الحجة على طلحة

إن أمير المؤمنين عليه السلام ليس بحاجة إلى حجة لأن الحجة لازمة للناكثين والبيعة له في أعناقهم، ولكن لتأكيد البراءة له والتهمة لهم وإقامة للحجة عليهم وعلى من يأتي من بعدهم وينتصر لهم من أجيال هذه الأمة كان موقف أمير المؤمنين عليه السلام زيادة بالوضوح والإيضاح وكثيرة هي كلماته الحقانية التي رويت عنه وكانت في مقام الحجة فقد جاء من كلام لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام في شأن الرجلين: والله ما أنكروا علي منكرًا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفًا، وإنهم ليطلبون حقا هم تركوه، ودما هم سفكوه، فإن كنت شريكهم فيه فإن لهم نصيبهم منه، وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلا قبلهم، وإن أول عدلهم للحكم على أنفسهم، وإن معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي، وإنها للفئة الباغية فيها الحما والحمة..

(قال ابن أبي الحديد: كنى علي عليه السلام عن الزوجة بالحمة. وهي:

سم العقرب. والحما يضرب مثلا لغير الطيب ولغير الصافي)^(٢)

كما ذكر أبو مخنف من طريق مسافر بن عفيف من خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله: اللهم إن طلحة نكث بيعتي وألب علي عثمان حتى قتله، ثم عضهني به (قذفني) ورماني.. اللهم فلا تمهله، اللهم إن الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر علي عدوي فاكفنيه اليوم بما شئت.. (يا

(١) ورواه الطبري في تاريخه ٥: ١٤٣ غير أن فيه مكان طلحة: رجل

(٢) (نهج البلاغة ١: ٢٥٤)

لها من دعوة مستجابة أصابت الرجلين من دون مهلة^(١).

وذكر العلامة المسعودي في مروجه، في حديث وقعة الجمل: ثم نادى علي عليه السلام طلحة حين رجع الزبير: يا أبا محمد! ما الذي أخرجك؟ قال: الطلب بدم عثمان.

قال علي عليه السلام: قتل الله أولانا بدم عثمان.. (وبالفعل لقد استجاب الله تعالى دعاء الإمام علي عليه السلام فقتل طلحة في أسرع وقت)^(٢)..

٣.١.٥ . الأمة تقيم الحجة عليه

لما نزل طلحة والزبير البصرة قال عثمان بن حنيف: نعذر إليهما برجلين فدعا عمران بن حصين صاحب رسول الله وأبا الأسود الدؤلي فأرسلهما إلى الرجلين فذهبا إليهما فناديا: يا طلحة! فأجابهما فتكلم أبو الأسود الدؤلي فقال: يا أبا محمد؟ إنكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله، وبايعتم عليا غير مؤامرين لنا في بيعته، فلم نغضب لعثمان إذ قتل، ولم نغضب لعلي إذ بويع، ثم بدا لكم فأردتم خلع علي ونحن على الأمر الأول، فعليكم المخرج مما دخلتم فيه.

ثم تكلم عمران فقال: يا طلحة! إنكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا، ثم بايعتم عليا وبايعنا من بايعتم، فإن كان قتل عثمان صوابا فمسيركم لماذا؟ وإن كان خطأ؟ فحظكم منه الأوفر، ونصيبيكم منه الأوفى.

فقال طلحة: يا هذان إن صاحبكما (يريد عليا عليه السلام) لا يرى أن معه في هذا الأمر (الخلافة) غيره وليس علي هذا بايعناه، وأيم الله ليسفكن

(١) (ابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ١٠١)

(٢) (مروج الذهب ٢: ١١)

فقال أبو الأسود: يا عمران! أما هذا فقد صرَّح أنه إنما غضب للملك.

ثم أتيا الزبير فقالا: يا أبا عبد الله! إنا أتينا طلحة. قال الزبير: إن طلحة وإيائي كروح في جسدين، وإنه والله يا هذان! قد كانت منا في عثمان فلتات احتجنا فيها إلى المعاذير، ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرناه نصرناه^(١)».

إن الناس الذين قصدهم طلحة ومن معه في البصرة كانوا أعلم الناس به وبسعيه بدم الخليفة لأنه كان ممن كتب لأشرافهم يدعوهم به لخلع عثمان من الحكم؛ فقد أخرج الطبري في حديث: فقام طلحة والزبير خطيبين (يعني بالبصرة) فقالا: يا أهل البصرة توبة بحوبة، إنما أردنا أن يستعتب أمير المؤمنين عثمان ولم نرد قتله فغلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه. فقال الناس لطلحة: يا أبا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا^(٢).

وبرواية أوضح وأجمل، قال الراوي: لما نزل طلحة والزبير السبخة (موضع بالبصرة) أتاهما عبد الله بن الحكيم التميمي لكتب كانا كتبها إليه فقال لطلحة: يا أبا محمد! أما هذه كتبك إلينا؟ قال: بلي، قال: فكتبت أمس تدعوننا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا ثائرا بدمه، فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلا هذه الدنيا، مهلا إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة؟ فبايعته طائعا راضيا

(١) الإمامة والسياسة ١ ص ٥٦

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٧٩.

ثم نكثت بيعتك، ثم جئت لتدخلنا في فتنك^(١).

ويشرح ابن قتيبة الأمر قائلا: ذكروا أنه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة اصطف لها الناس في الطريق يقولون: يا أم المؤمنين! ما الذي أخرجك من بيتك؟ فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس فحمدت الله وأثنت عليه ثم قالت: أيها الناس والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه ولقد قتل مظلوما، غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل، وإن من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به ثم يرد هذا الأمر شوري على ما جعله عمر بن الخطاب. فمن قائل يقول: صدقت. وآخر يقول: كذبت. فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض فبينما هم كذلك اتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأييد على قتل عثمان.

فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال نعم. قال: فما ردك على ما كنت عليه، وكنت أمس تكتب إلينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعوننا إلى الطلب بدمه؟ وقد زعمتما أن عليا دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسن منه فأبيتما إلا أن تقدماه لقرايته وسابقته فبايعتماه، فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما؟ قال طلحة: دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس، فعلمنا حين عرض علينا أنه غير فاعل ولو فعل أبي ذلك المهاجرون والأنصار، وخفنا أن نرد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين.

قال: فما بدا لكما في عثمان؟

قال: ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إياه، فلم نجد من ذلك

(١) (شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٠)

مخرجا إلا الطلب بدمه.

قال: ما تأمراني به؟ قال: بايعنا على قتال علي ونقض بيعته، قال: أرايتما إن أتانا بعدكما من يدعونا إليه ما نصنع؟

قالا: لا تبايعه.

قال: ما أنصفتما أ تأمراني أن أقاتل عليا وأنقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهاني عن بيعة من لا بيعة له عليكما؟ أما إننا قد بايعنا عليا، فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا (لأن اليمين مع الإمام علي عليه السلام مشغولة ببيعتهم له).

قال: ثم تفرق الناس فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف، وفرقة مع طلحة والزبير.

ثم جاء جارية بن قدامة فقال: يا أم المؤمنين! لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، إنه كانت لك من الله حرمة وستر، فهتكت سترك، وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك، فقد رأى قتلك، فإن كنت يا أم المؤمنين! أتيتينا طائعة؟ فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتينا مستكرهة؟ فاستعتبي.^(١)

٥ . ١ . ٤ . مقتل الشيخ طلحة

معروف ودون جدال بأن طلحة بن عبيد قتل في معركة الجمل.. وهذه بعض الروايات هنا والتفصيل نتركه للمعركة.. ولكن يجب الالتفات إلى مسألة ملفتة للنظر من قادة أصحاب الجمل جميعا فكلهم كانوا يعرفون حق المعرفة بأن الحق كله مع أمير المؤمنين عليه السلام وأنهم

(١) (الإمامة والسياسة ٦٠:١)

أخطؤوا مرتين هنا:

أخطؤوا بحصار عثمان والتحريض عليه وقتله..

وأخطؤوا بنكث البيعة وقتال إمامهم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قوله عليه السلام الذي كان يقول: والله إن طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أني على الحق وأنهم مبطلون.

ولهذا تراهم جميعا نادمين على فعلتهم تلك، فطلحة قتل نادما، والزبير هرب من المعركة وقتل نادما، وحتى السيدة عائشة ولآخر لحظة كانت تبكي حتى تبل خمارها ندما مما كان منها..

وإليك هنا حديث طلحة وندمه من فعلته، فمن طريق علقمة بن وقاص الليثي قال: لما خرج طلحة والزبير وعائشة رأيت طلحة وأحب المجالس إليه أخلاها وهو ضارب بلحيته على زوره (صدره) فقلت: يا أبا محمد! أرى أحب المجالس إليك أخلاها وأنت ضارب بلحيتك على زورك، إن كرهت شيئا فاجلس. قال: فقال لي: يا علقمة بن وقاص! بينا نحن يد واحدة على من سوانا إذا صرنا جبليين من حديد يطلب بعضنا بعضا إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه.

الوجه في هذه التوبة - إن صحت - وكان المطلوب من النفوس المحترمة أن يسلم نفسه لأولياء القتل أو لإمام الوقت فيقيدوا منه، لا أن يلحق فتنة كبرى تراق فيها أنهار من الدماء بريئة، من دم عثمان، وتزهق أنفس لم تكن هنالك في حل ولا مرتحل، فيكون قد زاد ضغثا على أباله، وجاء بها حشفا وسوء كيلا^(١).

أخرج ابن سعد وابن عساكر قال: كان طلحة يقول يوم الجمل: إنا

(١) (تاريخ الطبري ٥: ١٨٣)

داهنا في أمر عثمان فلا نجد شيئاً أمثل من أن نبذل دماءنا فيه، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى^(١).

من طريق عكراش قال: كنا نقاتل علياً مع طلحة ومعنا مروان قال: فانهزمتنا فقال مروان: لا أدرك بثأري بعد اليوم من طلحة فرماه بسهم فقتله.

وقال محب الدين الطبري: المشهور أن مروان بن الحكم هو الذي قتله رماه بسهم وقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم. وذلك أن طلحة زعموا أنه كان ممن حاصر عثمان واشتد عليه^(٢).

ذكر المسعودي في حديث: إن مروان بن الحكم قال يوم الجمل: رجع الزبير، يرجع طلحة، ما أبالي رميت ها هنا أم هاهنا، فرماه في أكحله فقتله^(٣).

أخرج ابن عساكر قال: كان مروان بن الحكم في الجيش يوم الجمل فقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم، فهو الذي رمى طلحة فقتله، ثم قال لأبان بن عثمان: قد كفيتك بعض قتلة أبيك، وكان السهم قد وقع في عين ركبته، فكانوا إذا أمسكوها انتفخت وإذا أرسلوها انبعثت فقال: دعوها فإنها سهم أرسله الله^(٤).

قال أبو عمر في الاستيعاب: لا يختلف العلماء الثقات في أن مروان قتل طلحة يومئذ وكان في حزبه، روى عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال: قال طلحة يوم الجمل:

(١) (تاريخ ابن عساكر ٧: ٨٤، تذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٤٤)

(٢) (الرياض النضرة ج ٢: ٢٥٩)

(٣) (مروج الذهب ٢: ١١)

(٤) (تاريخ ابن عساكر ٧: ٨٤)

ندمت ندامة الكسعي لما

شريت رضا بني جرم برغمي

ألهم خذ مني لعثمان حتى يرضى.

الكسع: حي من قيس عيلان، وقيل: هم حي من اليمن رماة، ومنهم الكسعي الذي يضرب به المثل في الندامة وهو رجل رام رمى بعد ما أسدف الليل عيرا فأصابه وظن أنه أخطأه فكسر قوسه وقيل: وقطع إصبعه ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه، فصار مثلا لكل نادم على فعل يفعله. وإياه عني الفرزدق بقوله:

ندمت ندامة الكسعي لما

غدت مني مطلقة نوار

وقال آخر:

ندمت ندامة الكسعي لما

رأت عيناه ما فعلت يده

وقيل: كان اسم الكسعي محارب بن قيس.

وأخرج أبو عمر بن طريق بن أبي سبرة قال: نظر مروان إلى طلحة يوم الجمل فقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم، فرماه بسهم فقتله. وأخرج من طريق يحيى بن سعيد عن عمه أنه قال: رمى مروان طلحة بسهم ثم التفت إلى أبان بن عثمان قال: قد كفيينا بعض قتلة أبيك.

روى ابن عساكر من طرق متعددة: أن مروان بن الحكم هو الذي

رماه فقتله، وأخرجه أبو القاسم البغوي بسند صحيح عن الجارود بن أبي سبرة قال: لما كان يوم الجمل نظر مروان إلى طلحة، فقال: لا أطلب ثاري بعد اليوم فنزع له بسهم فقتله.

وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم أن مروان بن الحكم رأى طلحة في الخيل فقال: هذا أعان علي عثمان فرماه بسهم في ركبته، فما زال الدم يسيح حتى مات.

وأخرجه الطبراني من طريق يحيى بن سليمان الجعفي عن وكيع بهذا السند قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوقع في عين ركبته، فما زال الدم يسيح إلى أن مات^(١).

أخرج ابن سعد بالإسناد عن شيخ من كلب قال: سمعت عبد الملك بن مروان يقول: لولا أن أمير (المواطنين) مروان أخبرني أنه قتل طلحة ما تركت أحدا من ولد طلحة إلا قتلته بعثمان.

أخرج الحميدي في النوادر من طريق سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن مروان قال: دخل موسى بن طلحة على الوليد فقال له الوليد: ما دخلت علي قط إلا هممت بقتلك لولا أن أبي أخبرني أن مروان قتل طلحة^(٢).

٢٠٥. الزبير بن العوام

الزبير بن العوام - بالحقيقة - ممن يُبكى عليه في تلك الفتنة لأنه كان في القمة السامقة من حيث المكانة والرفعة والسمعة والسمو إلا أنه هوى في مهوى الفتنة وسقط من فوق القمة يدفعه طمعه ويغريه ولده

(١) (وأخرج الحاكم في المستدرک ٣: ٣٧٠)

(٢) (تهذيب التهذيب ٥: ٢٢)

المشؤوم عبد الله ابن أسماء بنت أبي بكر.. وما فيه ما يعاب إلا بخله الذي وصفه به عمر بقوله: رجل بخيل، رأيته يماكس امرأته في كبة من غزل، فلا أولي أمور المسلمين بخيلا. وضعفه أمام ولده وصاحبه المحبان للرياسة..

فوا أسفاه عليك يا أبا عبد الله فعلا، فقد كنت بطلا مغوارا في الشجاعة، ورابع من أسلم، وابن عمّة النبي ﷺ وأمير المؤمنين علي ﷺ صفية، وشهدت مشاهد رسول الله ﷺ كلها، وكنت من المدافعين الأوائل عن حق ابن خالك علي ﷺ بالخلافة فلم تباع حتى كسروا سيفك وأكروهوك على البيعة لهم، وتنازلت عن الأمر له في الشورى السادسة، فما عدا عما بدا كما قال لك إمامك يوم الجمل؟

نعم؛ لقد أدركك ولد السوء عبد الله ولم يقنع منك إلا أرداك وأهلكك طمعا منه بالأماراة والتسلط على الأمة وما كان في الأمراء أسوء منه حين تغلب على بعض البلاد في الفترة المروانية البغيضة، فكان يصلي أربعين يوما، أو أربعين جمعة لا يصلي على النبي ﷺ في خطبته حتى التاث عليه الناس (اجتمعوا عليه)، فقال: إن له أهل بيت سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم، واشربوا لذكره، وفرحوا بذلك، فلا أحب أن أقرّ أعينهم بذكره.^(١)

وقيل بل يخطب ستة أشهر على منبر رسول الله ﷺ ولم يصلّ عليه ويقول لمن سأله عن ذلك: إن له أهيل سوء (والعياذ بالله من غضب الله) فإذا ذكرته شمخوا بأنوفهم.. أو ينغضون (يحركون رؤوسهم كالمتعجب) رؤوسهم عند ذكره.^(٢)

(١) (مقاتل الطالبين: ٣٩٧، تاريخ يعقوبي: ٢/٢٦١)

(٢) (شرح النهج: ٤/٦٢)

فكان سبّاباً فحاشاً، يبغض بني هاشم، ويلعن ويسب - والعياذ بالله - أمير المؤمنين عليه السلام على رؤوس الأشهاد..^(١)

فهل تتصور بأن هذا الرجل مسلماً، أو فيه نفس من الإنسانية والأخلاق، ولهذا قال عنك إمامك علي عليه السلام يوماً: ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتى أدركه ابنه المشؤوم عبد الله.^(٢)

وفي رواية أخرى: (وإن الزبير كان أقرب إليّ من طلحة وما زال منّا أهل البيت حتى بلغ ابنه فقطع بيننا).

فمصائب الزبير جاءت من ولده الحاقداً، والطامح للسيطرة، فكم كان وقحا مع أبيه ومؤثراً على خالته عائشة فكانت إذا رفضت شيء يريدونه لا يقنعها أحد غيره، ولو كان ذلك بالكذب والدجل والأيمان الباطلة كما فعل معها عندما أقنعتها السيدة أم سلمة بالقعود في بيتها، وفي قصة ماء الحوآب التي ستمر بك أثناء الحديث عن السيدة عائشة بإذن الله تعالى..

١.٢.٥ . الزبير وعثمان

أخرج البلاذري في الأنساب من طريق أبي مخنف قال: جاء الزبير إلى عثمان فقال له: إن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة يمنعون من ظلمك، وهؤلاء يأخذونك بالحق، فأخرج فخاصم القوم إلى أزواج النبي صلى الله عليه وآله، فخرج معه فوثب الناس عليه بالسلاح فقال: يا زبير! ما أرى أحداً يأخذ بحق، ولا يمنع من ظلم، ودخل ومضى الزبير إلى منزله.^(٣)

(١) (ن م ٧٩/٤)

(٢) (النهج: ح ٤٥٣)

(٣) البلاذري في الأنساب ٧٦ : ٥

قال البلاذري في الأنساب: وجدت في كتاب لعبد الله عن الصالح العجلي ذكروا: إن عثمان نازع الزبير فقال الزبير: إن شئت تقاذفنا (تلاعنا)؟ فقال عثمان: بماذا أبا البعير يا أبا عبد الله؟

قال: لا والله ولكن بطبع خباب، وريش المقعد، (وكان خباب يطبع السيوف، وكان المقعد يريش النبل). وقال ابن المغيرة بن الأخنس متغنيا على قعوده:

حكيم وعمار الشجا ومحمد
وأشتر والمكشوح جروا الدواهيا
وقد كان فيها للزبير عجاجة
وصاحبه الأدنى أشاب النواصيا^(١)

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: كان طلحة من أشد الناس تحريضا عليه، وكان الزبير دونه في ذلك، ورووا أن الزبير كان يقول: أقتلوه فقد بدل دينكم.

فقالوا له: إن ابنك (عبد الله) يحامي عنه بالباب.

فقال: ما أكره أن يُقتل عثمان ولو بُدئ بابني، إن عثمان لجيفة على الصراط غدا. (تأمل بهذا العلم الغزير، وهذه الفتوى العجيبة من هذا الصحابي الجليل بحق عثمان)^(٢).

وروى أبو حذيفة القرشي عن الأعمش عن حبيب بن ثابت عن تغلبة بن يزيد الحماني قال: أتيت الزبير وهو عند أحجار الزيت فقلت له: يا أبا عبد الله قد حيل بين أهل الدار (دار عثمان) وبين الماء فنظر نحوهم،

(١) البلاذري في الأنساب ٥ : ١٤

(٢) (شرح النهج ٢ : ٤٠٤)

وقال: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ﴾

قال: وأطلع عثمان وقد اشتد به الحصار وظماً من العطش فنأدى: أيها الناس اسقونا شربة من الماء وأطعمونا مما رزقكم الله..
فناداه الزبير بن العوام: يا نعثل لا والله لا تذوقه.

٢.٢.٥ . الإمام علي عليه السلام يقيم الحجة عليه

أخرج الطبري في حديث وقعة الجمل: خرج علي عليه السلام على فرسه فدعا الزبير فتواقفا، فقال علي عليه السلام للزبير: ما جاء بك؟ قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً، ولا أولى به منا.

فقال علي عليه السلام: لست (ألست) له أهلاً بعد عثمان؟ قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وبينك. وعظم عليه أشياء فذكر أن النبي ﷺ مرَّ عليهما فقال لعلي: ما يقول ابن عمك؟ ليقاتلنك وهو لك ظالم.. فانصرف عنه الزبير وقال: فإني لا أقاتلك، فرجع إلى ابنه عبد الله، فقال: مالي في هذه الحرب بصيرة.

فقال له ابنه: إنك قد خرجت على بصيرة، ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب وعرفت أن تحتها الموت فجبنيت، فأحفظه حتى أرعد وغضب، وقال: ويحك إني قد حلفت له ألا أقاتله.

فقال له ابنه: كفر عن يمينك بعثق غلامك (سرجيس) فأعتقه وقام في الصف معهم، وكان علي عليه السلام قال للزبير: أتطلب مني دم عثمان؟

وأنت قتلته، سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره^(١).

وقول الإمام علي عليه السلام للزبير: أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلته.. وفي لفظ المسعودي: قال علي عليه السلام: ويحك يا زبير! ما الذي أخرجك؟ قال: دم عثمان. قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان.

قال الأميني رحمته الله: إنما حلف الزبير على ترك القتال لأنه وجده بعد تذكير الإمام عليه السلام له بالحديث النبوي، وبعد إتمام الحجّة عليه بذلك محرماً عليه في الدين، وإنه من الظلم الفاحش الذي استقل العقل بتحريمه، فهل التكفير بعنق الغلام يبيح ذلك المحرم بالعقل والشريعة؟ ويسوغ الخروج على الإمام المفترض طاعته؟ لا. لكن تسويل عبد الله (ونفته) هو الذي فرق بين الزبير وبين آل عبد المطلب، وأباح له كل محظور، فقاتل إمام الوقت ظالماً كما ورد في النص النبوي، وصدق الخبر الخبر.

وجاء في كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة: أما بعد: فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه، إن الناس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه، وأقل عتابه، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف، وأرفق حدائهما العنيف، وكان من عائشة فيه فلتة غضب، فأتيت له قوم فقتلوه، وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين^(٢).

ويعلق ابن أبي الحديد شارحاً: أما طلحة والزبير فكانا شديدين عليه (على عثمان) والوجيف: سير سريع وهذا مثل يقال للمستمرين في

(١) (تاريخ الطبري ٥ : ٢٠٤، مروج الذهب ١٠١٢، الكامل لابن الأثير ٣ : ١٠٢).

(٢) (نهج البلاغة ٢ : ٢، الإمامة والسياسة ١ : ٥٨)

الطعن عليه حتى أن السير السريع أبطأ ما يسيران في أمره، والحداء العنيف أرفق ما يحرضان به عليه.^(١)

وفي رواية البلاء أبي عمر في «الاستيعاب» في ترجمة طلحة بن عبيد الله يقول أمير المؤمنين عليه السلام: إني منيت بأربعة:

- أدهى الناس وأسخاهم طلحة..

- وأشجع الناس الزبير..

- وأطوع الناس في الناس عائشة..

- وأسرع الناس إلى الفتنة يعلى بن منية، والله ما أنكروا عليّ شيئاً

مذكراً، ولا استأثرت بمال، ولا ملت بهوى، وإنهم ليطلبون حقاً تركوه، ودما

سفكوه، ولقد ولوه دوني، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه، وما

تبعه عثمان إلا عندهم، وإنهم لهم الفئة الباغية. إلى قوله عليه السلام: والله إن

طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أني على الحق وأنهم مبطلون.

وأخرج الطبري من طريق ابن عباس قال: قدمت المدينة من مكة بعد

قتل عثمان بخمسة أيام فجئت علياً أدخل عليه فقبل لي: عنده المغيرة بن

شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم عليّ فقال: متى قدمت؟

فقلت: الساعة. فدخلت على علي عليه السلام فسلمت عليه فقال لي: لقيت

الزبير وطلحة؟ قال: قلت: لقيتهما بالنواصف. قال: من معهما؟ قلت:

أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فئة من قريش، فقال علي عليه السلام: أما

إنهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون: نطلب بدم عثمان والله يعلم أنهم قتلة

عثمان.^(٢)

(١) (الشرح النهج ٢٩٠: ٣)

(٢) (تاريخ الطبري ٥: ١٦٠)

وأخرج أبو الحسن علي بن محمد المدائني من طريق عبد الله بن جنادة خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام منها قوله: بايعني هذان الرجلان في أول من بايع، تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم، اللهم فخذهما بما عملا أخذة واحدة رابية، ولا تنعش لهما صرعة، ولا تقل لهما عثرة، ولا تمهلها فواقا، فإنهما يطلبان حقا تركاه، ودما سفكاه، اللهم إني أقتضيك وعدك فإنك قلت، وقولك الحق: لمن بغى عليه لينصرنه الله، اللهم فأنجز لي موعدك، ولا تكلني إلى نفسي إنك على كل شيء قدير.^(١)

من خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ذكرها الكلبي كما في شرح ابن أبي الحديد: فما بال طلحة والزبير؟ وليس من هذا الأمر بسبيل، لم يصبرا عليّ حولا ولا أشهرا حتى وثبا ومرقا، ونازعاني أمرا لم يجعل الله لهما إليه سبيلا بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين، يرتضعان أمّا قد فطمت، ويحييان بدعة قد أميتت، أدم عثمان زعما؟ والله ما التبعة إلا عندهم وفيهم، وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم، وأنا راض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم^(٢).

والإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أتم الحجة يوم الجمل على طلحة والزبير وما قاتلها إلا بعد إقامة الحجة عليهما، ودحض أذارهما المفتعلة، فما وجدهما مخبتين إلى الحق مصيخين إلى ما اعترفا به من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان موقفهما موقف المستهزء اللاعب بالدين الحنيف، جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة فقال: نشدتكما بالله في مسيركما أعهد إليكما فيه

(١) (شرح ابن أبي الحديد ١: ١٠٢)

(٢) (شرح النهج ١/ ١٠٢)

رسول الله شيئاً؟ فقام طلحة ولم يجبه، فناشد الزبير فقال: لا، ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها^(١)..

ولما بايع أهل البصرة الزبير وطلحة قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى علي فيما بينه وإما صبحته لعلي أقتله قبل أن يصل إلينا؟ فلم يجبه أحد. فقال: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها. فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر فإنني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر.^(٢)

وقد تحقق يوم ذاك ما كان يحذر منه عمر بن الخطاب وصدق الخبر، الخبر، قال عبد الله بن عمر: جاء الزبير إلى عمر فقال لعمر: إذن لي أخرج فأقاتل في سبيل الله. قال: حسبك قد قاتلت مع رسول الله ﷺ فانطلق الزبير وهو يتذمر فقال عمر: من يعذرني من أصحاب محمد ﷺ؟ لولا أنني أمسك بقم هذا الشغب لأهلك أمة محمد ﷺ.^(٣)

اللهم ما كان ذنب حكيم بن جبلة وسبعين معه من الأبرياء آخرين من عبد القيس قتلهم طلحة والزبير قبل وقوع الواقعة بعد ما نادى مناديهما بالبصرة: ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأت بهم فجيء بهم كما يجاء بالكلاب فقتلوا.

قال: حكيم بن جبلة لقد أصبحتم وإن دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم من إخواننا، أما تخافون الله عز وجل؟ بما تستحلون سفك الدماء؟ قال ابن الزبير: بدم عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان؟ أما

(١) (تاريخ الطبري ٥: ١٨٣).

(٢) (تاريخ الطبري ٥: ١٨٣).

(٣) (تاريخ بغداد ٧: ٤٥٣).

تخافون مقت الله؟ فقال له عبد الله بن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلي سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع عليا.. فقتل حكيم بن جبلة وسبعون رجلا من عبد القيس.^(١)

ولنعم ما قال فتى بني سعد يوم ذلك:

صتم حلائلكم وقدتم أمكم
هذا لعمر كقلة الإنصاف
أمرت بجرّ ذيولها في بيتها
فهوت تشق اليد بالايحاف
غرضا يقاتل دونها أبنائها
بالنبل والخطي والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها
هذا المخبر عنهم والكافي^(٢)

قال البلاذري: حدثني المدائني عن ابن الجعدبة قال: مرّ علي عليه السلام بدار بعض آل أبي سفيان فسمع بعض بناته تضرب بدف وتقول:

ظلامه عثمان عند الزبير
وأوتر منه لنا طلحه
هما سمّراها بأجدالها
وكانا حقيقين بالفضحه

فقال علي عليه السلام: قاتلها الله، ما أعلمها بموضع ثأرها؟^(٣)

(١) (تاريخ الطبري ٥: ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣)

(٢) (تاريخ الطبري ٥: ١٧٦)

(٣) الأنساب ٥: ١٥

٥.٢.٣. الأمة تقيم الحجة عليه

تقدمت روايات في طلحة واحتجاجات الأمة عليه وعلى صاحبه الزبير، وهنا ننقل بعض الروايات الأخرى لإتمام الفائدة والبحث. أخرج الحاكم في المستدرک، بإسناده عن إسرائيل بن موسى أنه قال: سمعت الحسن (البصري) يقول: جاء طلحة والزبير إلى البصرة فقال لهم الناس: ما جاء بكم؟ قالوا: نطلب دم عثمان. قال الحسن: أيا سبحان الله! أفما كان للقوم عقول فيقولون: والله ما قتل عثمان غيركم؟^(١)

وجاء في خطبة لعمار بن ياسر رضي الله عنه خطبها بالكوفة فقال: يا أهل الكوفة! إن كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت إليكم أمورنا، إن قتله عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس ولا ينكرون ذلك، وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم فيه، أحيا الله من أحياء، وأمات من أمات، وإن طلحة والزبير كانا أول من طعن وآخر من أمر، وكانا أول من بايع علياً، فلما أخطأهما ما أملاه (من الولاية والمال) نكثا بيعتهما من غير حدث (أحدثه أمير المؤمنين عليه السلام يوجب لهم النكث والتمرد عليه)^(٢)..

ولما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد ابن العاصي على نجيب له فأشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها: أين تريدين يا أم المؤمنين؟ قالت: أريد البصرة.

قال: وما تصنعين بالبصرة؟ قالت: أطلب بدم عثمان. قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك، ثم أقبل على مروان فقال له: أين تريد أيضاً؟ قال: البصرة. قال: وما تصنع بها؟

(١) الحاكم في المستدرک ٣ : ١١٨

(٢) (الإمامة والسياسة ١ : ٥٩)

قال: أطلب قتلة عثمان. قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك؟ إن هذين الرجلين قتلوا عثمان: طلحة والزبير، وهما يريدان الأمر لأنفسهما فلما غلبا عليه قالا: نغسل الدم بالدم والحبوبة بالتوبة.

ثم قال المغيرة بن شعبة: أيها الناس إن كنتم إنما خرجتم مع أمكم؟ فارجعوا بها خيرا لكم، وإن كنتم غضبتم لعثمان؟ فرؤساؤكم قتلوا عثمان، وإن كنتم نقمتهم على علي شيئا؟ فبينوا ما نقمتهم عليه، أنشدكم الله، ففتنتين في عام واحد؟ فأبوا إلا أن يمضوا بالناس^(١).

وبرواية أخرى فقد أخرج الطبري عن عمر بن شبة من طريق عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال: لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال: أين تذهبون؟ وثأركم على أعجاز الإبل (يعني طلحة والزبير) اقتلوهم، ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم.

قالوا: بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا. فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ أصدقاني.

قالا: لأحدنا أينما اختاره الناس.

قال: بل اجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه.

قالا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم؟

قال: أفلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف؟ فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال المغيرة بن شعبة: الرأي ما رأى سعيد بن العاص، فكل من كان هاهنا من ثقيف فليرجع فرجع^(٢).

ومن كلام لأبي الأسود الوُلي له حين قدم البصرة بعد أن مرّ بالسيدة

(١) الإمامة والسياسة ٥: ١

(٢) (تاريخ الطبري ٥: ١٦٨)

عائشة، ثم قام فأتى الزبير فقال: يا أبا عبد الله! عهد الناس بك وأنت يوم بويج أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذلك؟ فذكر له دم عثمان، قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا.

قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول. فذهب إلى طلحة فوجده سادرا في غيه مصرا على الحرب والفتنة^(١).

خرج عثمان بن الحنيف إلى طلحة والزبير في أصحابه فناشدهم الله والاسلام وأذكرهما بيعتهما عليا فقالا: نطلب بدم عثمان. فقال لهما: وما أنتما وذاك؟ أين بنوه؟ أين بنو عمه الذين هم أحق به منكم؟ كلا والله، ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه، وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له، وهل كان أحد أشد على عثمان قولا منكما؟ فشتماه شتما قبيحا وذكر أمه^(٢).

لما نزل طلحة والزبير البصرة قال عثمان بن حنيف: نعذر إليهما برجلين فدعا عمران بن حصين صاحب رسول الله وأبا الأسود الدؤلي فأرسلهما إلى الرجلين فذهبا إليهما فناديا: يا طلحة! فأجابهما فتكلم أبو الأسود الدؤلي فقال: يا أبا محمد؟ إنكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله، وبايعتم عليا غير مؤامرين لنا في بيعته، فلم نغضب لعثمان إذ قتل، ولم نغضب لعلي إذ بويج، ثم بدا لكم فأردتم خلع علي ونحن على الأمر الأول، فعليكم المخرج مما دخلتم فيه.

فقال أبو الأسود: يا عمران! أما هذا فقد صرح أنه إنما غضب

للملك.

(١) الإمامة والسياسة ١ ص ٥٧، العقد الفريد ٢: ٢٧٨، شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨١٠

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٠٠

ثم أتيا الزبير فقالا: يا أبا عبد الله! إنا أتينا طلحة. قال الزبير: إن طلحة وإيبي كروح في جسدين، وإنه والله يا هذان! قد كانت منا في عثمان فلتات احتجنا فيها إلى المعاذير، ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرناه نصرناه...»^(١).

ولعل سائل يسأل الزبير عندها: فلماذا إذن تصرون على سفك الدماء البريئة لهذه الأمة؟ ولماذا البصرة التي ليس فيها شخصا واحدا ممن شارك بقتل الخليفة؟ فكنتم بدم عثمان وحده فصرتم ببحر من الدماء، وبشخص واحد فأصبحتم بأكثر من عشرين ألف ضحية أنتم، وأمكما تتحملون وزرها أمام الله وأمام التاريخ والأمة الإسلامية؟

وفي كتاب كتبه ابن عباس إلى معاوية جوابا: وأما طلحة والزبير فإنهما أجلبا عليه وضيقا خناقه، ثم خرجا ينقضان البيعة ويطلبان الملك، فقاتلناهما على النكث، كما قاتلناك على البغي^(٢).

من كلمة لمالك الأشتر: لعمرى يا أمير المؤمنين! ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيل، ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه وفارقا على غير حدث أحدثت ولا جور صنعت، زعما أنهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما، فإنهما أول من ألب عليه وأغرى الناس بدمه، وأشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرجا منه لنلحقنهما بعثمان فإن سيوفنا في عواتقنا، وقلوبنا في صدورنا، ونحن اليوم كما كنا أمس^(٣).

يقول شيخنا الأمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن الأخذ بمجامع هذه الأخبار يعطينا درسا ضافيا بأن الرجلين هما أساس النهضة في قصة عثمان، وهما اللذان

(١) الإمامة والسياسة ١ ص ٥٦

(٢) كتاب نصر بن مزاحم ص ٤٧٢، شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٨٩.

(٣) (شرح ابن أبي الحديد ١: ١٠٣)

أسعرا عليه الفتنة، وإنهما لم يريان حرجا في إراقة دمه، وقد استباحا عندئذ ما يحرم ارتكابه في المسلمين إلا أن يكون مهدور الدم بسبب من الأسباب الموجبة لذلك، فلم يتركاه حتى أوديا به، وكان لطلحة هنالك مواقف مشهودة، فمنع عنه الماء الذي هو شرع سواء بين المسلمين، وإنه لم يرد على عثمان لما سلم عليه ومن الواجب رد السلام على كل مسلم، وقد منع عن دفنه ثلاثا في مقابر المسلمين، وقد أوجبت الشريعة الإسلامية المبادرة إلى دفن المسلم، وقد أمر برمي الجنازة ورمي من يتولى تجهيزها بالحجارة والمسلم حرمة ميتا كحرمة حيا، فلم يرض طلحة بالأخير إلا دفنه في مقبرة اليهود «حش كوكب» وهل لهذه الأعمال وجه بعد حفظ كرامة صحبتهما فأين صحبة عثمان، وأين صحبة بقية الصحابة الذين كانوا مع أمير المؤمنين عليه السلام وقاتلوهم في جيشه وتحت رايته؟

وهل يمكن القول إذن بعدالة الصحابة كلهم؟

وهل يمكن قبول ما ورد في الرجلين إنهما من العشرة المبشرة، وهل نسيا أن عثمان كان من بينهم أيضا؟ إلا أن يقال: إنهما كانا يريان أن القتل خارجا عن حوزة المسلمين، وإلا لردعتهما الصحبة، والعدالة، والبشارة عن ارتكاب تلكم الأعمال في أي من ساقه المسلمين وعامتهم فضلا عن خليفتهم.

ونحن في هذا المقام نقف موقف المتحايد، ولسنا هاهنا إلا في صدد بيان آراء الصحابة الأولين في عثمان، وما أفضناه من رأيهما كان معروفا عنهما في وقتها، ولم يزل كذلك في الأجيال المتأخرة عنهما حتى العصر الحاضر، إن كانت الآراء تؤخذ من المصادر الوثيقة، وكانت

حرة غير مشوبة بحكم العاطفة، نزهة عن الميول والشهوات وأما ما أظهره من الندم والتوبة بعد أن نكثا البيعة الصحيحة المشروعة والحبوبة بفعلهما: فإن طلحة والزبير، فقد تبعوا الحوبة بالحبوبة لا بالتوبة؛ وَحَسِبْنَا (إن كانا يصدقان) أن التوبة تمحو السيئة، ولكن غاب عن بالهما بأن الحوبة الأخيرة أعظم عند الله، فقد أراقا بها من الصفيين في واقعة الجمل دماء تعد بالآلاف بريئة من دم عثمان.

وهتكا حرمة رسول الله ﷺ بإخراج حبيسة من حوائسه من خدرها، وقد نهى ﷺ نساءه عن ذلك، وأوقفها في محتشد العساكر وجبهة القتال الدامي، وقصدا قتل إمام الوقت المفترض طاعته الواجب حفظه، ولكن يصدق عليهما قول ربنا سبحانه: ﴿يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(١)

٥ . ٢ . ٤ . مقتل الشيخ الزبير

روي أن الزبير هرب على فرس له يدعى (ذا الجمار) حتى وقع بسفوان فمر بعبد الله بن سعيد المجاشعي وابن مطرح السعدي فقالا له: يا حوارى رسول الله ﷺ أنت في ذمتنا لا يصل إليك أحد.. فأقبل معهما فهو ليسير مع الرجلين إذ أتى الأحنف بن قيس رجل فقال أريد أن أسر إليك سرا إدن مني فدنا منه فقال: يا أبا الحسن هذا الزبير قد هرب وإني رأيت بين رجلين من بني مجاشع ومنقر وأظنه يريد التوجه إلى المدينة..

فرفع الأحنف صوته وقال: ما أصنع إن كان الزبير قد ألقى الفتنة بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضا ثم هو يريد أن يرجع إلى أهله إلى المدينة سالما..

(١) الفتح: الآية ١١.

فسمعه ابن جرموز فنهض ومعه رجل يقال له فضالة بن محابس وعلمنا أن الأحنف إنما رفع صوته يذكر الزبير لكرهته أن يَسْلَمَ وإيثاره أن يُقتل، فاتبعاه جميعا فلما رأهما من كان مع الزبير قالوا له: هذا ابن جرموز وإنا نخافه عليك..

فقال لهما الزبير: أنا أكفيكم ابن جرموز وأنتم اكفوني ابن محابس.. فحمل عمير على الزبير وعطف عليه وقال يا فضالة أعني فإن الرجل قاتلي فأعانه وحمل ابن جرموز فقتله واجتزأ رأسه وأتى به الأحنف بن قيس؛ ثم إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما رآه العسكر أنكروه وقالوا له: من أنت؟

قال: أنا رسول الأحنف بن قيس؛ فمن قائل يقول: مرحبا بك وبمن جئت من عنده، ومن قائل يقول: لا مرحبا بك ولا بمن جئت من عنده.. حتى انتهى إلى فسطاط أمير المؤمنين عليه السلام فخرج إليه رجل ضخم طوال عليه درع يتجسس فإذا هو الأشتر فقال من أنت؟

قال: أنا رسول الأحنف.. فقال: مكانك حتى استأذن لك فاستأذن له فدخل وأمير المؤمنين عليه السلام متكئ وبين يديه ترس عليه أقراص من طعام الشعير فسلم عليه وهناه بالفتح عن الأحنف، وقال: أنا رسوله وقد قتلت الزبير وهذا رأسه وسيفه فألقاهما بين يديه.. فقال عليه السلام: كيف قتلته وما كان من أمره فحدثنا كيف صنعك به، ثم قال: ناولني سيفه فناولته فاستله، وقال: سيف أعرفه أما والله لقد قاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله غير مرة ولكنه الحين ومصارع السوء.

وفي رواية منصور بن أبي الأسود عن عطاء بن السائب عن أبي

البحثري قال: لما بعث الأحنف بن قيس إلى أمير المؤمنين عليه السلام برأس الزبير وسيفه وجاءه الرسول يهنئه بالفتح تلا: ﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾^(١)

وروى نصر بن مزاحم أن أمير المؤمنين عليه السلام حين وقع القتال وقتل طلحة، تقدم على بغلة رسول الله ﷺ الشهباء بين الصّفين، فدعا الزبير فدنى إليه حتى اختلف أعناق دابتيهما، فقال: يا زبير أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: انك ستقاتل عليا وأنت له ظالم؟ قال: نعم.

قال: فلم جئت؟ قال: جئت لأصلح بين الناس فأدبر الزبير وهو يقول:

ترك الأمور التي تخشى عواقبها
 لله أجمل في الدنيا وفي الدين
 أتى علي بأمر كنت أعرفه قد
 كان عمر أبيك الخير مذ حين
 فقلت حسبك من عدل أبا حسن
 بعض الذي قلت هذا اليوم يكفيني
 فاخترت عارا على نار مؤججة
 أنى يقوم لها خلق من الطين
 نبئت طلحة وسط النقع منجدلا
 مأوى الضيوف ومأوى كل مسكين
 قد كنت أنصر أحيانا وينصرني
 في النائبات ويرمي من يراميني

(١) (النساء: ١٤٠).

حتى ابتلينا بأمر ضاق مصدره

فأصبح اليوم ما يعنيه يعني

قال: واقبل الزبير على عائشة، فقال: يا أمه مالي في هذا بصيرة،

واني منصرف.

فقال عائشة: يا أبا عبد الله أفررت من سيف ابن أبي طالب؟

فقال: إنها والله طوال حداد، تحملها فتية أنجاد، ثم خرج راجعا

فمرَّ بوادي السباع وفيه الأحنف بن قيس قد اعتزل من بني تميم، وأخبر

الأحنف بانصرافه فقال: ما أصنع به إن كان الزبير ألقى بين غارتين من

المسلمين وقتل أحدهما بالآخر ثم هو يريد اللحاق بأهله.

فسمعه ابن جرموز فخرج هو ورجلان معه - وقد كان لحق بالزبير

رجل من كليب ومعه غلامه - فلما أشرف ابن جرموز وصاحبه على

الزبير، فحرك الرجلان رواحلهما، وخلفا الزبير وحده، فقال لهما الزبير:

ما لكما هم ثلاثة ونحن ثلاثة، فلما أقبل ابن جرموز قال له الزبير: إليك

عني..

فقال ابن جرموز: يا أبا عبد الله إنني جئتك لأسألك عن أمور الناس.

قال: تركت الناس يضرب بعضهم وجوه بعضهم بالسيف.

قال ابن جرموز: أخبرني عن أشياء أسألك عنها.

قال: هات.. قال: أخبرني عن خذلك عثمان، وعن بيعتك عليا وعن

نقضك بيعته، وعن إخراجك عائشة، وعن صلاتك خلف ابنك، وعن

هذه الحرب التي جنيتها، وعن لحوقك بأهلك.

فقال: أما خذلي عثمان فأمر قَدَمَ الله فيه الخطية، وأخر فيه التوبة..
وأما بيعتي عليا، فلم أجد منها بدا، إذ بايعه المهاجرون والأنصار. وأما
نقضي بيعته، فإنما بايعته بيدي دون قلبي. وأما إخراجي أم المؤمنين،
فأردنا أمرا وأراد الله أمرا غيره. وأما صلاتي خلف ابني فان خالته قدمته..

فتنحى ابن جرموز عنه، وقال: قتلني الله إن لم أقتلك.

فحمل عليه حتى قتله وجاء برأسه إلى الأحنف ثم إلى أمير
المؤمنين عليه السلام..

وفي رواية عبد الله بن جبير عن ابن أبي عون قال سمعت مروان بن
الحكم يقول: لما كان يوم الجمل قلت والله لأدركن ثار عثمان فرميت
طلحة بسهم فقطعت نساءه وكان كلما شد الموضع غلب الدم عليه وألمه
فقال لغلامه دعه فهو سهم أرسله الله إلي ثم قال له ويلك أطلب لي
موضعا احترز به فلم يجد له مكانا فاحتمله عبد الله بن معمر فأدخله
بيت أعرابية ثم ذهب فصبر هنيئة ورجع فوجده قد مات.. وهرب الزبير
فأراد المدينة حتى أتى وأدى السباع فرفع الأحنف صوته وقال ما أصنع
بالزبير قد لف بين عارين من الناس حتى قتل بعضهم بعضا وهو يريد
اللحاق بأهله فسمع ذلك ابن جرموز فخرج في طلبه وتبعه رجل من
مجاشع حتى لحقاه فلما رآهما الزبير حذرهما فقالا: يا حوارى رسول
الله ﷺ أنت في ذمتنا لا يصل إليك أحد وسائره ابن جرموز فبينما
هو يسير ويستأخر والزبير يفارقه، ثم قال: يا أبا عبد الله انزع درعك

واجعلها على فرسك فإنها تثقلك وتعييك.. فنزعها الزبير وجعل عمرو بن مجاشع ينكص ويستأخر والزبير يناديه فيلحقه وهو يجري بفرسه ثم انحاز إليه حتى اطمأن إليه ولم ينكر تأخره عنه فحمل عليه وطعنه بين كتفيه فأخرج السنان من بين ثدييه ونزل فاحتز رأسه وجاء به إلى الأحنف فأنفذه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما رأى رأس الزبير وسيفه قال ناولني السيف فناوله فهزّه وقال: سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن الحين ومصارع السوء.. ثم تفرّس في وجه الزبير وقال: لقد كان لك برسول الله صلى الله عليه وآله صحبة ومنه قرابة ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد..

٣٠٥. السيدة عائشة

السيدة عائشة هي من زوجات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومن أمهات المؤمنين دون شك في ذلك، وهي بنفس الوقت ابنة الخليفة الأول أبو بكر عبد الله بن عثمان المعروف بأبي قحافة التيمي القرشي..

نزلت فيها آيات كثيرة، وشملتها آيات زوجات النبي صلى الله عليه وآله عامة واختصت بآيات لأنها كانت غيورة بشكل ملفت - كما يقولون ويبررون، ولكن لا غيرة على النبي صلى الله عليه وآله لأنه معصوم قطعاً وقوله وفعله تشريع ولن ينتظر رأيها وعندما انتظره جاءه الأمر بالتنفيذ **﴿وَأَتَى اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾**

وهكذا فمن غيرتها ظهرت على رسول الله صلى الله عليه وآله حفصة بنت عمر ومن ظاهرهما وفتحت أعظم جبهة في الكون، يوضحها قول ربنا سبحانه: **﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ**

عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ
 نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُبُؤًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا
 عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ
 ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مِمَّنْ مُسَلِمَاتٍ
 مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَيَبَّتْ عَيْدَاتٍ سَيِّحَتٍ تَيَبَّتْ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

هذه الآيات تحتاج إلى بحث طويل وعريض لإقناع إخوتنا من هذه الأمة المرحومة أن السيدة عائشة مخطئة كل الخطأ بل غارقة بالخطأ من حياة رسول الله ﷺ وفي آخر لحظات حياته الشريفة، وحتى بعده بمواقفها من الأمة وتدخلها في كل شاردة وواردة لاسيما تحريضها على عثمان حتى قتل وقيادتها للجيش لحرب إمام زمانها ﷺ فسفكت أنهار من الدماء، وهي مقرة ومصرة على خطئها إلى أن أتاه الأجل وعلمها عند الله بعد ذلك..

ولكن لتأمل - يا علماء ويا عقلاء الأمة - بهذه الآيات المباركة والتي نتلوها آناء الليل وأطراف النهار ونجيب عن الأسئلة التي تثار في أذهاننا من قبيل:

ما هو الحديث السر الذي أسره رسول الله ﷺ؟

ما الذي أخبر به، وما الذي أعرض عنه؟

ولماذا هذا الجحود له (من أنباءك هذا)، أليس يوحى إليه؟

لماذا طلب التوبة منهما بهذه السرعة؟

ولماذا هذه الشدة والإنذار والوعيد لهما؟

(١) (التحرير: ٣-٥)

وما معنى صفت قلوبكما، ولماذا صغت القلوب؟

ولماذا كل هذه القوة الهائلة، بل مطلق القوة في الكون، فهي:

١. قوة الله سبحانه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَانُ﴾.
٢. والروح الأمين ﴿وَجِبْرِيلُ﴾.
٣. أمير المؤمنين علي عليه السلام ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
٤. ملائكة الرحمن ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾؟

* ولماذا هذا التهديد بالطلاق لهن إذن؟

* وأخيراً، لماذا حشد ثمانية صفات والخيرية التاسعة بالبدل عنهن؟

ألا يثير ذلك العقول ويتطلب منا الإجابة عنها، وكفانا نسير وراء كل ناعق من تلاميذ كعب الأحبار، وأبي سنور الدوسي، ودجالين بني أمية الذين شوهاوا صورة الإسلام بما دسوه به من خرافات وأباطيل وأحاديث بني إسرائيل؟

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد كانت لعائشة جرأة على رسول الله ﷺ حتى كان منها في أمر سارية ما كان من الحديث الذي أسرته إلى الزوجة الأخرى (حفصة) وأدى إلى تظاهرهما عليه فنزل فيهما قرآنا يتلى في المحاريب يتضمن وعيدا غليظا عقيب تصريح بوقوع الذنب^(١).

أما آن لنا أن نتحرر من سلطة الأشخاص وقداسة السياسة البغيضة للملك العضوض، ونتجرأ لقول الحق دون النظر إلى شخصية المحقوق، وكائنا من يكون؟

(١) (شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ - ص ٤٥٧)

١.٣.٥ . السيدة والحجاب

ليس على النساء الدخول في شيء من قضايا الرجال وما اختصهم الله به من الجهاد والسياسة وغير ذلك على وجه من الوجوه إذ ليس عليهن جهاد ولا لهن أمر ولا نهى في سياسة البلاد والعباد مع ما خص به الله أزواج النبي في الحكم المضاد لما صنعتها السيدة عائشة التي شملتها آيات أزواج النبي ﷺ وآيات النساء والله سبحانه تعالى في محكم التنزيل يقول جل اسمه لهن: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ آدَبٌ أَنْ يُعْرَفْنَ﴾

وفرض عليهن سبحانه التحصن والتجلبب والحجاب عن الغير ولا يمكن لهن أن يتعرفن إلى أحد- إلا للضرورة - فجاءت السيدة عائشة بعكس ذلك كله من التبرج والظهور، وهتك الحجاب، وطرح الجلباب، وإظهار الصورة، وإبداء الشخصية.. والظهور ليس بين العامة فقط بل بين العساكر والجنود.. فأبي عذر لها فيه؟ مع ما ارتكبه من قتال ولي الله الأعظم وإمام زمانها ﷺ الذي فرض عليها إعظامه، وإجلاله، وأوجب عليها طاعته وحرّم عليها معصيته.. وسفكت فيما صنعت دماء المؤمنين وأثارت الفتنة التي شانت بها المسلمين وجرت عليهم الدواهي إلى يوم القيامة نتيجة تسرعها بالحكم على إمامها ﷺ وعدم طاعتها لله ورسوله ﷺ بالحجاب المفروض عليها..

وكتب السنن تروي ما أمرها الرسول الأعظم ﷺ به في الحديث المشهور حين دخل ابن أم مكتوم وهو أعمى على النبي ﷺ فقال: لها قبل دخوله ادخلي الخباء يا عائشة فاستتري به من هذا الرجل..

فقلت: يا رسول الله إنه أعمى ولن يراني..

فقال عليه السلام: إن لم يراك فإنك ترينه..^(١)

فإن حجبها رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأعمى في حياته الشريفة فما بالها وقد رآها متبرجة تقود جيشا عرمرما تخطب وتحمس وتندب فهل كان يرضيه وتسره بهذا العمل لاسيما وأنها تحارب أحب الخلق إليه كما تروي ذاتها ذلك؟ لا والله بل تقرّح قلبه الشريف. وعن أمنا أم سلمة قالت: كنت وميمونة بنت الحرث إذا أقبل ابن أم مكتوم فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك بعد ما نزل الأمر بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: احتجبا منه.. فقلنا: إنه أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا.. فقال صلى الله عليه وآله: أفعمياوتان أنتما ألستما تبصرانه).

وربنا سبحانه قال فيما آدب به الصحابة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاحَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾^(٢)

فبتين الله - عز اسمه - أن حديث المؤمنين من أصحابه لأزواج نبيه كان يؤذيه صلى الله عليه وآله وإن الإنبساط لهن يشق عليه ويؤلمه وصانتهن لصيانتته واحترامه فنهى أن يأنس بهن أحد أو يسألهن متاعا إلا من وراء حجاب ونهى عن اللبث في بيته بعد نيل الحاجة من طعامه وغير ذلك لثلا يطول

(١) (مثل هذا الحديث ما رواه الخازن في تفسيره (ج ٥ ص ٥٧) والبغوي في تفسيره بهامشه

كلاهما عن الترمذي وأبي داود)

(٢) (سورة الأحزاب: ٥٣).

مقامهم فيه فتأنس أزواجه بهم أو يأنسون بكلامهن.. فكيف هذا يوافق لما فعلته السيدة عائشة من مخالطتها للقوم وسفرها معهم وإطالة النجوى لهم وكونها بمحمل من لا يحتشم في خطاب ولا كلام ولا أمر ونهى من أن يؤنس بها في كل حال وتصير بذلك كأمر العسكر وقائد الجيش الذي لا يتمكن من الاختفاء عن أصحابه وجنده بحال وإن هذا لعجيب عند من فكر فيه..^(١)

والحكم بعصيانها لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ وطرح الآيات والاستخفاف بأوامره ونواهيه غير مشكل على كل ذي عقل ومن اشتبه عليه عصيانها وضلالها فهو يُعد من الأموات فليرجع إلى عقله ويسأله هل يصح لها أن تخرج من بيتها هذا عدا عن أن تقود جيشا عرمرما بنفسها؟

ويرجع إلى نفسه ويسألها هل يسامح زوجته إن فعلت ذلك هذا عدا عن زوجة رسول الله ﷺ وما أمرها الله ورسوله به؟

وكل هذا مع قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

فهل يعقل عند كل ذي عقل، وعرف الشرع ودان بالإسلام: أن أزواج عثمان وبناته وبنات عمه من بني أمية الذين هم أمس رحما بعثمان من عائشة لو كلفن بالقتال لما تكلفن ذلك لحرمة عليهن، وعدم تكليفهن أصلا ولو أنهن فعلمن لكن عاصيات خارجات عن شرف الإسلام.. فما ظنك بالسيدة البعيدة نسبا وسببا، النائبة عنه عقلا ومذهبا، المشجعة على قتله، الساعية في إهدار دمه، الداعية إلى خلعه، المانعة

(١) (الجمال: الشيخ المفيد)

عن نصرته؟

وما الذي أحدثه بعد إنكارها عليه مما يوجب رجوعها عما كانت عليه معتقدة فهل تراه أحدث عملا صالحا بعد قتله أو أحياء الله لها فسألها نصرته أم أوحى الله إليها من باطن أمره ما كان مستورا عنها، وهي بمكة تحرّض عليه وتنادي ذا الأصيح، وهو بالمدينة مقتولا ولا أحد يجرؤ على البكاء عليه.. كلا والله بل لأنها كانت حاقدة ومبغضة لأمر المؤمنين علي عليه السلام، وحب علي عنوان صحيفة المؤمن كما قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

٥ . ٣ . ٢ . عائشة تبغض الإمام عليا عليه السلام ..

نعم؛ إن الأمر فيما قصدته السيدة من حربها لأمر المؤمنين عليه السلام وتظاهرها عليه لما كانت تنعم به من عداوتها وبغضها له فقد كان أظهر من أن تخفيه بالعلل والأباطيل وقد أجمع أهل النقل عنها الشيء الكثير في ذلك..

فمن ذلك ما رواه كافة العلماء عنها إنها كانت تقول: لم يزل بيني وبين علي من التباعد ما يكون بين بنت الإحماء..

وقالت في خبرها عن قصة الذين رموها بصفوان بن المعطل وما كان منها في غزوة بني المصطلق وهجر رسول الله لها وإعراضه عنها واستشارته فيها أسامة بن زيد (قالت عنه: وكان عبدا صالحا مؤمنا) وذكر له قذف القوم بصفوان، فقال له أسامة: لا تظن يا رسول الله إلا خيرا فإن المرأة مأمونة وصفوان عبد صالح.. ثم استشار عليا عليه السلام، فقال له: يا رسول الله النساء عليك كثيرة سل عن الخبر بريرة خادمتها وابحث عن سر

خبرها منها..

فقال له رسول الله: فتول أنت يا علي تقريرها.. فقطع لها علي عليه السلام خشبا من النخل وخلا بها يسألها ويتهددها ويرهبها.. لا جرم إنني لا أحب عليا أبدا^(١)..

نعم روى المفسرون وأرباب الحديث قصة الإفك عن عائشة النازل فيها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَبْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ذلك لأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يتفق ومقامه الطافح بالعظمة القدسية هذا الأمر وهنا يقول ابن العربي الأندلسي في أحكام القرآن: شاور النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وعلياً عليه السلام في أمرها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تعالى لم يضيق عليك (أي طلقها) والنساء كثير فاسأل الجارية تصدقك^(٢).

وارتاحوا لتنزيه السيدة (صاحبة الجمل) نفسها عما قيل فيها، فبالإسناد إلى عروة بن الزبير عن خالته عائشة وإلى سعيد بن المسيب عنها وإلى علقمة بن وقاص عنها وإلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عنها فالمصدر لنقل الحديث عائشة فقط وأصبحت هذه الإشاعة حديث أندية المدينة؟

هذا كل ما في جعبة القوم وما أدري ولا المنجم يدري كيف تغافل المسلمون عن نقل هذا الحادث الشائع الذي نزل القرآن في افتضاح من

(١) (روى ذلك البخاري (ج ٣ - ص ٣٣) ومسلم (ج ٢ - ص ٤٥٥) والخازن في تفسيره (ج

٥ - ص ٤٦)، الطبري في التاريخ ج ٣ - ص ٦٧)

(٢) (أحكام القرآن (ج ٢ - ص ٩٤)

أشاعه فلم يذكر أحد ما روته عائشة وانفردت بنقله مع شدة حرصهم على حفظ ما لا أهمية له من الحوادث، أكلهم تواصلوا بالكتمان والعادة تبعده أم أن للقصة تخريجا آخرًا ولم تكن بذلك الظهور؟

نعم، أوقفنا الشيخ الجليل الثبت علي بن إبراهيم القمي من علماء القرن الثالث على حقيقة سترتها الأحقاد فروى في تفسيره عن رجال أجلاء ثقة عن زرارة بن أعين قال: سمعت الإمام الباقر عليه السلام يقول: لما مات إبراهيم بن رسول الله حزن عليه النبي ﷺ.. فقالت له عائشة: ما الذي يحزنك عليه إنه ابن جريح القبطي..^(١)

فبعث النبي عليا ليقتله فخاف منه جريح فتسلق نخلة في بستان فانكشف ثوبه فإذا هو محبوب (مقطوع الآلة) وليس له ما للرجال فرجع علي عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما رأى فقال: ﷺ الحمد لله الذي صرف عنا سوء أهل البيت ثم نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفكِ عَصِيَّةٌ مِّنْكَ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)..

وفي ذات التفسير روى عن الإمام الصادق عليه السلام: أن رسول الله كان عالما بكذبها ولكنه أراد أن يدفع القتل عن جريح وترجع المرأة عن ذنبها^(٣).

ولم تخف هذه الظاهرة على شيخنا المفيد ولكنه مشى في نقل القصة عنها مع المؤرخين ليسجل عليها اعترافا بالبغض لأمير

(١) انظر إلى هذه الجرأة على الله ورسوله وقذف المحصنات فهي صاحبة التهمة والجرم والإفك

على السيدة مارية القبطية وهذا ليس غريبا عنها لشدة غيرتها المعروفة عنها..

(٢) (تفسير علي بن إبراهيم: ص ٤٥٣)

(٣) (تفسير علي بن إبراهيم: ص ٦٤٠)

المؤمنين عليه السلام التي لا يستحق منها شيئاً مما جاءت به ، فهو لم يتصرف من عند نفسه وإنما هو ممثل لأمر رسول الله ﷺ في ملاحقة المرأة لتقرر وتعترف بالحقيقة ويستبين الحال..

فهذا تصريح منها ببغضها له ومقتها إياه ولم يكن منه ذلك عليه السلام إلا النصيحة لله ولرسوله واجتهاده في الرأي ونصحه وامثاله لأمر النبي ﷺ ومسارعته لطاعته.

ومن أحاديث البغض ؛ ذلك ما رواه كافة العلماء من حديث عكرمة وابن عباس وإن عكرمة أخبره عن حديث حدثته عائشة في مرض رسول الله ﷺ الذي توفي فيه حتى انتهت من ذلك إلى قولها: فخرج رسول الله ﷺ متوكئاً على رجلين من أهل بيته أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر فقال: عبد الله بن العباس لعكرمة: فلم تسمّ لك الآخر؟ قال: لا والله ما سمته.. فقال: أتدري مَنْ هو؟ قال لا ، قال: ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام وما كانت والله أمنا تذكره بخير وهي تستطيع.

هذا مع الأخبار التي لا ريب فيها ولا مرية في صحتها لاتفاق الرواة عليها أنها لما استشهد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام جاء الناعي فنعاها لأهل المدينة فلما سمعت عائشة بنعيه استبشرت وقالت متمثلة:

فإن يك ناعياً فلقد نعاها لنا

من ليس في فيه التراب

فقلت لها زينب بنت أبي سلمى: ألعلي تقولين؟ فتضحكت، ثم قالت: أنسى فإذا نسيت فذكروني ثم خرّت ساجدة شكراً على ما بلغها من قتله ورفعت رأسها وهي تقول:

فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قرَّ عينا بالإياب المسافر^(١)

هذا وقد روي عن مسروق أنه قال: دخلت عليها فاستدعت غلاما باسم عبد الرحمن قالت: عبدي.. قلت لها: فكيف سميتيه عبد الرحمن؟ قالت: حبا لعبد الرحمن بن ملجم قاتل علي.

والخبر المشهور أنه لما بعث إليها أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة أن ارتحلي عن هذه البلدة قالت: لا أريم مكاني هذا (لا أفارقه)..

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: أم والله لترتحلين أو لأبعثن إليك نسوة من بكر بن وائل يأخذنك بشفار حداد..

فقالت لرسوله: ارتحل فبالله أحلف ما كان مكان أبغض إليّ من مكان يكون هو (تعني عليا) فيه.

تأمل بهذا الحقد على (من حبه عنوان صحيفة المؤمن)، فما عسى أن يكون عنوان صحيفة السيدة غدا عند الله؟ وأمثال هذا مما لو أثبتناه لطلال به الكتاب ومما يؤكد ما ذكرناه من أن غرض القوم كان في مباينة أمير المؤمنين عليه السلام ومظاهرتة بالخلاف وأنه لم يكن لإقامة حق واجتهاد ورأي في إصابة طاعة وحوز مثوبة بل كان لضغائن بينه وبينهم ولأسباب سالفة وآنفة أو طمع في عاجل أو حسد له وبغي عليه مما شاكل ذلك.

وإليك هذه النتيجة التي توصل إليها هذا الباحث الإسلامي المنصف حيث يقول: ونتساءل عن حرب الجمل التي أشعلت نارها أم المؤمنين عائشة إذ كانت هي التي قادتها بنفسها، فكيف تخرج أم المؤمنين عائشة من بيتها التي امرها الله بالاستقرار فيه بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

(١) (البيتان في تاريخ الطبري (ج ٦ ص ٨٧)

وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى.﴾

ونسأل بأي حق استباححت أم المؤمنين قتال خليفة المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة؟. وكالعادة وبكل بساطة يجيبنا علماؤنا بأنها لا تحب الإمام عليا لأنه أشار على رسول الله صلى الله عليه وآله بتطليقها في حادثة الإفك، ويريد هؤلاء إقناعنا بان هذه الحادثة (إن صححت) وهي إشارة علي علي النبي بتطليقها كافية بان تعصي أمر ربها وتهتك سترا ضربه عليها رسول الله صلى الله عليه وآله، وتركب جملا نهاها رسول الله صلى الله عليه وآله أن تركبه وحذرهما أن تنبحها كلاب الحوآب، وتقطع المسافات البعيدة من المدينة إلى مكة ومنها إلى البصرة، وتستبيح قتل الأبرياء ومحاربة أمير المؤمنين عليه السلام والصحابة الذين بايعوه، وتتسبب في قتل ألوف المسلمين كما ذكر ذلك المؤرخون كل ذلك لأنها لا تحب الإمام عليا عليه السلام الذي أشار بتطليقها ومع ذلك لم يطلقها النبي، فلماذا كل هذه الكراهية وقد سجل المؤرخون لها مواقف عدائية للإمام علي عليه السلام لا يمكن تفسيرها، فقد كانت راجعة من مكة عندما أعلموها في الطريق بان عثماننا قتل ففرحت فرحا شديدا ولكنها عندما علمت بان الناس بايعوا عليا غضبت وقالت: وددت أن السماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب، وقالت ردوني.. وبدأت تشعل نار الفتنة للثورة على علي عليه السلام الذي لا تريد ذكر اسمه كما سجله المؤرخون عليها، أفلم تسمع أم المؤمنين قول الرسول صلى الله عليه وآله: (بان حب علي إيمان وبغضه نفاق) حتى قال بعض الصحابة (وهي منهم): (كنا لا نعرف المنافقين إلا ببغضهم لعلي)، (وهي التي قالت لجابر بن عبد الله الأنصاري عندما لمن سألها عن علي عليه السلام:

إذا ما التبر حك علي محك
تبين زيفه من غير شك
وفينا الزيف والذهب المصفي
علي بيننا شبه المحك

وأولم تقل أم المؤمنين أن أحب خلق الله إلى رسوله ﷺ من النساء
فاطمة، ومن الأبناء ابناها، ومن الرجال زوجها علي ﷺ، وهو ما
علمت السيدة صواما، قواما..)

أولم تسمع أم المؤمنين قول النبي ﷺ: (من كنت مولاه فعلى
مولاه). إنها لا شك سمعت كل ذلك ولكنها لا تحبه ولا تذكر اسمه بل
إنها لما سمعت بموته سجدت شكرا لله.

ثم يقول: ودعني من كل هذا فانا لا أريد البحث عن تاريخ أم
المؤمنين عائشة ولكن أريد الاستدلال على مخالفة كثير من الصحابة
لمبادئ الإسلام وتخلفهم عن أوامر رسول الله ﷺ، ويكفيني من فتنة
أم المؤمنين دليل واحد اجمع عليه المؤرخون؛ قالوا لما جازت عائشة
ماء الحوآب ونبحتها كلابها تذكرت تحذير زوجها رسول الله ﷺ ونهيه
إياها أن تكون هي صاحبة الجمل، فبكت وقالت ردوني، ردوني. ولكن
طلحة والزبير جاءها بخمسين رجلا جعلوا لهم جعلاً (رشوة)، فاقسموا
بالله أن هذا الماء ليس بماء الحوآب فواصلت مسيرها حتى البصرة
(وهي على يقين أن هذا الماء هو ماء الحوآب، ولكن الحقد وبغض آل
النبي ﷺ)، ولهذا يذكر المؤرخون أنها أول شهادة زور في الإسلام.

دلونا أيها المسلمون يا أصحاب العقول النيرة على حل لهذا

الإشكال، أهؤلاء هم الصحابة الأجلاء الذين نحكم نحن بعدالتهم ونجعلهم أفضل البشر بعد رسول الله ﷺ! فيشهدون شهادة الزور التي عدها رسول الله ﷺ من الكبائر الموبقة التي تقود إلى النار.

والسؤال نفسه يعود دائما ويتكرر أيهم على الحق وأيهم على الباطل، فيما أن يكون الإمام علي عليه السلام ومن معه ظالمين وعلى غير الحق، وإما أن تكون عائشة ومن معها وطلحة والزبير ومن معهم ظالمين وعلى غير الحق، وليس هناك احتمال ثالث، والباحث المنصف لا أراه إلا مائلا لأحقية أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي وصفه رسول الله ﷺ بأنه (علي مع الحق والحق معه يدور الحق معه حيث دار)، وشاهدنا بهذه الفتنة أن (أم المؤمنين عائشة) وأتباعها هم الذين أوقدوا نارها وما أطفئوها حتى أكلت الأخضر واليابس وبقيت آثارها إلى اليوم.

ولمزيد البحث وليطمئن قلبي أقول اخرج البخاري في صحيحه، قال: قام النبي ﷺ خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة فقال ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان.

كما اخرج البخاري في صحيحه عنها أشياء عجيبة وغريبة في سوء أدبها مع النبي ﷺ حتى ضربها أبوها فأسال دمها..

وبعد كل هذا أتساءل: كيف استحققت عائشة كل هذا التقدير والاحترام من أهل السنة والجماعة، لأنها زوج النبي ﷺ، فزوجاته كثيرات وفيهن من هي أفضل من عائشة بتصريح النبي (ﷺ نفسه).؟

أم لأنها ابنة أبي بكر (ال خليفة الراشد الأول! وتعلم أننا أمة تنبهر بالسلطة وتظن أن الحق مع من تغلبا وجلس على الدست وأخذ الصولجان ولو كان مثل يزيد وأباه، ومروان الوزغ وأبناءه).؟

أم لأنها هي التي لعبت الدور الكبير في إنكار وصية النبي ﷺ
 لعلي عليه السلام حتى قالت عندما ذكروا عندها أن النبي أوصى لعلي عليه السلام:
 قالت مَنْ قاله، لقد رأيت النبي ﷺ واني لمسندته إلى صدري فدعا
 بالطست فانحنى فمات فما شعرت فكيف أوصى إلى علي؟

أم لأنها حاربتة حربا لا هوادة فيها وحاربت أولاده من بعده حتى
 اعترضت جنازة الإمام الحسن عليه السلام سيد شباب أهل الجنة ومنعت أن
 يدفن بجانب جده رسول الله ﷺ قائلة: لا تدخلوا بيتي من لا أحب..
 ونسيت أو تجاهلت قول الرسول ﷺ فيه وفي أخيه: (الحسن والحسين
 سيدا شباب أهل الجنة)، أو قوله ﷺ: (أحب الله من أحبهما وابغض الله
 من أبغضهما)، أو قوله: (أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم)؛
 وغير ذلك كثير لست في معرض الكلام عنه.

كيف لا وهما ريحانتاه من هذه الأمة. ولا غرابة بذلك فقد رأت
 وسمعت في حق علي عليه السلام أضعاف ذلك ولكنها ورغم تحذير
 النبي ﷺ لها، أبت إلا محاربتة وتأليب الناس عليه وإنكار فضله
 وفضائله.

ومن اجل ذلك أحبها الأمويون وأنزلوها تلك المنزلة العظيمة التي
 تقصر عنها المنازل ورووا في فضلها ما ملأ المطامير وسارت به الركبان
 حتى جعلوها المرجع الأكبر للأمة الإسلامية لأن عندها وحدها نصف
 الدين.^(١)

وقبل أن أعرض لك - يا عزيزي الكريم - أعمالها وأقوالها بعثمان،
 ومكافأة بني أمية لها بهذا الكم الهائل من الفضائل التي ربما لم تسمع

(١) ثم اهتديت للتيجاني ص ١٤٠

بها شخصيا لأنها لو سمعت بفضيلة منها لمألت الدنيا ضجيجا بها، ولاحتجت على أمير المؤمنين عليه السلام في كل منزل وفي كل حال..

وبالحقيقة كانت السيدة صفر اليمين من الفضائل بل تاريخها مع النبي صلى الله عليه وآله حافلا بالمخازي والمشاكل، وما زالت أحاديثها من أعقد المسائل في صحاح المسلمين، ولكن أدرك دهاة بني أمية ك معاوية أنه لا يمكنهم الوصول إلى السلطة إلا بقتل الشيخ عثمان للطلب بثأره، ولا يمكن الطلب بثأره من أمير المؤمنين عليه السلام لأنه أظهر الناس من دمه، فلا بد لهم من كبار قريش كطلحة والزبير، وهذان لا يمكنهما فعل شيء بدون السيدة عائشة. لاحظ ذلك وتأمل قصة المسيرة كلها فإنهما كانا يسترضياها ويعودان إليها في كل معضلة حتى عندما اختلفوا بالصلاة وتدافعوا عليها حكمت عليهم بأن يصلوا بصلاة آبائهم..

وأظن أن بني أمية لو كان عدوهم غير أمير المؤمنين عليه السلام لرفعوا تماثيل من ذهب لابن عمهم علي بن أبي طالب عليه السلام في كل ساحة، ولما كانت تذكر السيدة عائشة إلا كما تذكر ابنتهم السيدة رملة بنت أبي سفيان (رضوان الله عليها)، ولكن عداة أمير المؤمنين عليه السلام وبغضه من قبل السيدة عائشة، وحب السلطة والمال من قبل الأمويين جعلهم يتوحدون ضد أمير المؤمنين عليه السلام ويجمعوا الكذابين لاختراع الفضائل وخلق الأحاديث بهم، وإليك هذا النموذج فقد أخرج أحمد في المسند والحاكم في المستدرک عن عائشة قالت: قال صلى الله عليه وآله: يا عثمان! إن الله عز وجل مَقَمِّصك قميصا فإن أَرادك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة يقولها له مرتين أو ثلاثا^(١).

تأمل بهذا الحديث المروي وبهذه الأحداث التي قادتها السيدة عائشة

(١) (أخرجه أحمد في المسند ٦ : ٧٥ والحاكم في المستدرک ٣ ص ١٠٠)

بوجه الخليفة الأموي عثمان لتتأكد من صحة استنتاجي السابق، ولن أطيل عليك فللحديث مكان آخر..

٣.٣.٥ . عائشة وعثمان

فأما تأليب عائشة على عثمان فهو أظهر مما وردت به الأخبار من تأليب طلحة والزبير عليه، فمن ذلك ما رواه محمد بن إسحاق صاحب السيرة عن مشايخه عن حكيم بن عبد الله قال: دخلت يوما بالمدينة إلى المسجد فإذا كف مرتفعة وصاحب الكف، يقول: أيها الناس العهد قريب هذان نعلا رسول الله وقميصه وكأنني أرى ذلك القميص يلوح، تقول: وإن فيكم فرعون هذه الأمة فإذا هي عائشة..

في الأغاني أن جماعة من أهل الكوفة شهدوا على الوليد بن عتبة وأخافهم عثمان فاستجاروا بعائشة فأخرجت نعل رسول الله ﷺ إلى المسجد، تقول: ترك عثمان سنة صاحب هذا النعل^(١)..

وعثمان يقول لها: اسكتي؛ ثم يقول للناس: إنها امرأة وعقلها عقل النساء فلا تصغوا إلى قولها..

وروى الحسن بن سعد قال: رفعت عائشة ورقة من المصحف بين عودتين من وراء حجلها وعثمان قائم، ثم قالت: يا عثمان أقم ما في هذا الكتاب..

فقال: لتنتهين عما أنت عليه أو لأدخلن عليك جمر النار..

فقالت له عائشة: أما والله لئن فعلت ذلك بنساء النبي يلعنك الله ورسوله وهذا قميص رسول الله لم يتغير وقد غيرت سنته يا نعثل.. وفي

(١) (في الأغاني (ج ٤ - ص ١٧٨)

تاج العروس: إن عائشة سمّت عثمان نعثلا، وهو أما رجل يهودي، أو الشيخ الأحمق، أو رجل طويل اللحية بمصر^(١).

الله..الله إذا أدخل الخليفة على عائشة وزوجات النبي (جمرة النار) يلعنه الله ورسوله الآن، ولكن قبل بضع سنوات من هذا الكلام يُجمع الحطاب على باب بنت رسول الله وسيدة نساء العالمين عليها السلام لتحرق بمن فيها وعندما يقال لعمها: إن فيها فاطمة والحسنان.. قال: وإن..

ولا يلعنه الله ورسوله لأنه يطلب البيعة لأبيها ومن أجل ذلك فالتحرق السيدة الزهراء عليها السلام ومن معها كأمير المؤمنين وسيدا شباب أهل الجنة عليها السلام، ومن معهم من كبار الصحابة. لماذا يا منصفى الأمة، ويا عقلاء الدنيا؟

عثمان يلعن بلسان السيدة عائشة إذا هددها بجمرة النار وأبوها وصاحبه لا يُسألان عن حرق بيت النبوة وأهل بيت الرسالة..

إن هذا أمر عجاب بل هو من أعجب عجائب الدنيا والله؟

وروى الليث بن أبي سليمان عن ثابت الأنصاري عن ابن أبي عامر مولى الأنصار قال: كنت في المسجد فمرَّ عثمان..

فنادته عائشة: يا عُدر (يا غادر) يا فُجر (يا فاجر) أخفرت أمانتك وضيّعت رعيّتك ولولا الصلاة الخمس لمشى إليك الرجال حتى يذبحوك ذبح الشاة..

فقال عثمان: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا

(١) (في كامل ابن الأثير (ج ٣ - ص ٨٠)، والبداية والنهاية (ج ٤ - ص ١٦٦) وتاج العروس

(بمادة نعثل)

مِنَ اللَّهِ سَيِّئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠٠﴾

وروى محمد بن إسحاق والمدائني وحذيفة قال: لما عرفت عائشة أن الرجل مقتول تجهزت إلى مكة فجاءها مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فقالا لها: إنا لنظن أن الرجل مقتول وأنت قادرة على الدفع عنه فإن تقيمي يدفع الله بك عنه..

قالت: ما أنا بقاعدة وقد قدمت ركابي وغريت غرائري (وضبت أمتعتي بالأكياس والصناديق) وأوجبت الحج على نفسي..

فخرج من عندها مروان، يقول: (زخرف قيس على البلاد حتى إذا اضطربت) فسمعتة عائشة، فقالت: أيها المتمثل هلّم قد سمعتُ ما تقول.. أتراني في شك من صاحبك والله لوددت أنه في غرارة من غرايري حتى إذا مررت بالبحر قذفته فيه..

فقال مروان: قد والله تبنيت قد والله تبنيت (تبنيت العملية كلها)..

فما رأيك بهذه الرواية، ألا تراها تنسجم مع مقدماتنا، لاسيما إذا عرفت أن مروان هذا كان من جندها وتحت قيادتها في معركة الجمل وهو الذي قتل لها ابن عمها طلحة عندما رآه يريد أن يهرب هو الآخر؟

إنه أمر دبرٌ بليل، ووراء الأكمة ما وراؤها..

وقال الراوي: فسارت عائشة فاستقبلها ابن عباس بمنزل يقال له الصلعاء وابن عباس يريد المدينة، فقالت يا بن عباس: إنك قد أوتيت عقلا وبيانا وإياك أن ترد الناس عن قتل الطاغية (تعني عثمان طبعاً)..

وهذه بعض الأخبار في تأليب عائشة على عثمان والسعي في دمه اقتصرنا عليها كراهة الإملال بالتطويل وفيها أوضح دليل على أن تظاهرها

من بعد بطلب دمه ومباينتها لأمير المؤمنين عليه السلام وجمع الجموع لحربه والاجتهاد في نقض عهده وأمرها بسفك دمه لم يكن الباطن فيه كالظاهر بل كان لغير ذلك فيما اشتهر عند المعتمدين.. لا سيما ما اشتهر منها في بغضها وعداوتها له عليه السلام فليتأمل أولو الأبصار بما رويناه وليمعن النظر فيما ذكرناه ويجد الأمر فيه على ما وصفناه والله المستعان.

٥. ٣. ٤. السيدة تفرح وتحزن بأن

إن حكم السيدة صار واضحا لما ذكرناه وهو ظاهر لذوي الاعتبار، وما أجمع على نقله رواة الآثار، ونقله السير والأخبار أنه لما قتل عثمان بن عفان خرج النعاة إلى الآفاق فلما وصل بعضهم إلى مكة المكرمة سمعت بذلك السيدة عائشة فاستبشرت وفرحت بقتله، ثم قالت: قتله أعماله إنه أحرق كتاب الله، وأمات سنة رسول الله، فقتله الله..

ثم سألت: ومن بايع الناس؟ فقال لها الناعي: لم أبرح المدينة حتى أخذ طلحة بن عبيد الله نعاجا لعثمان وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال ولا شك أن الناس قد بايعوه..

فقالت: أيها ذا الأصبغ وجدوك لها محسنا وبها كافيا.. ثم قالت: شدوا رحلي فقد قضيت عمرتي لأتوجه إلى منزلي..

فلما شدوا رحالها واستوت على مركبها سارت حتى بلغت (سرفا) (موضع معروف بهذا الاسم) لقيها إبراهيم بن عبيد بن أم كلاب فقالت: ما الخبر؟

فقال: قتل عثمان..

قالت: قتل نعثل؟

ثم قالت: أخبرني عن قصته وكيف كان أمره؟

فقال: لها أحاط الناس بالدار وبه ورأيت طلحة بن عبيد الله قد غلب على الأمر واتخذ مفاتيح على بيوت الأموال والخزائن وتهايا لبياع له فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره وخرجوا في طلب علي يقدمهم الأشر ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر (رحمهم الله) حتى أتوا عليا وهو في بيت سكن فيه فقالوا له: بايعنا على الطاعة لك فتفكر ساعة فقال الأشر: يا علي أن الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن تختلف الناس.

قال: وكان في الجماعة طلحة والزبير فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلي كلام قبل ذلك فقال الأشر لطلحة قم يا طلحة فبايع ثم قم يا زبير فبايع فما تنتظران فقاما فبايعا وأنا أرى أيديهما على يد علي يصفقانهما ببيعته ثم صعد علي بن أبي طالب المنبر فتكلم بكلام لا أحفظه إلا أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر وبايعوه من الغد فلما كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم ما جرى بعدي.

فقالت: يا أخا بني بكر أنت رأيت طلحة بايع عليا؟

فقلت: إي والله رأيت بايعه وما قلت إلا ما رأيت طلحة والزبير أول من بايعه..

فقالت: إنا لله أكره والله الرجل (تعني ابن عمها طلحة) وغضب علي بن أبي طالب أمرهم (الخلافة) وقتل خليفة الله مظلوما (تعني عثمان) ردوا بغالي ردوا بغالي فرجعت إلى مكة.

قال: وسرت معها فجعلت تسألني في المسير وجعلت أخبرها ما كان فقال لي: هذا بعهدي وما كنت أظن أن الناس يعدلون عن طلحة مع

بلائه يوم أحد..

قلت: فإن كان بالبلاء فصاحبه (الإمام علي) الذي بويع ذو بلاء وعناء..

فقلت: يا أخا بني بكر لا تسلك غير هذا فإذا دخلت مكة وسألك الناس ما رد أم المؤمنين فقل: القيام بدم عثمان والطلب به.

تأمل تختلق القصة بل تعكس الحقيقة وتأمر الرجل بالكذب؟ ولما دخلت مكة ثانية جاءها يعلى بن منيه فقال لها: قد قتل خليفتك الذي كنت تحرضين على قتله..

فقلت: برأت إلى الله ممن قتله.

قال: الآن؛ ثم قال لها: اظهري البراءة ثانيا من قاتله فخرجت إلى المسجد فجعلت تتبرأ ممن قتل عثمان، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: كانت عائشة أشد الناس عليه تأليبا وتحريضا فلما سمعت بقتله قالت: أبعده الله.. وأملت أن تكون الخلافة في طلحة فتعود الإمرة تيمية فلما سمعت أن البيعة تمت لعلي عليه السلام صاحت: واعثماناه قتل عثمان مظلوما، ونقل ذلك عن شيخه أبي يعقوب يوسف اللمعاني^(١).

وهذا الخبر يصرح مضمونه عما ذكرناه من أنها لم تزل مقيمة على رأيها في استحلالها دم عثمان حتى بلغها أن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قد بويع بالخلافة وبايعه طلحة والزبير فقلبت الأمر ظهرا لبطن وأظهرت ضد الذي كانت عليه من الرأي وأنه لو تم الأمر لطلحة لأقامت على ما كانت عليه..

(١) (شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ - ص ٤٦٠)

وما أجمل ما قاله رسول الله ﷺ: لا تدعن النساء يدبرن أمر عيش..
وما أفلح قوم قادتهم امرأة.. وما صف به أمير المؤمنين ﷺ النساء بقوله:
إنهن ناقصات دين، ناقصات عقول، ناقصات حظوظ..

والله لك الله يا سيدي ومولاي يا أبا الحسن ﷺ من هذا البلاء.

٦. ندم الناكثين على البيعة

قد قدمناه من القول فيما كان قد عمد عليه طلحة والزبير في خلاف أمير المؤمنين ﷺ والمباينة له والتحيز عنه وهو لما كرها ولايته أنكرا إمرته ولم يؤثر من الناس بيعته لما كانا عليه من الطمع في تولي الأمر دونه والتأمر على الناس بذلك وفاتهم منه ما أملاه وندما على إفراطهما فيما صنعاه مع التسخير لهما من الله تعالى في بذل بيعتهما له ﷺ طوعا واختيارا سنع لهما الاعتلال في تسويغ خلافهما له بدعوى إكراهه لهما على البيعة فتعلقا بذلك وجعلاه حجة لهما في خلافه.. إلا أن لا يسوّغ لهما نقض البيعة بحال من الأحوال. فلما وضح لهما تهافت ما اعتمدها من ذلك بظهور اختيارهما لبيعته وإيثارهما لتقدمه عليهما والرضا بإمامته واشتهر ذلك عند الكافة من الخاصة والعامة وعلموا أنه لا حجة لهما في دفع بيعة المحق وليس لأحد أن يخالف المهاجرين والأنصار في الرضا بما يجتمعون عليه من الرضا بإمامة المرتضى ﷺ في ظاهر الحال فكيف بمن يرضى برضاء الله له في الباطن والظاهر على كل حال ولأنهما لم يجدا شبهة يتعلقان بها في كراهة إمامة أمير المؤمنين ﷺ مع جمعه للفضل وتقدم الإيمان، والذب عن الإسلام، والجهاد في الدين، والبلاء الحسن مع الرسول، والعلم الظاهر الذي لا يختلف فيه اثنان من العلماء، مع الزهد في الدنيا، والورع عن محارم الله، وحسن

التدبير، وصواب الرأي، والرحم الماسة منه برسول الله ﷺ، وما كان سنّه فيه من الأمور الدالة على استحقاقه التقدم على كافة الأنام من الأمة فلم يولّ ﷺ عليه واليا قط، ولا أنفذه في سرية إلا وهو أميرها وسيدها ورئيسها وقائدها وعظيمها، وإنه لم يفسد أحد على عهد النبي أمرا إلا ندبه إليه لتلافي فساد سابقه به ﷺ..

وكان الأمر إذا أعضل (صعب) في شيء ناطه (علقه) به وأنجزه وكفى به وأغناه ورفع إليه من بعده ﷺ من تقدمه من الخلفاء في مقامه عند معضل الأمور فاستعلموا منه ما كان خافيا عليهم من أحكام الملة وصواب التدبير في مصالح الأمة فعلم طلحة والزبير أن التعلق في خلافه بكراهة البيعة شبهة داحضة لا يثبت لهما به حجة عند أحد من الفضلاء والعقلاء وإنه لو ثبت ما ادعياه من إكراههما على البيعة لكان أسوء لحالهما عند الأمة ولكان له ﷺ في حكم الشريعة ذلك إذ للإمام القهر على طاعته والإكراه على الإجابة إلى ما يلزم للأمة كف الفتنة وشمول المصلحة فلما علم الرجلان ذلك ووضح لهما ما ذكرناه في معانيه ولم يكونا ممن يشتبه عليهما فساد الدعوى لما ادعياه وقصورهما عن غرضهما فيه: عدلا إلى التظاهر بطلب دم عثمان وزعما أن الذي كان منهما قد بانا منه وادعيا إن التوبة لا تصلح أن تتم لهما إلا ببذل الجهد في طلب قاتليه والاقتصاص من ظالميه فاشتبه الأمر على المستضعفين واستغويا به كثيرا من العامة البعداء عن فقه الدين..

وسلكت عائشة في خلافها لأمر المؤمنين ﷺ مسلكها في ذلك فتظاهرت به من الطلب بدم عثمان والاقتصاص من قاتله ومعلوم في شريعة المسلمين أن ذلك ليس لهما ولا إليهما وإنهما فيما تكلفاه منه على شبهة باطلة عند الناظرين لأنهما لم يكونا أولياء لدم عثمان ولا

بينه وبينهما نسب يسوغهما للتخاصم في دمه لأن أولياء الدم هم الأهل والأبناء ثم العصابة من الأقربين بالمقتول وأين هذا من /طلحة والزبير وعائشة/ وهم أبعد قريش عن بني أمية..

وإن لم يكن للمقتول ولي فوليه ولي الأمر وهو الإمام علي عليه السلام وليس طلحة والزبير وعائشة هذا إذا كانوا أبرياء من دم المقتول فكيف إذا كانوا مشاركين بالدم المسفوك؟

علما أن القتل بالمدينة المنورة فلماذا الذهاب إلى البصرة لتدميرها بعد احتلالها وقتل الأبرياء وزهق النفوس التي لا علم لهم بحقيقة الأمر فلماذا لم يذهبوا إلى المدينة ويطالبوا الإمام بالقود منهم لأن الدم عندهم وفي أعناقهم بلا شك أو شبهة لديهم؟

وإن الذي ادعته الحشوية لهم من اجتهاد الرأي.

باطل ومنحل وإن دعوى المعتزلة في الشبهة عليهما فيما صارا إليه من خلاف أمير المؤمنين عليه السلام ليس بصحيح. بل الحق في ذلك ما ذهبت إليه الشيعة في تعمدهما خلافه وأسباب ذلك العداوة له والشنئان مع الطمع في الدنيا والسعي في عاجلها والميل للتأمر على الناس والتملك لأمرهم وبسط اليد عليهم وإن الرجلين خاصة لما أيسا من نيل ما طمعا فيه من الأمر فوجدا الأمة لا تعدل بأمر المؤمنين أحدا وعرفا رأي المهاجرين والأنصار فمن أرادا الحظوة عنده بالبدار إلى بيعته وظنا بذلك شركاه في أمره فلما استويا بالحال من بعد وصح لهما رأيه عليه السلام وتحققا أنهما لا يليان معه أمرا فامتحننا ذلك مع ما غلب في ظنهما مما ذكرناه بأن صاروا إليه بعد استقرار الأمر ببيعة المهاجرين والأنصار وبني هاشم وكافة الناس إلا من شذ من بطانة عثمان وكانوا على خفاء لأشخاصهم مخافة على دمائهم من أهل الإيمان فصارا إلى أمير المؤمنين فطلب منه طلحة

ولاية العراق وطلب منه الزبير ولاية الشام فأمسك علي عن إجابتهما في شيء من ذلك فانصرفا وهما ساخطان وقد عرفا ما كان غلب في ظنهما قبل من رأيه عليه السلام فتركاه يومين أو ثلاثة أيام ثم صارا إليه واستأذنا عليه فأذن لهما وكان في عليّة داره فصعدا إليه وجلسا عنده بين يديه وقالا: يا أمير المؤمنين قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة وقد جئناك لتدفع إلينا شيئا نصلح به أحوالنا ونقضي به حقوقا علينا فقال عليه السلام: قد عرفت ما مالي (بينبع) فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر..

فقالا: لا حاجة لنا في مالك (بينبع).. فقال لهما: ما أصنع؟

فقالا له: أعطنا من بيت المال شيئا لنا فيه كفاية..

فقال: سبحان الله وأي يد لي في بيت المال وذلك للمسلمين وأنا خازنهم وأمين لهم فإن شئتما رقيتما المنبر وسألتما ذلك ما شئتما فإن أذنوا فيه فعلت وأنى لي بذلك وهو لكافة المسلمين شاهدهم وغائبهم لكني أبدي لكما عذرا..

فقالا: ما كنا بالذي نكلف ذلك ولو كلفناك لما أجابك المسلمون.. فقال لهما: ما أصنع؟ قالا قد سمعنا ما عندك ثم نزلا من العلية وكان في أرض الدار خادمة لأمير المؤمنين سمعتهما يقولان: والله ما بايعنا بقلوبنا وإن كنا بايعنا بألسنتنا فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿إِنَّ الَّذِي يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ أَوْفَى فَمَنْ أَوْفَى عَظِيمًا﴾

فتركاه يومين آخرين وقد جاءهما الخبر بإظهار عائشة بمكة ما أظهرته من كراهة أمره وكراهة من قتل عثمان والدعوة إلى نصره والطلب بدمه وأن عمال عثمان قد هربوا من الأمصار إلى مكة بما سرقوه من

أموال المسلمين ولخوفهم من أمير المؤمنين ومن معه من المهاجرين والأنصار وأن مروان بن الحكم بن عم عثمان ويعلى بن منيه خليفته وعامله كان باليمن وعبد الله بن عامر بن كريز ابن عمه وعامله علي البصرة وقد اجتمعوا مع عائشة وهم يدبرون الأمر في الفتنة، فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وتيمما وقت خلوته فلما دخلا عليه قالا: يا أمير المؤمنين قد استأذناك للخروج في العمرة لأنا بعيذان العهد بها إئذن لنا فيها..

فقال: والله ما تريدان العمرة ولكنكما تريدان الغدرة، وإنما تريدان البصرة..

فقالا: اللهم غفرا ما نريد إلا العمرة.. فقال عليه السلام: احلفا لي بالله العظيم إنكما لا تفسدان علي أمر المسلمين ولا تنكثان لي بيعة ولا تسعيان في فتنة.. فبدلا ألسنتهما بالأيمان المؤكدة فيما استحلفهما عليه من ذلك فلما خرجا من عنده لقيهما ابن عباس فقال لهما: أذن لكما أمير المؤمنين؟ قالا نعم.

فدخل علي أمير المؤمنين فابتداه عليه السلام فقال: يا ابن عباس أعندك الخبر.. قال: قد رأيت طلحة والزبير..

فقال عليه السلام: إنهما استأذنانني في العمرة فأذنت لهما بعد أن استوثقت منهما بالأيمان أن لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فسادا - والله - يا ابن عباس وإني أعلم أنهما ما قصدا إلا الفتنة فكأنني بهما وقد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربي فإن يعلى بن منيه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك وسيفسدان هذان الرجلان علي أمري ويسفكان دماء شيعتي وأنصاري.

قال عبد الله بن عباس: إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوما فلم أذنت لهما وهلا حبستهما وأوثقتهما بالحديد وكفيت المسلمين شرهما.

فقال له عليه السلام: يا ابن عباس أتأمرني بالظلم أبداً وبالسيئة قبل الحسنة وأعاقب على الظنة والتهمة وأؤخذ بالفعل قبل كونه كلا والله لا عدلت عما أخذ الله علي من الحكم والعدل ولا ابتداء بالفصل. يا ابن عباس إنني أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما، ولكنني استظهرت بالله عليهما والله لأقتلنهما ولأخين ظنهما ولا يلقىان من الأمر مناهما وأن الله يأخذهما بظلمهما لي ونكثهما بيعتي وبغيهما علي..

وهذه الأخبار في مصنفات أصحاب السيرة ومن تأمل في ذلك علم أن القوم لم يكونوا فيما صنعوه على جميل طوية في الدين ولا للمسلمين، وإن الذي أظهره من الطلب بدم عثمان إنما كان تشبيهاً وتلبيساً، على العامة والمستضعفين ولولا ما جعلوه من شعارهم بدعوى الانتصار بعثمان، والتظاهر بتظليم قاتليه وخاذليه والندم على ما فرط منهم فيه لما اختلف اثنان من العلماء وأتباعهم في صواب رأي المسلمين مما كان في عثمان وأنهم إنما اجتمعوا على خلعه وقتله باستحقاقه ذلك بالأحداث التي أحدثها في الدين ولكنهم ضلوا بما أظهره وأفسدوا إفساداً عظيماً بما أظهره

وكل من ضل عن سبيل الحق إنما ضل بالتقليد، وحسن الظن بمن لا يحسب حسن الظن لله فيه واعتقاد فضل من قد خرج عنه بسوء الرأي، وطريق الإنصاف

٧ . براءة أمير المؤمنين من الدم :

فالذي تدل الدلائل عليه من رأي أمير المؤمنين عليه السلام فيما صنعه القوم بعثمان من الحصار ومطالبته بالخلع، ومنعه الطعام والشراب، لعدم الإجابة لهم على ما دعوه إليه من اعتزال الأمر ثم الهجوم عليه بالقتل وإلقائه على بعض المزابل لا يريدون الصلاة عليه ولا الدفن له ويمنعون المسلمين من ذلك على ما أجمعت عليه رواة الآثار والأخبار والمتفق على صحته العلماء بالسيرة من الآثار فقد كره (روحي له الفداء) لأعمالهم في ذلك واعتزل القوم لكي لا يشاركهم فيه..

غير أنه لم يواطئ على كراهة غيره له - على نيته فيه - ولا وافق سواء من مخالفه على طويتهم في معناه، وذلك أنه عليه السلام لم يشرع مع القوم في دعوة عثمان إلى الاعتزال، ولا رأى ما رأوه من حصاره وما وتلا ذلك من أفعالهم به من القتل والتنكيل..

لأنه عليه السلام علم عاقبة الأمر في ذلك وتحققها ولم يخف عليه ما يكون في مستقبل الأوقات في الفتنة بذلك، والاختلاف والحروب، وسفك الدماء من الفتن الذي حذر منها (روحي فداه) عثمان منها شخصياً، بقوله له: أعيذك بالله من أن تكون الإمام المقتول الذي يفتح على هذه الأمة القتل والقتال إلى يوم القيامة.. كما في بعض النصوص الواردة..

وهو يعلم علم اليقين أن مخالفه لتقديم العداوة له والبغضاء منهم له عليه السلام والشنآن والحسد والبغي عليه بالطغيان سيرمونه بقتل عثمان بن عفان، والسعي في دمه بهتاناً له في ذلك..

وهو عليه السلام يعلم تمام العلم أنه مظلوم بدفعه عن الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله وتقدم عليه من لا يستحق ذلك ومحاولاتهم التصغير من

شأنه والخط له عن قدره - والعياذ بالله - والإغراء فيه الجهال لجحد حقه وإنكار فضله وهذا تظلمه من القوم جميعا في مقام على التلويح والتصريح والتحقيق والتعريض.

كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللهم إني استعديك على قريش فإنهم ظلموني ومنعوني حقي وصغروا شأني ومنعوني حقي (أي إرثي في مقام مشهور).

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللهم اجز قريشا عني الجوازي فقد ظلموني ومنعوني حقي وصغروا شأني ومنعوني إرثي.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم أزل مظلوما منذ قبض رسول الله.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللهم اجز عمرا لقد ظلم الحجر والمدن.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلي أن الأمة ستغدر بك من بعدي.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: لما قبض الله نبيه لم يكن يرى أحدا بهذا الأمر منا أهل البيت حتى قوي عليه غيرنا فابتزنا حقنا منه.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: لما مضى نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقلدها أبو بكر والله ليعلم إني أولى بها منه كقميصي هذا وقبض قميصه بيده.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أما والله لقد تقمصها ابن قحافة وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن، حتى يلقي ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبا، حتى إذا حضر أجله جعلها في صاحبه عمر فيا عجبا بينا هو يستقلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته.

وفي كلامه المشهور حتى انتهى إلى الشورى فذكر عمر وقال: فجعلها شورى في ستة! زعم إني أحدهم فيا لله وللشورى متى اختلج الريب في مع الأولين حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر.

ثم انتهى في كلامه إلى بيعة عثمان فذكر عبد الرحمن في اختياره لعثمان عليه وقال: ونهض واحد لضغنه ومال الآخر لصهره (وكان عبد الرحمن صهرا لعثمان على أخته) في الكلام الثابت في الخطبة إلى آخرها..

وقوله عليه السلام: في أول خطبة خطبها بعد قتل عثمان وبيعة الناس له قد مضت أمور كنتم فيها غير محمودي الرأي أما لو أشاء لقلت ولكن عفا الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه وفرجه يا ويله لو قص جناحه وقع رأسه لكان خيرا له حتى انتهى إلى قوله: وقد أهلك الله فرعون وهامان وقارون. فيما يتصل بهذه الخطبة إلى آخرها.

وقوله عليه السلام: عند بيعة عبد الرحمن لعثمان يوم الشورى والله ما أملت إلا ما أمل صاحبك من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم.. وفي أمثال هذا الكلام كثيرا إن قصدنا إثباته لطلال بنا المقام.. ولكن في ثبوت النص على أمير المؤمنين بالإمامة في القرآن والأخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله أوضح دليل على أنه عليه السلام لم يكن راضيا بتقديم أحد عليه في مقام النبوة ولا مصوبا لهم في ادعاء الإمامة فكيف وقد تضافرت الأخبار في ذلك..

وسيكفي ثبوت البراءة من دم الخليفة المقتول ما ثبت عن جماعتهم في كراهة الإمام علي عليه السلام أمرهم وإنكاره عليهم وعدم مشاركتهم في شيء من كل ذلك بل بالعكس كان دفاعه عن الخليفة ما لا ينكره أحد من المخالف والموافق والتاريخ يشهد على كل ذلك..

الباب الثاني

حروب التأويل ومعاركه..

يا علي ستقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله
الرسول الأعظم (ص)

المعركة الأولى

حرب التاكثين في معركة الجمل

فَمَنْ تَكْتَفِ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَبُوتِيهِ أَجْرًا
عَظِيمًا {

قرآن كريم الفتح ١٠

الفصل الأول:

المقدمات والإرهاصات

للحرب أصولها وقوانينها الحاكمة،
والإسلام دين الله وشريعته في هذه الحياة
فلا بد من قوانين ناظمة لهذه الظاهرة
الكونية العالمية، وبما أن الدين الإسلامي
دين قيمي، وأساسه أخلاقي، وذلك لأن
الأخلاق بالنسبة للمعاملات كالأصول
بالنسبة للعبادات..

وعليه فما هي القواعد العامة والأخلاقيات الواجب اتباعها في
ساحات الحرب سنتطرق إليها بلمحة سريعة في بداية حروب التأويل
حتى لا نشنت الفكرة بذكرها في الأماكن المتفرقة التي ظهرت من أمير
المؤمنين عليه السلام أو من أعدائه في المعارك الثلاث..

١ . من أخلاق قائد جند الحق

جند الحق يقتدون برسول الحق تعالى ﷺ في كل ما أمرهم به في غزواتهم وسراياهم المظفرة التي كان يبعثهم بها إما فاتحا لحصون البغي والتآمر أو لردع الكفار أو لرد المشركين عن شعب وبلاد المسلمين المنيعة..

إذ أنه (لا تكمن البطولة بالقدرة على القتل، بمقدار ما تكمن في القدرة على التحكم بالنفس في أثناء القتال، (فليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)^(١) كما قرر رسولنا الأكرم ﷺ. ولا تكمن الرجولة في الثبات على الموقف في ميدان المعركة، بمقدار ما تكمن في الثبات على المبدأ في ساحة الصراع المسلح..

ولا تكون البسالة في حمل السلاح في وجه الأعداء بمقدار ما تكون في حمل قلب مفعم بالرحمة والعطاء سجية..

فأخلاقيات المجاهدين هي التي تميزهم عن غيرهم، وتجعل قدرتهم الأساسية في رسالتهم المباركة، لا في أسلحتهم الفتاكة..

وقوتهم في إنسانيتهم، لا في زنودهم..

وعظمتهم في قيمهم، لا في فترحاتهم..

فالذين يحملون رسالة الخير للناس، هم أقدر المقاتلين على احراز النصر، لأنهم أقدر الناس على كسب الناس إليهم..

نعم؛ إن جند الله تحارب بالأخلاق، وتنتصر بالفضائل، وتتخذ من القيم العليا وسائل للنصر.. بينما جند الشيطان فهي تقاتل بالسلاح

(١) تحف العقول: ص ٤٧.

وتنتصر بالمصالح وتتخذ من التفوق بالقوى وسائلًا للنصر..

ولقد شهد التاريخ: أن الأخلاق التي تمتع بها المسلمون كالعفة والإستقامة والطهر وتقوى الله، كانت من أقوى الأسلحة في كسبهم للمعارك التي دوّخوا بها العالم القديم كله..

فهذا منتغمري (قائد قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية) يقول:

(إن المسلمين كانوا يُستقبلون في كل مكان يصلون إليه كمحررين للشعوب من العبودية وذلك لما اتسموا به من تسامح وإنسانية وحضارة فزاد إيمان الشعوب بهم، علاوة على تميزهم في نفس الوقت بالصلابة والشجاعة في القتال، وقد ظلت جميع المناطق التي فتحها المسلمون في القرن السابع حتى يومنا هذا - ما عدا إسبانيا - تحتفظ بالإسلام، وكذلك بالعادات والتقاليد والتراث الإسلامي..)

والكونت (هنري كاستري) يقول:

(إن المسلمين امتازوا بالمسالمة وحرية الأفكار في المعاملات، ومحاسنة المخالفين، وهذا ما يحملنا على تصديق ما قاله (روبنون): إن أتباع محمد ﷺ هم وحدهم الذين جمعوا بين المُحاسنة ومحبة انتشار دينهم، وهذه المحبة هي التي دفعت المسلمين في طريق الفتح، فنشر

القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة، ولم
يتركوا أثرا للعسف في طريقهم إلا ما كان
لا بدّ منه في كل حرب وقتال..)

وأما (غوستاف لوبون) فهو يقول:

(إن القوة لم تكن عاملا في نشر
القرآن، وأن العرب تركوا المغلوبين أحرارا
في أديانهم، فإذا كان بعض النصارى قد
أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك
لما كان يتصف به المسلمون الغالبون،
من ضروب العدل الذي لم يكن للناس
بمثله عهد، ولما كان عليه الإسلام من
السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى،
وقد عاملوا كل قطر استولوا عليه بلطف
عظيم.. والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين
رحماء متسامحين مثل المسلمين).

إن مبادئ الإسلام وأخلاقه كانت من أقوى أسلحة المواجه بين
قوى الإسلام من جهة، وقوى الجاهلية من جهة أخرى.. وكثيرا ما كان
المسلمون يكسبون المعارك ويفتحون البلاد من دون أن يجردوا سيوفهم
أو يشهروا أسلحتهم بهذا السبب..

وإليك صورا ثلاث من إتجاهات وقادة مختلفين من أمبراطوريات
العالم القديم عندما ظهر الإسلام إلى الوجود وبزغ نوره وعمّ المشرق
والمغرب، نستشهد بها فقط وأما التعليق فسأتركه لجنابكم.

١.١. مع المقوقس ملك الأقباط..

يروى أن المقوقس بعث رسلاً إلى جيش المسلمين في مصر للإستطلاع، فبقوا يومين عندهم ثم عادوا، ولما عادوا..

سألهم: كيف رأيتم المسلمين؟

فقالوا: رأينا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة.. والتواضع أحب إليهم من الرفعة.. وليس لأحدهم في الدنيا رغبة، ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم..

لا يعرف رفيعهم من وضعهم، ولا سيدم من عبدهم.. وإذا حضرت عبادتهم الصلاة، لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم..

فقال المقوقس: والذي يحلف به؛ لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد..

٢.١. مع كسرى ملك الفرس..

كسرت الجيوش الإسلامية البسيطة العدد والعدة الجيوش الفارسية الجرارة، وهربوا إلى العمق الفارسي، فأرسل كسرى رسولا إلى أمبراطور الصين يستنجده على المسلمين، وأرسل مع رسوله الهدايا الثمينة كعربون محبة، ودعوة لإجابة الطلب..

فقال أمبراطور الصين لرسول كسرى: قد عرفت أن من حق الملوك مساعدتهم على من غلبهم، فصف لي هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإني أراك تذكر أنهم قلة وأنكم كثرة، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا ليخير عندهم، وشر

عندكم..

فقال رسول كسرى: سلني عمَّا أحببت..

قال: أيوفون بالعهد؟

قال: نعم..

فقال: وماذا يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟

قال: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث؛ إما قبول دينهم، فإن أجبناهم

أجرونا مجراهم؛ أو الجزية؛ أو المنابذة (أي القتال) ..

فقال: فكيف طاعتهم لأمرائهم؟

قال: هم أطوع قوم لمرشدهم..

فقال: فما يحللون، وماذا يحرمون؟

فأخبره رسول كسرى بما يعرف من ذلك..

فقال: أيحرمون ما حُلل لهم، أو يُحلون ما حُرم عليهم؟

قال: لا..

فقال: هؤلاء قوم لا يهلكون أبدا حتى يُحرموا حلالهم، ويحللوا

حرامهم.. وأخذ الدواة وكتب إلى كسرى ملك الفرس يقول: إنه لم

يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو، وآخره بالصين، الجهالة بما

يحق عليّ..

ولكن هؤلاء القوم (المسلمون) الذين وصف لي رسولك صفتهم

لو يحاولون الجبال لهذوها، ولو خلّي سربهم أزالوني ما داموا على ما

وصف.. فسالمهم وأرض منهم بالمساكنة، ولا تهجهم ما لم يهيجوك.

٣٠١. مع هرقل ملك الروم..

وهذا هرقل ملك الروم الذي يصفونه بالعظيم، حين كان في انطاكية وهزم جيشه هزيمة نكراء فسألهم: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرا أمثالكم؟

فقالوا: بلى..

فقال: أنتم أكثر أم هم؟

قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن..

فقال: فما بالكم تنهزمون؟

قال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم.. ومن أجل أننا نشرب الخمر، ونزني ونرتكب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط، ونهني عما يرضي الله ونفسد في الأرض..

فقال هرقل عندها: صدقت..^(١)

بهذه الكيفية كان المسلمون الأوائل الذين نشروا راية الإسلام على جل ربوع العالم القديم، وأما الدول التي لم يصلوها لأنهم لم يعرفوها فإن الإسلام العظيم فتحها بأخلاقه وآدابه، وتعاليمه النورانية السهلة السمحة، حتى غدت دولة واحدة ذات تجمع إسلامي ضخم يفوق بعدد سكانه الدول العربية مجتمعة، ونسبة المسلمين فيها تقترب من الكاملة (مئة بالمئة)، فما هي النسبة عندنا؟

(١) (الصراع ومتطلبات الحياة السيد هادي المدرسي : ١٥٦)

٢ . توجيهات قائد إلهي (يوحي إليه)

رسول الله ﷺ كان أعظم من أنجبته الحياة قديمها وحديثها من آدم الأول وحتى آخر ولد له في هذه الدنيا، قائد رباني يوحي إليه من رب العباد بما يلزم لصالح العباد، أسس دولة الحق والصدق التي قامت على تعاليم القرآن الكريم، وتوجيهات الرسول العظيم ﷺ وخاضت جيوشه أكثر من ثمانين (غزوة أو سرية) لتثبيت دعائم الدين الحنيف ويرد الإعتداءات عنه.. وهذا الرسول القائد يخطب في أول غزوة أسست للدولة الإسلامية (بدر الكبرى) ويوجّه جيشه الصغير الحجم، الكبير الأجر، فلما أصبحوا عدلّ رسول الله ﷺ الصفوف وخطب المسلمين فحمد الله وأثنى عليه^(١)، ثم قال: أما بعد فإنني أحثكم على ما حثكم الله عليه، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه فإن الله عظيم شأنه، يأمر بالحق، ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله على منازلهم عنده به يذكرون، وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه، وإن الصبر في مواطن البأس (الحرب) مما يفرّج الله به الهمّ، وينجّي به من الغمّ.. وتدركون به النجاة في الآخرة..

فيكم نبي الله (كقائد حكيم) يحذركم، ويأمركم؛ فاستحيوا اليوم أن يطّلع الله على شيء، من أمركم يمقتكم عليه (كالفرار من الزحف) فإنه تعالى يقول: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (سورة المؤمن: الآية ١١).

انظروا في الذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته، وما أعزكم به بعد الذلة فاستكينوا له يرضى بكم عنكم، وأبلوا بكم في هذه المواطن أمرا تستوجبوا به الذي وعدكم من رحمته ومغفرته فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه ألبأنا ظهورنا،

(١) البحار: ٢٢٣/١٩.

وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا، وإليه المصير، ويغفر الله لي وللمسلمين^(١).

كان ذلك أول لقاء بين الحق والباطل بساحات الجهاد بالسيف فصدق المسلمون وصبروا فأنزل الله النصر المؤزر كبت العدو المشرك وقتل منهم مقتلة عظيمة أكثر من سبعين من رؤوسهم وصناديدهم..

وهكذا كان حال الرسول القائد في كل حروبه ومناوشاته مثالا للمناقبية والأخلاق، وجنوده مثالا للإقتداء والإنضباط، وفي الرواية عن مسعدة بن صدقة عن الإمام السادس من أئمة المسلمين المولى أبو عبد الله الصادق عليه السلام قال: ان النبي ﷺ كان إذا أراد أن يبعث أميرا على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصّة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول:

اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله؛ قاتلوا من كفر بالله؛ ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً لأنكم لا تدرّون لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعفروا من البهائم ما يؤكل لحمه إلا ما لا بد لكم من أكله..

وإذا لقيتم عدواً من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث فإن هم أجابوكم إليها فاقبل منهم وكف عنهم:

ادعوهم إلى الإسلام وكف عنهم، وادعوهم إلى الهجرة بعد الإسلام فإن فعلوا فاقبل منهم وكف عنهم، وإن أبوا أن يهاجروا واختاروا ديارهم وأبوا أن يدخلوا في دار الهجرة كانوا بمنزلة اعراب المؤمنين يجري عليهم ما يجري على اعراب المؤمنين ولا تجري لهم في الفبيء من القسمة شيئاً إلا ان يجاهدوا في سبيل الله..

(١) الميزان للطباطبائي ج ٩ ص ٢٩

فان أبوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فان أعطوا الجزية فاقبل منهم وكف عنهم..

وان أبوا فاستعن بالله عليهم وجاهدهم في الله حق جهاده..

فإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن ينزلوا على حكم الله فلا تنزلهم، ولكن أنزلهم على حكمي ثم اقض فيهم بعد بما شئتم، فانكم ان أنزلتموه لم تدرؤا هل تصيبون حكم الله فيهم أم لا، فإذا حاصرتم أهل حصن فأرادوك على أن تنزلهم على ذمة الله وذمة رسوله فلا تنزلهم ولكن أنزلهم على ذمكم وذم آبائكم وإخوانكم، فانكم إن تخفروا ذمكم وذم آبائكم وإخوانكم كان أيسر عليكم يوم القيامة من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسول الله ﷺ.. (١)

الله، الله ما هذه الدقة وهذه الثقة بالله تعالى؟ الله أكبر ما هذه الأخلاق الرفيعة، التي تنبئ عنها هذه الوصايا النورانية، وإليك ماهو أجمل وأكمل من أكمل مخلوق خلق، رسول الله ﷺ..

في دعائم الإسلام: روينا عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام: (أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشا أو سرية، أوصى صاحبها بتقوى الله في خاصة نفسه، ومن معه من المسلمين خيرا، وقال: اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله ﷺ ولا تقاتلوا القوم حتى تحتجوا عليهم، بأن تدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، فإن أجابوكم فأخوانكم في الدين، فادعوهم حيثنذ إلى النقلة من ديارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا وإلا فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين، وليس لهم في الفياء ولا في الغنيمة نصيب، فإن أبوا عن الإسلام فادعوهم إلى

(١) (وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤٢)

إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أجابوكم إلى ذلك فأقبلوا منهم، وإن أبوا فاستعينوا بالله عليهم وقاتلوهم^(١)

وبرواية أخرى عن الوشاء عن محمد بن حمران وجميل بن دراج كليهما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية دعا أميرها فاجلسه إلى جنبه (أي يقف الأمير إلى جانب رسول الله ﷺ والجنود أمامهما) وأجلس أصحابه بين يديه، ثم قال: سيروا بسم الله، وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله (ص)، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقطعوا شجرة إلا أن تضطروا إليها، ولا تقتلوا شيخا، ولا صبيا، ولا امرأة، فأيا ما رجل من أدنى المسلمين، وأفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار له حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في دينكم وإن أبى فاستعينوا بالله عليه وأبلغوه مأمنه..^(٢)

رسول الله ﷺ المسدد والمؤيد من الله تعالى كان يؤمر أميراً ويبعث عليه عينا يتسقط أخباره وبالرواية عن الريان بن الصلت قال سمعت ثامن الأئمة الكرام الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، يقول: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً فاتهم أميراً بعث معه من ثقاته من يتجسس له خبره^(٣).

وهذا إجراء احترازي من قائد عظيم ليس للتجسس على الأمير بل من أجل ضمان تنفيذ الأوامر الرسولية والشرع الرباني لسلامة المسيرة وحسنها فكان عندما يتجاوز القائد بعض حدود الله يتبرء منه رسول الله ﷺ ومن عمله كما حدث أكثر من مرة مع خالد بن الوليد الذي قال

(١) مستدرک الوسائل للطبرسي ج ١١ ص ٣١

(٢) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤٢

(٣) قرب الإسناد: ١٩٨.

عنه رسول الله ﷺ: اللهم إني أبرء إليك مما صنع خالد.. يكررها ثلاثاً^(١)..
ويبعث أمير المؤمنين عليه السلام ليرد المظالم ويبرء ذمة رسول الله ﷺ من
القوم المعتدى عليهم..

٣ . توجيهات قائد رباني وملهم

تلك هي تعاليم الإسلام الحنيف وقائده الرسول الذي يوحى إليه من
الله، وهي ذاتها تعاليم تلميذه النجيب، وأخيه الحبيب، وصهره، وابن
عمه ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام فالشجرة واحدة والنور ذاته مقسوما
بينهما، (فأنا من أحمد كالضوء من الضوء) تربي على صدره الشريف،
ونما تحت رعايته المباركة، وأخذ منه كل الفضائل والقيم والأخلاق في
السلم وفي الحرب، فكان مثال الفارس النبيل كل النبل الذي لا ولن
يتنازل عن مبادئه تحت أي ظرف من الظروف ومما حفظت عنه كتب
التاريخ بعض الوصايا لجنوده نستشهد بكلمات هنا للإشارة فقط لأنها
ستأتي مفصلة بإذن الله..

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن رسو الله ﷺ قال: فيما عهد
إليه وإياك والتسرع إلى سفك الدماء لغير حلها، فإنه ليس شيء أعظم من ذلك
تبعه..^(٢)

جاء عن عقيل الخزاعي ان أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا حضر
الحرب يوصي المسلمين بكلمات: يقول: تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها،
واستكثروا منها، وتقربوا بها فإنها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، وقد علم

(١) المحلى لابن حزم: ٣٦٨/١٠، ورواه البخاري وأحمد بن حنبل.

(٢) مستدرک الوسائل: ١٢١/١١.

الكفار حين سئلوا ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (سورة المدثر: الآية ٤٣) وقد عرفها حقها من طرفها وأكرم بها للمؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع، ولا قرة عين من مال ولا ولد..

وكان رسول الله ﷺ منصبا لنفسه بعد البشرى له بالجنة من ربه فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (سورة طه: الآية ١٣٢) فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه.. إلى ان قال ﷺ: ثم ان الرعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد والمتوازرين على الضلال ضلال في الدين، وسلب للدنيا مع الذل والصغار، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَتْهُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ (سورة الأنفال: الآية ١٥).^(١)

نعم؛ إنها الصلاة عمود الدين والصلة للعبد مع رب العالمين فيجب الإكثار منها لتكون غذاء روحيا ومددا نورانيا من رب العباد للمقاتل في أرض القتال فلا يفشل العبد، بل يقدم وهو على طهارة ونقاء جسدي وروحي ويكون موطنا نفسه على لقاء الله تعالى بل يكون محبا وعاشقا لذلك اللقاء..

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهل هناك فحشاء ومنكر أكبر من الفرار من الزحف؟ وهي بنفس الوقت تنهى عن البغي حتى لا يبغي الإنسان المؤمن إذا انتصر في القتال فتكون الصلاة عاملا إيجابيا رائعا لضبط النفس، والصمود في القتال، ولكبح جماح النفس عن الطغيان وتعدّي الحدود المرسومة من الشارع الأقدس..

وهذه وصايا أخرى لأمير المؤمنين ﷺ قائد جيوش الحق عند لقاء

(١) تفسير نور الثقلين للحويزي ج ٢ ص ١٣٨

جيوش النكث في معركة الجمل، فكان مما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إنهدوا إليهم وكونوا أشداء عليهم، وقد وطنتم أنفسكم على الطعن والضرب ومبارزة الأقران، وأي امرئ منكم أحسن من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد إخوانه فشلا، فليذب عن أخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه.. ولا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجة وكفكم عنهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى، فإذا قاتلوكم فلا تجهزوا على جريح، وإذا هزمتوهم فلا تتبعوا مدبرا ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم، فلا تهتكوا سترا، ولا تدخلوا دارا، ولا تأخذوا من أموالهم شيئا، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف العقول والأنفس. لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والعصا والجريدة فيعير بها هو وعقبه من بعده^(١).

والقائد يحتمل كل الإحتمالات في المعركة ويجب أن يكون مراقبا دقيقا جدا للمعركة فأية نقطة ضعف يجب أن يتلافها بل ويقويها في ذات الوقت، وعندما يلاحظ ضعفا يقويه بنفسه أو بإمداد من احتياطه حتى لا يكون هناك خرقا أو فتقا في صفوف الجيش..

وما أجمل هذه الكلمات التي كان يوجهها لجنوده إذا أحسن منهم تضعضا وتراجعا فيقويهم ويشجعهم بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لهم: (لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة (فبعد الفرار يجب أن يعود المقاتل ليكر على العدو)، ولا جولة بعدها حملة، وأعطوا السيوف حقوقها.

ووطئوا للجنوب مصارعها واذمروا أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي (أشد الضرب). وأميتوا الأصوات فإنه أطرده للفشل.

(١) أعيان الشيعة السيد الأمين: ٤٥٦/١.

فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرؤا الكفر، فلما وجدوا أعوانا عليه أظهروه..^(١)

عن مفضل بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام، وعن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم عن حريز عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: إذا لقيتم عدوكم في الحرب فأقلوا الكلام واذكروا الله بِزُكْرَانِ ولا تولوهم الأدبار فتسخطوا الله تبارك وتعالى وتستوجبوا غضبه، وإذا رأيتهم من إخوانكم المجروح ومن قد نكل به أو من قد طمع عدوكم فيه، فقوه بأنفسكم^(٢)..

فمن أخلاقيات القائد الرباني الفذ نذكر عدد من الصفات منها:

١. الإعذار والإنذار بقيام الحجة على الخصم قبل المعركة..
٢. الدعوة إلى التناصف وإحقاق الحق لدرء الحرب..
٣. لا يبدأ بالقتال، ولا يبيت عدو (أي لا يهجم عليهم ليلاً) ورسول الله ﷺ ما بيت عدوا قط ليلاً.. بل والمشهور أن حروب أمير المؤمنين عليه السلام إن استطاع فإنه لا يبدأها إلا بعد الزوال وصلاة الظهرين، ومولانا الإمام الصادق (عليه السلام) يقول في ذلك: كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يقاتل حتى تزول الشمس، ويقول: تفتح أبواب السماء، وتقبل الرحمة، وينزل النصر، ويقول: هو أقرب إلى الليل وأجدر أن يقل القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم..^(٣)
٤. لا تقتل إلا المقاتلة، ولا يجوز قتل النساء ولو أسان، ولا الأطفال، ولا الشيوخ والمرضى والمقعدين، وتسقط عنهم حتى الجزية، (لا

(١) نهج البلاغة

(٢) الكافي: ٤٢/٥، تحف العقول: ص ١٠٧.

(٣) (وسائل الشيعة: ٦٣/١٥)

تقتلوا في الحرب إلا من جرت عليه المواسي) كما أمر رسول الله ﷺ..^(١)

٥. لا يجوز الفساد في البلاد كقطع الأشجار المثمرة، وقتل الحيوانات الأهلية إلا للضرورة التي تقدر بقدرها.. (ولا تقطعوا شجرا إلا أن تضطروا إليها).^(٢)

٦. لا يمنع الماء عن العدو، ولا يجوز القاء السم في مياهه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: نهى رسول الله ﷺ أن يلقي السم في بلاد المشركين)^(٣)

٧. لا يمثل بالقتلى، وبوصيته لولديه البارين عليه السلام يقول: إني سمعت جدكما رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور..^(٤)

٨. يتعامل مع الأسرى بمنتهى الإنسانية، وأمير المؤمنين عليه السلام كان يطلق أسرى المسلمين دون فداء وربما دون بيعة..

٩. لا يدفع صلحا إن كان فيه حقنا للدماء، ولكن ليس فيه معصية لله تعالى لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك والله فيه رضا، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمنا لبلادك؛ ولكن الحذر الحذر من عدوك بعد صلحه..) ففي الصلح العادل الكثير من المصلحة.^(٥)

وتبقى ملاحظة واحدة هنا هي: جواز الخديعة في الحرب، ورسول الله ﷺ قال لأحدهم يوم الخندق: خزل عنا ما استطعت إن الحرب

(١) (مستدرك الوسائل: ٤٣/١١)

(٢) (الوسائل: ٥٨/١٥)

(٣) (الوسائل: ٦٢/١٥)

(٤) (شرح نهج البلاغة للبحراني: ١٢٠/٥)

(٥) (عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر)

خدعة^(١)، ويروي عدي بن حاتم أن أمير المؤمنين عليه السلام قال رافعا صوته بحيث يسمعه أصحابه: والله لأقتلن معاوية وأصحابه، ثم قال في آخر قوله: إن شاء الله؛ وخفّض صوته..

وكنت قريبا منه، فقلت: يا أمير المؤمنين إنك حلفت على ما قلت، ثم استثنيت، فما أردت بذلك؟ فقال عليه السلام: إن الحرب خدعة، وأنا عند المؤمنين غير مكذوب، فأردت أن أحرّض أصحابي عليهم كي لا يفشلوا ولكي يطمعوا فيهم، فافهم فإنك تنتفع بها بعد اليوم إن شاء الله..^(٢)

هذه أخلاقيات القائد الإلهي المحق، فهو رجل دين وعقيدة وله رسالة قبل أن يكون هدفه النصر على العدو، أو استلام السلطة في البلاد، فما أزهّد إمام الدين بالسلطة الدنيوية، ألم تسمع عنه عليه السلام ما سمعته الدنيا بأسرها تقريبا، بأن نعله البالي هو: خير من أمرتكم إلا أن أقيم حقا، أو أدفع باطلا^(٣).. أو هي أزهّد عندي من عفة عنز^(٤)..

فالقائد الرباني هو الذي يترك حقه بالسلطة من أجل سلطة الحق، فالسلطة لم ولن تكون هدفا للقائد الرباني في يوم من الأيام، بل هي وسيلة إحقاق الحق أو إزهاق الباطل، وإقامة العدل وإماتة الظلم، ولنشر العلم وكبح الجهل، وإحياء الشريعة وقتل البدعة المضلة..

ولهذا فإن أمير المؤمنين عليه السلام قبل بالسلطة ليقهر السلطة ويطيعها للحق، ولقهر الإنسان المتسلط بالسلطة ويأخذ منه الحق، (فما تقدست

(١) راجع ميزان الحكمة: ٥٦٦/١٠.

(٢) (الوسائل: ١٥٠/١٣٣)، الكافي: ٤٦٠/٧.

(٣) نهج البلاغة: خ ٣٣.

(٤) نهج البلاغة: خ ٣ الشقشقية.

أمة لا يؤخذ الحق من قوبها لضعيفها غير متمتع^(١)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام للأشتر حين ولاه مصر: واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: لن تقدر أمة لا يؤخذ لضعيف فيها حقه من القوي غير متمتع، ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق والأنفة بيسط الله عليك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته.^(٢)

(فكان الإمام علي عليه السلام في السلطة لقهرها، ويجعلها طيعة في يده ليحمل عليها وبها حقوق الناس، وأمنهم، وخيرهم، (سيما الفقراء والبسطاء وعموم الأمة) ..

وكان لا بد للقائد ولكي يتخلص من ضغط السلطة، وظلمها، وقهرها، وسوء إدارتها، أن يكون العين الكبيرة التي ترى كل شيء، والأذن المرهفة التي تسمع شكاوي الجميع، والعقل الكبير الذي يوفر الحلول لأصعب المعضلات في الأمة، ويكون النفس الكبيرة التي تحنو وتعطف على الجميع كأبناء وليس كعبيد وإماء، ليجد الناس تحت جناحيها الأمن والأمان، والدعة والإطمئنان.. ألم يخاطب ويعاتب الصحابي الجليل عثمان بن حنيف الأنصاري لتلبيته دعوة على الطعام عند الأغنياء ومما كتب له بهذا الشأن:

(ولو شئت لا هتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح

(١) (الحديث مروى عن رسول الله، وأمير المؤمنين، والإمام الصادق: جامع السعادات ج

٢ - محمد مهدي النراقي ص ١٨١)

(٢) شرح إحقاق الحق ج ٨ - السيد المرعشي ص ٥٤٧

ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطمعة. ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة

وحولك أكباد تحن إلى القد

أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش..^(١)

وكذلك كان لا بد أن يكون العاملون في السلطة من الولاة والقادة بالمستوى العالي من العدل الذي يجسد إرادة الحق ويستبعد أيما شيء غير الحق كالقائد الأعلى لهم (عليهم السلام) فلقد كانت السلطة سلطة حق، وكان الإمام علي عليه السلام مصراً على الحق، ومعتذراً من السلطة إذا لم تحقق الحق وتنشر العدل في كل الأرجاء من دولته..

لذلك كان قائد السلطة الذي ينفذ رداءها عن نفسه يومياً، وفي كل حين، خلافاً لما يفعله مؤلَّهُو السلطة وعبادها، الذين تصبح - في نظرهم القاصر - عروشاً، وكروشاً، وتيجاناً، وصولجاناً، وقصوراً وأملاكاً، وأجهزة قمع ومخابرات، ومراكز اعتقال ومعسكرات، نابذة العدل، وناكرة الإنسانية، لاهية عن واجبها تجاه الأمة وطالبة من الأمة كل واجبات الاحترام والتقدير وربما التعظيم والتقدیس..

نعم؛ إن سر قوة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كامنة في رفضه لكل إغراءات الحكم والسلطة.. لأنه كان لا يرى بها إلا أداة ووسيلة لتحقيق هدف هو أفضل وأشرف من كل سلطات الدنيا، إنه الحق

(١) (النهج: ٢٨٤)

العام، والعدل المشترك، وتحقيق العدالة الإجتماعية في الأمة.. وها هو يقول عليه السلام: أن الله جعلني إماماً لخلقته، ففرض عليّ التقدير في نفسي، ومطعمي، ومشربي، وملبسي، كضعفاء الناس؛ كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يطغى الغني غناه.^(١)

والوسيلة قد تتغير، أو تزول، لكن الحق راسخ لا يحول ولا يزول، ولذلك كانت السلطة مسؤولية كبرى، وهي تكليف وليس تشریف لحاملها، من أجل الإصلاح، ومنع الظلم والإعتداء، وإقامة الحدود على الجناة، وحماية حدود البلاد، فتأمن الأمة وتبني الحضارة..

وهذا ما قاله عليه السلام: اللهم؛ إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلوم من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك..^(٢)

فالحاكم ليس ملك اجتهاده الشخصي، ومشياته ومزاجه النفسي؛ بأن يكون عادلاً أو لا يكون، لأن الأمر ليس أمر خصوصية أو شخصية بل هو أمر عام تناط وتعلق به مصائر الناس، ومصالح المجتمع، ومستقبل الأجيال..^(٣)

فصاحب السلطة المطلقة هو الحق تعالى، ولا يفوض سلطته إلا لمن عصمه من الخطأ وسدده في الأحكام.. ولهذا فإن رفض سلطة الباطل عبادة، والقيام بسلطة الحق عبادة أعظم، ولكن من يستطيع أن يقاوم بريق السلطة، أو يذوق مرارة الحق في هذه الحياة ويصبر عليها بمحض

(١). (أصول الكافي: ج ١/٤١٠)

(٢) (شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٢٦٣/٨)

(٣) (علي عليه السلام سُلطة الحق: عزيز السيد جاسم: ٣٧٨ بتصرف)

إرادته؟ تلك هي المسألة، بل أم المسائل والمشاكل..

وكم حذر الأمة من أولئك الوصوليين، والطحالب الفاسدة والمفسدة الذين يتربون على مصّ دماء الضعفاء، والفقراء لتتورم كروشهم وترتفع عروشهم ك معاوية الشيطان الرجيم، وأمثاله من السلاطين (ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم، الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه، فإنهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاز (أي تفاخر) الجاهلية..^(١))

والقاعدة العامة والحاكمة أعطنا إياها بقوله ﷺ: لا تسخط الله برضا أحد من خلقه، فإن في الله خلفا من غيره، وليس من الله خلف في غيره^(٢)

لأنه: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق..^(٣)

هذه خلاصة منهج أمير المؤمنين ﷺ ورؤيته بالسلطة: فلا سلطة على الخلق بدون رضا وإذن من الخالق، ولا يرضا الخالق إلا بمر الحق، وعموم العدل، وشمول الرسالة الخاتمة..

٤. لفظة فقهية لأخلاقيات الحرب

وهكذا فقد أفتى الفقهاء بما يؤكد ذلك في فقه الحرب فقد جاء في تذكرة الفقهاء، ما يلي: (إذا بعث الامام سرية استحب له ان يؤمر عليهم أميراً ثقة جلدا يأمرهم بطاعته ويوصيه بهم وان يأخذ البيعة على الجند

(١) (النهج: نخ ١٩٠)

(٢). (النهج: نخ ٢٦٦)

(٣) (النهج: ح ١٦٥)

حتى لا يفروا وان يبعث الطلائع ويتجسس اخبار الكفار ويكون الأمير له شفقة ونظر على المسلمين ولو كان القائد معروفا بشرب الخمر أو غيره من المعاصي لم ينفروا معه ولو كان شجاعا ذا رأي جاز النفور معه.. (استفادة من الرواية) وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر^(١)..

لا يجوز للامام ولا للأمير من قبله ان يخرج معه من يخذل الناس ويشبطهم عن الغزو ويوهنهم عن الخروج كمن يقول الحر شديد أو البرد والمشقة عظيمة والمسافة بعيدة والكفار كثيرون والمسلمون أقل ولا يؤمن هزيمتهم ولا المرجف وهو الذي يقول هلكت سرية المسلمين ولا طاقة لكم بهم ولهم قوة وشوكة ومدد وصبر ولا يثبت لهم مقاتل ونحوه ولا من يُعَيَّن بالتجسس للكفار ومكاتبتهم باخبار المسلمين واطلاعهم على عوراتهم وإيواء جاسوسهم ولا من يوقع العداوة بين المسلمين ويمشي بينهم بالنميمة ويسعى بالفساد لقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا فِيكُمْ بَدِينًا﴾ (التوبة: الآية ٤٧).

فان خرج واحد منهم لم يسهم له ولا يرضح ولو قتل كافرا لم يستحق سلبه وان أظهر إعانة المسلمين لانه نفاق ولو كان الأمير أحد هؤلاء لم يخرج الناس معه لان المتبوع يمنع منه فالتابع أولى لانه أكثر ضرراً.

وإذا خرج الامام بالنفير عقد الروايات فجعل كل فريق تحت راية وجعل لكل من تابعة شعارا يتميز به عندهم حتى لا يقتل بعضهم بعضا بياتا ويدخل دار الحرب بجماعته لانه أحوط وأهيب وان ينتظر الضعفاء.

(١) تذاكر الفقهاء، العلامة الحلي: ٤٩/٩ عن البخاري ومسلم.

فيسير على مسيرهم الا مع الحاجة إلى قوة السير ويدعو عند التقاء الصفيين ويكبر من غير إسراف من رفع الصوت وان يحرض الناس على القتال وعلى الصبر والثبات ولو تجدد عذر أحد معه فان كان لمرض ففي نفسه كان له الانصراف وان كان بعد التقاء الصفيين لعدم تمكنه من القتال وان كان لغير مرض كرجوع صاحب الدين أو أحد الأبوين فان كان بعد التقاء الصفيين لم يجز الانصراف وان كان قبله جاز ولا ينبغي له ان يقتل أباه الكافر بل يتوقاه لقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (لقمان: ١٥).

الا ان يسبَّ النبي ﷺ فان أحد الصحابه قتل أباه حين سبَّ رسول الله ﷺ فلما قال له النبي (ص): لم قتلته؟

قال: سمعته يسبُّك.. فسكت عنه.. و(يجب) لا يميل الأمير مع موافقه في المذهب والنسب على مخالفه فيهما لئلا يكسر قلوب غيرهم فيخذلونه عند الحاجة وينبغي ان يستشير بأصحاب الرأي من أصحابه للآية: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ويتخير لأصحابه المنازل الجيدة وموارد المياه ومواضع العشب ويحمل من نفقت دابته إذا كان فضل معه أو مع اتباعه ولو خاف رجل تلف اخر لموت دابته احتمل وجوب بذل فاضل مركوبه ليحیی به صاحبه كما يجب بذل فاضل الطعام للمضطر وتخليصه من عدوه وتجاوز العقبة بأن يكون الفرس الواحد لاثنين لما فيه من الإرفاق.^(١)

وفي تحرير الاحكام، قوله: (ينبغي للامام ان يتقدم إلى من يأمره على الجيش بتقوى الله والرفق للمسلمين وان لا يحملهم على مهلكة ولا يكلفهم ثقب حصن يخاف من سقوطه عليهم ولا دخول مطمورة يخشى

(١) (تذكرة الفقهاء ج ١ ص ٤١٠)

من قبلهم تحتها فان فعل شيئاً من ذلك فقد أساء ويستغفر الله تعالى ولا يجب عليه عقل ولادية..وزاد في منتهى المطلب، يقول: ولا كفارة إذا أصيب أحد منهم بطاعته لانه فعله باختياره ومعرفته فلا يكون ضامناً^(١)

٥. من تعاليم القتال والتدريب العسكري

قالوا: أن التدريب الجيد أحد أهم مفاتيح النصر في أية معركة.. وكل نقطة عرق تذرف بالتدريب فإنها ستوفر نقطة دم من أن تنزف في المعركة؛ فعرق التدريب يساوي دماء القتال بدون جدال..

ويعتبر التدريب والتأهيل العسكري أساس الجاهزية القتالية، وكم كان اهتمام الرسول الأعظم ﷺ بالتدريب القتالي للمسلمين الأوائل وكم كان ﷺ يحضهم على ركوب الخيل، وضرب السيف، ورمي النبال والروايات كثيرة في هذا الباب..

فالله سبحانه أمر الأمة بالإعداد الجيد بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠) فكان ﷺ يقول: ألا إن القوة الرمي، يكررها ثلاثاً..

وقالوا: أمرنا رسول الله ﷺ أن نعلم أولادنا القرآن والرمي..

وكان منهم قوما يتدربون فليل: يا رسول الله ﷺ قد حضرت الصلاة.. فقال ﷺ: هم في الصلاة..^(٢)

فإعداد الجيد يحتاج إلى تدريب مضني، ويروى أن رسول الله ﷺ

(١) (منتهى المطلب ج ٢ ص ٣٥٣، تحرير الاحكام ج ١ ص ١٣٥)

(٢) (الرسول العربي، العماد طلاس: ٣١٣)

مرّ ذات يوم بحقل للتدريب القتالي فنزع نعليه ومشى - روعي له الفداء - حافيا، ثم قال: روضة من رياض الجنة.. فشبهه التدريب بالصلاة، وساحاته برياض الجنة..^(١)

وأمر المؤمنين عليهم السلام خير من ضرب بسيف بعد قائده وسيده رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو خير من يُعطي تعليمات وتوجيهات للقتال وكثيرة ورائعة كلماته فإنها تبعث على الحماس وتشعل بالإنسان شمعات الشجاعة، وتثير به آيات الشهامة والرجولة والبطولة..

ومن تلك التعليمات القتالية ما رواه محمد بن الحسين الشريف الرضي في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له في حضّ أصحابه على القتال:

معاشر المسلمين ان الله قد دلکم على تجارة تنجيکم من عذاب أليم، وتشفی بکم على الخير العظيم: الايمان بالله وبرسوله، والجهاد في سبيله، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبة في جنات عدن، ثم أخبرکم انه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص، فقدموا الدّارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس، فإنه أنبا للسيوف على الهام، والتوا في أطراف الرماح فإنه أمور للأسنة وعضوا الابصار، فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب، وأمیتوا الأصوات فإنه أطرده للفشل وأولى بالوقار، ورايتکم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها إلا في أيدي شجعانکم، فان المانعین للذمار والصابرين على نزول الحقايق أهل الحفاظ الذين يحفون برباباتهم ويكتنفونها، رحم الله امرء منکم آسا أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه، فيكتسب بذلك لائمة ويأتي به دنائة ولا تعرضوا لمقت الله ولا تفروا من الموت، فان الله سبحانه تعالى يقول: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ

(١) (الرسول العربي، العماد طلاس: ٣١٢)

مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ (سورة الأحزاب: الآية ١٦)

وأيم الله لئن فررتن من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة، فاستعينوا بالصبر والصلاة والصدق في النية، فإن الله تعالى بعد الصبر ينزل النصر، فجاهدوا في الله حق جهاده ولا قوة إلا بالله^(١).

ومن كلام له عليه السلام وقد مرَّ برأية لأهل الشام لا يزول أصحابها عن مواقفهم صبوا على قتال المؤمنين، فقال لأصحابه: ان هؤلاء لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسم، وضرب يفلق الهام ويطيح العظام، وتسقط منه المعاصم والأكف، وحتى تُصدع جباههم بعمد الحديد وتنتثر حواجبهم على الصدور والأذقان، أين أهل النصر؟ أين طلاب الأجر؟ فثار إليهم حينئذ عصابة من المسلمين فكشفوهم^(٢).

وبتوجيه قيادي آخر من القائد الأقدم لجيش الحق أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين، حيث قال في تحضيضه الجند على القتال بعد حمد الله والثناء عليه: عباد الله اتقوا الله، وغضوا الأبصار، وخفضوا الأصوات، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على المنازلة، والمجادلة، والمبارزة، والمبالطة، والمجالدة، والمعانقة، والمكادمة، واثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: الآية ٤٦).

اللهم ألهمهم الصبر وانزل عليهم النصر وأعظم لهم الأجر^(٣).

(١) الوسائل: ٧١/١١.

(٢) الارشاد للمفيد ج ١ ص ٢٦٠

(٣) الارشاد للمفيد ج ١ ص ٢٦٠

ومن كلام آخر له عليه السلام أيضا في هذا المعنى: إن هؤلاء القوم لم يكونوا لينبيوا إلى الحق ولا ليجيبوا إلى كلمة السوء حتى يُرموا بالمناسر تتبعها العساكر، وحتى يُرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يُجرَّ بيلدهم الخميس يتلوه الخميس، وحتى تُدعق الخيول في نواحي أرضهم، وبأعنان مساربهم ومسارحهم، وحتى تُشن الغارات في كل فج، وتخفق عليهم الرايات، ويلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلا جدأ في طاعة الله وحرصاً على لقاء الله.

والله لقد كنا مع النبي ﷺ نُقتل آباؤنا، وأبناؤنا وإخواننا، وأعمامنا لا يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على مضض الألم وجرأة على جهاد العدو، واستقلالاً بمبارزة الأقران، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، ويتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنية، فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا، فلما رأنا الله صبوا وصدقا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر، ولعمري لو كنا نأتي مثل الذي أتيتم ما قام الدين ولا عز الإسلام، وأيم الله لتحتلبنها دما عبيطا فاحفظوا.^(١)

وأخيرا إليك هذه الطرفة عن أخلاقيات القائد فقد جاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام إلى بشر بن عطار التيمي في كلام بلغه فمر به رسول أمير المؤمنين عليه السلام في بني أسد وأخذه، فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدي فأفلقته (تركه) فبعث إليه أمير المؤمنين عليه السلام فأتوه به وامر به أن يضرب فقال نعيم: أما والله إن المقام معك لذل وإن فراقك لكفر؟ قال: فلما سمع ذلك منه قال له: قد عفونا عنك إن الله بَرَزَكَ يقول: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ السيئة) أما قولك: إن المقام معك لذل فسيئة اكتسبتها، وأما قولك: وإن فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها

(١) الارشاد للمفيد ج ١ ص ٢٦١

فهذه، بهذه فأمر أن يخلي عنه..^(١)

لا يا أخي بل قربه عزٌّ وفخر، وفراقه جحود وكفر.. جعلنا الله من جنوده على كل حال يرضاها هو وإن لم نرضاها نحن، لأنه أعلم بما يصلحنا منا، سلام الله عليه وآله أباد الأبدين..

(١) (نور الثقلين : ج ٣ ص ٥١١)

الفصل الثاني:

التحضير والمسير

المسير: هو التنقل المنظم والمرتب للقوات على محاور التحرك بغية الوصول إلى منطقة (قطاع) القتال، أو انشاء التجمع..

محور تحرك جيش الحق هو: المدينة المنورة، الربذة، فيد، الثعلبية، جبال طيء، آساد، ذي قار، عبد القيس، الخريبة، (أو) الزاوية، أو الزابوقة) بظهر البصرة، مكان المعركة الحاسمة.

محور تحرك الناكثين هو: مكة المكرمة، ذات عرق، الربذة، ماء الحوآب، حفر أبي موسى، الحفير، المربرد، البصرة، وعسكروا في وادي فرضة، ثم الخريبة (أو الزاوية، أو الزابوقة) مكان المعركة..

١ . مسير جيش الحق

إن التحضيرات الأولية لأمير المؤمنين عليه السلام في المدينة المنورة كانت بسيطة ولكنها نوعية وذات أثر معنوي كبير جدا في ذلك الحين، باعتبارها تضم كبار الصحابة من البدرين وأصحاب الشجرة، بحيث خرج أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة بعد أربعة أشهر من البيعة النورانية له ومعه سبعمائة راكب، منهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار فيهم سبعين بدريا - مر ذكر بعضهم - والباقون من الصحابة الأجلاء..

هذا الجيش الصغير العدد الكبير التأثير في النفوس، استعجلهم أمير المؤمنين عليه السلام للخروج من المدينة من أجل الإسراع واللاحاق بالناكثين قبل أن يصلوا إلى العراق بقطع الطريق عليهم في منطقة الربذة إن استطاع، وهنا يُسجل لصالح القيادة المحققة بالمبادهة والسرعة باتخاذ القرار لمفاجأة العدو ومباغتته قدر الإمكان..

نعم؛ لقد قدر الإمام عليه السلام الموقف بدقة كبيرة، ولذا فإنه سارع إلى الحركة من المدينة خلف أصحاب الجمل، بقوات خيالة خفيفة الحركة وسريعة.. وذلك لأن طول زمان إقامته في المدينة لم يكن لصالحه بحال من الأحوال، لأن وصول الناكثين إلى البصرة فإنه يعني استفحال أمرهم وزيادة قوتهم، واحتلال البصرة يعطيهم قاعدة قوية يرتكزون إليها ببناء دولة طموحة التوسع والإمتداد وأول من يفكرون به هي المدينة المنورة لأنهم لا شرعية لهم في الأمة ما لم تكن بأيديهم الحجاز بخيراتها، ولن تعترف بهم الأمة وفي أعناقهم بيعة لأمير المؤمنين عليه السلام فالواجب يقتضي منهم أن يحتلوا المدينة ويقضوا على الخليفة، وهذا مادفع أمير المؤمنين عليه السلام للإسراع لقطع الطريق عليهم قبل أن يصلوا إلى البصرة، إلا أنه وعندما وصل إلى الربذة وجدهم قد سبقوه باتجاه البصرة فواصل

مسيره إلى ذي قار..

١.١. في المدينة المنورة

كانت المدينة المنورة تغلي في تلك الفترة من الزمن وفيها من أخلاط الناس شيء عجيب، فالشوار على عثمان من مصر، والبصرة، والكوفة، والأعراب، وأهل المدينة أنفسهم لم يكونوا بالقليلين حينها.

فبالأمس قتل الخليفة الحاكم بعد حصار دام أكثر من أربعين يوماً، وبعد خمسة أيام بايعوا الخليفة الجديد، وما أن راحت الأوضاع تهدأ والنفوس تطمئن جاءهم ما فاجأهم من خبر نكث كل من (طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام) حواريي رسول الله ﷺ وأمهما السيدة عائشة صاحبة الصولة والجولة في الأمة، فلماذا نكثوا؟

وماذا يريدون فبالأمس رأيناهم قادوا الحملة على الخليفة عثمان حتى قتلوه، وسعوا بكل جهدهم ليباعوا للإمام علي ﷺ وهو يرفض البيعة ويقول لهم: أنا لكما وزير خير مني أمير بايعا لأي منكما؟^(١)

فما عدا عما بدا، وما علاقة الإمام علي ﷺ بدم عثمان وهو من أشد المدافعين عنه، وما شأنهما وأمهما بالثأر لعثمان وهو الأموي الذي قتلوه قولاً وفعلاً؟

أسئلة كثيرة راحت الأمة تطرحها ولا تجد لها حلاً، ولما سمعوا بتوجه الناكثين إلى البصرة زاد عجبهم فلماذا البصرة، وما علاقتها بالثأر لعثمان المقتول بالمدينة؟

وفي التاريخ الكثير من الكلمات التي تعبر عن القلق والحيرة

(١) أنساب الأشراف: ٢١٠.

منهم، لا بل الحقد عليهم لنكثهم فهذا الصحابي الجليل أبو قتادة الأنصاري يقول لأmirه عليه السلام: يا أمير المؤمنين؛ إن رسول الله صلى الله عليه وآله قلدني هذا السيف وقد غمدته زمانا وقد حان وقت تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين لا يألون الأمة غشا، وقد أحببت أن تقدمني فقدمني.^(١)

وهذه أمنا العظيمة السيدة أم سلمة تبعت لأmir المؤمنين عليه السلام رسالة بعد أن أعيأها النصيح للسيدة عائشة تقول فيه: يا أمير المؤمنين؛ لولا أنني أعصي الله - وإنك لا تقبله مني - لخرجت معك، وهذا ابن عمي، وهو والله أعزُّ عليَّ من نفسي، يخرج معك ويشهد مشاهدك..

فالناس كانوا يبحثون عن مبرر لرفض معاوية البيعة واعلانه العصيان على أمير المؤمنين عليه السلام وإذا هم بالناكثين يسرعون إلى الفتنة التي ساقهم إليها معاوية، فأسرعوا لإطفاء نارها قبل أن تستعر فتحرق الجميع، ولن توفر حتى الطفل الرضيع..

وأمير المؤمنين عليه السلام يعلم الغدر والنكث منهما من قبل أن يبايعاه بإخبار رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن لا سبيل عليهم ولذا عندما جاء آه يستأذنان بالعمرة قال لهما: أنكما تريدان الغدرة، فأقسما له على العمرة وأنهما لا يبغيان للأمة شرا، فأقسما على ذلك وجددا له البيعة وخرجا إلى مكة المكرمة للقاء السيدة عائشة التي مهّدت لهما الطريق ورفعت الشعارات، وجمعت بعض الأنصار لاسيما أصحاب المصالح، والموتورين من بني أمية الذين سرقوا بيوت الأموال وجأؤوها لكي تشق عصا المسلمين وتعلن حربها على أمير المؤمنين عليه السلام وإمام زمانها..

فخطب عليه السلام الكثير من الخطب ما دام هو في المدينة يبين

(١) (الكامل في التاريخ، ٣/٢٢١)

للناس، والأمة والأجيال القادمة حقيقة هؤلاء الناكثين الباغين الذين أضاعوا حظهم، وأبطلوا أعمالهم ببغيهم حتى قتلهم بصور شنيعة..

فكان من كلامه عليه السلام عندما نكث طلحة والزبير بيعته وتوجها إلى مكة للاجتماع مع السيدة عائشة في التآليب عليه والتأليف على خلافه ما حفظه العلماء عنه عليه السلام انه بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإن الله بعث محمداً عليه السلام للناس كافة وجعله رحمة للعالمين، فصدع بما أمر به، وبلغ رسالات ربه فلمَّ به الصدع، ورتق به الفتق، وآمن به السبل، وحقن به الدماء وألف به بين ذوي الإحن والعداوة والوغر في الصدور والضغائن الراسخة في القلوب، ثم قبضه الله إليه حميداً لم يقصر في الغاية التي إليها أدى الرسالة ولا بلغ شيئاً كان في التقصير عنه القصد، وكان من بعده ما كان من التنازع في الأمرة فتولى أبو بكر وبعده عمر، ثم تولى عثمان فلما كان من أمره ما عرفتموه أتيتموني فقلتم: بايعنا، فقلت: لا أفعل، فقلتم: لا، وقبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم فجذبتموها، وتداكتم عليّ تذاك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلي، وأن بعضكم قاتل بعضاً لدي، فبسطت يدي فبايعتموني مختارين وبايعني في أولكم طلحة، والزبير طائعين غير مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذنانني في العمرة والله يعلم أنهما أرادا الغدرة، فجددت عليهما العهد في الطاعة، وأن لا يبغيا الأمة الغوايل فعاهداني ثم لم يفيا لي، ونكثا بيعتي ونقضا عهدي..

فعجبا لهما من انقيادهما لابي بكر وعمر وخلافهما لي، ولست بدون أحد الرجلين ولو شئت أن أقول لقلت.. ألهم أحكم عليهما بما صنعا في حقي وصغرا من أمري وظفرني بهما.^(١)

(١) الارشاد للمفيد ج ١ ص ٢٣٨

ولما اتصل به مسير طلحة والزبير وأمهما من مكة المكرمة إلى البصرة حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

قد سارت عائشة وطلحة والزبير كل واحد منهما يدعى الخلافة دون صاحبه.. لا يدعي طلحة الخلافة إلا أنه ابن عمّ عائشة.. ولا يدعيها الزبير إلا أنه صهر أبيها.. والله لئن ظفرا بما يريدان (بالخلافة) ليضربن الزبير عنق طلحة، أو ليضربن طلحة عنق الزبير، ينازع هذا على الملك هذا، وقد والله علمت أنها - الراكبة الجمل - لا تحل عقدة، ولا تسير عقبة، ولا تنزل منزلا، إلا إلى معصية الله حتى تورد نفسها ومن معها موردا يقتل ثلثهم، ويهرب ثلثهم، ويرجع ثلثهم..

والله إن طلحة والزبير ليعلمان أنهما مخاطبان وما يجهلان، ولرب عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه والله لتبحنها كلاب الحوآب، فهل يعتبر معتبر، أو يتفكر متفكر، لقد قامت الفئة الباغية فأين المحسنون؟^(١)

قال الرواة أنه وعندما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام مسير الناكثين وانطلاقهم إلى البصرة خطب هذه الخطبة، وقيل أنه: لما بلغ عليا عليه السلام مسير طلحة والزبير خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال:

أما بعد فقد بلغني مسير هذين الرجلين واستخفافهما حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستفزازهما أبناء الطلقاء وتلييسهما على الناس بدم عثمان وهما ألبا عليه وفعلا به الأفاعيل وخرجا ليضربا الناس بعضهم ببعض..

اللهم فأكفِ المسلمين مؤنتهما واجزهما الجوازي^(٢).

(١) (الجمل لشدقم: ص ٩٦، الإرشاد للمفيد: ٢٤٧/١).

(٢) البحار: ٦٩/٣٢.

وراح يحضُّ الناس على الخروج في طلبهما فقام إليه أبو مسعود
عقبة بن عمرو فقال: يا أمير المؤمنين إن الذي يفوتك من الصلاة في
مسجد رسول الله ﷺ ومجلسك فيما بين قبره ومنبره أعظم مما ترجو
من الشام والعراق فإن كنت إنما تسير لحرب فقد أقام عمر وكفاه سعد
زحف القادسية، وكفاه حذيفة بن اليمان زحف نهاوند، وكفاه أبو موسى
زحف تستر، وكفاه خالد بن الوليد زحف الشام.. فإن كنت سائرا فخلف
عندنا شقة منك نرعاها فيك ونذكرك به، ثم قال أبو مسعود:

بكت الأرض والسماء على
الشاخص منا يريد أهل العراق
يا وزير النبي قد عظم الخطب
وطعم الفراق مر المذاق
وإذا القوم خاصموك فقوم
ناكسو الطرف خاضعوا الأعناق
لا يقولون إذ تقول وإن
قلت فقول المبرز السباق
فعيون الحجاز تذرف بالدمع
وتلك القلوب عند التراقي
فعليك السلام ما ذرت به
الشمس ولاح السراب بالرقراق

فقال قيس بن سعد: يا أمير المؤمنين ما على الأرض أحد أحب إلينا
أن يقيم فينا منك لأنك نجمنا الذي نهتدي به ومفزعنا الذي نصير إليه
وإن فقدناك لتظلمن أرضنا وسماؤنا ولكن والله لو خليت معاوية للمكر
ليرومن مصر وليفسدنَّ اليمن وليطمعن في العراق ومعه قوم يمانيون

قد أشربوا قتل عثمان وقد اكتفوا بالظن عن العلم وبالشك عن اليقين وبالهوى عن الخير فسر بأهل الحجاز وأهل العراق ثم ارمه بأمر يضيق فيه خناقه ويقصر له من نفسه.

فقال: أحسنت والله يا قيس وأجملت^(١).

وكتبت أم الفضل بنت الحارث إلى الإمام علي عليه السلام تخبره بمسير عائشة وطلحة والزبير فأزمع المسير فبلغه ثقاقل سعد وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة، فقال سعد: لا أشهر سيفاً حتى يعرف المؤمن من الكافر.

وقال أسامة: لا أقاتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله ولو كنت في زبية الأسد لدخلت فيه معك.

وقال محمد بن مسلمة: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله سيفاً وقال: إذا اختلف المسلمون فاضرب به عرض أحد والنزم بيتك. وتخلف عنه عبد الله بن عمر. فقال عمار بن ياسر: دع القوم أما عبد الله ضعيف، وأما سعد فحسود، وأما محمد بن مسلمة فذنبك إليه أنك قتلت بأخيه مرحباً. ثم التفت عمار لمحمد بن مسلمة وقال: أما تقاتل المحاربين فوالله لو مال علي جانباً لملت مع علي عليه السلام.

وقال كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين إنه بلغك عنا معشر الأنصار ما لو كان غيرنا لم يقم معك؟ والله ما كل ما رأينا حلالاً ولا كل ما رأينا حراماً حرام وفي الناس من هو أعلم بعذر عثمان ممن قتله وأنت أعلم بحالنا منا فإن كان قتل ظالماً قبلنا [قولك] وإن كان قتل مظلوماً فاقبل قولنا فإن وكلتنا فيه إلى شبهة فعجب ليقيننا وشكك وقد قلت

(١) البحار: ٦٩/٣٢.

لنا: عندي نقض ما اجتمعوا عليه، وفصل ما اختلفوا فيه. ثم قال: كان أولى أهل المدينة بالنصر علي وآل عبد مناف للذي في يديه من حرم الله وقرب الولاء بعد التصافي.. وكان كعب بن مالك عثمانيا في ولائه..

وقام الأشر إلى الإمام علي عليه السلام فكلمه بكلام يحضه على أهل الخلاف فكره ذلك الإمام علي عليه السلام حتى شكاه وكان من رأي الإمام علي عليه السلام أن لا يذكرهم بشيء حتى لايتهم بالإجبار والإكراه لهم، فقال الأشر: يا أمير المؤمنين إنا وإن لم نكن من المهاجرين والأنصار فإنا فيهم وهذه بيعة عامة والخارج منها عاص والمبطئ عنها مقصر وإن أدبهم اليوم باللسان وغدا بالسيف وما من ثقل عنك كمن خف معك وإنما أراذك القوم لأنفسهم فأردهم لنفسك.

فقال علي عليه السلام: يا مالك دع. وأقبل الإمام علي عليه السلام عليهم، فقال: أرايتم لو أن من بايع أبا بكر أو عمر أو عثمان ثم نكث بيعته أكتم تستحلون قتالهم؟

قالوا: نعم.

قال: وكيف تخرجون من القتال معي وقد بايعتموني؟

قالوا: إنا لا نزعم أنك مخطئ وأنه لا يحل لك قتال من بايعك ثم نكث بيعتك ولكن نشك في قتال أهل الصلاة.(فمع أبي بكر يقتل أهل الصلاة كمالك بن نويرة وغيره، ولكن مع الإمام علي عليه السلام لا يقاتل من قتل الخليفة، ونكث البيعة للخليفة الجديد لماذا: لست أدري.؟)

فقال الأشر: دعني يا أمير المؤمنين أوقع بهؤلاء الذين يتخلفون عنك.. فقال له: كُفَّ عني.. فانصرف الأشر وهو مغضب!

ثم إن قيس بن سعد لقي مالكا الأشر في نفر من المهاجرين

والأنصار فقال قيس للأشتر: يا مالك كلما ضاق صدرك بشيء أخرجته، وكلما استبطأت أمرا استعجلته إن أدب الصبر التسليم وأدب العجلة الأناة وإن شر القول ما ضاهى العيب وشر الرأي ما ضاهى التهمة فإذا ابتليت فاسأل، وإذا أمرت فأطع ولا تسأل قبل البلاء ولا تكلف قبل أن ينز الأمر فإن في أنفسنا ما في نفسك فلا تشق على صاحبك.. ثم أن الأنصار تحدثوا إلى الأشتر في ذلك فما زالوا به حتى رضي من غضبه وعاد إلى أميره.

فلما همَّ الإمام علي عليه السلام بالشخص قام أبو أيوب خالد بن زيد صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا أمير المؤمنين إن أقمت بهذه البلدة فإنها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وبها قبره ومنبره فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان قبلك، وإن وكلت إلى المسير فقد أعذرت^(١).

فأجابه عليه السلام بعذره في المسير ثم خرج بأصحابه من المدينة وكانوا لا يبلغون الألف استعجالا بالطلب للناكثين قبل أن يصلوا العراق..

نعم؛ هنا وقت الحرب فلا بد من الإعذار وقيام الحجة على الناس فالعدو ليسوا من الترك أو الديلم، ولا من الخزر وماوراء النهر إنهم أصحاب الشورى العمرية، وكبار الصحابة، ومن يستطيع أن يقاتل هؤلاء لولا أمير المؤمنين عليه السلام الذي أسس بقتالهم فقه الحروب بين أهل الملة الإسلامية، ولولاه لم يجرؤ أحد على سل السيف لقتال طلحة والزبير، أو من يستطيع أن يقف بوجه السيدة عائشة؟

فأمير المؤمنين عليه السلام كان له ثلاثة محاور أساسية في كل خطابه في تلك الأثناء هي:

(١) البحار: ٧٢/٣٢٢.

١. تذكير الأمة بفضله وفضائله المحفوظة عن رسول الله ﷺ.
 ٢. تذكير الأمة بأحاديث رسول الله ﷺ عن فتنة الناكثين، والقاسطين، والمارقين ووجوب حربهم بأمر من رسولهم الكريم ﷺ.
 ٣. إعادة الأمة إلى الحق والرسالة وأصولها التي ربما غابت عن الكثيرين من أبنائها فراحوا يقيسون الحق بالأشخاص، ويقدرّون الأشخاص بالثروات، والأحساب والشارات الجاهلية.
- وبالحقيقة الأمة كانت بحاجة إلى إعادة تأهيل فكثرت خطب الإمام علي عليه السلام في تلك الفترة، لأنها كانت ضرورة عقائدية قبل غيرها..
- فمن كلامه عليه السلام في الدعوة إلى نفسه الشريفة والدلالة على فضله والإبانة عن حقه بالإمامة والتعريض بظالمه والإشارة إلى ذلك والتنبيه عليه، ما رواه الخاصة والعامة عنه وذكر ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى وغيره ممن لا يتهمه علماء العامة، ففي روايته أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في أول خطبة خطبها بعد بيعة الناس له على الأمر وذلك بعد قتل عثمان بن عفان:

أما بعد فلا يرعين مرع إلا على نفسه، شغل من الجنة والنار أمامه، ساع مجتهد، وطالب يرجو، ومقصر في النار، ثلاثة..

واثنان: ملك طار بجناحيه، ونبي أخذ الله بيديه، لا سادس..

هلك من ادعى وردى من اقتحم، اليمين والشمال مضلة، والوسطى الجادة منهج، عليه باقي الكتاب والسنة وآثار النبوة، إن الله تعالى داوى هذه الأمة بدوائين: السوط، والسيف، لا هوادة عند الإمام فيها، فاستتروا بيوتكم، وأصلحوا فيما بينكم، والتوبة من ورائكم، من أبدى صفحته للحق هلك، قد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها معذورين، أما انى لو أشاء أن أقول لقلت عفا

الله عما سلف..

سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه، ويله لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيرا له.. انظروا فان أنكرتم فانكروا وان عرفتم فبادروا.. حق وباطل، ولكل أهل؛ ولئن أمر الباطل فلقد بما فعل، ولئن قل الحق فلربما ولعل..

وقل ما أدبر شيء فاقبل، ولئن رجعت إليكم نفوسكم إنكم لسعداء واني لأخشى أن تكونوا في فترة وما علي إلا الاجتهاد.. ألا وان أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغارا وأعلم الناس كبارا ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمننا وبقول صادق أخذنا..

فان تبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وان لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا.. معنا راية الحق من تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق، ألا وبنا تدرك ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم، وبنا فتح الله لا بكم، وبنا يختم لا بكم..^(١)
ومن مختصر كلامه عليه السلام في الدعاء إلى نفسه وعترته عليهم السلام قوله:

إن الله خصَّ محمدا عليه السلام بالنبوة واصطفاه بالرسالة، وأنبأه بالوحي فأنال في الناس وأنال وعندنا أهل البيت معاقل العلم، وأبواب الحكم، وضياء الأمر.. فمن يحبنا ينفعه إيمانه، ويتقبل عمله؛ ومن لا يحبنا لا ينفعه إيمانه ولا يتقبل عمله وان دأب في الليل والنهار قائما وصائما^(٢).

ثم تكلم عليه السلام في مقام آخر بما حفظ في هذا المعنى فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

أما بعد فان الله تعالى لما قبض نبيه (عليه وآله الصلاة والسلام) قلنا: نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأولياؤه وأحق الخلق به ولا ننازع حقه وسلطانه، فبينا

(١) الارشاد للمفيد ج ١ ص ٢٣٣

(٢) البحار: ١٨١/٢٧ عن بصائر الدرجات: ص ١٠٥.

نحن كذلك إذ نفر المنافقون وانتزعوا سلطان نبينا منا، وولوه غيرنا، فبكت والله لذلك العيون والقلوب منا جميعا معا وخشنت له الصدور وجزعت النفوس منا جزعا..

أزعم - وأيم الله - لولا مخافتي الفرقة بين المسلمين وان يعود أكثرهم إلى الكفر ويعود الدين، لكننا قد غيرنا ذلك ما استطعنا.. وقد بايعتموني الآن، وبإيعني هذان الرجلان طلحة والزبير على الطوع منهما ومنكم والإيثار، ثم قد نهضا يريدان البصرة ليفرقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم، اللهم فخذهما لغشهما لهذه الأمة وسوء نظرهما للعامة..

ثم قال: انفروا رحمكم الله في طلب هذين الناكثين القاسطين الباغين قبل أن يقوت تدارك ما خبياه..^(١)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه الذي كتب إلى شيعته ويذكر فيه خروج عائشة إلى البصرة وعظم أخطاء طلحة والزبير، فقال: وأي خطيئة أعظم مما أتيا أخرجا زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله من بيتها، وكشفا عنها حجابا ستره الله عليها، وصانا حلائلها في بيوتهما، ما أنصفا لا لله ولا لرسوله من أنفسهما..

ثلاث خصال مرجعها على الناس في كتاب الله: البغي، والمكر والنكث، قال الله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾^(٢)
وقال: ﴿فَمَنْ تَكَّثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾^(٣)

(١) الارشاد للمفيد ج ١ ص ٢٣٩

(٢) (يونس/٢٣)

(٣) (الفتح/١٠)

وقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(١)

وقد بغيا علينا ونكثا بيعتي ومكرا بي^(٢)..

وهكذا وبينما أمير المؤمنين عليه السلام يستعد للخروج من المدينة لقيه عبد الله بن سلام، فقال: «يا أمير المؤمنين لا تخرج منها - أي من المدينة - فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها.. ولا يعود سلطان المسلمين إليها أبدا..»^(٣)

وابن سلام لا يقول هذا من فراغ، ولكنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله فهذا عندما اعترض عليه أصحاب أمير المؤمنين، قال لهم الإمام عليه السلام: دعوا الرجل فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، ثم قال: وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وآله^(٤)

ولقد رأى أن الخطوة الأولى في اتجاه يوم الجمل تلتقي مع الخطوة الأخيرة يوم النهروان، فالأحداث ذات نسيج واحد وإن اختلفت الأعلام والأسماء.. لذلك قال ابن سلام في الحديث الصحيح للإمام عليه السلام: لا تقدم العراق فإني أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف فقال عليه السلام: وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال ابن سلام: فما رأيت كالיום قط محاربا يخبر بذا (الموت) عن نفسه - وفي رواية - ما رأيت كالיום رجلا محاربا يحدث الناس بمثل هذا..^(٥)

(١) (فاطر/٤٣)

(٢) البحار: ١٠٧/٣٢.

(٣) (الطبري ١٧٠ / ٥، البداية والنهاية ٢٣٤ / ٧)

(٤) (الطبري ١٧٠ / ٥) (رواه أبو يعلى والبزار وقال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد ١٣٨ / ٩)،

ورواه الحاكم وصححه (المستدرک ١٤٠ / ٣)

(٥) (رواه أبو يعلى والبزار ورجالهم ثقات والحاكم وصححه والحميدي وابن حبان في صحيحه

أي ما رأيت محاربا يحدث الناس بأنه سيقتل على هذا الطريق، وقتله واقع لا محالة ومعدور الرجل طبعاً فبعد لم يعرف أمير النحل عليه السلام جيداً، ولكنه أبان وأفصح عن الحق الذي سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم من الأيام.

وبينما كان الإمام يتجهز للخروج لرد الناكثين جاء المدينة رجل من أهل الكوفة فقال: «ما هذا؟ فقالوا: أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: ما له؟ قالوا: غلبه طلحة والزبير فخرج يعترض لهما ليردهما. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. آتي علياً فأقاتل معه هذين الرجلين وأم المؤمنين أو أخالفه إن هذا لشديد..^(١) وكانت هذه أول صفحة على طريق الجمل وفيها التباس الأمور عند الناس شديد حتى أنه روي أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام كان قد أشار على والده في أمور منها: «أنه قال له: أخرج من المدينة يوم حصار عثمان. ولكن الإمام عصاه في ذلك وقال له: أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان.. فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به»^(٢)

ويبقى سؤال: مَنْ الذي أحاط بأهل البيت وبعثمان في وقت واحد؟

لقد كان هناك حصار منظور وحصار غير منظور ولكن الإمام الخبير بالرجال يعلمه جيداً؟ إن الإجابة على هذا السؤال يتعذر الوقوف على علمها، ولا يعلم حقائقها إلا من شاهدها ولابسها. بل لعل الحاضرين المشاهدين لها لا يعلم الكثير منهم باطن الأمر، وروي أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام كان له رأي في خروج طلحة والزبير ومن معهما، وهو أن

(الزوائد ١٣٨ / ٩)، (المستدرک ١٤٠ / ٣)، (الخصائص الكبرى للسيوطي ٢٣٥ / ٢)

(١) (الطبري ١٧٠/٥)

(٢) (الطبري ١٧٠/٥)

يجلس الإمام في بيته ثم يراقب الأحداث.

فقال له الإمام علي عليه السلام: وأما قولك حين خرج طلحة والزبير فإن ذلك كان وهنا على أهل الإسلام.. ووالله ما زلت مقهورا مذوليت، منقوصا لا أصل إلى شيء مما ينبغي؛ وأما قولك: اجلس في بيتك؛ فكيف لي بما قد لزمني أو من يريدني (أي أنني لا أطلبهم وهم الذين يطلبوني، فانتظر حتى يدخلوا عليّ المدينة ويقتلونني) .. أريد أن أكون مثل الضبع (حاشاك سيدي) الذي يحاط بها ويقال دباب، دباب ليست ههنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج.. وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعينني.. فمن ينظر فيه، فكف عني أي بني^(١)

لقد كان الإمام يتصرف تصرف الحجة، فهو لم يؤمر من رسول الله ﷺ بأن يرفع سيفاً ما دام الناس لم يلتفتوا حوله باختيارهم: (يا علي لا تشاقق القوم ما لم تجد أنصاراً)، فإذا التفوا حوله فقد لزمه أن يسوقهم إلى ما يعرف وإلا تعطل الدين. وهذا هو شأن الحجة على امتداد التاريخ الإنساني إن تركه الناس بعد دعوته إياهم.. إما أن يعتزل بمن آمن معه، وإما أن يهاجر إلى الله، فإن وقع على أتباعه ما يستأصلهم من حوله فهاهنا يدخل فقه الدفاع والقتال ولا قتال إلا بنص.

وفي جميع الحالات فإن الحجة لا يهمل من لزمه أو من يريده، وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام عندما كان يتجهز لرد الناكثين كان فريق أم المؤمنين قد خطا خطوات واسعة نحو الحرب الشاملة من التحضيرات الكبيرة والإجراءات السريعة التي دفعهم إليها الحزب الأموي الشقي^(٢).

ولما خرج أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة طالبا للقوم ركب جملا

(١) (الكامل ١١٤ / ٣ . الطبري ١٧٣ / ٥)

(٢) (معالم الفتن، سعيد أيوب: بتصرف)

أحمر وراجزه أو حاديه يقول:

سيروا أبابيل وحثوا السير
كي تلحقوا طلحة والزبير
إذ جلبا شرا وعافا خيرا يا
رب أدخلهم غدا سعيرا

في رواية الطبري أن راجز الإمام علي عليه السلام قال:

سيروا أبابيل وحثوا السير
إذ عزم السير وقولوا خيرا
حتى يلاقوا وتلاقوا خيرا
نغزوا بها طلحة والزبير^(١)

وخرج أمير المؤمنين عليه السلام وقائد جبهة الحق مسرعا يحدوه الأمل بأن يلحق ويعترض الناكثين، إلا أنهم فهموا القصة وعرفوا الخطة فكانوا أسرع منه ولما جاوزوه في الربذة تركهم وتوجه إلى التهيئة لحرب أشمل وأوسع فتوجه إلى ذي قار وأرسل إلى الكوفة للمدد..

٢٠١. في الربذة

ولما وصل جيش أمير المؤمنين عليه السلام إلى الربذة ووجد أن الناكثين قد سبقوه ويثس من اللحاق بهم قبل أن يدخلوا البصرة فنزل فيها فترة وجيزة للإستراحة، فلقية بها آخر وفود الحجاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه عليه السلام وسبب شخوصه إلى العراق، وهو في خبائه، قال ابن عباس: فأتيته فوجدته يخصف نعلا، فقلت له: نحن إلى أن تصلح أمرنا أحوج منا إلى ما تصنع، فلم يكلمني حتى فرغ من نعله، ثم ضمها إلى

(١) (تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٨٦)

صاحبتهما، وقال لي: قومهما؟ فقلت: ليس لهما قيمة، قال: على ذلك! قلت: كسر درهم، قال: والله لهما أحب إلي من أمركم هذا إلا أن أقيم حقا أو أُدفع باطلا..

قلت: إن الحاج قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك، فتأذن لي أن أتكلم فإن كان حسنا كان منك، وإن كان غير ذلك كان مني؟

قال: لا أنا أتكلم.. ثم وضع يده على صدري وكان شثن الكفين فألمني ثم قام فأخذت بثوبه وقلت: نشدتك الله والرحم؟

قال: لا تنشدني.. ثم خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الله تعالى بعث محمدا ﷺ وليس في العرب أحد يقرأ كتابا، ولا يدعى نبوة، فساق الناس إلى منجاتهم، أم والله ما زلت في ساقتها ما غيرت ولا بدلت ولا خنت حتى تولت بحدافيرها، مالي ولقريش؟

أم والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين، وإن مسيري هذا عن عهد إلي فيه، أم والله: لأبقرن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته.. ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا وأنشد:

ذنب لعمرى شربك المحض خالصا

وأكلك بالزبد المقشرة التمرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن

عليا وحطنا حولك الجرد والسمر^(١)

وبالفعل فإن قوات الناكثين أمير المؤمنين عليه السلام في الربذة جعله يتوجه شمال شرق باتجاه ذي قار ومن ثم راسل الكوفة حيث المصر العراقي الموالي لأمير المؤمنين عليه السلام ولا سيما وأن لديه مالك الأشر

(١) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ٢٤١

قائد القوات ورئيس هيئة الأركان العامة لجيشه وهو من سادات الكوفة المطاعين فيها شخصية، وعشيرة..

٣.١. في جبال طيء

توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذي قار مارا بجبال طيء وزعيمها عدي بن حاتم الذي رافق الإمام مباشرة ومعه ستمائة من أبطال قبيلته، وأرسل هاشم بن عتبة (المرقال) برسالة إلى أبي موسى الأشعري يستنفر الناس معه لقتال الناكثين إن قاتلوه.. وكان مضمون الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس: أما بعد فإني أرسلت إليك هاشم بن عتبة المرقال لتُشخصَ معه مَنْ قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي وأحدثوا في هذه الأمة الحدث العظيم فأشخص الناس إليّ معه حين يقدم بالكتاب عليك فلا تحبسه فإني لم أقرك في المصر الذي أنت فيه إلا أن تكون من أعواني وأنصاري على هذا الأمر.. والسلام.

فقدم هاشم بالكتاب على أبي موسى الأشعري فأقرأه الكتاب وقال له: ما ترى؟ فقال له أبو السائب: اتبع ما كتب به إليك.. فأبى أبو موسى ذلك وكسر الكتاب ومحاه وبعث إلى هاشم بن عتبة يخوفه ويتوعده بالسجن.. فقال السائب بن مالك: فأتيت هاشما فأخبرته بأمر أبي موسى، فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

أما بعد: يا أمير المؤمنين فإني قدمت بكتابك على امرئ شاقٍ عاقٍ بعيدِ الرحمِ ظاهرِ الغلِّ والشقاقِ وقد بعثتُ إليك بهذا الكتاب مع المحل بن خليفة الطائي وهو من شيعتك وأنصارك وعنده علم ما قبلنا فاسأله

عمّا بدا لك واكتب إليّ برأيك أتبعه، والسلام.^(١)

فلما قدم الكتاب إلى الإمام علي عليه السلام وقرأه دعا ولده الإمام الحسن السبط عليه السلام، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد وبعثهم إلى أبي موسى وكتب معهم..

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد: يا ابن الحايك، والله إنني كنت لا أرى بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ولا جعل لك فيه نصيباً وقد بعثت لك الحسن وعماراً وقيساً فأخل لهم المصر وأهله واعتزل عملنا مذموماً مدحوراً فإن فعلت وإلا أمرتهم أن ينابذك على سواء إن الله لا يحب الخائنين فإن ظهروا عليك قطعوك إرباً، إرباً؛ والسلام على من شكر النعم ورضي البيعة وعمل لله رجاء العاقبة..

وكتب الإمام علي عليه السلام كتاباً إلى أهل الكوفة وأعطاه لولده المبارك؛

ولما قدم الإمام الحسن السبط عليه السلام وعمار وقيس الكوفة مستنفرين لأهلها وكان في كتابه معهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بن أبي طالب إلى أهل الكوفة.. أما بعد فإنني أخبركم من أمر عثمان حتى يكون أمره كالعيان لكم: إن الناس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأقل عتابه.. (الاستعتاب طلب العتبي وهي الرضا ومراده (عليه السلام) أنه كان يكثر من طلب رضاه ويقل من عتابه وتعنيفه) وكان طلحة والزبير أهون سيرهما إليه الوجيف، وقد كان من عائشة فيه فلة غضب

(١) (رواه في شرح النهج الحديدي (ج ٣ - ص ٢٩١) عن أبي مخنف)

فلما قتله الناس وبايعاني غير مستنكرين طائعين مختارين وكان طلحة والزبير أول من بايعني على ما بايعا به من كان قبلي ثم استأذناني في العمرة ولم يكونا يريدان العمرة فنقضا العهد وأذنا في الحرب وأخرجا عائشة من بيتها يتخذانها فتنة فسارا إلى البصرة.. واخترت السير إليهم معكم ولعمري إياي تجيبون إنما تجيبون الله ورسوله والله ما قاتلتهم وفي نفسي شك وقد بعثت إليكم ولدي الحسن وعمارا وقيسا مستنفرين لكم فكونوا عند ظني بكم.. والسلام. (١)

فلما نزل الإمام الحسن عليه السلام وعمار وقيس الكوفة ومعهم كتاب أمير المؤمنين عليه السلام قام فيهم الإمام الحسن عليه السلام خطيبا، فقال:

أيها الناس قد كان من أمير المؤمنين عليه السلام ما يكفيكم جملته وقد أتيناكم مستنفرين لكم لأنكم جبهة الأنصار وسنام العرب وقد نقضا طلحة والزبير بيعتهما وخرجا بعائشة وهي من النساء وضعف رأيهن كما قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (سورة النساء: الآية ٣٤) أما والله لئن لم تنصروه لينصرنه الله بمن يتبعه من المهاجرين والأنصار وسائر الناس فانصروا ربكم ينصركم.

ثم قام عمار بن ياسر فقال:

يا أهل الكوفة إن كانت هانت عندكم الدنيا فقد انتهت إليكم أمورنا وأخبارنا أن قاتلي عثمان لا يعتذرون إلى الناس من قتله وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم فيه وقد كان طلحة والزبير أول من طعن عليه وأول من أمر بقتله وسعى في دمه فلما قتل بايعا عليا طوعا واختيارا ثم نكثا على غير حدث كان منه وهذا ابن رسول الله ﷺ وقد عرفتم إنه

(١) (الجمال للمفيد: ١٣٢، رواه الشيخ الطوسي في الأمالي ص ٧٨ والسيد الرضي في النهج (ج ٢ - ص ٣) باختصار في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٣ - ص ٢٩١) بعث الكتاب مع ابن عباس ومحمد بن أبي بكر)

أنفذه إليكم يستنفركم وقد اصطفاكم على المهاجرين والأنصار.

ثم قام قيس بن سعد فقال:

أيها الناس؛ إن هذا الأمر لو استقبلنا به أهل الشورى لكان علي عليه السلام أحق الناس به لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قتال من أبي ذلك حلالاً فكيف بالحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه طوعاً ثم خلعاه حسداً وبغياً وقد جاءكم علي عليه السلام في المهاجرين والأنصار ثم أنشأ يقول:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا
 علياً وأبناء الرسول محمد
 وقلنا لهم أهلاً وسهلاً ومرحباً
 نمد يدينا من هدى وتودد
 فما للزبير الناقض العهد حرمة
 ولا لأخيه طلحة فيه من يد
 أتاكم سليل المصطفى ووصيه
 وأنتم بحمد الله عارضة الندي
 فمن قائم يرجى بخيل إلى الوغى
 وضم العوالي والصفيح المهند
 يسود من أدناه غير مدافع
 وإن كان ما نقضه غير مسود
 فإن يك ما نهوى فذاك نريده
 وإن نخط ما نهوى فغير تعمد^(١)

فلما فرغ القوم من كلامهم قام أبو موسى الأشعري فقال:

(١) (روى الشيخ الطوسي في الأمالي ص ٩٤ وص ٨٧)

أيها الناس إن تطيعوا الله باديا وتطيعوني ثانيا تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوي إليكم المضطر ويأمن فيكم الخائف.. إن عليا إنما يستنفركم لجهاد أمكم عائشة وطلحة والزبير حواربي رسول الله ومن معهم من المسلمين وأنا أعلم بهذه الفتنة أنها إذا أقبلت شبّهت وإن أدبرت أسفرت وإن هذه الفتنة نافذة كداء البطن تجري بها الشمال والجنوب وتشتبك أحيانا فلا ندري ما تأتي.. أشيموا سيوفكم، وقصروا رماحكم، وقطعوا أوتاركم، والزموا البيوت..

خلوا قريشا إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة وترتق فتقها وتشعب صدعها فإن فعلت فلنفسها وإن أبت فعليها ما جنت سمها في أديمها استنصحوني ولا تستشفوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقى بهذه الفتنة من جناها.^(١)

فقام زيد بن صوحان وكانت يده قطعت يوم جلولاء ثم، قال:

يا أبا موسى؛ تريد أن ترد الفرات عن أدراجه؟ إنه لا يرجع من حيث بدا فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد ويلك ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢)

ثم التفت إلى الناس وقال: أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين وأطيعوا ابن سيد المرسلين وانفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق وتظفروا بالرشد قد والله نصحتكم فاتبعوا رأيي ترشدون.

ثم قام عبد خير (هو الخيواني) وقال لأبي موسى:

أخبرني يا أبا موسى هل كانا هذان الرجلان بايعا لعلي فيما بلغك

(١) (رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ٣ - ص ٣٩٣) بزيادة)

(٢) (العنكبوت/٢)

وعرفت؟ قال: نعم.

قال: فهل جاء علي عليه السلام بحدّث يحلُّ عقدة بيعته حتى تُردَّ بيعته كما رُدت بيعة عثمان؟ قال: أبو موسى: لا أدري..

قال له عبد خير: لا دريت، نحن غير تاركيك حتى تدري.. حينئذ أخبرني يا أبا موسى هل تعلم أحدا خارجا من هذه الفتنة التي تزعم أنها عمياء تحذّر الناس منها؟ أما تعلم أنها أربع فرق: علي عليه السلام يظهر بالكوفة؛ وطلحة والزبير بالبصرة؛ ومعاوية بالشام؛ وفرقة أخرى بالحجاز لا غناء بها ولا يقاتل بها عدو.

فقال أبو موسى: الفرقة القاعدة عن القتال خير الناس..

فقال عبد خير: غلبك عليك غشك يا أبا موسى..^(١)

فقام رجل من بجيلة فقال شعرا:

وحاجك عبد خير يا بن قيس
فأنت اليوم كالشاة الربيض
فلا حقا أصبت ولا ضللا
فأنت اليوم تهوى بالحضيض
أبا موسى نظرت برأي سوء
تؤول به إلى قلب مريض
وتهت فليس تفرق بين خير
ولا شر ولا سود وبيض

(١) (في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٨٩)

وتذكر فتنة شملت وفيها سقطت

وأنت تزرع بالجريض^(١)

وبلغ أمير المؤمنين عليه السلام ما كان من أمر أبي موسى الأشعري وتخليه الناس عن نصرته فقام إليه مالك الأشتر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد بعثت إلى الكوفة رجلا قبل هذين فلم أره أحكم شيئا وهذان أخلق من بعثت أن ينشب بهم الأمر على غير ما تحب ولست أدري ما يكون فإن رأيت - جعلت فداك - أن تبعثني في أثرهم فإن أهل الكوفة أحسن لي طاعة وإن قدمت عليهم رجوت أن لا يخالفني أحد منهم..

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحق بهم على اسم الله..

فأقبل مالك الأشتر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس بالمسجد الأعظم فأخذ لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم، وقال لهم: اتبعوني إلى القصر.. فوصل إلى القصر في جماعة من الناس فاقتحم القصر وأبو موسى في المسجد الأعظم يخطب الناس ويثبّطهم عن نصره الإمام علي عليه السلام..

وهو يقول: أيها الناس هذه فتنة عمياء تطؤ خطامها النائم فيها خير من القاعد؛ والقاعد فيها خير من القائم؛ والقائم خير من الماشي؛ والماشي فيها خير من الساعي؛ والساعي فيها خير من الراكب.. إنها فتنة باقرة كداء البطن أنتكم من قبل مأمنكم تدع الحلیم فيها حيران كابن أمس.. إنا معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أعلم بالفتنة: أنها إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت أسفرت.

(١) (ابن الأثير (ج ٣ - ص ٩٠ والطبري ج ٥ - ص ١٩٠.. يقال رزح الرجل: ضعف وذهب ما

بيده والجريض ابتلاع الريق غيظا وهما)

والإمام الحسن عليه السلام وعمار وقيس يقولون له: اعتزل عملنا لا أم لك، وتنح عن منبرنا..

وأبو موسى يقول لعمار: هذه يدي بما سمعت من رسول الله، يقول: ستكون بعدي فتنة القاعد فيها خير من القائم.

فقال له عمار: إنما قال رسول الله ﷺ لك خاصة ستكون فتنة أنت فيها يا أبا موسى قاعدا خيرا منك قائما.

فبينما هم في الكلام إذ دخل غلمان أبي موسى ينادون: يا أبا موسى هذا الأشر يخرج من المسجد.. ودخل عليه أصحاب الأشر فقالوا: له اخرج من المسجد يا ويلك أخرج الله روحك إنك والله لمن المنافقين..^(١) فخرج أبو موسى وأرسل إلى الأشر أن أجلني هذه العشية..

قال: قد أجلتك ولا تبث في القصر هذه الليلة واعتزل ناحية عنه ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى فأتبعهم الأشر بمن أخرجهم من القصر وقال لهم: إني أجلته فكف الناس عنه..^(٢)

ثم صعد الإمام الحسن عليه السلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر جده النبي ﷺ فصلى عليه ثم ذكر فضل أمير المؤمنين وإنه أحق بالأمر من غيره وأن من خالفه على ضلال.

ثم نزل فصعد عمار فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ثم قال: أيها الناس إنا لما خشينا على هذا الدين أن يهدم جوانبه وأن يتعزى أديمه (جلده) نظرنا لأنفسنا ولديننا فاخترنا عليا عليه السلام خليفة ورضيناه إماما فنعم الخليفة ونعم المؤدب مؤدب لا يؤدب وفقه لا يعلم

(١) (تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٠)

(٢) (تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٠)

وصاحب بأس لا ينكر وذو سابقة في الإسلام ليس لأحد من الناس غيره وقد خالفه قوم من أصحابه حاسدون له وياغون عليه وقد توجهوا إلى البصرة فاخرجوا إليهم رحمكم الله فإنكم لو شاهدتموهم وحاججتموهم تبين لكم أنهم ظالمون.

ثم خرج الأشرع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس اصغوا إليّ بأسماعكم وافهموا لي بقلوبكم إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أنعم عليكم بالإسلام نعمة لا تقدرון قدرها ولا تؤدون شكرها كنتم أعداء يأكل قويكم ضعيفكم وينتهب كثيركم قليلكم وتنتهك حرمت الله بينكم والسبيل مخوف والشرك عندكم كثير والأرحام عندكم مقطوعة وكل أهل دين لكم قاهرون فمن الله عليكم بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجمع شمل هذه الفرقة وألف بينكم بعد العداوة وكثركم بعد أن كنتم قليلين ثم قبضه الله وحوله إليه فحوى بعده رجلان ثم ولي بعدهما رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره وعمل في أحكام الله بهوى نفسه فسألناه أن يعتزل لنا نفسه فلم يفعل وأقام على أحداثه فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا ودياننا ولا يبعد الله إلا القوم الظالمين..

وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكانا وأعظمهم في الإسلام سهما ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفقه الناس في الدين وأقرأهم للكتاب وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس وقد استنفركم فما تنتظرون؟ أسعيد أم الوليد؟ الذي شرب الخمر وصلى بكم على سكر وهو سكران منها واستباح ما حرمه الله فيكم أي هذين تريدون قبّح الله من له هذا الرأي ألا فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيكم ولا يتخلف رجل له قوة فو الله ما يدري رجل منكم ما يضره وما ينفعه وإني لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون أو تبصرون أصبحوا إن شاء الله غدا عاذين مستعدّين وهذا وجهي إلى ما

هناك بالوفاء..

ثم قام حجر بن عدي الكندي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال:

أيها الناس هذا الحسن بن أمير المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو من عرفتم أحد أبويه النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والآخر الإمام الرضي السأمون الوصي (صلى الله عليهما) الذين ليس لهم شبيه في الإسلام سيد شباب أهل الجنة وسيد سادات العرب أكملهم صلاحاً وأفضلهم علماً وعملاً وهو رسول أبيه إليكم يدعوكم إلى الحق ويسألكم النصر، السعيد من ودَّهم ونصرهم والشقي من تخلف عنهم بنفسه عن مواساتهم فانفروا معه رحمكم الله خفافاً وثقالاً واحتسبوا في ذلك الأجر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

فأجاب الناس بأجمعهم بالسمع والطاعة..

٤.١. كتاب الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أهل الكوفة

وبرواية أخرى أنه لما بلغ الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما قال وصنع أبو موسى الأشعري غضب غضباً شديداً وبعث عمار بن ياسر والإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكتب معهم كتاباً فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة من المؤمنين والمسلمين. أما بعد: فإن دار الهجرة تقلعت بأهلها فانقلعوا منها، وجاشت جيشان المرجل، وكانت فاعلة يوم ما فعلت، وقد ركبت المرأة الجمل، ونبحتها كلاب الحوآب، وقامت الفتنة الباغية يقودها، يطلبون بدم هم سفكوه، وعرض هم شتموه؛ وحرمة انتهكوها، وأباحوا ما أباحوا، يعتذرون إلى الناس دون الله ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة التوبة: الآية ٩٦)

إعملوا - رحمكم الله - أن الجهاد مفترض على العباد فقد جاءكم في داركم من يحثكم عليه، ويعرض عليكم رشدكم، والله يعلم أنني لم أجد بداً من الدخول في هذا الأمر، ولو علمت أن أحداً أولى به مني لما تقدمت إليه وقد بايعني طلحة والزبير طائعين غير مكرهين ثم خرجا يطلبان بدم عثمان وهما اللذان فعلا بعثمان ما فعلا وعجبت لهما كيف أطاعا أبا بكر وعمر في البيعة وأبيا ذلك عليّ وهما يعلمان أنني لست بدون واحد منهما مع أنني قد عرضت عليهما قبل أن يبايعاني إذا أحبا بايعت لأحدهما فقالا: لا ننفس على ذلك بل نبايعك ونقدمك علينا بحق.. فبايعا ثم نكثا والسلام^(١).

٥.١ . رواية عبد الله بن عباس

وفي كتب التاريخ رواية مستبعدة جدا ولكن نذكرها لأنها عن حبر الأمة أولاً، وفيها ما فيها من العبر المفيدة ثانياً. فيقال: استشار أمير المؤمنين عليه السلام بشأن الكوفة، فقال لابن عباس: ما الرأي عندك في أهل الكوفة.. فقال له ابن عباس: أنفذ عماراً فإنه رجل له سابقة في الإسلام وقد شهد بدرًا فإنه إن تكلم هناك صرف الناس إليك وأنا أخرج معه وابعث معنا الحسن ابنك.. ففعل ذلك فخرجوا حتى قدموا على أبي موسى الأشعري فلما وصلوا الكوفة، قال ابن عباس للحسن ولعمار: إن أبا موسى عاقٌّ فإذا رفقنا به أدركنا حاجتنا منه. فقالا: افعل ما شئت.

فقال ابن عباس لأبي موسى: أن علياً أرسلنا إليك لما يطرقة سرعتك إلى طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ ومصيرك إلى ما أحببنا أهل البيت وقد علمت فضله وسابقته في الإسلام.. ويقول لك: أن تبايع له الناس ويقرّك على عملك ويرضى عنك.. فانخدع أبو موسى وصعد المنبر فبايع

(١) الجمل: المفيد: ص ١٤٠.

لعلي عليه السلام ساعة من النهار ثم نزل.

قال: فقام عمار بن ياسر، وقال:

الحمد لله حمدا كثيرا فإنه أهل على نعمته التي لا يحصيها ولا يقدر قدرها ولا يؤدي شكرها أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور الواضح والسلطان القاهر والأمين الناصح والحكيم الراجح رسول رب العالمين وقائد المؤمنين وخاتم النبيين بالصدق وصدق المرسلين وجاهد في الله حتى أتاه اليقين.

ثم إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حفظه الله ونصره نصرًا عزيزًا وابرم له أمرا رشيدا بعثني إليكم وابنه يأمركم بالنفر إليه فانفروا إليه واطيعوا الله.. والله لو علمت أن على وجه الأرض بشرا أعلم بكتاب الله وسنة نبيه منه ما استنفرتكم إليه ولا بايعته على الموت..

يا معشر أهل الكوفة الله، الله في الجهاد فو الله لئن صارت الأمور إلى غير علي عليه السلام لتصيرن إلى البلاء العظيم والله يعلم أني قد نصحت لكم وأمرتكم بما أخذت بيقيني ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَٰكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (سورة هود: الآية ٨٨) أستغفر الله لي ولكم.

ثم نزل فصبر هنيئة ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس هذا ابن عم رسول نبيكم قد بعثني إليكم استنصركم إلا أن طلحة والزبير قد سارا نحو البصرة وأخرجنا عائشة معهما للفتنة ألا وإن الله قد ابتلاكم بحق أمكم وحق أبيكم وحق ربكم أولى وأعظم عليكم من حق أمكم وأبيكم ولكن الله قد ابتلاكم لينظر كيف تعملون فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا في سبيل الله وانفروا إلى خليفتكم

وصهر نبيكم فإن أصحاب رسول الله ﷺ قد بايعوه بالمدينة وهي دار الهجرة ودار السلام أسأل الله أن يوفقكم.

ثم نزل فصعد الإمام الحسن بن علي عليه السلام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر جده فصلى عليه وذكر فضل أبيه وسابقته وقرابته من رسول الله ﷺ وأنه أولى بالأمر من غيره، ثم قال: معاشر الناس إن طلحة والزبير بايعا عليا طائعين غير مكرهين ثم نفرا ونكثا بيعتهما له فطوبى لمن خف في مجاهدة من جاهده فإن الجهاد معه كالجهاد مع النبي ﷺ.

ثم نزل وكان أمير المؤمنين عليه السلام كتب مع ابن عباس كتابا إلى أبي موسى الأشعري وغلظ فيه فقال ابن عباس: قلت في نفسي أقدم على رجل وهو أمير بمثل هذا الكتاب أن لا ينظر في كتابي ونظرت أن أشق كتاب أمير المؤمنين عليه السلام وكتبت من عندي كتابا عنه لأبي موسى: أما بعد فقد عرفت مودتك إيانا أهل البيت وانقطاعك إلينا وإنما نرغب إليك لما نعرف من حسن رأيك فينا فإذا أتاك كتابي فبايع لنا الناس والسلام.

فدفعته إليه فلما قرأه أبو موسى، قال لي: أنا الأمير أو أنت؟

قلت: أنت الأمير.. فدعا الناس إلى بيعة الإمام علي عليه السلام فلما بايع قمت وصعدت المنبر فرام إنزالي منه فقلت أنت تنزلني عن المنبر؟ وأخذت بقائم سيفي فقلت اثبت مكانك والله لئن نزلت إليك هذبتك به فلم يبرح فبايعت الناس لعلي عليه السلام وخلعت أبا موسى في الحال واستعملت مكانه (قرضة بن عبد الله الأنصاري) ولم أبرح من الكوفة حتى سيرت لعلي عليه السلام في البر والبحر (الفرات) من أهلها /٧٠٠٠/ سبعة آلاف رجل ولحقته بذئ قار..ولما صار أهل الكوفة إلى ذي قار ولقوا عليا عليه السلام بها رحبوا به وقالوا: الحمد لله الذي خصنا بمودتك وأكرمنا

بنصرتك فجزاهم خيراً^(١).

وروى نصر بن عمرو بن سعد عن الأجلح عن زيد بن علي قال: لما أبطأ على علي عليه السلام خبر أهل الكوفة وكانوا في فلاة، قال عبد الله بن عباس فأخبرت علياً بذلك فقال لي: اسكت يا ابن عباس فوالله ليأتينا في هذين اليومين من الكوفة/٦٦٠٠/ ستة آلاف وستمائة رجل وليغلبن أهل البصرة وليقتلن طلحة والزبير..

فوالله إنني استشرف الأخبار وأستقبلها حتى إذا أتى راكب فاستقبلته واستخبرته فأخبرني بالعدة التي سمعتها من علي عليه السلام لم تنقص برجل واحد (في تاريخ الطبري قال أبو الطفيل: أخبرنا علي عليه السلام بمن يأتيه من أهل الكوفة/١٢٠٠١/ اثنا عشر ألف رجل ورجل فأحصيتهم فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً)^(٢)

٦.١. في ذي قار

في ذي قار كان معسكر وتجمع جيش الحق، بحيث تجمع لديهم (من خرج من المدينة، ومن لحقهم من الأعراب في الطريق، ورجال طيء، وأخيراً أهل الكوفة) وكان تأخر جيش أمير المؤمنين عليه السلام في ذي قار لمدة خمسة عشر يوماً بسبب خيانة أبا موسى الأشعري وتقايسه عن نصرة الإمام عليه السلام على الناكثين..

فلما جاء أهل الكوفة استقبلهم، ثم قام وخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة إنكم من أكرم المسلمين وأعدلهم سنة وأفضلهم في الإسلام سهما وأجودهم في العرب مركبا ونصابا،

(١) الجمل: للشيخ المفيد: ص ١٤٣.

(٢) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٩)

حزبكم بيوتات العرب وفرسانهم ومواليهم، أنتم أشد العرب ودًا للنبي؛ وإنما اخترتكم ثقة بعد الله لما بذلتم لي أنفسكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي وعهدي، وخلافهما طاعتي وإقبالهما بعائشة لمخالفتي ومبارزتي وإخراجهما لها من بيتها، حتى أقدماهما البصرة. وقد بلغني أن أهل البصرة فرقتان: فرقة الخير والفضل والدين قد اعتزلوا وكرهوا ما فعل طلحة والزبير!

ثم سكت عليه السلام، فأجابه أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك على عدوك، ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه فرد عليهم خيرا..^(١)

وروي عن زيد بن علي عن ابن عباس قال: لما نزلنا مع علي عليه السلام ذي قار، قلت: يا أمير المؤمنين ما أقل من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن. فقال: والله ليأتيني منهم ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا. لا يزيدون ولا ينقصون.

قال ابن عباس: فدخلني والله من ذلك شك شديد في قوله. وقلت في نفسي: والله إن قدموا لأعدنهم. وروى ابن إسحاق عن عمه بن يسار قال: نفر إلى علي إلى ذي قار من الكوفة في البحر والبر ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا حتى سمع صهيل الخيل وشحیح البغال حوله - فلما سار بهم منقلة (مرحلة السفر) قال ابن عباس: والله لأعدنهم فإن كانوا كما قال: وإلا أتممتهم من غيرهم. فإن الناس قد كانوا سمعوا قوله: قال: فعرضتهم فوالله ما وجدتهم يزيدون رجلا ولا ينقصون رجلا.

فقلت: الله أكبر. صدق الله ورسوله.. ثم سرنا^(٢)

(١) (في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٠) بغير هذا اللفظ)

(٢) معالم الفتن: ٢٠/٢ عن شرح النهج: ٤٠٦/١، البداية والنهاية: ٢١٢/٦.

ولما نزل بندي قار أخذ البيعة على مَنْ حضره ثم تكلم فأكثر من الحمد لله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ ثم قال:

قد جرت أمور صبرنا عليها وفي أعيننا القذى تسليما لأمر الله تعالى فيما امتحنتنا به ورجاء الثواب على ذلك وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرق المسلمون وتسفك دمائهم نحن أهل بيت النبوة وعتره الرسول وأحق الخلق بسلطان الرسالة ومعدن الكرامة التي ابتدأ الله بها هذه الأمة..

وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوة ولا من ذرية الرسول، حين رأيا أن الله قد ردَّ علينا حقنا بعد أعصر، فلم يصبرا حولاً واحداً، ولا شهراً كاملاً، حتى وثبا على دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقي، ويفرقا جماعة المسلمين عني ثم دعا عليهما^(١).

وهكذا اكتمل عدد الجيش في ذي قار وأراد أمير المؤمنين ﷺ أن يسير إلى البصرة قبل أن يستفحل خطرهم أكثر وهم يعثون فيها فساداً، وكعادة العرب يومها أراد ﷺ أن يحمسهم ويشجعهم على القتال، ويبين لهم مواطئ أقدامهم، لأن المنزلق خطير كما تعلم..

فلما أراد ﷺ الخروج من ذي قار تكلم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن الله عزَّ وجلَّ بعث محمداً للناس كافة ورحمة للعالمين، فصعد بما أمر به وبلغ رسالات ربه، فلما ألمَّ به الصدع ورتق به الفتق وأمن به السبيل وحقن به الدماء وألف به بين ذوي الأحقاد والعداوة الواغرة في الصدور، والضغائن الكامنة في القلوب، قبضه الله عزَّ وجلَّ إليه حميداً وقد أدى الرسالة ونصح للأمة، فلما مضى ﷺ لسبيله دفعنا عن حقنا من دفعنا وولوا من ولوا سوانا ثم وليها

(١) البحار: ١١٥/٣٢.

عثمان بن عفان فنال منكم ونلتم منه حتى إذا كان من أمره ما كان.. أتيتموني فقلتم بايعنا فقلت لكم لا أفعل؛ فقلتم بلى لا بد من ذلك، فقبضتم يدي فبسطتموها وتداكتم علي تذاك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى لقد خفت إنكم قاتلي، أو بعضكم قاتل بعض؛ فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل، وقد علم الله سبحانه إني كنت كارها للحكومة بين أمة محمد، ولقد سمعته يقول! (ما من وال يلي شيئا من أمر أمتي إلا أتى الله يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه على رؤوس الخلائق، ثم ينشر كتابه فإن كان عادلا نجا وإن كان جائرا هوى).

ثم اجتمع علي ملؤكم وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر في وجهيهما والنكث في عينيهما ثم استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان فسارا إلى مكة واستخفا عائشة وخدعاها وشخص معها أبناء الطلقاء فقدموا البصرة وهتكوا بها المسلمين وفعلوا المنكر، ويا عجبا لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيهما علي وهما يعلمان إني لست دون أحدهما ولو شئت أن أقول لقلت، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتابا يخدعهما فيه فكتماه عني وخرجا يوهمان الطعام أنهما يطلبان بدم عثمان..

والله ما أنكرا علي منكرا ولا جعلنا بيني وبينهما نصفا وأن دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب فيهما يا خيبة الداعي إلى ما ادعا وبماذا أجيب..

والله إنهما لفي ضلالة صماء وجهالة عمياء وإن الشيطان قد دبر لهما حربه واستجلب منهما خيله ورجاله ليعيد الجور إلى أوطانه ويرد الباطل إلى نصابه.

ثم رفع يديه، وقال: اللهم إن طلحة والزبير قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي فاحلل ما عقدا وانكث ما أبرما ولا تغفر لهما أبدا وأرهما المساءة فيما عملا

وأملًا^(١).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام غاضبا ومنزعجا جدا من تصرف
الناكثين، فقام الأشر رضي الله عنه فقال:

خَفِّضْ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (أَي هَوِّنْ عَلَيْكَ) فَوَ اللَّهُ مَا أَمْرٌ طَلْحَةَ
وَالزَّبِيرَ عَلَيْنَا بِمَحِيلٍ لَقَدْ دَخَلَا فِي هَذَا الْأَمْرِ اخْتِيَارًا ثُمَّ فَارَقَانَا عَلَى غَيْرِ
جورِ عَمَلِنَاهُ وَلَا حُدُوثٍ فِي الْإِسْلَامِ أَحْدَثْنَاهُ؛ ثُمَّ أَقْبَلَا يَشِيرَانِ الْفِتْنَةَ عَلَيْنَا
تَائِهَيْنِ جَائِرَيْنِ لَيْسَ مَعَهُمَا حِجَّةٌ تَرَى وَلَا أَثْرٌ يَعْرِفُ لَقَدْ لَبَسَا الْعَارَ
وَتَوَجَّهَا لِمَحْوِ الدِّيَارِ، فَإِنْ زَعَمَا أَنْ عُثْمَانَ قَتَلَ مَظْلُومًا فَلَيْسَتْ قَدَّ آلَ عُثْمَانَ
مِنْهُمَا فَأَشْهَدُ أَنْهُمَا قَتَلَاهُ وَأَشْهَدُ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لئن لَمْ يَدْخُلَا فِيمَا
خَرَجَا مِنْهُ وَلَمْ يَرْجِعَا إِلَى طَاعَتِكَ وَمَا كَانَا عَلَيْهِ لِنَلْحَقَهُمَا بِابْنِ عَفَانَ^(٢).

وقام أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه وقال: يا أمير المؤمنين صبحهم الله
بما يكرهون فإن أقبلوا قبلنا منهم وإن أدبروا لنجاهدناهم فلعمري ما قوم
قتلوا النفس التي حرّم الله قتلها وأخذوا الأموال وأخافوا أهل الإيمان بأهل
أن يكف عنهم^(٣)..

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام علي عدي بن حاتم فقال له: يا عدي أنت
شاهد لنا وحاضر معنا وما نحن فيه.

فقام عدي بن حاتم الطائي فقال: شهدتك أو غبت عنك فأنا عندما
أحببت هذه خيولنا معدة ورماحنا محددة وسيوفنا محمرة فإن رأيت أن
نتقدم تقدمنا وإن رأيت أن نحجم أحجمنا نحن طوع لأمرك فأمر بما

(١) الجمل للشيخ المفيد : ص ١٤٥.

(٢) ن . م .

(٣) الجمل للشيخ المفيد : ص ١٤٥.

شئت نسارع إلى امتثال أمرك^(١).

نعم الشاهد كان عدي، ونعم الاستشهاد وشهادة حق مباركة..

وقام أبو زينب الأزدي فقال: والله إن كنا على الحق إنك لأهدانا سبيلا وأعظمتنا في الخير نصيبا، وإن كنا على الضلالة والعياذ بالله أن نكون عليه، لأنك أعظمتنا وزرا وأثقلنا ظهرا وقد أردنا المسير إلى هؤلاء القوم وقطعنا منهم الولاية وأظهرنا منهم البراءة وظاهرناهم بالعداوة ونريد بذلك ما يعلمه الله عَزَّ وَجَلَّ وأنا ننشذك الله الذي علمك ما لم تكن تعلم ألسنا على الحق وعدونا على الضلال؟

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أشهد لئن خرجت لدينك ناصرا صحيح النية قد قطعت منهم الولاية وأظهرت منهم البراءة كما قلت أنك لفي رضوان الله فابشر يا أبا زينب فإنك والله على الحق فلا تشك فإنك إنما تقاتل الأحزاب..
فأنشأ أبو زينب يقول:

سيروا إلى الأحزاب أعداء

النبي فإن خير الناس أتباع علي

هذا أوان طاب سل المشرفي

وقودنا الخيل وهز السمهري^(٢)

ومن كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد نفر وخرج من ذي قار متوجها إلى البصرة بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أما بعد فإن الله تعالى فرض الجهاد وعظَّمه وجعله نصرة له، والله ما صلحت دنيا قط ولا دين إلا به، وإن الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله

(١) ن. م.

(٢) الجمل للشيخ المفيد، ص ١٤٦

وشبهه في ذلك وخدع، وقد بانث الأمور وتمحصت..

والله ما أنكروا عليّ منكرًا، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً، وإنهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه، ولئن كنت شركتهم فيه، إن لهم لنصيهم منه وإن كانوا ولوه دوني، فما تبعته إلا قبلهم وإن أعظم حججهم لعلى أنفسهم، وإني لعلى بصيرتي ما لبست عليّ.

وإنها للفتنة الباغية فيه الحما والحمة قد طالت هلبتها وأمكنك درتها، يرضعون أما فطمت، ويحيون بيعة تركت، ليعود الضلال إلى نصابه، ما أعتذر مما فعلت، ولا أتبرؤ مما صنعت، فيا خيبة للداعي ومن دعا، لو قيل له: إلى من دعوتك والى من أجبت ومن إمامك وما سته؟ إذا لزاح الباطل عن مقامه، ولصمت لسانه فيما نطق)

وأيم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه، لا يصدرون عنه ولا يلقون بعده رياً أبداً، أني لراض بحجة الله عليهم وعذره فيهم، إذ أنا داعيهم فمعذر إليهم، فإن تابوا واقبلوا فالتوبة مبدولة والحق مقبول وليس على الله كفران، وإن أبوا أعطيتهم حد السيف وكفى به شافياً من باطل وناصر المؤمن.^(١)

وبينما وأمير المؤمنين عليه السلام هناك إذ ورد على أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً قد كتب إليه من البصرة بما صنعه القوم بعامله عثمان بن حنيف رضي الله عنه وما استحلوه من الدماء ونهب الأموال وقتل من قتلوه من شيعة وأنصاره وما أثاروه من الفتنة فيها..

وروى إسماعيل بن عبد الملك بن يحيى بن شبيل عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: لما سار علي من ذي قار قاصداً البصرة حتى نزل الخريبة في /١٢٠٠٠/ اثني عشر ألف

(١) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ٢٤١

وعلى الميمنة عمار بن ياسر في ألف رجل

وعلى الميسرة مالك الأشتر في ألف رجل

ومعه عليه السلام بالقلب في نفسه عشرة آلاف رجل

وخرج إليه من البصرة ألفا رجل (خرجت إليه ربيعة كلها إلا مالك بن مسمع منها، وجاءته عبد القيس بأجمعها سوى رجل واحد تخلف عنها، وجاءته بنو بكر يرأسهم شقيق بن ثور السدوسي ورأس عبد القيس عمر بن جرموز العبدي وأتاه المهلب بن أبي صفرة فيمن تبعه من الأزد) وسار عليه السلام بالجيش حتى جاء إلى البصرة من الأعلى عن طريق الطف إلى أن انتهى إلى الخريبة

أو الزابوقة حيث ساحة المعركة وهي على أعتاب البصرة..

٧.١. في البصرة

ومن كلام له عليه السلام حين دخل البصرة وجمع أصحابه فحرضهم على الجهاد فكان مما قال:

عباد الله أنهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم بقتالهم، فإنهم نكثوا بيعتي وأخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة وقتلوا السبابجة، ومثلوا بحكيم بن جبلة العبدي وقتلوا رجالا صالحين، ثم تتبعوا منهم من نجى يأخذونهم في كل حايط وتحت كل رابية، ثم يأتون بهم فيضربون رقابهم صبرا..

مالهم قاتلهم الله أنى يؤفكون أنهدوا إليهم وكونوا أشداء عليهم وألقوهم صابرين محتسبين، تعلمون أنكم منازلوهم ومقاتلوهم، ولقد وطتمت أنفسكم على الطعن الدعسي، والضرب الطلحفي، ومبارزة الأقران، وأي امرؤ منكم

أحسّ من نفسه رباطة جاش عند اللقاء، ورأى من أحد من إخوانه فشلاً، فليذبّ عن أخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله.^(١)

ولما نزلت جيوش الحق في البصرة حاول الناكثون الحيلة والغدر واستطلاع الأمر؛ فعن المولى أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: بعث طلحة والزبير رجلاً من عبد القيس يقال له: خدّاش إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وقالوا له: إنا نبعثك إلى رجل طال ما كنا نعرفه وأهل بيته بالسحر والكهانة، وأنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا من أن تمتنع من ذلك، وأن تحاجه لنا حتى تقفه على أمر معلوم، واعلم أنه أعظم الناس دعوى فلا يكسرنك ذلك عنه، ومن الأبواب التي يخدع الناس بها الطعام، والشراب، والعسل، والدهن، وأن يخالي الرجل، فلا تأكل له طعاماً، ولا تشرب له شراباً، ولا تمسّ له عسلاً، ولا دهناً ولا تخلّ معه واحذر هذا كله منه، وانطلق على بركة الله، فإذا رأيت فاقراً آية السخرة، وتعوذ بالله من كيده وكيد الشيطان.

فإذا جلست إليه فلا تمكنه من بصرك كله ولا تستأنس به. ثم قل له: إن أخويك في الدين وابني عمك في القرابة يناشدانك القطيعة، ويقولان لك: أما تعلم أنا تركنا الناس لك وخالفنا عشائرتنا فيك منذ قبض الله بِعَزْمِكَ محمداً عليه السلام فلما نلت أدنى منال، ضيعت حرمتنا وقطعت رجاءنا، ثم قد رأيت أفعالنا فيك وقدرتنا على النأي عنك، وسعة البلاد دونك، وإن من كان يصرفك عنا وعن صلتنا كان أقل لك نفعا وأضعف عنك دفعا منا، وقد وضع الصبح لذي عينين، وقد بلغنا عنك انتهاك لنا ودعاء علينا، فما الذي يحملك على ذلك؟! فقد كنا نرى أنك أشجع فرسان العرب، أتتخذ اللعن لنا ديناً، وترى أن ذلك يكسرننا عنك.

(١) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ٢٤١

فلما أتى خدش أمير المؤمنين عليه السلام صنع ما أمراه، فلما نظر إليه علي عليه السلام - وهو يناجي نفسه - ضحك وقال: ههنا يا أخا عبد قيس - وأشار له إلى مجلس قريب منه..

فقال: ما أوسع المكان، أريد أن أؤدي إليك رسالة..

قال عليه السلام: بل تطعم وتشرب وتحل ثيابك وتدهن ثم تؤدي رسالتك قم يا قنبر فأنزله، قال: ما بي إلى شيء مما ذكرت حاجة..

قال: فأخلو بك؟

قال: كل سر لي علانية..

قال: فأنشذك بالله الذي هو أقرب إليك من نفسك، الحائل بينك وبين قلبك، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أتقدم إليك الزبير بما عرضت عليك؟

قال: اللهم نعم..

قال: لو كتبت بعد ما سألتك ما ارتد إليك طرفك، فأنشذك الله هل علمك كلاما تقوله إذا أتيتني؟

قال: اللهم نعم..

قال علي عليه السلام: آية السخرة؟

قال نعم، قال: فاقراها وجعل علي عليه السلام يكررها ويرددها ويفتح عليه إذا أخطأ حتى إذا قرأها سبعين مرة.. قال الرجل: ما يرى أمير المؤمنين عليه السلام أمره بتردها سبعين مرة ثم قال له: أتجد قلبك اطمأن قال إي: - والذي نفسي بيده - قال: فما قال لك؟ فأخبره، فقال:

قل لهما: كفى بمنطقكما حجة عليكما، ولكن الله لا يهدي القوم

الظالمين، زعمتما أنكما أخوأي في الدين وابنا عمي في النسب فأما النسب فلا أنكره وإن كان النسب مقطوعا إلا ما وصله الله بالإسلام، وأما قولكما: إنكما أخوأي في الدين، فإن كنتما صادقين فقد فارقتما كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وعصيتما أمره بأفعالكما في أخيكما في الدين، وإلا فقد كذبتما وافتريتما بادعائكما أنكما أخوأي في الدين وأما مفارقتكما الناس منذ قبض الله محمدا ﷺ فإن كنتما فارقتماهم بحق فقد نقضتما ذلك الحق بفراقكما إياي أخيرا، وإن فارقتماهم بباطل فقد وقع إثم ذلك الباطل عليكما مع الحدث الذي أحدثتما، مع أن صفقتكما بمفارقتكما الناس لم تكن إلا لطمع الدنيا، زعمتما وذلك قولكما: «فقطعت رجاءنا» لا تعيبان بحمد الله من ديني شيئا وأما الذي صرفني عن صلتكما، فالذي صرفكما عن الحق وحملكما على خلعه من رقابكما كما يخلع الحرون لجامه وهو الله ربي لا أشرك به شيئا فلا تقولوا: «أقل نفعا وأضعف دفعا» فتستحقا اسم الشرك مع النفاق، وأما قولكما: إني أشجع فرسان العرب، وهربكما من لعني ودعائي، فإن لكل موقف عملا إذا اختلفت الأسنة وماجت لبود الخيل وملا سحرا كما أجوافكما، فثم يكفيني الله بكمال القلب، وأما إذا أبيتما بأني أدعو الله فلا تجزعا من أن يدعو عليكما رجل ساحر من قوم سحرة زعمتما..

اللهم أقعص الزبير بشر قتلة واسفك دمه على ضلالة.. وعرف طلحة المذلة وادخر لهما في الآخرة شرا من ذلك، إن كانا ظلماني وافتريا عليّ وكتما شهادتهما وعصياك وعصيا رسولك فيّ، قل: آمين..

قال خدّاش: آمين.. (ونحن نقول: آمين يا رب العالمين).

ثم قال خدّاش لنفسه: والله ما رأيت لحية قط أبين خطأ منك، حامل حجة ينقض بعضها بعضا لم يجعل الله لها مساكا، أنا أبرأ إلى الله منهما، ثم قال علي عليه السلام: ارجع إليهما وأعلمها ما قلت.

قال: لا والله حتى تسأل الله أن يرزني إليك عاجلاً وأن يوفقني لرضاه
فيك، ففعل فلم يلبث أن انصرف وقتل معه يوم الجمل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.^(١)

٢ . مسير الناكثين

١.٢ . من مكة وحتى البصرة

وفي مكة المكرمة جعلت السيدة الأم تحرّض الناس على خلاف
أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام وتحثهم على نقض عهده وتترحم على عثمان
الشهيد المظلوم وتطالب الأمة بخلع الخليفة الجديد انتصاراً لعثمان
الخليفة المقتول.. تدبّر بالله عليك بهذا الكلام وهذا المنطق العجيب
الغريب؛ تحرّض على عثمان الناس وتأمّر بقتله كل مَنْ هَبَّ وَدَبَّ إذا
كانت الخلافة لابن عمها ذا الأصبغ طلحة أو زوج أختها الزبير بن
العوام؛ فيكون كافراً ومبطلاً للقرآن ومبلياً لللسنة النبوية قبل بلاء قميص
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشريف..

ولكن إذا بايعت الأمة أفضلها وأعظمها وأعلمها بالقرآن والسنة
والكون؛ أمير المؤمنين وسيد الوصيين ويعسوب الدين أول الناس اسلاماً
وأعظمهم بلاءً وأكثرهم عناءً في الدين الحنيف تقيم السيدة الأم الدنيا
ولا تقعدّها ويصير عثمان بن عفان أخيها من أمها وأبيها فتتولى الدم
وتطالب بالثأر؛ ويصير مظلوماً ومفترياً عليه ومعتدياً على ناموسه
المقدس وشرفه المعظم عند أمه.

فما عدا مما بدا يا أمنا؟

فإن كان مظلوماً فأنت وابن عمك المعظم، وصهرك المبجل من

(١) الكافي للكلييني ج ١ ص ٣٤٣

ظلمه.. وإن كان شهيدا فأنت ومن معك أفتى بكفره وخروجه من الدين والملة وحكمتهم عليه بالقتل عطشا وجوعاً وذبحاً على الفراش كالكبش في المسالخ العامة.. فلماذا هذه الجرأة على الله بالحكم بالدماء.. وعلى الرسول بالإفتاء.. وعلى الأمة بالتلبيس والإعلاء.. وعلى الأئمة بالعداء؟

وعلى كل فقد تجمّع لأم المؤمنين مَنْ لَحِقَ بِهَا بِمَكَّةَ مِنَ الطَّلَقَاءِ وَجَمَاعَةِ مَنْ مَنَاقِقِي قَرِيْشٍ وَصَارَ إِلَيْهَا عَمَالُ عُثْمَانَ الَّذِينَ هَرَبُوا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَحِقَ بِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ وَأَخُوهُ عَبِيدُ اللَّهِ وَمُرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ وَأَوْلَادَ عُثْمَانَ وَعَبِيدَهُ وَخَاصَّتَهُ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ وَأَنْحَازُوا إِلَيْهَا وَجَعَلُوهَا الْمَلْجَأَ لَهُمْ فِي مَا دَبَرُوهُ مِنْ كَيْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلَ كُلُّ مَنْ يَنْحَازُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسِداً لَهُ وَبَغْضاً أَوْ شَانِئاً لَهُ أَوْ خَوْفاً مِنْ اسْتِيفَاءِ الْحَقُوقِ عَلَيْهِ أَوْ لِإِثَارَةِ فِتْنَةٍ أَوْ أَدْغَالٍ فِي الْمِلَّةِ يَنْضَمُّ إِلَيْهَا..

ولما رأت عائشة اجتماع من اجتمع بمكة إليها من مخالفة الإمام علي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ والمباينة له والطاعة لها في حربه تأهبت للخروج وكانت في كل يوم تقيم مناديتها ينادي بالتأهب للخروج وكان المنادي ينادي فيقول: من كان يريد المسير فليسر فإن أم المؤمنين سائرة إلى البصرة تطلب بدم عثمان بن عفان المظلوم.

فلما تحقق عزم القوم على المسير إلى البصرة وظهر تأهبهم لذلك اجتمع طلحة والزبير وعائشة وخواصهم من قومهم وبطانتهم وقالوا: نحب أن نسرع النهضة إلى البصرة فإن بها شيعة عثمان وأنصاره وعامله عبد الله بن عامر وهو قريبه ونسيبه وقد عمل على استمداد الجنود من فارس وبلاد المشرق لمعونته على الطلب بدم عثمان.. وقد كاتبنا معاوية بن أبي سفيان أن ينفذ لنا الجند من الشام فإن أبطننا عن الخروج خفنا أن

يدهمنا علي عليه السلام بمكة أو في بعض الطريق فيمن يرى رأيه في عداوة عثمان خوفاً من أن يفرق كلمتنا وإذا أسرعنا المسير إلى البصرة وأخرجنا عامله منها وقتلنا شيعته بها واستعنا بأمواله منها كنا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب وإن أقام بالمدينة سترنا إليه جنوداً حتى نحصره فيخلع نفسه أو نقتله كما قتل عثمان وإن سار فهو كاليء (أي يعتمد على الرعي مع المسير المتعب) ونحن جامون (يعتمدون على العلف مع الإقامة والراحة) وهو على ظاهر البصرة (خارجها) ونحن بها متحصنون فلا يطول الزمان إلا بفل (تشتت) جموعه وإهلاك نفسه وإراحة المسلمين من فتنته.

نعم؛ تهيأت مستلزمات المسير بسرعة في مكة المكرمة لدى الناكثين بما حواه رجال بني أمية من أموال وجمال فاشتروا الناس بالأموال ودفعوهم لمرافقتهم إلى البصرة، وخرجوا مسرعين خوفاً من الطلب في مكة أو اللحاق في الطريق من قبل أمير المؤمنين عليه السلام وكانوا حوالي الألف أو ينقصون قليلاً.. متوجهين إلى (الربذة) عن طريق (ذات عرق) وهي الحد الفاصل ما بين تهامة ونجد، وفي أثناء الطريق اشترى الأميون الجمل الأدبب (عسكر) الذي ركبته أمهم وقادت الجيش من هودجها وعرفت المعركة باسمه فكان أشأم من ناقة البسوس على هذه الأمة وكان من خبره ما يلي:

عن صفوان بن قبيصة الأحمسي قال حدثني العرنبي صاحب الجمل قال بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال: يا صاحب الجمل تبيع جملك؟

قلت: نعم.. قال: بكم؟

قلت: بألف درهم.. قال: مجنون أنت جمل يباع بألف درهم؟

قال: قلت نعم؛ جملي هذا.. قال: ومِمَّ ذلك؟

قلت: ما طلبت عليه أحدا قط إلا أدركته ولا طلبني وأنا عليه أحد

إلا فته.. قال: لو تعلم لمن نريده لأحسنت بيعنا..

قال: قلت ولمن تريده؟ قال: لأملك..

قلت: لقد تركت أُمي في بيتها قاعدة ما تريد براحا..

قال: إنما أريده لأُم المؤمنين عائشة.. قلت: فهو لك فخذهُ بغير ثمن.

قال: لا ولكن ارجع معنا إلى الرَّحْل فلنعطك ناقة مهريّة ونزيدك دراهم..

قال: فرجعت فأعطوني ناقة لها مهريّة وزادوني أربعمئة أو ستمئة درهم..

فقال لي: يا أخا عرينة هل لك دلالة بالطريق؟

قال: قلت نعم أنا من أدرك الناس..

قال: فسر معنا فسرت معهم فلا أمرٌ علي وإدٍ ولا ماءٍ إلا سألوني عنه

حتى طرقتنا ماء الحوَاب فنبحتنا كلابها، قالوا: أيُّ ماءٍ هذا؟ قلت: ماء

الحوَاب.. قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها ثم ضربت عضد بغيرها

فأناخته، ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوَاب طروقا ردوني تقول

ذلك ثلاثا.. فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك وهي تأبى حتى كانت

الساعة التي أناخوا فيها من الغد..

قال: فجاءها ابن الزبير فقال النجاء، النجاء فقد أدرككم والله علي

بن أبي طالب عليه السلام.. قال: فارتحلوا وشموني فانصرفت فما سرت إلا

قليلًا وإذا أنا بعلي عليه السلام وركب معه نحو من ثلاثمئة..

فقال لي: علي عليه السلام يا أيها الراكب فأتيته.. فقال: أين أتيت الظعينة

قلت: في مكان كذا وكذا وهذه ناقتها وبعثهم جملي..

قال: وقد ركبتة؟ قلت: نعم وسرت معهم حتى أتينا ماء الحوآب فنبحت عليها كلابها.. فقالت كذا وكذا فلما رأيت اختلاط أمرهم انفتلت وارتحلوا..

فقال علي عليه السلام: هل لك دلالة بذي قار؟ قلت لعلي عليه السلام: أدلّ الناس قال: فسر معنا. فسرنا حتى نزلنا ذا قار فأمر علي بن أبي طالب عليه السلام بجوالقين فضم أحدهما إلى صاحبه ثم جيء برحل فوضع عليهما ثم جاء يمشي حتى صعد عليه وسدل رجله من جانب واحد ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وآله، ثم قال: قد رأيتم ما صنع هؤلاء القوم وهذه المرأة..

فقام إليه الحسن فبكى فقال له علي عليه السلام: قد جئت تخن خنين الجارية فقال: أجل أمرتك فعصيتني فأنت اليوم تقتل بمضيعة لا ناصر لك قال: حدّث القوم بما أمرتني به..

قال: أمرتك حين سار الناس إلى عثمان ألا تبسط يدك بيعة حتى تجول جائلة العرب فإنهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت عليّ.. وأمرتك حين سارت هذه المرأة وصنع هؤلاء القوم ما صنعوا أن تلزم المدينة وترسل إلى من استجاب لك من شيعتك..

قال علي عليه السلام: صدق والله ولكن والله يا بني ما كنت لأكون كالضبع تستمع للدم إن النبي قبض وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر مني فبايع الناس أبا بكر فبايعت كما بايعوا ثم إن أبا بكر هلك وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر مني فبايع الناس عمر بن الخطاب فبايعت كما بايعوا ثم إن عمر هلك وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر مني فجعلني سهما من ستة أسهم فبايع الناس

عثمان فبايعت كما بايعوا ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه ثم أتوني فبايعوني طائعين غير مكرهين فأنا مقاتل من خالفني بمن اتبعني حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين^(١)..

وهكذا انطلقت الحيلة على راكبة الجمل الأحمر عسكر رغم علمها بل يقينها أنها المقصودة بنهي الرسول الأعظم من مسيرتها تلك ولذا قال لها عليه السلام: (إياك أن تكونيها يا حميراء)^(٢) ولا تستطيع أن تقول ليس لي علم، أو نسيتهما لأن سيدتنا أم سلمة ذكرتتها وبينت لها خطأها ومخالفتها لله ورسوله عليه السلام في مسيرتها تلك ولكن البغض وضغائن الصدور على أمير المؤمنين عليه السلام تفعل الأعاجيب وحب الأهل والسلطة تقود إلى المهالك في كثير من الأحيان..

٢٠٢. في حفر أبو موسى

المهم أن الركب سار بهم وراحت الأعراب يلتحقون بأمرهم حتى تجمع معها حوالي ثلاثة آلاف عندما وصلوا إلى (حفر أبو موسى) وهي الآبار التي حفرها أبو موسى الأشعري وتبعد عن البصرة مسير خمس ليال فقط.. فبلغ الصحابي الجليل عثمان بن حنيف وهو عامل البصرة يومئذ، وكان عنده حكيم بن جبلة فقال له: حكيم ما الذي بلغك.. فقال: خبرت إن القوم قد نزلوا حفر أبي موسى..

فقال له حكيم: ائذن لي أن أسير إليهم فإني رجل في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام.. فقال له عثمان: توقف عن ذلك حتى أراسلهم.. فقال له حكيم: إنا لله هلكت والله يا عثمان.. فأعرض عنه وأرسل إلى عمران بن

(١) تاريخ الطبري: ٤٧٦/٣.

(٢) البحار: ١٧٠/٣٢٢ والجمل لابن شدقم: ص ٤٣.

حصين وأبي الأسود الدؤلي فذكر لهما قدوم القوم البصرة وحلولهم حفر
أبي موسى وسألهما المسير إليهم وخطابهم على ما قصدوا به وكفهم عن
الفتنة..

فخرجوا حتى دخلا على عائشة فقالا لها: يا أم المؤمنين ما حملك
على المسير؟ فقالت: غضبت لكما من سوط عثمان وعصاه ولا أغضب
أن يقتل..

فقالا لها: وما أنت من سوط عثمان وعصاه وإنما أنت حبيس رسول
الله ﷺ وإنا نذكرك الله أن يهراق الدماء في سبيلك..

فقالت: وهل من أحد يقاتلني؟!؟

فقال لها أبو الأسود الدؤلي: نعم؛ والله قتالا أهونه شديد..

ثم خرجا من عندهما فدخلا على الزبير فقالا له: يا أبا عبد الله نشدك
الله أن يهراق الدماء في سبيلك.. فقال لهما: ارجعا من حيث جئتما أن لا
تفسدا علينا..

فأيضا منه وخرجوا حتى دخلا على طلحة فقالا له: نشدك الله أن
يهراق الدماء في سبيلك.. فقال لهما طلحة: أوجب علي بن أبي
طالب عليه السلام أنه إذا غلب على أمر المدينة أن الأمر له، وأنه لا أمر إلا أمره
والله ليعلمن فأنصرفا من حيث جئتما.. فأنصرفا من عنده إلى عثمان بن
حنيف فأخبراه الخبر.

وروى ابن أبي سبرة عن ابن عيسى عن الشعبي أن أبا الأسود الدؤلي
وعمران لما دخلا على عائشة قالا لها: ما الذي أقدمك هذا البلد؟ وأنت
حبيسة رسول الله ﷺ وقد أمرك أن تقري في بيتك..

فقالت: غضبت لكم من السوط والعصا، ولا أغضب لعثمان من

السيف..

فقالا لها: ننشذك الله أن يهراق الدماء في سبيلك وأن تحملي الناس بعضهم على بعض.. فقالت لهما: إنما جئت لأصلح بين الناس؛ وقالت لعمران بن الحصين: هل أنت مبلغ عثمان بن حنيف رسالة فقال: لا أبلغه عنك إلا خيرا.. فقال لها أبو الأسود: أنا أبلغه عنك فهاتي، قالت: قل له يا طليق ابن أبي عامر بلغني إنك تريد لقائي لتقاتلني.. فقال لها أبو الأسود الدؤلي: نعم؛ والله لنقاتلنك..

فقالت: وأنت أيضا يبلغني عنك ما يبلغني قم فانصرف عني.. فخرجوا من عندها إلى طلحة فقالا له: يا أبا محمد لم تجمع الناس إلى حرب ابن عم رسول الله؟ الذي فضله الله بكذا وكذا.. وجعلا يعددان مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله وحقوقه فوقع طلحة بعلي وسبه ونال منه، وقال: إنه ليس أحد مثله أما والله ليعلمن غير ذلك، فخرجوا من عنده وهما يقولان غضب هذا المدني، ثم دخلا على الزبير فكلماه مثل كلامهما لصاحبه فوقع أيضا في علي عليه السلام وسبه، وقال لقوم كان بمحضرمهم: صبحوهم قبل أن يمسوكم.. فخرجوا من عنده حتى صاروا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر.^(١)

ولما سمع والي البصرة الصحابي الجليل عثمان بن حنيف ما قاله أبو الأسود شعرا

(١) (ابن الأثير في الكامل: ج ٣ - ص ٨٢). الجمل الشيخ المفيد: ص ١٤٨، الطبري: ٤٦٦/٤.

يا ابن حنيف قد أتيت فانفر
وطاعن القوم وجالد واصبر
وابرز لها مستلثما وشمر

فقال: أي والحرمين لأفعلن^(١).. فأذن عثمان للناس بالحرب، لأن مدينته غايتهم فجمع رؤوس ورجال أهل البصرة ليستشيرهم بهذه الطامة الكبرى، والداهية العظمية..

وبرواية أبو مخنف: عن ابن عباس: أن الزبير وطلحة أجدا السير بعائشة حتى انتهوا إلى حفر أبي موسى الأشعري وهو قريب من البصرة، وكتبوا إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامل علي عليه السلام على البصرة: أن خل لنا دار الأمان (الأمانة). فلما وصل كتابهما إليه بعث إلى الأحنف بن قيس: إن هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله ﷺ، والناس إليها سراع كما ترى.

فقال الأحنف بن قيس: إنهم جاؤك بها للطلب بدم عثمان، وهم الذين ألبوا على عثمان الناس، وسفكوا دمه، وأراهم والله لا يزايلوا حتى يلقوا العداوة بيننا، ويسفكوا دماءنا، وأظنهم والله سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به، وأرى أن تتأهب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة، فإنك اليوم الوالي عليهم، وأنت فيهم مطاع، فسر إليهم بالناس، وبأدرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة، فتكون الناس لهم أطوع منهم لك.

فقال عثمان بن حنيف: الرأي ما رأيت لكنني أكره الشر وأن أبدأهم به، وأرجو العافية والسلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين عليه السلام

(١) موسوعة الإمام علي عليه السلام للري شهري ١٧٥/٥٠ عن شرح النهج ٣١٣/٩.

ورأيه فأعمل به.

ثم أتاه بعد الأحنف، حكيم بن جبلة العبدي من بني عمرو بن وديعة فأقرأه كتاب طلحة والزبير. فقال له مثل قول الأحنف، وأجابه عثمان بمثل جوابه للأحنف. فقال له حكيم: فأذن لي حتى أسير إليهم بالناس، فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام وإلا نابذتهم على سواء.

فقال عثمان: لو كان ذلك رأي لسرت إليهم بنفسي.

قال حكيم: أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر، لينقلن قلوب كثير من الناس إليهم، ولينزلنك عن مجلسك هذا وأنت أعلم، فأبى عليه عثمان^(١).

قال: وكتب الإمام علي عليه السلام إلى عثمان لما بلغه مشاركة القوم البصرة: «من عبد الله علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف:

أما بعد - فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا إلى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضي الله والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، فإذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقوه، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك، وإن أبوا إلا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين. وكتبت كتابي هذا من «الربذة» وأنا مُعجِّل المسير إليك إن شاء الله، وكتب عبید الله بن أبي رافع في سنة ست وثلاثين»^(٢)

قال: فلما وصل كتاب الإمام علي عليه السلام إلى عثمان أرسل إلى أبي

(١) شرح النهج: ٣١١/٩.

(٢) نهج السعادة: ٤٢/٤ عن المعيار والموازنة للإسكافي: ص ٦٠.

الأسود الدؤلي، وعمران بن الحصين الخزاعي، فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم، وما الذي أقدمهم؟ فانطلقا حتى أتيا حفر أبي موسى وبه معسكر القوم، فدخلا على عائشة، وسألاها ووعظاها وأذكراها وناشداها الله. فقالت لهما: ألقيا طلحة والزبير، فقاما من عندها ولقيا الزبير، فكلماه، فقال لهما: إنا جئنا للطلب بدم عثمان، وندعو الناس إلى أن يؤدوا أمر الخلافة شورى ليختار الناس لأنفسهم.

فقالا له: إن عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها، وأنت تعلم قتلة عثمان، من هم؟ وأين هم؟ وأنت وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه، وأعظمهم إغراء بدمه، فأقيدوا من أنفسكم، وأما إعادة أمر الخلافة شورى، فكيف وقد بايعتم علياً عليه السلام طائعين غير مكرهين.

وأنت يا أبا عبد الله، لم يبعد العهد بقيامك دون الرجل يوم مات رسول الله ﷺ وأنت آخذ قائم سيفك، تقول: ما أحد أحق بالخلافة منه، ولا أولى بها منه، وامتنعت من بيعة أبي بكر، فأين ذلك الفعل من هذا القول؟

فقال لهما: اذهبا فألقيا طلحة، فقاما إلى طلحة، فوجداه خشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في إثارة الفتنة، وإضرار نار الحرب.^(١) فانصرفا إلى عثمان بن حنيف، فأخبراه، وقال له أبو الأسود الشعر المتقدم، فقال ابن حنيف: إي والحرمين لأفعلن، وأمر مناديه، فنادى بالناس: السلاح السلاح، فاجتمعوا إليه..

٢.٢. في حفير

ومن هناك أرسلت الأم ولدها عبد الله بن عامر الأموي، وقالت له:

(١) (شرح النهج ابن أبي الحديد: ٣١٣/٩)

جئني بالرأي وأنت امرؤ صالح (تصوّر عبد الله بن عامر الفاسق رجل صالح؟) وهو والي البصرة المخلوع من أجل أن يتصل بأصحابه ورجاله ليهيء للقوم البصرة لاستقبالهم والإنضمام إليهم، ولذا فإن جيش السيدة عندما وصل لأول منازل البصرة (حفير وهي ماء لباهلة بينه وبين البصرة أربعة أميال) تمهلوا فيها حتى يأتيهم خبر ابن عامر، فلقبها عمير بن عامر التميمي فأوصاها أن تراسل وجوه البصرة قبل اقتحامها^(١).

فكتبت السيدة الأم إلى رجال من أهل البصرة منهم الأحنف بن قيس، تدعوهم لنصرتها، حتى إذا كانت بالحفير انتظرت الجواب..

٤.٢. الناكثون على أبواب البصرة

وروى البيهقي عن الحسن البصري أن الأحنف بن قيس قال للسيدة الأم: يا أم المؤمنين. هل عهد إليك رسول الله هذا المسير؟ قالت: اللهم لا، قال: فهل وجدته في شيء من كتاب الله جل ذكره؟ قالت: ما نقرأ إلا ما تقرأون. فقال: فهل رأيت رسول الله ﷺ استعان بشيء من نسائه إذا كان في قلة والمشركين في كثرة؟ قالت: اللهم لا. فقال الأحنف: فإذا ما هو ذنبنا^(٢)

٥.٢. معركة الجمل الصفري

ودخلت الأم إلى البصرة من جهة (المريد) وأحال ابن حنيف وأصحابه من دخولها ولم يستطيعوا ذلك إل بالخدعة، والمكر والمعصية لله ورسوله، بنكث العهد، ونقض الصلح، وقتل المسلمين بالسيف صبوا دون ذنب اقترفوه، بأمر وفتوى من أهم المصون، وتنفيذا

(١) (الطبري ١٧٣ / ٥)

(٢) (المحاسن والمساوي / البيهقي ١ / ٣٥)

من صهرها وحواري الرسول ﷺ الزبير وولده..لماذا يا أم قتلت أبناءك بدم بارد وكأنهم من يهود الخزر؟

وكان من خبرهم ما يلي، قال: فلما عرفا (طلحة والزبير) خروج الإمام علي عليه السلام إليهم قام طلحة في الناس خطيبا فنعى إليهم عثمان بن عفان وذكر قاتليه وأكثر الدّم لهم والشتم وعزا قتله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وأنصاره وذكر أن عليا أكره الناس على البيعة له فقال فيما قال:

يا معشر المسلمين أن الله قد امتحنكم بأمر المؤمنين وقد عرفتم حقها ومكانتها من رسول الله ﷺ ومكان أبيها من الإسلام فهذه هي تشهد لنا إنا لم نكذبكم فيما خبرناكم به ولا غررناكم فيما دعوناكم إليه من قتال ابن أبي طالب وأصحابه الصادين عن الحق ولسنا نطلب خلافة ولا ملكا وإنا نحذركم أن تغلبوا على أمركم وتقصروا دون الحق وقد رجونا أن يكون عندكم عوننا لنا على طاعة الله وصلاح الأمة فأنا أحق من عناه أمر المسلمين ومصالحتهم.

وأن عليا لو عمل الجد في نصرة أمكم لاعتزل هذا الأمر حتى تختار الأمة لأنفسها من ترضاه.

فقال أهل البصرة: مرحبا وأملا وسهلا بأمر المؤمنين والحمد لله الذي أكرمنا بها وأنتم عندنا رضا وثقة وأنفسنا مبدولة لكم ونحن نموت على طاعتكم ورضاكم.

ثم انصرفوا وساروا إلى عائشة فسلموا عليها وقالوا: قد علمنا أن أمنا لم تخرج إلينا إلا لثقتها بنا وأنها تريد الإصلاح وحقن الدماء وإطفاء الفتن والألفة بين المسلمين وإنا ننتظر أمرها في ذلك فإن أبي عليها أحد

فيه قاتلناه حتى يفتى إلى الحق^(١).

ويلغ كلام طلحة مع أهل البصرة إلى عبد الله بن حكيم التميمي فصار إليه وقال له: يا طلحة هذه كتبك وصلت إلينا بعيب عثمان بن عفان وخبرك عندنا بالتأليب عليه حتى قتل وبيعتك عليا في جماعة الناس ونكثك بيعته من غير حدث كان منه فيما بلغني عنك وفيما جئت بعد الذي عرفناه من رأيك في عثمان..

فقال له طلحة: أما عيبي لعثمان وتأليبي عليه فقد كان فلم نجد لنا من الخلاص منه سبيلا إلا التوبة فيما اقترفناه من الجرم له والأخذ بدمه فأما بيعتي له فإني أكرهت علي ذلك وخشيت منه أن يؤلب علي إن امتنعت من بيعته ويغري بي فيمن أغراه بعثمان حتى قتله. فقال له عبد الله بن حكيم: هذه معاذير يعلم الله باطن الأمر فيها وهو المستعان على ما نخاف من عاقبة أمرها.

وروى عبد الله بن عبيدة قال: لما كان من كلام عبد الله بن حكيم ما كان قام طلحة فحمد الله وأثنى عليه وقال: أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنا راض؛ وكنا مع أبي بكر حتى توفاه الله فمات وهو عنا راض؛ ثم كان عمر بن الخطاب فسمعناه وأطعناه حتى قبض وهو عنا راض؛ فأمرنا بالتشاور في أمر الخلافة من بعده واختار ستة نفر ورضيهم للأمر فاستقام أمرنا على رجل من الستة ولينا واجتمع رأينا عليه وهو عثمان وكان أهلا لذلك فبايعناه وسمعنا له وأطعناه فأحدث بعد ذلك إحداثا لم تكن على عهد أبي بكر وعمر فكرهها الناس منه ولم يكن لنا بد مما صنعناه..

وأخذ هذا الرجل (الإمام علي عليه السلام) الأمر دوننا من غير مشورتنا

(١) الجمل للشيخ المفيد: ص ١٦٢.

وتغلب عليه ونحن فيه وهو شرع سواء فأتى بنا إليه ونحن أكره الناس إليه واللج (سيف الأشر) على أعناقنا فبايعناه كرهما والذي نطلب منه أيها الناس الآن أن يدفع إلى ورثة عثمان قاتليه فإنه قتل مظلوما ويخلع هذا الأمر ويعتزله ليتشاور المسلمون فيمن يكون إماما كسنة عمر بن الخطاب فإذا استقام رأينا ورأي أهل الإسلام على رجل بايعناه.

فلما فرغ من كلامه قام عظيم من عظماء عبد القيس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس أنه قد كان وال هذا الأمر وقوامه المهاجرون والأنصار بالمدينة ولم يكن لأحد من أهل الأمصار أن ينقضوا ما أبرموا ولا يبرموا ما نقضوا فكانوا إذا رأوا رأيا كتبوا به إلى الأمصار فسمعوا لهم وأطاعوا وأن عائشة وطلحة والزبير كانوا أشد الناس على عثمان حتى قتل وباع الناس عليا وبايعه في جملتهم طلحة والزبير فجاءنا نبأهما وبيعتهما له فبايعناه.. فوالله لا نخلع خليفتنا ولا ننقض بيعتنا.

فصاح عليه طلحة والزبير وأمرنا بقرض لحيته فنتفوها حتى لم يبق منها شيء^(١).

ثم قام رجل من بني جشم، فقال: أيها الناس، أنا فلان الجشمي (وإنما أنتسب لهم ليعلموا أن له عشيرة تمنعه فلا يعجل عليه من لا يوافق كلامه) وقد أتاكم هؤلاء القوم، فإن كانوا أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان الذي يأمن فيه الطير والوحش والسباع، وإن كانوا إنما أتوكم بطلب دم عثمان فغيرنا تولى قتله، فأطيعوني أيها الناس، وردوهم من حيث أقبلوا وأقيموا على بيعتكم لإمامكم وأطيعوا أميركم فإنكم إن تفعلوا تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء التي لا تبقي ولا تذر.

(١) (الجمال، المفيد: ص ١٦٤)

فصاح عليه الناس من جوانب المسجد وقذفوه بالحصى.

ثم قام رجل آخر من متقدمي عبد القيس، فقال: أيها الناس انصتوا حتى أتكلّم فقال له عبد الله بن الزبير: ويلك ما لك وللكلام..

فقال: ما لي وله أنا والله للكلام به وفيه ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى عليه وقال: يا معاشر المهاجرين كنتم أول الناس إسلاما بعث الله محمدا نبيه بينكم فدعاكم فأسلمتم وأسلمنا لإسلامكم فكنتم فيه القادة ونحن لكم تبع ثم توفي رسول الله فبايعتم رجلا منكم لم تستأذنونا في ذلك فسلمنا لكم ثم أن ذلك الرجل توفي واستخلف عمر بن الخطاب فوالله ما استشارنا في ذلك فما رضيتم به رضينا وسلمنا ثم أن عمر جعلها شورى في ستة نفر فاخترتم منهم واحدا فسلمنا لكم واتبعناكم ثم أن الرجل أحدث أحداثا أنكرتموها فحصرتموه وخلعتموه وقتلتموه وما استشرتمونا في ذلك ثم بايعتم علي بن أبي طالب عليه السلام وما استشرتمونا في بيعته فرضينا وسلمنا وكنا لكم تبعا فوالله ما ندري بماذا نقضتم عليه؟ هل أستأثر بمال؟ أو حكم بغير ما أنزل الله؟ أو أحدث منكرا؟ فحدثونا به نكن معكم فوالله ما نراكم إلا قد ضللتكم بخلافكم له.. فقال له ابن الزبير: ما أنت وذاك وأراد أهل البصرة أن يشبوا عليه فمنعتهم عشيرته.

وروى الواقدي عن موسى بن طلحة قال: لقد شهدت عائشة يوم الجمل وقد سألتها الناس عن عثمان فما رأيت أفصح منها لسانا ولا أربط منها جنانا فاستجلبت الناس بيديها ثم حمدت الله وأثنت عليه وقالت: أيها الناس إنا نقمنا على عثمان لخصال ثلاثة:

إمارة بالغنى.

وضربه بالسوط.

ورفعه موضع الإمامة.. حتى إذا عتبنا منهم مصوه مص الماء بالصابون ثم عدوا عليه فاستحلت منه حرمت ثلاث

حرمة الشهر الحرام.

وحرمة البلد الحرام.

وحرمة الخلافة.. والله لعثمان كان أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وأعفهم للفرج أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وروي أن جليد الجشمي وعبد الله بن عامر التميمي دخلا على عائشة فسلما عليها فقالت: من هذان الرجلان؟ فقيل لها: هذان زهير بن جليد صاحب خراسان، وهذا عبد الله بن عامر التميمي فقالت: هما معنا أم علينا؟ فقالا: لا معك ولا عليك حتى يتبين لنا الأمر. فقالت: كفى بالاعتزال نُصرة.

وروي عمر بن صباح قال: اجتمع نفر من وجوه البصرة إلى طلحة والزبير فقالوا لهما: فإن ولاية دم عثمان غيركما فدعوا ولاته يطالبون بدمه والله ما نراكما أنصفتما رسول الله ﷺ في حبيسته عرضتماها للرياح والشموس والقتال وقد أمرها الله أن تقر في بيتها وتركتما نساءكما في الأكنان والبيوت هلا جئتم بنسائكما معكما..

فقال لهم طلحة: اغربوا عنا قبحكم الله^(١)..

وروي أن جارية بن قدامة السعدي قال للزبير وطلحة: جئتما بأم المؤمنين فهل جئتما بنسائكما؟ قالوا: لا.. فقال: فما أنا منكما في شيء

(١) الجمل للشيخ المفيد، ص ١٦٦.

واعتزل القتال ثم قال من أبيات ذكرها:

صتم حلائلكم وقدتم أمكم

هذا لعمر ك قلة الإنصاف^(١)

وجاء عمرو بن حصين إلى عائشة فقال لها: قد كان لك يا عائشة في أخواتك عبرة وفي أمثالك من أمهات المؤمنين أسوة أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (سورة الأحزاب: الآية ٣٣). فلو اتبعت أمر الله كان خيرا لك: فقالت: له يا عمر قد كان ما كان فهل عندك عوننا لنا وإلا فاحبس عنا لسانك.. قال: اعتزل عليا..

قالت: رضيت بذلك منك^(٢).

قال: فحضر ناس من أهل البصرة إلى المربد حتى ملؤوه مشاة وركبانا. فقام طلحة فأشار إلى الناس بالسكوت ليخطب، فسكتوا بعد جهد جهيد، فقال: أما بعد، فإن عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيلة، ومن المهاجرين الأولين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، فنزل القرآن ناطقا بفضلهم، وأحد أئمة المسلمين الوالين عليكم بعد أبي بكر وعمر صاحبي رسول الله ﷺ، وقد كان أحدث أحداثا نقمناها عليه فاعتبنا، فعدا عليه من ابتز هذه الأمة أمرها غصبا بغير رضى منها ولا مشورة فقتله وساعده على ذلك قوم غير أتقياء ولا أبرار فقتل محرما بريئا تائبا.

وقد جئناكم - أيها الناس - نطلب بدم عثمان وندعوكم إلى الطلب بدمه فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به، وجعلنا هذا الأمر مشورة بين المسلمين، وكانت خلافته رحمة للأمة جميعا فإن كل من أخذ الأمر عن غير رضى من العامة ولا مشورة منها ابتزازا كان ملكه عضوضا وحدثا

(١) (تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٧٦) .

(٢) (الجمل للشيخ المفيد: ص ١٦٧) .

كبيراً.

ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة، فقام إليهما ناس من أهل البصرة، فقالوا لهما: ألم تبايعا علياً عليه السلام فيمن بايعه، فقيم بايعتما ثم نكثتما؟

فقالا: ما بايعناه وما لأحد في أعناقنا بيعة، وإنما استكرهنا على بيعته.

فقال ناس: قد صدقا وأحسننا القول وقطعا بالصواب.

وقال ناس آخرون: ما صدقا ولا أصابا بالقول، حتى ارتفعت الأصوات.

قال: ثم أقبلت عائشة على جملها عسكر، فنادت بصوت جهوري مرتفع: أيها الناس، أقلوا واسكتوا، فسكت الناس لها، فقالت: إن عثمان قد غيّر وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا، وإنما نقموا عليه ضربه بالسوط، وتأمير الشبان، وحماية موضع الغمامة، فقتلوه محرما في حرمة الشهر، وحرمة البلد ذبحا كما يذبح الجمل.

ألا وإن قريشا رمت غرضها بنبالها، وأدمت أفواها بأيديها، وما نالت بقتلها إياه شيئا، ولا سلكت به سبيلا قاصدا.. أما والله، ليرونها بلايا عقيمة تنبه النائم، وتقيم الجالس، وليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب، إنه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحل به دمه مصصتموه كما يماض الثوب الرحيض (المغسول)، ثم عدوتم عليه فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه، وبايعتم ابن أبي طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازا وغصبا.

أتروني أغضب لكم من سوط عثمان ولسانه، ولا أغضب لعثمان

من سيوفكم، ألا إن عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتهم بهم فاقتلوهم، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان^(١)..

تأمل بكلام السيدة التي تعترف به صراحة بأن قريش هي التي قتلت عثمان ولكن كيف تعطف الكلام وتخطب أهل البصرة وتتهمهم بقتل الرجل ومبايعة أمير المؤمنين عليه السلام وكان أهل البصرة من فعل ذلك دونها ومن معها (طلحة والزبير) كيف ذلك لا أدري؟ فالقاتل من قاد وأمر بالقتل لا من دافع ونصح بكل جهده يا أم..

وقال: فماج الناس واختلطوا، فمن قائل يقول: القول ما قالت، ومن قائل يقول: وما هي وهذا الأمر؟ إنما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها، وارتفعت الأصوات وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصى.

ثم إن الناس تمايزوا فصاروا فرقتين: فريق مع عثمان بن حنيف رضي الله عنه وفريق مع عائشة وأصحابها^(٢).

قال أبو مخنف: فلما أقبل طلحة والزبير من المربد يريدان عثمان بن حنيف، فوجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك (الطرق) فمضوا حتى انتهوا إلى موضع الدباغين، فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير وأصحابهما بالرماح، فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك، ورمتهم النساء من فوق البيوت بالحجارة، فأخذوا إلى مقبرة بني مازن فوققوا بها مليا حتى رجعت إليهم خيلهم، ثم أخذوا على مسناة البصرة (ترعتها) حتى انتهوا إلى (الزابوقة) ثم أتوا السبخة (دار الرزق) فنزلوها وأتاها

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٣١٦/٩.

(٢) شرح النهج: ٣١٦/٩.

عبد الله بن حكيم التميمي لما نزلا بالسبخة بكتب كانا كتبها إليه.

فقال لطلحة: يا أبا محمد، ما هذه كتبك إلينا، قال: بلى.

قال: فكتبت بالأمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتله أتيتنا نائرا بدمه، فلعمري ما هذا رأيك ولا تريد إلا هذه الدنيا؟ مهلا إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من علي عليه السلام ما عرض عليك من البيعة، فبايعته طائعا راضيا ثم نكثت بيعتك ثم جئت لتدخلنا في فتنتك.

فقال: إن عليا دعاني إلى بيعته بعد ما بايعه الناس فعلمت أنني لو لم أقبل ما عرض علي لم يتم لي ثم يغري بي من معه..

ثم أصبحا من غد فصفا للحرب، وخرج عثمان بن حنيف رضي الله عنه إليهما في أصحابه فناشدهما الله والإسلام، وذكرهما بيعتهما عليا عليه السلام.

فقالا: نحن نطلب بدم عثمان، فقال لهما: وما أنتما وذاك؟ أين بنوه وبنوا عمه الذين هم أحق به منكم؟ كلا والله ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه، وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له، وهل كان أحد أشد الناس على عثمان منكما؟ فشتماه شتما قبيحا وذكرأ أمه.

فقال للزبير: أما والله لولا صفية (بنت عبد المطلب أم الزبير) ومكانها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها أدنتك إلى الظل وإن الأمر بيني وبينك يا بن الصعبة - يعني طلحة - أعظم من القول، لأعلمتكما من أمركما ما يسوؤكما. اللهم إني قد أعذرت إلى هذين الرجلين، ثم حمل عليهم، واقتتل الناس قتالا شديدا، ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهما كتاب صلح^(١).

فكتب:

(١) شرح النهج: ٣١٩م٩.

هذا ما اصطلاح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وطلحة والزبير ومن معهما من المسلمين من شيعتهما أن لعثمان بن حنيف دار الإمارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر، وأن لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاؤوا من البصرة ولا يضار بعضهم بعضا في طريق ولا فرضة ولا سوق ولا شريعة ولا مرفق حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإن أحبوا دخلوا فيما دخلت فيه الأمة وإن أحبوا ألحق كل قوم بهوهم وما أحبوا من قتال أو سلم أو خروج أو إقامة، وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذه علي نبي من أنبيائه من عهد وذمة. وختم الكتاب^(١).

نعم؛ إنها العهد، والميثاق (وأشد ما أخذ الله علي نبي) فهل هناك أوكد من هذه العقدة لو كان هناك روادع إسلامية أو أخلاق عربية أو ضمير وإنسانية، ولكن هيهات أن يفني للوالي من نكث بيعة الأمير الأعظم، والقائد الملهم عليه السلام؟

وهكذا رجع عثمان بن حنيف حتى دخل دار الإمارة، وقال لأصحابه: إلحقوا رحمكم الله بأهلكم، وضعوا سلاحكم، وداووا جرحاكم، فمكثوا كذلك أياما بأمان الله.^(٢)

ثم إن طلحة والزبير، قالا: إن قديم علي عليه السلام ونحن علي هذه الحالة من الضعف والقلة ليأخذن بأعناقنا. فأجمعا علي مراسلة القبائل البصرية، واستمالة العرب فيها خاصة، فأرسلوا إلى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف يدعونهم إلى الطلب بدم عثمان وخلع الإمام علي عليه السلام وإخراج ابن حنيف من البصرة. فبايعهم علي ذلك الأزد، وضبة، وقيس

(١) ن. م. ٣٢٠/٩.

(٢) (شرح النهج: ٣/٣١٩)

بن عيلان كلها إلا الرجل والرجلين من القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم، وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم، فجاءه طلحة والزبير إلى داره فتوارى عنهما، فقالت له أمه: ما رأيت مثلك؟ أتاك شيخا قريش فتواريت عنهما، فلم تزل به حتى ظهر لهما وبايعهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلهم وبنو حنظلة إلا بني يربوع فإن عامتهم كانوا شيعة لعلي عليه السلام وبايعهم بنو دارم كلهم إلا نفرا من بني مجاشع ذوي دين وفضل.^(١)

فلما استوسق لطلحة والزبير أمرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما قد لبسوا الدروع وظهروا فوقها بالثياب فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر.. وقد سبقهم عثمان بن حنيف رضي الله عنه إليه وأقيمت الصلاة فتقدم عثمان ليصلي بهم فأخّره أصحاب طلحة والزبير.

فقدموا الزبير فجاءت السبابجة وهم الشرط - وحرس بيت المال من مسلمي السند - فأخروا الزبير، وقدموا عثمان. فغلبهم أصحاب الزبير فقدموه، وأخروا عثمان. فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس أن تطلع، وصاح بهم أهل المسجد: ألا تتقون الله يا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد طلعت الشمس؟ فغلب الزبير فصلى بالناس، فلما فرغ من صلاته صاح بأصحابه المتسلحين: أن خذوا عثمان، فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما؛ فلما أسر ضرب ضرب الموت، ونُتف حاجباه وأشفار عينيه وكل شعرة من رأسه ووجهه، بأمر من طلحة وفتواه (عذبوا الفاسق، وانتفوا شعر حاجبيه، وأشفار عينيه، وأوثقوه بالحديد).. وأخذوا السبابجة وهم سبعون رجلا، فانطلقوا بهم وبعث عثمان بن حنيف إلى عائشة، فقالت لأبان بن عثمان: أخرج إليه فاضرب عنقه،

(١) (ن م ٣٢٠/٩٠)

فإن الأنصار قتلت أباك، وأعانت علي قتله. (تأمل بهذه الجرأة والفرية على الأنصار الكرام). ؟

فنادى عثمان بن حنيف رضي الله عنه: يا عائشة ويا طلحة ويا زبير، إن أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب عليه السلام على المدينة، وأقسم بالله إن قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم ورهطكم وأهلكم فلا يبقى أحدا منكم.

فكفوا عنه وخافوا أن يوقع سهل بن حنيف رضي الله عنه بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة فتركوه، وأرسلت عائشة إلى الزبير: أن اقتل السبابجة فإنه بلغني الذي صنعوا بك، فذبحهم والله الزبير كما تذبح الغنم، وولى ذلك منهم عبد الله ابنه وهم سبعون رجلا وبقيت طائفة متمسكين ببيت المال، قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام، فسار إليهم الزبير في جيش ليلا فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبورا.

قال أبو مخنف: وحدثنا الصقب بن زهير، قال: كانت السبابجة القتلى يومئذ أربعمائة رجل.. وقال: كان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف رضي الله عنه أول غدر كان في الإسلام، وكانت السبابجة أول قوم ضرب أعناقهم من المسلمين صبورا.

قال: وخيروا عثمان بن حنيف رضي الله عنه بين أن يقيم أو يلحق بعلي عليه السلام فاختار الرحيل، فخلوا سبيله، فلحق بعلي عليه السلام بذئ قار؛ فلما رآه بكى، وقال له: فارقتك شيخا وجئتك أمردا..

فقال علي عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون. قالها: ثلاثا. ^(١)

وهناك رواية أخرى للحادثة نسوقها تلافيا لسوء الظن بنا وهي: لما

(١) (الروض النضير فارس حسون كريم ص ٣٣٤ - ٣٣٩)

بلغ عائشة رأي ابن حنيف في القتال ركبت الجمل وأحاط بها القوم وسارت حتى وقفت (بالمربد) واجتمع إليها الناس حتى امتلأ المربد بهم، فقالت وهي على الجمل: صِيءٌ صِيءٌ (أي اصمتوا) فسكت الناس واصغوا إليها فحمدت الله تعالى، وقالت: أما بعد فإن عثمان بن عفان قد كان غير وبدل فلم يزل يغسله بالتوبة حتى صار كالذهب المصفى فعدوا عليه وقتلوه في داره وقتل ناس معه في داره ظلما وعدوانا ثم آثروا عليا فبايعوه من غير ملائمة من الناس ولا شورى ولا اختيار فابتز والله أمرهم وكان المبايعون له يقولون خذها إليك واحذرن أبا حسن..

إنا غضبنا لكم على عثمان من السوط فكيف لا نغضب لعثمان من الغضب أن الأمر لا يصح حتى يرد الأمر إلى ما صنع عمر من الشورى فلا يدخل فيه أحد سفك دم عثمان.

فقال بعض الناس: صدقت.. وقال بعض الناس: كذبت وتضاربوا بالنعال وتركتهم وسارت حتى أتت (الدباغين) وقد تحيّر الناس بعضهم مع طلحة والزبير وعائشة وبعضهم متمسك ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام والرضا به فسارت من موضعها ومن معها واتبعها على رأيها طلحة والزبير ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير حتى أتوا دار الإمارة فسألوا عثمان بن حنيف الخروج عنها فأبى عليهم ذلك واجتمع إليه أنصاره وزمرة من أهل البصرة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى زالت الشمس وأصيب يومئذ من عبد القيس خاصة /٥٠٠/ خمسمائة شيخ مخضوب من أصحاب عثمان ابن حنيف وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام سوى من أصيب من ساير الناس وبلغ الحرب بينهم التزاحف إلى (مقبرة بني مازن) ثم خرجوا على مسناة البصرة حتى انتهوا إلى (الزابوقة) وهي ساحة دار (الرزق: أي بيت

(المال)^(١).

فاقتتلوا قتالا شديدا كثر فيه القتلى والجرحى من الفريقين ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ودخل بينهم الناس لما رأوا من عظيم ما ابتلوا به فتصالحوا: على أن لعثمان بن حنيف دار الإمارة والمسجد وبيت المال..

ولطلحة والزبير وعائشة ما شأؤوا من البصرة ولا يحاجوا حتى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام فإن أحبوا عند ذلك الدخول في طاعته وإن أحبوا أن يقاتلوا، وكتبوا بذلك كتابا بينهم وأوثقوا فيه العهود وأكدوها وأشهدوا الناس على ذلك..^(٢)

ووضع السلاح وآمن عثمان بن حنيف على نفسه وتفرق الناس عنه وطلب طلحة والزبير وأصحابهما عثمان حتى أتوا دار الإمارة وعثمان بن حنيف غافل عنهم وعلى باب الدار السبابجة يحرسون بيوت الأموال وكانوا قوما من الزط ووضعوا فيهم السيف من أربع جوانبهم فقتلوا أربعين رجلا منهم صبورا (أسارى)، يتولى منهم ذلك الزبير خاصة، ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطا وعمدوا إلى لحيته - وكان شيخا كث اللحية - فنتفوها حتى لم يبق منها شيء ولا شعرة واحدة.. وقال طلحة: عذبوا الفاسق وانتفوا شعر حاجبيه وأشفار عينيه وأوثقوه بالحديد.

فلما أصبحوا اجتمع الناس إليهم وأذن مؤذن المسجد لصلاة الغداة فرام طلحة أن يتقدم للصلاة بهم فدفعه الزبير وأراد أن يصلي بهم فمنعه طلحة فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن تطلع فنادى أهل البصرة

(١) (في معجم البلدان (ج ٤ - ص ٣٦٦) الزابوقة: بالزاء المعجمة بعدها ألف ثم باء موحدة وبعدها واو ثم القاف مدينة المسامعة قرب البصرة وهم بنو مسمع بن شهاب بن بلع بن عمرو. وفيها كانت وقعة الجمل).

(٢) (نص عليه في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٧٧) وابن الأثير (ج ٣ - ص ٨٤)

الله، الله يا أصحاب رسول الله ﷺ في الصلاة نخاف فوتها.

فقالت عائشة: مروا أن يصلي بالناس غيرهما.. وبرواية أخرى: مروا ابن أخي يصلي بالناس.. وفي تاريخ اليعقوبي قالت: أن يصلي عبد الله بن الزبير يوم، ومحمد بن طلحة يوم.. تأمل يارعاك الله لهؤلاء الأمراء ولهكذا صحابة نقدسهم..

فقال لهم يعلى بن منيه: يصلي عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما حتى يتفق الناس على أمير يرضونه.. فتقدم ابن الزبير وصلى بهم ذلك اليوم.^(١)

والتفت أيها الزكي النابه إلى هؤلاء القوم وتفكر بالغاية المقصودة لهما وإلا فما هذا النزاع إن كانا يطلبان الحقيقة ولكن اقرأ واعجب وما عشت أراك الدهر عجبا.. وهل أعطاهما أمير المؤمنين عليه السلام حقهما عندما قال أنهما إن ظفرا سوف يضربون رقاب بعضهم البعض على الدنيا؟ وأما الدين فله أهله من التقة المخلصين..

وبلغ حكيم بن جبلة العبدى ما صنع القوم بعثمان بن حنيف وقتلهم السبابجة الصالحين خزان بيت مال المسلمين فنادى في قومه: يا قوم انفروا إلى هؤلاء الضالين الظالمين الذين سفكوا الدم الحرام وفعلوا بالعبد الصالح واستحلوا ما حرم الله عز وجل.

فأجابه /٧٠٠/ سبعمائة رجل من عبد قيس وأتوا المسجد واجتمع الناس إلى حكيم بن جبلة فقال للقوم: أما ترون ما صنعواه بأخي عثمان بن حنيف ما صنعوا؟ لست بأخيه إن لم أنصره.. ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إن طلحة والزبير لم يريدوا بما عملا القرية منك وما أرادوا إلا

(١) (ابن الأثير الكامل في التاريخ (ج ٣ - ص ٨١)

الدنيا اللهم اقتلها بمن قتلها ولا تعطهما ما أملا..

ثم ركب فرسه وأخذ بيده الرمح واتبعه أصحابه وأقبل طلحة والزبير ومن معهما وهم في كثرة من الناس قد انضم إليهم الجمهور واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت بينهم الجرحى والمقتلى وبرز إلى حكيم بن جبلة رجل من القوم فضربه بالسيف فقطع رجله فتناولها حكيم بيده ورماه بها فصرعه (في تاريخ الطبري لما ضربه برجله وصرعه فحبا(زحف) إليه وقتله ثم اتكأ عليه وقال:

يا فخذ لن تراعي
إن ممي ذراعي
أحمي بها كراعي^(١)

ثم صار إلى حكيم أخوه المعروف بالأشرف فقال: من أصابك؟ فأشار إلى الذي ضربه فأدركه الأشرف فخبطه بالسيف حتى قتله وتكاثر الناس عليه وعلى أخيه حتى قتلوهما وتفرق الناس.. (وفي تاريخ الطبري قتل مع حكيم بن جبلة ابنه الأشرف وأخوه الرعل بن جبلة)^(٢)

ورجع طلحة والزبير ونزلا دار الإمارة وغلبا على بيت المال فتقدمت عائشة وحملت مالا منه لتفرقه على أنصارها فدخل عليها طلحة والزبير في طائفة معهما واحتملا منه شيئا كثيرا فلما خرجا نصبا على أبوابه الأقفال ووكلا به من قبلهما قوما فأمرت عائشة بختمه فبرز لذلك طلحة ليختمه فمنعه الزبير وأراد أن يختمه الزبير دونه فتدافعا..

فبلغ عائشة ذلك فقالت: يختمها عني ابن أختي عبد الله بن الزبير فحتم يومئذ بثلاثة ختموم. ثم قال طلحة والزبير: ما تأمرين في عثمان؟

(١) (ج ٥ - ص ١٨٠) وابن الأثير (ج ٣ - ص ٨٥)

(٢) (الطبري؛ ج ٥ - ص ١٣٣)

فإنه لما به فقالت: اقتلوه قتله الله (هنا الفقه ونصف الدين فبأي ذنب يقتل هذا الصحابي الجليل ويفعل به ما فعل؟) ..

وكانت عندها امرأة من أهل البصرة فقالت لها: يا أماء أين يذهب بك أتأمرين بقتل عثمان بن حنيف وأخوه سهل (بن حنيف) على المدينة وله مكانة من الأوس والخزرج ما قد علمت، والله لئن فعلت ذلك ليكونن له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري قريش..

فآب إلى عائشة رأيها فقالت: لا تقتلوه ولكن احبسوه وضيقوا عليه حتى أرى رأيي.. فحبس أياما ثم بدا لهم في حبسه وخافوا من أخيه أن يحبس مشايخهم بالمدينة ويوقع بهم فتركوا حبسه.

فخرج ابن حنيف حتى جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو بذى قار فلما نظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقد نكل به القوم (بكى) وقال: يا عثمان بعثك شيخا ملتحي فرددت أمردا لي.. اللهم إنك تعلم أنهم اجترؤوا عليك واستحلوا حرمتك.. اللهم اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي وعجل لهم النعمة بما صنعوا بخليفتي^(١)..

ولما خرج عثمان بن حنيف من البصرة وعاد طلحة والزبير إلى بيت المال فتأملا إلى ما فيه من الذهب والفضة قالوا: هذه الغنائم التي وعدنا الله بها وأخبرنا أنه يعجلها لنا (إنهما وحي يوحى لهما).

ولما استقر الأمر عند القوم بعد خروج عثمان بن حنيف وعلم طلحة والزبير وعائشة أن أمير المؤمنين عليه السلام بذى قار ينتظر الجموع وأنه لا يصبر على ما فعلوه بصاحبه والمسلمين..

أمرت عائشة الزبير أن يستنفر الناس إليه فخطبهم الزبير وأمرهم

(١) الجمل للشيخ المفيد : ص ١٥٤.

بالجدِّ والاجتهاد.. وقال لهم: إن عدوكم قد أظلكم والله لئن ظفر بكم لا ترك بكم عينا تطرف فانهضوا إليه حتى نكب عليه قبل أن تلحقه أنصاره وقال لهم امضوا فخذوا أعطيتكم..

فلما رجع إلى منزله قال له ابنه عبد الله: أمرت الناس أن يأخذوا أعطيتهم ليتفرقوا بالمال قبل أن يأتي علي بن أبي طالب فتضعف بشس الرأي الذي رأيت.. فقال له الزبير: اسكت ويحك ما كان غير الذي قلت.. فقال طلحة صدق عبد الله: وما ينبغي أن يسلم هذا المال حتى يقرب منا علي فنضعه في موضعه فيمن يدفعه عنا.. فغضب الزبير وقال: والله لو لم يبق إلا درهم واحد لأعطيته.. فلامته عائشة على ذلك ووافق رأيها برأي الرجلين.. فقال الزبير: والله لتدعوني أو ألحق بمعاوية فقد بايع في الشام الناس فأمسكوا عنه..

وروى داود بن أبي هند عن ابن عمرة مولى الزبير: أن الزبير قال يومئذ: لو كان لي ألف فارس إلى خمسمائة فارس ينهضون معي الساعة لأسير بهم إلى علي فإما أن آتي به بياتا أو أصبحه صباحا لعلي أقتله قبل أن يأتيه مدده..

فلم يخف معه أحد فاغتاظ لذلك وقال: هذه والله الفتنة التي كنا نتحدث بها.. فقال له مولاه أبو عمرة: رحمك الله يا أبا عبد الله تسميها فتنة ثم ترى القتال فيها؟ فقال له: ويحك إنا نُبَصِّر ولكن لا نُبَصِّر.. ثم قال بعد ذلك بيوم أو يومين: والله ما كان أمر قط إلا علمت أين أضع قدمي فيه إلا هذا الأمر فإني لم أدر أنا فيه مقبل أم مدبر..

فقال له ابنه عبد الله: والله ما بك هذا وإنما لنتعamy فما يحملك على هذا القول إلا أنك أحسست برايات ابن أبي طالب قد أظلت وعلمت أن الموت الناقع تحتها.. فقال له: اعزب ويحك فإنك لا علم لك بالأمر.

وروى الحرث بن الفضل عن أبي عبد الله الأغر أن الزبير بن العوام قال لابنه يومئذ: ويلك لا تدعنا على حال أنت والله قطعت بيننا وقرت الفتنة بما بليت به من هذا المسير وما كنت متوليا من ولي هذا الأمر وأقام به والله لا يقوم أحد من الناس مقام عمر بن الخطاب فيهم فمن ذا يقوم مقام عمر بن الخطاب وإن سرنا بسيرة عثمان قتلنا فما أصنع بهذا المسير وضرب الناس بعضهم ببعض..

فقال له عبد الله ابنه: أفتدع عليا يستولي على الأمر، وأنت تعلم أنه كان أحسن أهل الشورى عند عمر بن الخطاب ولقد أشار عمر وهو مطعون يقول لأصحابه أهل الشورى: ويلكم اطمعوا ابن أبي طالب فيها لا يفتق في الإسلام فتقا عظيما ومنوه حتى تجتمعوا على رجل سواه^(١).

٦.٢. كتب عائشة إلى الأمصار

وروى الواقدي قال: لما أفرج القوم عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه لما خافوا من أخيه سهل بن حنيف كتبت عائشة إلى أهل المدينة المنورة ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من أم المؤمنين عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وابنة الصديق إلى أهل المدينة أما بعد فإن الله أظهر الحق ونصر طالبيه وقد قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقَّذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (سورة الأنبياء: الآية ١٨).

فاتقوا الله عباد الله واسمعوا وأطيعوا واعتصموا بحبل الله جميعا وعروة الحق ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فإن الله قد جمع كلمة أهل

(١) الجمل للشيخ المفيد: ص ١٥٦.

البصرة وأمروا عليهم الزبير بن العوام فهو أمير الجنود والكافة يجتمعون على السمع والطاعة له فإن اجتمعت كلمة المؤمنين على أمرائهم عن ملأ منهم وتشاور فإننا ندخل في صالح ما دخلوا فيه فإذا جاءكم كتابي هذا فاسمعوا وأطيعوا وأعينوا على ما سمعتم عليه من أمر الله.

وكتب عبيد بن كعب لخمس ليال من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين..^(١)

وكتبت إلى أهل اليمامة وأهل تلك النواحي:

أما بعد؛ فإني أذكركم الله الذي أنعم عليكم والزمكم بالإسلام فإن الله تعالى يقول: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (سورة الحديد: الآية ٢٢). فاعتصموا بحبل الله وكونوا مع كتابه فإن أمكم ناصحة لكم فيما تدعون إليه من الغضب له والجهاد لمن قتل خليفة له حرمة وابتز المسلمين أمرهم وقد أظهر الله عليه وأن ابن حنيف الضال المضل كان بالبصرة يدعو المسلمين إلى سبيل النار وإننا أقبلنا إليها ندعوا المسلمين إلى كتاب الله وأن يضعوا بينهم القرآن فيكون ذلك رضا لهم وأجمع لأمرهم وكان ذلك لله على المسلمين فيه الطاعة فإما أن ندرك به حاجتنا أو نبلغ عذرا. فلما دنونا بالبصرة وسمع بنا ابن حنيف جمع لنا الجموع وأمرهم أن يتلقونا بالسلاح فيقاتلونا ويطردونا وشهدوا علينا بالكفر وقالوا فينا المنكر فأكذبهم المسلمون وأنكروا عليهم وقالوا لعثمان بن حنيف ويحك إنما تابعتنا زوج النبي وأم المؤمنين وأصحاب رسول الله وأئمة المسلمين فتمادى في غيه وأقام على أمره فلما رأى المسلمون أنه قد عصاهم ورد عليهم أمرهم.. فغضبوا لله عز وجل

(١) (عند ابن الأثير ج ٣ - ص ٨٦ إنه كتب في جمادى)

ولأم المؤمنين ولم نشعر به حتى أطلبنا في ثلاثة آلاف من جهلة العرب وسفائهم وضعهم دون المسجد بالسلاح فالتمسنا أن يبائعوا على الحق ولا يحولوا بيننا وبين المسجد فرد علينا ذلك كله.

حتى إذا كان يوم الجمعة وتفرق الناس بعد الصلاة عنه دخل طلحة والزبير ومعهما المسلمون وفتحوه عنوة وقدموا عبد الله بن الزبير للصلاة بالناس وإنما نخاف من عثمان وأصحابه أن يأتونا بغتة ليصيبوا منا غرة فلما رأى المسلمون أنهم لم يبرحوا تحرزوا لأنفسهم ولم يخرج ومن معه حتى هجموا علينا وأباحوا سدة بيتي ومعهم صناديد لهم ليسفكوا دمي فوجدوا نفرا على باب بيتي فردوهم عني وكان حولي نفر من القرشيين والأزدية فدفعوهم عني وقتل منهم من قتل وانهزموا فلم نتعرض لبقيتهم وخلينا ابن حنيف مئنا مئنا عليه وقد توجه إلى صاحبه وعرفناكم ذلك عباد الله لتكونوا على ما كنتم عليه من النية في نصره دين الله والغضب لخليفته المظلوم^(١).

٧.٢ . بشارة عائشة وفرح حفصة:

ولما بلغ عائشة نزول أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار كتبت إلى حفصة بنت عمر:

أما بعد فلما نزلنا البصرة ونزل علي بذي قار والله داق عنقه كدق البيضة على الصفا أنه بمنزلة الأشقر، إن تقدم نحر وإن تأخر عقر.

فلما وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك ودعت صبيان بني تيم (البكريين)، وعدي (العمرين) وأعطت جواربها دفوقا وأمرتهن أن يضربن بالدفوف ويقلن:

(١) الجمل للشيخ المفيد، ص ١٦١، الجمل لابن شدقم، ص ٣٥.

ما الخبر ما الخبر علي كالأشقر

إن تقدم نحر وإن تأخر عقر

فبلغ أم سلمة (رض) اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين عليه السلام والمسرة بالكتاب الوارد عليهن من عائشة فبكت وقالت أعطوني ثيابي حتى أخرج إليهن وأوقع بهن.

فقال أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أنوب عنك فإنني أعرف منك.. فلبست ثيابها وتنكرت وتخفرت واستصحبت جواربها متخفرات وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النضارة فلما رأت إلى ما هن فيه من العبث والسفه كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها، ثم قالت لحفصة: إن تظاهرت أنت وأختك علي أمير المؤمنين عليه السلام فقد تظاهرتما علي أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل فأنزل الله عز وجل فيكما ما أنزل^(١) والله من وراء حربكما.. وأظهرت حفصة خجلا وقالت إنهن فععلن هذا بجهل وفرقتهن في الحال^(٢).

٨.٢ موقف الأحنف بن قيس

وبعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام الأحنف بن قيس يقول له: إني مقيم على طاعتك في قومي فإن شئت حبست عنك أربعة آلاف سيف من بني سعد.. فبعث إليه أمير المؤمنين عليه السلام: بل احبس وكف فجمع الأحنف قومه، فقال: يا بني سعد كفوا عن هذه الفتنة واقعدوا في بيوتكم فإن

(١) إشارة إلى ما جاء في سورة التحريم/٣ من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَسْرَأْتَنِي إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا

تَأْتِيهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَايَعُوا قَالَتْ مَنْ أَبْأَكَ هَذَا قَالَ نَتَأْتِي الْعَلِيَّةَ الْخَبِيرَةَ ﴿

(٢) (ففي تفسير الخازن (ج ٧ - ص ٩٧) وروح المعاني للألوسي (ج ٢٨ - ص ١٥٢) عن ابن

عباس أن حفصة أسرت حديثا لرسول الله صلى الله عليه وآله إلى عائشة وكانتا متصافيتين وهما اللتان

تظاهرتا عليه ونزل القرآن فيهما ..)

ظهر أهل البصرة فهم إخوانكم لم يهيجوكم وإن ظهر علي عليه السلام سلمتم فكفوا وتركوا القتال^(١)

وأقبل هلال بن وكيع الحنظلي إلى الأحنف بن قيس حين بلغه ذلك فقال: ما يقول سيدنا في هذا الأمر؟ فقال الأحنف: إنما أكون سيدكم غدا إذا قلت أنا وبقيت.. فقال هلال: بل أنت سيدنا اليوم وشيخنا..

فقال الأحنف: أنا شيخكم المعصي، وأنت الشاب المطاع.. أقعد في بيتك ولا تخرج مع طلحة والزبير فأبى أن يرضى.. ثم دعا تميما كلهم فبايعوه إلا نفر منهم فبلغ طلحة والزبير ما فعله الأحنف فبعثا إليه يستميلانه ويرومان أن يدخل في طاعتهما، فقال: اختاروا مني إحدى ثلاث خصال:

إما أن أقيم في بيتي واكف نفسي ولا أكون معكما ولا عليكم..

وإما أن ألحق بعلي بن أبي طالب عليه السلام..

وإما أن أتني إلى الأهواز فأقيم بها..

فقالا: ننظر في ذلك.. ثم استشارا من حضرهما فقالوا لهما: أما علي فعدوكم ولا حظ في أن يكون معه الأحنف؛ وأما الأهواز أن أتاها يلحق به كل من لا يريد القتال معكما منهم، ولكن يكون قريبا منكما فإن تحرك وطأتماه على صماخه.. فأمره بالعودة فأتى (وادي السباع) وأقام به..^(٢)

ولما قدم رسول الأحنف على علي عليه السلام بما بذله من كف قومه عنه

قال رجل: يا أمير المؤمنين من هذا؟

(١) تاريخ الطبري: (ج ٥ - ص ١٩٩)

(٢) (تاريخ الطبري ج ٥ - ص ١٩٧ وص ٢٠١)

قال عليه السلام: أدهى العرب وخيرهم لقومه..

فقال: كذلك هو وإني لأمثل بينه وبين المغيرة بن شعبة لزم الطائف فأقام بها ينتظر علي من تستقيم الأمة..

فقال الرجل: إني لأحسب أن الأحنف لأسرع إلى ما تحب من المغيرة..

فقال علي عليه السلام: أجل ما يبالي المغيرة أي لواء رفع لواء ضلالة أو هدى..

المحتويات

٧	الإهداء
٩	المقدمة
الباب الأول	
الإمام علي (ع) وقريش..	
الإمام (ع) حمل آثام الإسلام عند قريش	
٢١	الفصل الأول:
٢١	نظرة إلى تاريخ قريش وقبائلها وصراعاتها
٢١	١. قبائل قريش
٢٧	مؤتمر قريش
٤٠	أمية عبد رومي.. أو سيد قرشي؟
٤١	١. هل كان أمية عربياً؟
٥٥	٢. منافرته لهاشم:
٥٩	عبد المطلب وأميه

٦٥	صخر بن حرب (أبو سفيان)..
٦٦	قريش منجم الفراعنة
٧٣	الرسول الأعظم ﷺ وقريش
٨٦	الإمام علي (عليه السلام) مَنْ حمل آثام الإسلام
٩٣	أرقام مالية في الدولة الإسلامية
٩٤	١. الزبير بن العوام
٩٥	٢. طلحة بن عبيد الله التيمي
٩٦	٣. عبد الرحمن بن عوف الزهري
٩٧	٤. زيد بن ثابت
٩٧	٥. عثمان بن عفان
١٠٤	الفصل الثاني: الإمام علي (ع) الشخصية والخصائص
١٠٤	أ. شخصيته (ع)
١٢٢	١. بعض من قال اسألوني وفضح
١٢٤	٢. قصة لأحد الوعاظ ببغداد
١٣٤	٣. في جماله الشخصي ﷺ
١٣٧	٤. الصفات الجسمية للإمام علي ﷺ
١٤٧	٥. قصة ضرار بن ضمرة
١٦٢	ب. خصائص وفضائل الإمام (ع)
١٦٢	١. الفصاحة
١٦٤	٢. حديث الأشباه
١٧٤	ت. شجاعة الإمام علي (ع)
١٧٤	١. الشجاعة
١٨١	٢. الشجاعة الحيدرية

١٨٩	١.٢. وأما القوة والأيدي
١٩٣	الفصل الثالث: بحوث في الحرب وتطورها:
١٩٣	الحرب وأنواعها
١٩٥	١. رأي الإسلام في الحرب..
٢٠٧	١. الحرب العسكرية
٢١٢	١. شروط الحرب
٢١٢	١.١. الإصطفاف
٢١٢	٢.١. الارتباط
٢١٢	٣.١. النظم والانتظام
٢٣٠	٢. بعض المصطلحات العسكرية
٢٣٥	٣. القيادة العسكرية
٢٤٥	٤. تحضير القوات للقتال
٢٤٥	٤.١. تحضير الأفراد..
٢٥١	٤.٢. تنظيم الجيش
٢٥٢	٤.٣. تحضير الأسلحة والعتاد
٢٥٣	٥. طلائع القوات القتالية
٢٥٧	٢. الحرب النفسية السيكولوجية..
٢٦٢	١. أهداف الحرب النفسية
٢٦٣	٢. مبادئ الحرب النفسية
٢٦٤	٣. أنواع الحرب النفسية
٢٦٤	٣.١. الحرب النفسية الإستراتيجية (السوقية)
٢٦٥	٣.٢. الحرب النفسية المعنوية (تكتيكية)
٢٦٦	٣.٣. الحرب النفسية المحلية
٢٦٨	٣.١. الشائعات

- ٢٧٠ ث. الحرب النفسية في حروب التأويل..
- ٢٧٣ ٣ . ٢ . وفي معركة صفين
- ٢٧٩ ١ . السياسة الظالمة
- ٢٨٨ ٢ . الانضباط العسكري
- ٢٩١ ٣ . الحرب الباردة..
- ٢٩٦ ٤ . الحرب الإسلامية (الجهاد في سبيل الله)
- ٣٠١ حروب التأويل (نظرة شمولية)
- ٣١٤ ١ . مكاتبة معاوية بن أبي سفيان إلى بني أمية
- ٣١٤ ١ . ١ . كتب إلى مروان بن الحكم:
- ٣١٦ ١ . ٢ . وكتب إلى عبد الله بن عامر بن كريز:
- ٣١٨ ١ . ٣ . وكتب إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط الفاسق:
- ٣٢١ ١ . ٤ . وكتب إلى يعلى بن أمية (منية) :
- ٣٢٣ ١ . ٥ . وكتب إلى سعيد بن العاص يستنهضه معهم:
- ٣٢٩ ٢ . مسيرة الناكثين في مكة المكرمة
- ٣٣١ ٣ . من أين التسمية لهذه الحروب؟
- ٣٣١ ٣ . ١ . الناكثين..
- ٣٣٥ ٣ . ٢ . القاسطين..
- ٣٣٧ ٣ . ٣ . المارقين..
- ٣٤٣ بعض الآراء بقتال البيعة
- ٣٤٣ ١ . الشيعة والمباشرون للقتال فيها
- ٣٤٨ ٢ . رأي أئمة السنة:
- ٣٥٧ ٣ . رأي الحشوية من السنة:
- ٣٦٠ ٤ . رأي المعتزلة
- ٣٦٨ ٥ . القاعدون عن القتال:

٣٧٠	مقدمات لحرب الناكثين
٣٧٠	١. مقدمات ضرورية
٣٧٠	١.١. فتنة عثمان بن عفان
٣٨٢	٢.١. من مؤتمرات الأمويين
٣٨٨	٣.١. الإمام علي <small>عليه السلام</small> وفتنة عثمان
٣٩٣	٤.١. صورة أجمل وأكمل
٣٩٦	٥.١. الإمام علي <small>عليه السلام</small> ينصح عثمان:
٤٠٠	٦.١. كتاب عثمان إلى معاوية:
٤٠١	٧.١. الآراء في أحداث عثمان:
٤٠٤	٨.١. رأي الجاحظ في ذلك:
٤٠٧	٩.١. رأي العثمانية:
٤٢١	٢. بيعة الحق والنور
٤٢١	١.٢. البيعة النورانية..
٤٢٦	٢.٢. تخلف بعض الرجال..
٤٣١	٣.٢. المبايعون..
٤٣٨	٤.٢. الإجبار في البيعة:
٤٤٧	٣. رأي كبار الصحابة باستخلاف عمر:
٤٥٧	٤. ولاية عثمان والشورى
٤٥٩	١.٤. امتناع الإمام علي <small>عليه السلام</small> من البيعة له:
٤٦١	٢.٤. بيعة طلحة والزبير
٤٦٣	٣.٤. الناكثان
٤٦٤	٥. قادة الناكثين ومبرراتهم
٤٦٤	١.٥. طلحة بن عبيد الله
٤٨٤	٢.٥. الزبير بن العوام

- ٥٠٣ . ٣ . ٥ . السيدة عائشة
 ٥٢٥ . ٦ . ندم الناكثين على البيعة
 ٥٣١ . ٧ . براءة أمير المؤمنين من الدم:

الباب الثاني

حروب التأويل ومعاركه..

المعركة الأولى

حرب الناكثين في معركة الجمل

- ٥٣٩ الفصل الأول:
 ٥٣٩ المقدمات والإرهاصات
 ٥٤٠ ١ . من أخلاق قائد جند الحق
 ٥٤٣ ١.١ . مع المقوقس ملك الأقباط..
 ٥٤٣ ٢.١ . مع كسرى ملك الفرس..
 ٥٤٥ ٣.١ . مع هرقل ملك الروم..
 ٥٤٦ ٢ . توجيهات قائد إلهي (يوحى إليه)
 ٥٥٠ ٣ . توجيهات قائد رباني وملهم
 ٥٥٩ ٤ . لفظة فقهية لأخلاقيات الحرب
 ٥٦٢ ٥ . من تعاليم القتال والتدريب العسكري

الفصل الثاني:

التحضير والمسير

- ٥٦٨ ١ . مسير جيش الحق
 ٥٦٩ ١.١ . في المدينة المنورة
 ٥٨٣ ٢.١ . في الريزة
 ٥٨٥ ٣.١ . في جبال طيء

- ٥٩٤ . ٤ . ١ . كتاب الإمام علي عليه السلام إلى أهل الكوفة
- ٥٩٥ . ٥ . ١ . رواية عبد الله بن عباس
- ٥٩٨ . ٦ . ١ . في ذي قار
- ٦٠٥ . ٧ . ١ . في البصرة
- ٦٠٩ . ٢ . مسير الناكثين
- ٦٠٩ . ١ . ٢ . من مكة وحتى البصرة
- ٦١٤ . ٢ . ٢ . في حفر أبو موسى
- ٦١٩ . ٣ . ٢ . في حفير
- ٦٢٠ . ٤ . ٢ . الناكثون على أبواب البصرة
- ٦٢٠ . ٥ . ٢ . معركة الجمل الصغرى
- ٦٣٩ . ٦ . ٢ . كتب عائشة إلى الأمصار
- ٦٤١ . ٧ . ٢ . بشارة عائشة وفرح حفصة:
- ٦٤٢ . ٨ . ٢ . موقف الأحنف بن قيس

الحرب ظاهرة إجتماعية مأساوية، بدأت من الأخوين وهي
تؤرقنا في كل حين .. لأنها ما زالت تطحن برحاهها البشر،
وتفتك بهم في كل زمان ومكان..

وحروب الحق: هي التي قادها أنبياء الله ورسله (ع) .. وتسمى
حروب التنزيل..

وحروب الصدق: هي الحروب التي خاضها الأوصياء (ع)
من أجل تأويل الصحيح لرسالات السماء، وتطبيق مناهج
الأنبياء على أرض الواقع، وفي حياة المجتمع..

وحروي التأويل - التي بحثها هذا الكتاب - : هو تحليل
لأحداث الحرب التي رافقت تولي أمير المؤمنين الأمام
علي (ع) لدفة الحكم في الدولة الإسلامية، فتأرت ثائرة
قريش ومن تحالف معها من الأحزاب القديمة من المنافقين
والأعداء لمنع تأويل الكتاب العزيز في حياة الأمة.. فحاربهم
الإمام علي (ع) على التأويل كما حاربهم مع رسول الله (ص)
على التنزيل من قبل..



لبنان - بيروت - الرويس - بناية عروس الرويس
تلفاكس: ٠٠٩٦١١/٥٤٥١٨٢ موبايل: ٠٠٩٦١٣/٤٧٣٩١٩
ص.ب: ٢٤/١٤٠

www.daralouloum.com
E.mail: info@daralouloum.com